

I HEARD YOU PAINT HOUSES

الكتاب الذي اقتبس منه فيلم **THE IRISHMAN** من إخراج مارتن سكورسيزي

تشارلز براندت

مكتبة

ترجمة:  
أحمد الزبيدي

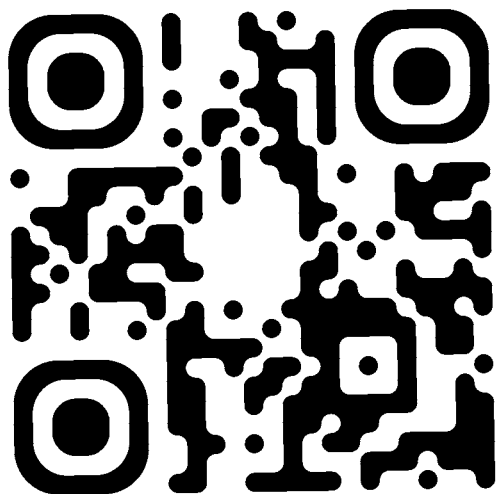
سمعت

أنك  
تظلي

القنازل



kalamat



سجل في مكتبة  
اضغط الصفحة  
SCAN QR

سمعت أنك تطلي المنازل



سمعت أنك تطلي المنازل

I Heard You Paint Houses

تشارلز برانت

Charles Brandt

ترجمة: أحمد الزبيدي

دار كلمات للنشر والتوزيع

بريد إلكتروني:

Dar\_Kalamat@hotmail.com

الموقع الإلكتروني:

www.kalamat.com

Copyright © 2004, 2005, 2016 by Charles Brandt

ردمك: 978-9921-730-49-4

مكتبة  
t.me/soramnqraa

# سمعت أنك تطلي المنازل I Heard You Paint Houses

قصة فرانك شيران (الأيرلندي)  
ولغز اختفاء جيمي هوبا

الرواية التي تحولت إلى فيلم (الأيرلندي)  
الذي أنتجته شركة نتفلكس

تشارلز برانت  
Charles Brandt

ترجمة:  
أحمد الزبيدي

مكتبة  
[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)

2025

//kalemat



## إهداء

إلى زوجتي نانسي بول براند.  
إلى أبنائنا وشركاء حياتهم، تريب وأليسون، ميمي وجون،  
جيني روز وأليكس، وأحفادنا ماغي وجاكسون وليبي وأليكساندر.  
لذكرى أبي وأمي، كارولا ديماركو برينت، وتشارلز بي برينت.  
والى ماغي والقبطان إيرل تي بول.  
إلى ذكرى أجداد أمي من إقليم لوماركي الذين أدين لهم بكل  
شيء، روسا ولويجي ديماركو.

مكتبة  
[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)



## شكرو وتقدير

أنا مدين بالامتنان لزوجتي الجميلة والموهوبة والرائعة نانسي، التي بذلت أقصى جهدها في تحرير ومراجعة كل فصل من هذا الكتاب بكل إخلاص وأمانة قبل أن أرسله إلى الناشر. عندما كنت في نيويورك وفيلادلفيا أعمل على هذا الكتاب، كانت نانسي تعتني بكل الأشياء الأخرى، ومنحتني الإلهام والتشجيع والدعم اليومي. في الأوقات التي كانت ترافقني فيها نانسي لزيارة فرانك شيران، كان وجهه يضيء مثل شاب صغير. أنا مدين بشعور عميق بالامتنان لما لقيته من تشجيع ودعم من أبنائنا تريب واير وميمي واير وجيني روز برانت.

كما أدين بالامتنان لوالدتي الرائعة، التي قامت بطهي الطعام الإيطالي لي على الرغم من أنها في التاسعة والثمانين من العمر، وتحملتني، وشجعتني خلال الأسابيع الطويلة التي مكثت فيها في شقتها في مانهاتن أن أعمل على جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بي.

أدين بالامتنان لصديقي العزيز، أيقونة النشر، ويليام تومبسون، الذي كان أول من نشر أعمال ستيفن كينغ وجون جريشام، والذي قدم خبرته بسخاء كمستشار تحرير في تطوير مشروع الكتاب وتنفيذه.

لقد تحقق لي مكسب عظيم على حين غرة عندما وافق فرانك وإيمان من الجمعية الأدبية على أن يكون وكيلي. أخذ فرانك المشروع على محمل الجد باعتباره يروي أحداثًا تاريخية مهمة

ستتعرض للنسيان إذا لم يُنشر الكتاب، واختار عنوان الكتاب، وشجّع فرانك شيران على السير في الاتجاه الصحيح في مقابلته الأخيرة المسجلة.

عندما اقترح الراحل نيل ريشين أن يتصل وكيلى الأدبي بدار النشر ستيرفورت، فوجئنا بقبول كتابي من قبل ناشر لا يتخذ قراراته بسرعة، ويتسم بالحيوية والنشاط على الدوام، ثم أصبح الآن صديقاً عزيزاً دائماً لي. شكراً لك يا نيل، لأنك اقترحت علينا أن نتوجه إلى الشخص الرائع تشيب فلايشر ومساعدته هيلجا شميدت.

أود أن أعبر عن شكري لعدد من الكتاب مثل: دان مولديا، وستيفن برييل، وفيكاتور ريزل، وجوناثون كويتتي، الذين قدموا تقارير استقصائية ماهرة -على الرغم من خطر تعرضهم للأذى الجسدي- كشفت وحفظت الكثير من تاريخ جيمي هوفنا والزمن الذي عاش فيه وقصة اختفائه.

كما أود تقديم شكري للمحقق الخاص المتقاعد روبرت أ. غاريتي، على ما قام به من عمل متميز اتسم بالدقة والمهنية باعتباره ممثل مكتب التحقيقات الفدرالي في التحقيق في قضية هوفنا. العمل الذي قمتَ به أنت وزملاؤك جعل مهمتي قابلة للتنفيذ. شكراً لهؤلاء الوكلاء والمحققين ومحامي الادعاء وموظفيهم الذين خلقت جهودهم العديد من عناوين الصحف الرئيسية والقصص الإخبارية التي اعتمدتها.

شكراً لابن عمي الموهوب، كارمين زوزورا، على تشجيعه اليومي الذي جعلني أركز على عملي عندما كانت الأمور صعبة،

ولمشورته الحكيمة في كل مرحلة من مهمتي، خاصة عندما كنت أبث شكواي له وكان يكرر على مسامعي: «فقط أكتب الكتاب، والباقي سيكون سهلاً».

كم كنت محظوظاً أن يقف إلى جانبي -طوال حياتي- شقيقتي وشقيق زوجتي باربرا وغاري غولدسميث وأفراد عائلتهم: دينيس، ولورا روز، وداني، وباسكال، ولوكاس وروز.

أشعر بوافر الامتتان لجميع أصدقائي وأفراد عائلتي الرائعين، الذين دعموني في تأليف هذا الكتاب وخاتمته الجديدة، ولأولئك الأصدقاء الذين لجأت إليهم مراراً للحصول على المشورة والتشجيع والدعم، وخاصة مارتني شافران، وبيتر بوش، وستيف سيمونز، وجيف وينر، وتريسي باي، وثيو جوند، وجو بيستون، ولين ديفيشيو، وآل مارتينو، وليزلي ليتل، ورولانديلونج، وكولين جنسن، وإد جاردنر، وشيريل توماس، وكاثلين وجيري شاماليس. أنا مدين بشكل عميق لا حدود له لروب ساتكليف.

كما أشكر لين شافرين على كل النصائح التي قدمها، وخاصة حينما عرّف الراحل تيد فيوري على نانسي وعليّ أيضاً. شكراً كثيراً لك يا تيد.

شكري للرسام والمؤلف والفنان حاصد الجوائز، صديقي أوري شوليفيتز، الذي شجعني منذ أكثر من عشرين عاماً على الشروع في الكتابة باحترافية.

أوجه تحيتي إلى ذكرى عمي الراحل من ساسانو، البروفيسور فرانك زوزورا، الذي أرشدني أيام دراستي في جامعة ديلاوير وما تلاها من سنوات.

أقدم شكري - وإن جاء متأخرًا - لإدوين هيرست مدرس اللغة  
الإنجليزية الملهم الذي درّسني في الصف الحادي عشر في  
مدرسة ستوفسانت الثانوية عام 1957.

مكتبة

t.me/soramnqraa

## تمهيد روس وفرانك

في منزل ريفي يطلّ على بحيرة<sup>(1)</sup>، وفي غرفة مليئة بأفراد عائلة جيمي هوبا الذين كان يسيطر عليهم القلق وتترقرق في أعينهم الدموع، وجد أفراد مكتب التحقيقات الفدرالي كراسة صغيرة صفراء اللون. وضعها هوبا بجوار هاتفه، وكتب فيها بالقلم الرصاص «روس وفرانك».

كان روس وفرانك صديقين مقربين وحليفين شديدي الإخلاص لجيمي هوبا. كان فرانك رجلاً ضخماً، مفتول العضلات، مقرباً جداً من جيمي ومخلصاً له طوال المحن التي واجهته مع رجال القانون، والنائب العام بوبي كينيدي، إلى حد أن الناس كانوا يعتقدون أن فرانك كان فرداً من أفراد العائلة.

في ذلك اليوم، كان أفراد العائلة الموجودون في إحدى غرف المنزل الريفي المطلّ على إحدى البحيرات خائفين جداً في قرارة أنفسهم من أن يكون صديق مقرب جداً من جيمي هوبا ويثق به كثيراً قد استماله وسبّب له الأذى، فقد كان جيمي هوبا شخصاً يقظاً وحذراً وعلى دراية تامة بأعدائه القتلة. ومنذ ذلك اليوم، أصبح «روس وفرانك»، في إشارة إلى رجلي المافيا فرانك شيران «الأيرلندي» وعزّابه، راسل «ماكفي» بوفالينو، من المشتبه فيهم الرئيسيين في أكثر حالات الاختفاء شهرة في تاريخ أمريكا.

---

(1) المقصود هنا بحيرة أوريون في بلدة أوريون في مقاطعة أوكلاند، ولاية ميشيغان. (المترجم).

زعم كل كتاب ودراسة جادة تناولت قضية اختفاء هوبا أن فرانك شيران «الأيرلندي»، وهو رجل شديد الإخلاص لهوبا ومن أشد الداعمين له في نقابة سائقي الشاحنات، قد خان الشخص الذي كان صديقه ومعلمه. تزعم هذه الدراسات أن شيران كان هو من تأمر ونفذ العملية، وكان حاضراً عندما قُتل هوبا، وأن القتل وافق وخطط له راسل «ماكغي» بوفالينو. ومن بين هذه الدراسات هناك عدة كتب بُحث فيها بدقة عن هذه القضية، من بينها كتاب «حروب هوبا»، من تأليف الصحفي الاستقصائي دان مولديا. وكتاب «نقابة سائقي الشاحنات»، من تأليف ستيفن بريل، مؤسس المحطة التلفزيونية كورت، وكتاب «هوبا»، للبروفيسور آرثر سلون.

في 7 سبتمبر 2001، بعد مرور أكثر من ستة وعشرين عاماً على تلك القضية الغامضة، عقد أحد أفراد العائلة -الذي كان يعيش في ذلك الوقت المرعب مع والدته وشقيقته في المنزل الريفي المطل على البحيرة- مؤتمراً صحفياً. كان ذلك الشخص هو جيمس هوبا نجل جيمي هوبا رئيس نقابة سائقي الشاحنات. كانت آماله قد انتعشت للتو بسبب ظهور تطور جديد في قضية اختفاء والده؛ فقد كشف مكتب التحقيقات الفدرالي أن اختبار الحمض النووي الذي أجري على خصلة من الشعر أثبت أن جيمي هوبا كان داخل سيارة كان يشتبه -منذ فترة طويلة- باستخدامها في الجريمة. توجّه إريك شون، كبير مراسلي قناة فوكس نيوز، بالسؤال إلى جيمس إن كان قد استدرج والده إلى تلك السيارة من قبل عدد من الأشخاص المشتبه فيهم. هز جيمس رأسه

وهو يطالع أسماء الأشخاص الموجودين في قائمة المشتبه فيهم، وقال في النهاية: «لا، والدي لم يكن يعرف هؤلاء الناس». عندما سأله شون إن كان بإمكان فرانك شيران أن يستدرج والده إلى السيارة، أوماً جيمس برأسه وقال: «نعم، سوف يقبل والدي أن يصعد معه في السيارة».

في ختام مؤتمره الصحفي، أعرب جيمس لوسائل الإعلام عن رغبته في حل القضية عن طريق ما يعرف بـ «اعتراف فراش الموت». في الوقت الذي قدم فيه هذا الطلب، كان فرانك شيران الرجل الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من بين المشتبه فيهم الأصليين، كان يبلغ من العمر ما يكفي ليقوم بـ «اعتراف فراش الموت». عقد المؤتمر الصحفي قبل أربعة أيام من الأحداث المأساوية التي وقعت في 11 سبتمبر 2001؛ ما أدى إلى إلغاء ظهور جيمس في برنامج لاري كينغ التلفزيوني في بث حي على الهواء، والذي كان مقرراً أن يُجرى في الأسبوع التالي.

بعد شهر من ذلك التاريخ، وحيث لم تعد قصة هوفاً تتصدر الصفحات الأولى للصحف، اتصلت ابنة جيمي الوحيدة القاضية باربرا كرانسر هاتفياً بفرانك شيران من غرفتها في محكمة مدينة سانت لويس. دخلت القاضية كرانسر في الموضوع بسرعة وبشكل مباشر بنفس طريقة والدها، الشخصية الأسطورية، ووجهت نداءً شخصياً إلى شيران بأن يجعل أسرتها تنتهي من الموضوع بإخبارها بما يعرفه عن اختفاء والدها. قالت له: «افعل الشيء الصحيح». بعد استشارة محاميه، لم يكشف شيران عن أي شيء، وأحال باربرا إلى محاميه بكل احترام.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي كتبت فيها القاضية باربرا كرانسر إلى الأيرلندي أو اتصلت به هاتفياً بهدف كشف الأسرار التي يخفيها. في 6 مارس 1995 كتبت له: «أنا متأكدة شخصياً من أن هناك العديد من الأشخاص الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أصدقاء مخلصين لجيمس ر. هوفّا يعرفون ما حدث له، ومن الذي فعل ذلك ولماذا. وحقيقة أن أحداً منهم لم يخبر عائلته -حتى مع تعهدهم بإبقاء الموضوع سراً- هي أمر مؤلم بالنسبة إلي. أعتقد أنك واحد من هؤلاء الناس».

في 25 أكتوبر 2001، بعد أسبوع من مكالمة باربرا الهاتفية، سمع فرانك شيران «الأيرلندي»، وكان حينها في الثمانينيات من عمره، وهو جالس على كرسيه المتحرك الذي لم يعد يستطيع السير من دونه، طرُقاً على باب الفناء في شقته في الطابق الأرضي. كان الطارقان اثنيين من محققي مكتب التحقيقات الفدرالي الشبان. كانا ودودين وهادئين، وعبرّا عن احترام شديد لهذا الرجل الذي كان يقترب من نهاية مشوار حياته. كانا يأملان أنه سيصبح أكثر ليونة مع التقدم في العمر، وربما حتى يعلن توبته. وقد كانا يتطلّعان إلى أن يحصلّا منه على «اعتراف فراش الموت». قالّا له إنهما أصغر من أن يتذكرا القضية، لكنهما قرأّا آلاف الصفحات التي يحتوي عليها ملفه. لقد كانا صريحين بشأن المكالمة الهاتفية الأخيرة التي تلقاها شيران من باربرا، وأخبراه مباشرة بأنهما ناقشا محتوى المكالمة معها. وكما هي عادته منذ 30 يوليو 1975، وهو اليوم الذي اختفى فيه جيمي، أحالهما شيران بكل أسف إلى محاميه، السيد المحترم إف. إيميت. فيتزباتريك، المدعي العام السابق لمقاطعة فيلادلفيا.

فشل مكتب التحقيقات الفدرالي في إقناع شيран بالتعاون وتقديم «اعتراف فراش الموت»، لذلك أعلن في 2 أبريل 2002، أنه قد سلم ملفه بالكامل والمؤلف من 16000 صفحة إلى محامي مقاطعة ميشيغان، وأنه سيسمح لوسائل الإعلام ولنجلي جيمي هوفبا بالاطلاع على 1330 صفحة من هذا الملف. ولن توجه له اتهامات فدرالية. أخيراً، وبعد ما يقرب من سبعة وعشرين عاماً، أعلن مكتب التحقيقات الفدرالي استسلامه.

في 3 سبتمبر 2002، بعد عام تقريباً من اليوم التالي للمؤتمر الصحفي الذي عقده جيمس، تخلت ولاية ميشيغان أيضاً عن القضية وأغلقت ملفها، معربة عن «تعاذيلها الدائمة» لأبناء هوفبا. وفي الإعلان عن قراره في مؤتمر صحفي، نُقل عن المدعي العام لمنطقة ميشيغان ديفيد غورسيكا قوله: «لسوء الحظ، فإن هذه القضية كانت تحوي كل أركان روايات الجريمة المثيرة، ولكن من دون أن يكتب فصلها الأخير».

يحكي هذا الكتاب قصة «جريمة»، لكنه ليس رواية. إنه سجل تاريخي قائم على مقابلات فردية مع فرانك شيран، سُجِّل معظمها على أشرطة الكاسيت. أجريت أول مقابلة مع شيран في عام 1991 في شقته، بعد فترة وجيزة من تمكني أنا وشريكي من تأمين الإفراج المبكر عن شيран من السجن لأسباب صحية. وبعد جلسة عام 1991 مباشرة، أصبحت لدى شيран ملاحظات جديدة حول الطبيعة الاستجوابية التي تتم فيها المقابلة وقرر إنهاءها. لقد اعترف أكثر بكثير مما كان يرغب فيه. قلت له أن يتصل بي مرة أخرى إذا غير رأيه ورغب في أن يدلي لي باعترافاته.

في عام 1999، رتبت بنات شيران مقابلة خاصة لوالدهن العجوز والعاجز مع المونسنيور هيلدسور من كنيسة سانت دوروثي في فيلادلفيا. التقى شيران المونسنيور الذي منح شيران الغفران عن ذنوبه حتى يمكن دفنه في مقبرة كاثوليكية. قال لي فرانك شيران: «أنا مؤمن أن هناك شيئاً ما ينتظرنا بعد موتنا. إذا حصلت على فرصة للحصول على مكان فيه، فلا أريد أن تضيع مني. لا أريد إغلاق الباب».

بعد لقائه مع المونسنيور اتصل بي شيران، وبناءً على طلبه، حضرت لقاءً معه في مكتب محاميه. وافق شيران في ذلك اللقاء على أن أقوم باستجوابه، وبدأت المقابلات مرة أخرى واستمرت لمدة خمس سنوات. لقد جلبت معي إلى تلك المقابلات خبرتي بصفتي مدعياً سابقاً في جرائم القتل وعقوبة الإعدام، وتجربتي في إلقاء عدة محاضرات حول كيفية القيام بعمليات استجواب الشهود، وما تعلمته وأنا طالب عند دراستي أساليب التحقيق، وكوني مؤلف العديد من المقالات حول حكم الإقصاء الذي أقرته المحكمة العليا الأمريكية فيما يتعلق بالاعترافات. قال لي شيران ذات مرة: «أنت أسوأ من أي شرطي تعاملت معه على الإطلاق». قضيت ساعات لا حصر لها مع ذلك الأيرلندي، والتقيت أشخاصاً يدعون أنهم من رجال المافيا، وتوجّهت بسيارتي إلى ديترويت لتحديد مكان اختفاء هوبا، ثم توجّهت بها إلى بالتيمور للعثور على موضعين اثنين من عمليات نقل وتسليم بضاعة قام بها شيران لصالح المافيا، واجتمعت بمحامي شيران، وبعائلته وأصدقائه، للتعرف من كذب على طبيعة الرجل الذي يقف وراء

هذه القصة. قضيت ساعات لا حصر لها أتحدّث معه على الهاتف وبشكل شخصي، وأضيف أشياء وأتخلص من أخرى من المخزن الذي كنت أحفظ فيه المواد التي شكلت أساس هذا الكتاب. في أغلب الأحيان، تكون القاعدة الأولى في الاستجواب الناجح هي الإيمان بأن الشخص المستجوب يريد حقاً الاعتراف، حتى عندما ينكر ويكذب. كان هذا هو الحال مع فرانك شيران. القاعدة الثانية هي أن تفسح المجال كاملاً لهذا الشخص ليتحدّث، ولم يكن هذا الأمر يشكل مشكلة مع الأيرلندي. دع الكلمات تتدفق وستجد الحقيقة طريقها للخروج.

كان جزء من فرانك شيران يريد أن يزيح هذه القصة عن كاهله منذ فترة طويلة. في عام 1978 كان هناك جدل حول ما إذا كان شيران قد اعترف عبر الهاتف، ربما عندما كان تحت تأثير الكحول، إلى ستيفن بريل، مؤلف كتاب «نقابة سائقي الشاحنات». اعتقد مكتب التحقيقات الفدرالي أن شيران اعترف لبريل وضغط على بريل ليحصل على شريط التسجيل الذي يحوي الاعتراف. كتب دان مولديا، مؤلف كتاب «حروب هوبا»، في مقال له أنه خلال وجبة الإفطار في أحد الفنادق، أخبر بريل مولديا أنه يمتلك اعترافاً مسجلاً من شيران. لكن بريل، ربما بحكمة منه خوفاً من أن يصبح شاهداً بحاجة إلى الحماية، نفى ذلك علناً في صحيفة نيويورك تايمز.

وبناءً على ذلك، فقد بذلت جهودي طوال معظم عملية إجراء المقابلات الشاقة لحماية حقوق شيران والحفاظ عليها، حتى لا تشكل كلماته اعترافاً مقبولاً قانونياً في المحكمة.

في أثناء كتابة الكتاب، قرأ فرانك شيران كل فصل منه ووافق عليه. ثم أعاد قراءة المخطوطة بالكامل وأجازها.

في 14 ديسمبر 2003، توفي فرانك شيران. كان قد وافق قبل ستة أسابيع، خلال مرضه الأخير، أن أُجريت معه مقابلة مسجلة أخيرة من سيره في المستشفى. أخبرني بأنه أدلى باعترافه وتلقى المناولة من كاهن قام بزيارته. تجاهل فرانك شيران عمداً استخدام أي لغة قانونية وقائية، وواجه كاميرا الفيديو من أجل أن يتحدث في «لحظة الحقيقة». حمل نسخة من هذا الكتاب وأكد صحة جميع الحقائق الموجودة في هذا الكتاب، الذي على وشك أن تقرأه، بما في ذلك دوره في ما حدث لجيمي هوبا في 30 يوليو 1975.

في اليوم التالي، قبل أسبوع أو نحوه من فقدانه قوته وقدرته على البقاء واعياً، طلب مني فرانك شيران أن أصلي معه وأتلو الصلاة الربانية وصلاة السلام عليك يا مريم، وهو ما فعلناه معاً. وفي المحصلة، فإن كلمات فرانك شيران كانت مقبولة في محكمة الرأي العام، وبالتالي يتم الحكم عليها من قبلك أنت -أيها القارئ- باعتبارها جزءاً من تاريخ القرن الماضي.

تسرد هذه القصة حياة فرانك شيران الفريدة والرائعة. عاش هذا الأيرلندي اللوذعي كاثوليكيًا مخلصًا، كان طفلاً اشتدّ عوده أيام فترة الكساد الكبير، وكان بطلاً جسوراً في الحرب العالمية الثانية، ومسؤولاً رفيع المستوى في نقابة سائقي الشاحنات الوطنية، وهو الرجل الذي زعم رودى جولياني في أثناء مناقشة قانون ريكو -الخاص بمنظمات المافيا- أنه كان الشخص الملائم

للقيام بالتنسيق مع أعضاء الهيئة التنفيذية لمافيا صقلية، وهو واحد من شخصين غير إيطاليين فقط ضمتهم قائمة جوليانى التي شملت ستاً وعشرين شخصية من كبار زعماء المافيا، والتي ضمت رؤساء عائلات بونانو، وجينوفيز، وكولومبو، ولوتشي، وشيكاغو، وميلووكي، بالإضافة إلى العديد من معاونيهم. وهو المدان بارتكاب عدة جرائم، والقاتل المأجور، والرجل الذي صمد بوجه المحن بشكل أسطوري، والأب لأربع بنات والجدة المحبوب. بسبب كل تلك الأشياء الإيجابية في حياة فرانك شيران المعقدة، ومنها تأديته الخدمة العسكرية وحبه لأطفاله وأحفاده، كنت أحد من حملوا نعش ذلك الأيرلندي الملفوف بالعلم الأمريكي إلى مثواه الأخير.

هذا هو الفصل الأخير من مأساة هوبا، وهي جريمة سببت الألم والمعاناة لجميع الأشخاص الذين كانت لديهم علاقة به، بما في ذلك أولئك الذين نفذوها، ولكن هذه الجريمة قد آذت وسببت الألم بشكل خاص لأفراد عائلة جيمي هوبا وقد بذلوا كل جهودهم في سبيل أن يحسموا مصير والدهم.

ملاحظة المؤلف: ستم الإشارة إلى فقرات هذا الكتاب التي تتضمن أقوال فرانك شيران بصوته، والمأخوذة من مئات الساعات من المقابلات، بعلامات اقتباس. تضيف بعض الفقرات والفصول التي كتبها تفاصيل مهمة ومعلومات أساسية.

طلبت من رئيسي في العمل، راسل «ماكفي» بوفالينو، السماح لي بالاتصال بجيمي في منزله المجاور للبحيرة. كنت في مهمة سلام. وكل ما كنت أحاول القيام به في ذلك الوقت بالذات كان منع ذلك الأمر من الحدوث لجيمي.

تواصلت مع جيمي بعد ظهر الأحد، 27 يوليو 1975. لكن جيمي رحل يوم الأربعاء، 30 يوليو. فقد ذهب -للأسف كما نقول- «إلى أستراليا»، «إلى الأرض السفلى». سأبقى أفتقد صديقي حتى اليوم الذي سيجمعني فيه.

كنت في شقتي الخاصة في فيلاديلفيا استخدم هاتفي الخاص عندما اتصلت بمنزل جيمي الريفي عند بحيرة أوريون بالقرب من ديترويت. لو كنت هناك وقت وقوع الأمر في يوم الأحد ذاك، لكنني استخدمت هاتفًا عموميًا، وليس هاتفي الخاص. لا يمكنك البقاء على قيد الحياة طويلاً، بقدرتي، طالما أنك لم تفعل مثلي، وأجريت مكالمات حول مسائل مهمة من هاتفك الخاص. لم أكن شخصًا ساذجًا أو عديم الثقة بالنفس. كنت ابن أبي فعلاً وليس شخصًا لقيطاً.

بينما كنت واقفًا في المطبخ بجانب هاتفي ذي القرص الدوار المثبت على الحائط، أستعدُّ لطلب الرقم الذي كنت أحفظه عن ظهر قلب، فكرت مع نفسي في الطريقة التي سأحدث بها مع جيمي. لقد تعلمت من خلال خبرة سنوات في إجراء المفاوضات

النقابية أنه من الأفضل دائماً مراجعة الأشياء في ذهنك أولاً قبل أن تفتح فمك. إلى جانب ذلك، فإن هذه المكالمة لن تكون سهلة. عندما خرج جيمي من السجن بعد العفو الرئاسي الذي أصدره الرئيس نيكسون في عام 1971، وبدأ الكفاح لأجل استعادة رئاسة نقابة سائقي الشاحنات، أصبح من الصعب جداً التحدث إليه. وقد يحدث مثل هذا الأمر في بعض الأحيان مع الرجال عند خروجهم من السجن في المرة الأولى. أصبح جيمي سليلط اللسان في الراديو، وفي الصحف، وعلى شاشة التلفزيون. في كل مرة كان يفتح فيها فمه كان يقول شيئاً عن كيفية فضح رجال المافيا وطردهم من النقابة. حتى أنه قال إنه سوف يمنعهم من استخدام صندوق التقاعد. لا أستطيع أن أتخيل أن بعض الناس أحبوا سماع أنهم سيفقدون الإوزة التي تبيض لهم ذهباً إذا ما عاد إلى منصبه. أقل ما يمكن القول عن كل ما كان يصدر من جيمي أنه كان نفاقاً، بالنظر إلى أن جيمي كان هو الشخص الذي جلب رجال المافيا إلى النقابة وصندوق التقاعد في المقام الأول. لقد جلبني جيمي إلى النقابة من خلال راسل. كنت قلقاً على صديقي أكثر من المعتاد لسبب وجيه جداً.

بدأت أشعر بالقلق قبل نحو تسعة أشهر من هذه المكالمة الهاتفية التي سمح لي راسل بإجرائها. سافر جيمي إلى فيلادلفيا ليكون المتحدث المميز في «ليلة الاحتفاء بفرانك شيران» في الكازينو اللاتيني. كان هناك 3000 من أصدقائي الطيبين وأفراد عائلتي، بمن فيهم العمدة، ومحامي المقاطعة، والرجال الذين قاتلت معهم في الحرب، والمغني جيرى فال وراقصات فرقة Golddigger الموسيقية

اللواتي لم يتوقفن عن الرقص، وبعض الضيوف الآخرين من أفراد ما كان يُطلق عليهم مكتب التحقيقات الفدرالي اسم «مافيا صقلية». قدم لي جيمي ساعة ذهبية مطعمة بقطع من الماس. نظر جيمي إلى الضيوف على المنصة وقال لي: «لم أدرك قط أنك بهذه القوة». كان هذا تعليقاً مميزاً لأن جيمي هوفاً كان أحد أعظم رجلين قابلتهما على الإطلاق.

قبل أن يُقدِّم طعام العشاء المكون من أفخر أنواع اللحوم، وعندما كنا نقوم بالتقاط الصور، طلب شخص عادي قصير القامة كان مع جيمي في السجن أن يعطيه عشرة آلاف دولار لغرض أن يؤسّس مشروعاً تجارياً. أدخل جيمي يده في جيبه وأعطاه 2500 دولار. ذلك هو جيمي؛ يتأثر بسرعة ولا يتأخر عن صنع المعروف.

بطبيعة الحال، كان راسل بوفالينو هناك. كان هو ثاني أعظم رجلين قابلتهما على الإطلاق. غنى جيري فالي الأغنية المفضلة لروس، «عيون إسبانية»، تكريماً له. كان راسل رئيساً لعائلة بوفالينو في شمال ولاية بنسلفانيا وأجزاء كبيرة من نيويورك ونيوجيرسي وفلوريدا. ولكون مقرها الرئيس خارج مدينة نيويورك؛ لم يكن راسل من ضمن الحلقة الداخلية لعائلات نيويورك الخمس، ولكن جميع العائلات كانت تأتي إليه للحصول على المشورة بشأن كل شيء. إذا كان هناك أي أمر مهم يحتاج إلى من يجد حلاً له، كان يُكلّف راسل بالمهمة. كان يحظى بالاحترام في جميع أنحاء البلاد. عندما أُطلق النار على ألبرت أناستاسيا وهو جالس على كرسي الحلاق في نيويورك، جعله أفراد العائلة الرئيس المؤقت

إلى أن يتمكنوا من تسوية كل شيء. كان من المستحيل الحصول على احترام أكثر مما كان يحظى به راسل. كان قويًا جدًا. لم يسمع به عامة الناس قط، لكن عائلات المافيا وعملاء مكتب التحقيقات الفدرالي كانوا يعرفون مدى قوته.

قدم لي راسل خاتمًا ذهبيًا كان قد صنعه خصيصًا لثلاثة أشخاص فقط، له شخصيًا، ولمساعدته، ولي أنا. توجت الخاتم عملة ذهبية كبيرة من فئة ثلاثة دولارات محاطة بالألماس. كان روس خبيرًا في عالم السطو وسرقة المجوهرات. وكان شريكًا بالمال فقط لعدد من متاجر المجوهرات في شارع المجوهرات في مدينة نيويورك.

ما زلت أرتدي الساعة الذهبية التي أعطاني إياها جيمي على معصمي، ولا يزال الخاتم الذهبي الذي أعطاني إياه راسل في إصبعي، وأنا أقيم هنا في مسكن الرعاية الدائمة لذوي الإعاقة. وأرتدي في يدي الأخرى، خاتمًا يحمل أربعة أحجار، تشير إلى كل واحدة من بناتي.

كان جيمي وراسل متشابهين إلى حد كبير. يملكان عضلات قوية من الرأس إلى أخمص القدمين. كان كلاهما قصير القامة، حتى بمقاييس تلك الأيام. كان طول روس يبلغ نحو 172 سم. كان جيمي أقصر فقد كان يبلغ طوله نحو 167 سم. وكان طولي في تلك الأيام نحو 195 سم. كان عليّ الانحناء لهما عندما كنا نجري حديثًا خاصًا. لقد كانا ذكيين جدًا. كانت لديهما صلابة عقلية وبدنية، ولكنهما كانا مختلفين بطريقة ملفتة للنظر. كان روس متواضعًا جدًا وهادئًا ويتكلم بصوت رقيق حتى عندما يصبح

غاضبًا، أما جيمي فكان يصرخ دائمًا، فقط للحفاظ على الظهور بمظهر الغاضب، فقد كان يحب جذب الأنظار إليه.

في الليلة التي سبقت حفل عشاء تكريمي، جلسنا أنا وروس مع جيمي إلى طاولة في مطعم برودواي إيدي، وأخبر راسل بوفالينو جيمي هوفًا بأن عليه التوقف عن بذل جهوده للترشح لرئاسة النقابة. وقال له أن بعض الناس كانوا سعداء جدًا بفرانك فيتزسيمونز الذي حلّ محل جيمي عندما دخل السجن. لا أحد من الجالسين إلى الطاولة قال ذلك، لكننا جميعًا كنا نعلم أن هؤلاء الأشخاص سعداء جدًا بالقروض الكبيرة والسهلة التي يمكنهم الحصول عليها من صندوق تقاعد النقابة في ظل إدارة فتز الضعيفة. لقد حصلوا على قروض من جيمي عندما كان يرأس النقابة، وكان جيمي يحصل على عمولته بشكل سري، لكن تلك القروض كانت تُمنح دائمًا بشروط جيمي. أما فيتز فقد كان طوع أمر هؤلاء الأشخاص. كل ما كان يهتم به هو الشرب والغولف. لست مضطرًا إلى أن أخبرك كم من الأموال يمكن الحصول عليها من صندوق تقاعد تبلغ ميزانيته مليار دولار.

قال راسل: «ما الذي تنوي فعله؟ أنت لا تحتاج إلى المال».

فرد عليه جيمي: «لا يتعلّق الأمر بالمال. لن أسمح لفيتز أن يكون رئيس النقابة».

بعد تلك الجلسة، عندما كنت أستعد لإعادة جيمي إلى فندق وارويك، أخذني روس جانبًا وقال: «تحدث إلى صديقك. اشرح له طبيعة الأمر». وكما هي طريقتنا في الكلام، وحتى لو لم يكن الأمر يبدو كذلك، إلا أنه كان على الأغلب تهديدًا بالقتل.

في فندق وارويك، أخبرت جيمي بأنه إذا لم يغير رأيه بشأن استعادة منصبه، فمن الأفضل أن يحتفظ ببعض الرجال من حوله للحماية.

«أنا لن أتخلي عن السير في هذا الطريق حتى لو حاولوا النيل من عائلتي».

«ومع ذلك، يجب ألا تخرج إلى الشارع بمفردك».

«لا أحد يخيف هوبا. سألاحق فيتز، وسأفوز في هذه الانتخابات».

«أنت تعرف ما يعنيه هذا، أخبرني روس نفسه بأن أقول لك ذلك»

دمدم جيمي هوبا غاضباً وعيناه تحدقان إلى وجهي «لن يجرؤوا». كل ما فعله جيمي بقية الليل، وفي أثناء وجبة الإفطار في صباح اليوم التالي، هو أنه تحدث كثيراً بكلام غير مترابط. ومن خبرتي السابقة معه، كان من الممكن أن يكون حديثاً عصبياً، لكنني أعلم أن جيمي لم يكن ليُظهر خوفه. على الرغم من أن أحد الفقرات في الموضوع الذي تحدثت عنها راسل إلى جيمي حول الطاولة في مطعم برودواي إيدي في الليلة التي سبقت عشاء تكريمي، كانت أكثر من كافية لجعل أكثر الرجال شجاعة يشعر بالخوف.

وها أنا ذا في مطبخي في فيلادلفيا بعد تسعة أشهر من ليلة التكريم، أحمل الهاتف في يدي. كان جيمي على الطرف الآخر من الخط في منزله الريفي عند بحيرة أوريون، وأنا آمل أن يعيد جيمي هذه المرة التفكير في عودته إلى رئاسة النقابة ما دام لديه الوقت.

قلت له: «سنتوجه أنا وصديقي بالسيارة إلى حفل الزفاف».  
فقال جيمي: «كنت متأكدًا من أنك وصديقك ستحضران حفل الزفاف».

عرف جيمي أن «صديقي» كان راسل مع أنني لم أذكر اسمه عبر الهاتف. كان المقصود هو حفل زفاف ابنة بيل بوفالينو في ديترويت. لم يكن لبيل صلة قرابة براسل، لكن راسل أعطاه الإذن ليقول إنهما ابنا عمومة؛ ما ساعد بيل في مهنته، فقد كان محامي النقابة في ديترويت.

كان بيل بوفالينو يمتلك قصرًا في غروس بوينت ينحدر منه شلال في الطابق السفلي. وكان هناك جسر صغير يمكن أن يتمشى فيه المرء يفصل جانبًا من الطابق السفلي عن الآخر. كان للرجال جانبهم حتى يتمكنوا من التحدث، في حين تبقى النساء إلى جانبهن بالقرب من الشلال. من الواضح أن هؤلاء النساء لم ينتبهن للكلمات عندما سمعن هيلين ريدي تغني أغنيتهما الشعبية التي كانت شائعة في تلك الأيام، «أنا امرأة، أسمعني زئيرك».  
قلت له: «أعتقد أنك لن تحضر حفل الزفاف».

فأجابني: «جو لا تريد أن يحدق الناس إليها». لم يكن هناك داع لأن يشرح جيمي ما قاله. كان هناك حديث عن تنصت على المكالمات يقوم به مكتب التحقيقات الفدرالي. وكان هناك شريط مسجل يزعم فيه بعض الأفراد أن هناك علاقة عاطفية تربط زوجته بجوزفين منذ سنوات مع توني سيميني، أحد أفراد مافيا ديترويت. «آه، لا أحد يصدق ذلك الهراء يا جيمي. اعتقدت أنك لن تذهب بسبب شيء آخر».

«اللجنة عليهم. يعتقدون أنهم يمكن أن يخيفوا هوفاً».

«هناك قلق كبير من أن الأمور ستخرج عن السيطرة».

«تدبرْتُ وسائل لحماية نفسي. لقد خبأت السجلات في مكان بعيد».

«أرجوك يا جيمي، حتى صديقي يشعر بالقلق».

ضحك جيمي قائلاً: «كيف حال صديقك؟ أنا سعيد لأنه استطاع معالجة تلك المشكلة الأسبوع الماضي».

كان جيمي يشير إلى قضية ابتزاز كان روس قد سبق بوفالو إليها. فقلت: «صديقنا يقوم بعمل جيد. إنه الشخص الذي أعطاني الضوء الأخضر للاتصال بك».

كان هذان الرجلان المحترمان صديقين لي، وكنا صديقين حميمين بعضهما لبعض. قدمني راسل إلى جيمي للمرة الأولى في الخمسينيات. في ذلك الوقت كنت أعيل ثلاث بنات. كنت قد فقدت وظيفتي كسائق شاحنة لنقل اللحوم إلى أسواق بيع الأغذية، عندما ضبطاني وأنا أحاول أن أكون شريكاً في أعمالهم. كنت أسرق كميات من لحوم البقر والدجاج وأبيعها للمطاعم؛ لذلك بدأت أقوم بأعمال يومية خارج نطاق النقابة، أقود شاحنات الشركات عندما يغيب سائقوها بسبب المرض أو ما شابه. قمت أيضاً بتدريس الرقص الثائي في قاعة للرقص، وفي ليلتي الجمعة والسبت كنت أعمل حارساً في قاعة نيكسون للرقص، في ملهى ليلي للسود.

من ناحية أخرى، كنت أقوم ببعض الأمور لصالح روس، ولم تكن من أجل المال قط وإنما احتراماً له. لم أكن قاتلاً محترفاً

مأجوراً مثل بعض القذرين، كنت أقوم بمهمة صغيرة، أقدم خدمة وأحصل بالمقابل على خدمة صغيرة إذا احتجت إليها.

كنت قد شاهدت فيلم «على الواجهة البحرية»، واعتقدت أنني كنت سيئاً إلى حد ما مثل مارلون براندو. قلت لروس أنني أريد الدخول إلى العمل النقابي. كنّا نجلس في حانة في جنوب فيلاديلفيا، فرتب اتصلاً هاتفياً مع جيمي هوف في ديترويت وجعلني أتكلم معه. كانت أولى الكلمات التي قالها لي جيمي: «سمعت أنك تطلي المنازل». الطلاء هو الدم الذي يُفترض أن يلون الحائط أو الأرضية عندما تطلق النار على شخص ما. أخبرت جيمي بأنني: «أقوم أيضاً بأعمال النجارة». وكنت أشير بذلك إلى صنع التواييت، وهذا يعني التخلص من الجثث بنفسك. بعد تلك المحادثة، قبل جيمي أن أعمل مع النقابة، حيث كسبت أموالاً أكثر مما كسبته من جميع الوظائف الأخرى مجتمعة، بما في ذلك السرقة. حصلت على أموال إضافية لتغطية نفقاتي. إلى جانب ذلك، كنت أنفذ بعض المهام التي يكلفني بها جيمي بنفس الطريقة التي كنت أنفذ بها ما يطلبه مني راسل.

«هكذا إذاً، فقد أعطاك الضوء الأخضر للاتصال. عليك الاتصال مرات عديدة». كان جيمي يتصرف بلا مبالاة حيال ذلك. سيجعلني أتوصل إلى الغرض الذي منحني راسل بسببه الإذن للاتصال به. «عليك أن تتعود أن تتصل في أغلب الأوقات».

فقلت: هذا هو كل ما أحاول قوله. إذا اتصلت بك، فماذا عليّ أن أفعل؟ ماذا عليّ أن أخبر الرجل العجوز؟ أنك لا تزال لا تستمع إليه، أنه لم يعتد على أن لا يستمع الناس إليه».

«الرجل العجوز سيعيش طويلاً».

فقلت: «بلا شك، سيرقص على قبورنا، الرجل العجوز حريص جداً على ما يأكله. إنه يطبخ بنفسه. لم يسمح لي بقلي البيض والسجق لأنني حاولت مرة استخدام الزبد بدلاً من زيت الزيتون». «زبد؟ لن أسمح لك أبداً بقلي البيض والسجق».

«وأنت تعرف يا جيمي، أن الرجل العجوز حريص جداً على كمية ما يأكله. كان يقول دائماً إنه عليك أن تجد من يقاسمك أكل الفطيرة. فإذا أكلتها بأكملها وحدك سينمو كرشك».

قال جيمي: «لا أريد أي شيء سوى احترام صديقك، لن أؤذيه أبداً. هناك بعض العناصر التي سيقوم هوبا بطردها من النقابة، لكن هوبا لن يؤذي صديقك أبداً».

«أعرف ذلك يا جيمي، وهو يحترمك. لقد بدأ من الصفر وتحدى كل الصعاب، بنفس طريقته. وفعل كل الأشياء الجيدة التي قمت بها لأعضاء النقابة. ووقف إلى جانب المعدمين أيضاً. أنت تعلم ذلك».

«أخبره بالنيابة عني: أريد التأكد من أنه لا ينسى أبداً. ليس عندي تجاه ماكفي سوى الاحترام». كان عدد قليل فقط من الأشخاص يشير إلى راسل باسم ماكفي. كان اسمه الحقيقي روزاريو، لكن الجميع كانوا ينادونه راسل. أولئك الذين كانوا قريبين منه كانوا يخاطبونه باسم روس. أما من هم قريبون جداً منه فكانوا ينادونه ماكفي.

«وهذا ما كنت أقوله يا جيمي، الاحترام متبادل».

«يقولون أنه سيكون حفل زفاف كبير، سيأتي الإيطاليون من جميع أنحاء البلد».

«صحيح، هذا جيد لنا. جيمي، لقد تحدثت مع صديقنا حول محاولة حل المشكلات. التوقيت جيد. سيكون الجميع هناك في حفل الزفاف. سيكون الأمر مشجعاً جداً لطرح هذه المسألة».

سألني جيمي بسرعة: «هل اقترح الرجل العجوز القيام بهذا أم أنت؟»

«لقد أضفت الموضوع إلى جدول الأعمال، ورحب به صديقنا كثيراً».

«ماذا قال عن هذا؟»

«لقد رحب به كثيراً. وقال دعنا نجلس مع جيمي عند البحيرة بعد حفل الزفاف. ونعمل على حل هذا الموضوع».

«إنه رجل صالح. هذا هو ماكفي. تعالاً إلى البحيرة، تمام؟»

بدت نبرة صوت جيمي كما لو كان على وشك أن يكشف عن عصبيته الشهيرة ولكن ربما بطريقة لطيفة. «أراد هوفاً دائماً التخلص من هذا الشيء اللعين، منذ اليوم الأول». بات جيمي يطلق على نفسه مراراً وتكراراً في تلك الأيام اسم «هوفاً».

قلت له: «هذا هو الوقت المثالي للعمل على حلّه مع جميع الأطراف المعنية في المدينة الذين جاؤوا إلى حفل الزفاف، عليك تسوية الأمر».

«منذ اليوم الأول أراد هوفاً أن يحل هذا الشيء اللعين»، كان يصرخ تحسباً في حال لم يسمعه الجميع عند بحيرة أوريون في المرة الأولى.

قلت: «جيمي، أنا أعلم أنك تعرف أنه يجب تسوية هذه المسألة، لا يمكن أن تستمر هكذا. أعلم أنك تثرثر كثيراً عن فضح هذا أو ذاك من الأشخاص. أعلم أنك لست جاداً. جيمي هوفاً ليس واشياً ولن يكون واشياً، ولكن هناك قلق. فهم لا يعرفون إلى أي مدى ستصل بثرثرتك».

«أعتقدون بحق السماء أن هوفاً ليس جاداً؟ انتظر حتى يعود هوفاً إلى منصبه ويضع يديه على سجلات النقابة، سنرى ما إذا كنت أثرثر فحسب».

من خبرتي بالعمل مع رجلي العجوز وفي النقابة، أعتقد أنني أعرف كيف أقرأ نفمة أصوات الناس. بدا جيمي وكأنه على وشك إظهار عصبية مرة أخرى في الاتجاه الآخر. كما لو كنت أثير غضبه من خلال الإشارة إلى موضوع ثرثراته. كان جيمي مفاوضاً نقابياً بالفطرة، وفي تلك الأثناء كان قوياً، كان يتحدث عن فضح ما هو مخبأ في السجلات مرة أخرى.

«لقد بحثت هذا الأمر الشهر الماضي يا جيمي. هذا الرجل في شيكاغو. أنا متأكد تماماً من أن الجميع اعتقد أنه لا يمكن المساس به، بما في ذلك هو نفسه كان يعتقد ذلك. كانت مشكلته هي الإدلاء بحديث غير مسؤول يمكن أن يضر بعض أصدقائنا المهمين».

عرف جيمي أن «الرجل» الذي كنت أتحدث عنه هو صديقه المقرب سام جيانكانا «مومو»، رئيس مافيا شيكاغو الذي قُتل للتو. في كثير من الأحيان كنت أنقل «ملاحظات» -رسائل شفوية، لم يكن هناك شيء مكتوب على الإطلاق- ما بين مومو وجيمي.

قبل أن تتم معالجة أمره، كان جيانكانا صاحب نفوذ كبير في دوائر معينة ومشهوراً جداً في وسائل الإعلام. انتقل مومو من شيكاغو إلى دالاس. كان جاك روبي أحد أفراد عصابة مومو. كان مومو يمتلك كازينوهات في هافانا. فتح مومو كازينو بالاشتراك مع فرانك سيناترا عند بحيرة تاهو. قام بمواعدة إحدى مغنيات فرقة «الشقيقات ماكفواير» الموسيقية، والتي كان يشاركها الغناء آرثر جودفريو. شارك جون كينيدي في عشيقته جوديث كامبل. حدث ذلك بينما كان جون كينيدي رئيساً، وكان هو وشقيقه بوبي يستخدمان البيت الأبيض لأغراضهما الخاصة. ساعد مومو في انتخاب جون كينيدي. لكن كينيدي طعن مومو في الظهر، ورد المعروف إليه بتركه بوبي يلاحق الجميع.

قبل أسبوع من حادثة قتل مومو، كشفت مجلة تايم أن راسل بوفالينو وسام جيانكانا قد عملا لصالح وكالة المخابرات المركزية في عام 1961 في أثناء عملية غزو خليج الخنازير في كوبا. وفي عام 1962 عملا ضمن مؤامرة لقتل كاسترو. ولم يكن هناك شيء واحد يثير غضب راسل بوفالينو مثل رؤية اسمه منشوراً في المجلة.

كان مجلس الشيوخ الأمريكي قد استدعى جيانكانا ليدلي بشهادته في قضية قيام وكالة المخابرات المركزية باستئجار رجال المافيا لاغتيال كاسترو. قبل ظهوره بأربعة أيام تم التخلص من جيانكانا بينما كان في مطبخ منزله بإطلاق النار على رأسه من الخلف، ثم تحت الذقن ست مرات، على غرار أسلوب مافيا صقلية، للدلالة على أنه كان مهماً ولم يفلت فمه. يبدو أن من

قام بذلك هو صديق قديم كان قريباً منه لدرجة أنه كان يقلبي معه السجق بزيت الزيتون. غالباً ما كان راسل يقول لي: «يجب أن ينتابك الشك بسبب أبسط شيء».

حينها صاح جيمي: «كان بإمكان صديقنا في شيكاغو أن يؤذي الكثير من الناس، حتى أنا وأنت». ومع أنني أبعدت الهاتف عن أذني إلا أنه كان بإمكانني سماعه. «كان يجب أن يحتفظ بسجلات. كاسترو. كينيدي. رجال شيكاغو لم يسجلوا أي شيء. إنهم يعرفون أن هوفاً يحتفظ بسجلات. وإذا ما حدث أي شيء غير طبيعي لي، سوف تظهر السجلات».

«أنا لست بالرجل الذي يقبل بكل شيء يا جيمي، لذا من فضلك لا تقل لي «إنهم لن يجرؤوا». بعد ما حدث لصديقنا في شيكاغو، يجب أن تعرف الآن ما الوضع».

«ما عليك سوى أن تهتم بنفسك يا صديقي الأيرلندي. أنت قريب جداً من أعين بعض الناس. هل تتذكر ما قلته لك؟ يجب أن تكون حذراً. استأجر بعض الرجال لحمايتك».

«جيمي، أنت تعرف أن الوقت قد حان للجلوس والحديث عن الأمر. الرجل العجوز يقدم عرضاً بالمساعدة».

«أنا أتفق مع جزء مما قلته». كان جيمي هو من يقوم بالمفاوضات في النقابة، وأذعن قليلاً.

استثمرت تلك الفرصة قليلاً: «جيد، سنذهب إلى البحيرة يوم السبت نحو الساعة 12:30. اطلب من جو ألا تثير أي ضجة، سنترك النساء في المطعم».

«سأكون جاهزًا الساعة 12:30». كنت أعلم أنه سيكون جاهزًا الساعة 12:30. ذهب كلٌّ من روس وجيمي في الوقت المحدد. ومن لا يأتي في الوقت المحدد، يعني أنه لا يحترمه. سيتمنحه جيمي خمس عشرة دقيقة. بعد ذلك سيُلغى الموعد. بغض النظر عن أهميته أو ما يظنه عن نفسه.

قال جيمي: «ستكون عندي مائدة أيرلندية في انتظارك، زجاجة من مشروب الجن وشطيرة سجق إيطالية. وهناك شيء آخر، أنتما الاثنان فقط». لم يكن جيمي يطلب، بل كان يقرر. «ولا تجلبوا الرجل القصير».

«لقد فهمت. أنت لا تريد أن يحضر ذلك القصير».

لا تريد الرجل القصير؟ آخر ما توقعته هو أن جيمي يريد موت الرجل القصير. كان الرجل القصير هو توني بروفينزانو «برو»، وهو رجل مافيا وكان برتبة نقيب<sup>(2)</sup> في عائلة جينوفيز في بروكلين. اعتاد برو أن يكون رجل هوفًا، لكنه أصبح زعيم فصيل النقابة الذي كان يعارض استعادة جيمي لمنصبه كرئيس للنقابة. بدأت ضغينة برو تجاه جيمي مع المشاجرة التي حدثت بينهما حين كانا في السجن، حيث وصل الأمر بينهما إلى تبادل اللكمات في قاعة الطعام. رفض جيمي مساعدة برو في الالتفاف على القانون الفدرالي والحصول على معاشه التقاعدي البالغ 1.2 مليون دولار عندما دخل السجن، في حين حصل جيمي على معاشه التقاعدي البالغ 1.7 مليون دولار على الرغم من أنه دخل السجن أيضًا.

---

(2) تمنح عصابات المافيا رجالها رتبًا عسكرية. (المترجم).

بعد عامين من خروجهما، اجتمعا في مؤتمر النقابة في ميامي في محاولة لتسوية موضوع المشاجرة. هدد توني برو بتمزيق أحشاء جيمي بيديه وقتل أحفاده. في ذلك الوقت، أخبرني جيمي بأنه سوف يطلب من راسل الإذن لي بالتخلص من الرجل القصير؛ نظراً لأن برو كان رجل مافيا وبرتبة نقيب، لا يمكنك التخلص منه دون الحصول على موافقة من راسل. ولكن بعد ذلك لم أسمع شيئاً عن الموضوع، لذا فقد اعتقدت أنها كانت فكرة عابرة خلال إحدى نوبات غضب جيمي. إذا كان أي شخص منهما جاداً في الأمر، كنت سأسمع عنه في اليوم الذي أرادوا فيه أن أفعل ذلك. هذه هي الطريقة التي كان يتم بها الأمر. تحصل على إشعار قبل يوم تقريباً عندما يريدون منك التخلص من شخص ما.

كان توني برو يدير الفرع المحلي للنقابة في شمال جيرسي حيث تم تصوير المسلسل التلفزيوني «آل سوبرانو». لقد أحببت إخوته. كان نونز وسامي شخصين صالحين. لم أكن أهتم قط ببرو نفسه. يمكنه أن يقتلك بلا سبب. كان لديه رجل في عصابته يقتل من يحصل على أصوات أكثر منه. كانوا على نفس الجانب من القائمة. كان برو على رأس القائمة، ورشح نفسه لرئاسة الفرع المحلي، وكان هذا الرجل المسكين يأتي وراءه في القائمة، وقرر خوض الانتخابات للفوز بمنصب أقل أهمية، نسيت ماذا كان. عندما رأى توني برو مدى شعبية الرجل مقارنة به، أمر سالي باغزو وهو ملاكم سابق وك. كونيغسبرغ -أحد رجال المافيا اليهود- بخنقه بحبل من النايلون. كانت تلك عملية غير مبررة. عندما أبرموا صفقات مع الشيطان الذي حاول أن يقبض على

حفنة منا كان هوفاً يشك أن لديهم أي تهمة يمكن توجيهها لنا، لكنهم وجدوا شيئاً ليشهد ضد برو. لقد كانوا قلقين من بقاء برو على قيد الحياة بعد هذه الفعلة السيئة. مات برو في السجن. قال جيمي: «لن أقابل ذلك الرجل القصير. تباً له».

«أنت تجعلني أبذل مجهوداً كبيراً يا جيمي. أنا لن أحاول الذهاب حتى لو منحوني جائزة نوبل للسلام».

«ساعد هوفاً في أن يقوم بتسوية قضيته هذه وسأمنحك جائزة سلام. تذكر، نحن الثلاثة فقط. اعتن بنفسك».

كان عليّ أن أكون راضياً عن أننا نحن الثلاثة على الأقل سنجلس عند البحيرة يوم السبت. جيمي يجلس مع «فرانك وروس»، اسمانا في تلك الكراسي الصفراء التي احتفظ بها بالقرب من هاتفه والتي يمكن أن يجدها أي شخص.

في صباح اليوم التالي الذي صادف يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر. كانت زوجتي الثانية، إيرين، والدة أصغر بناتي الأربع، كوني، تتحدث بهاتفها الخاص مع صديقتها. كانتا تحاولان أن تقررا ما الذي يجب أن تجهزه إيرين لحفل الزفاف عندما رن جرس هاتفها الخاص.

قالت إيرين: «إنه جيمي».

كان مكتب التحقيقات الفدرالي يسجّل جميع هذه المكالمات الخارجية الصادرة والواردة، لكنني لا أعتقد أن جيمي قد خطرت على باله هذه الأنواع من التسجيلات عندما وجه تهديداته بفضح الجميع. لم يستطع أولئك الأشخاص التسامح مع تهديدات كهذه لفترة طويلة. حتى إذا لم تكن تقصدهم، فأنت تبعث رسالة

خاطئة إلى الأشخاص في المناصب القيادية الدنيا . كيف تكون  
للقادة هيبة إذا كانوا يتسامحون مع الناس الذين يتحدثون عن  
الوشاية؟ إذا تم -لا سمح الله- كشف عمليات غسل الأموال في  
لاس فيغاس .

قال جيمي: «متى ستصل أنت وصديقك؟».

«الثلاثاء».

«هذا يعني غداً».

«نعم، ليلة الغد في وقت العشاء».

«جيد . اتصل بي عندما تصل».

«وهو كذلك» . كلما كنت أصل إلى ديترويت كنت أتصل بالرجل

هاتفياً من باب الاحترام .

قال جيمي: «لديّ اجتماع سيُعقد بعد ظهر الأربعاء» . ثم

توقف . «مع الرجل القصير» .

«أي رجل قصير؟»

«ذلك الرجل القصير» .

«هل تمانع إن سألتك ما الذي غير رأيك في الاجتماع مع هذا

الشخص؟» كان رأسي يدور حينها .

«ماذا سأخسر؟ إن ماكفي يتوقع أن هوفاً سيحل موضوع

مشاجرته أولاً . لا أمانع في القيام بمحاولة أخيرة قبل أن تأتي

إلى البحيرة يوم السبت» .

«أنا أحثك على اصطحاب أخيك الصغير» . كان يعرف ما

قصده؛ مسدس، أو قطعة سلاح، وليس جائزة السلام، فهو ليس

في مهمة سلام . «كتدبير وقائي» .

«لا تقلق بشأن هوبا. لا يحتاج هوبا إلى أخ صغير. نظم توني جاك اللقاء. سنكون في مطعم في الهواء الطلق. مطعم ريد فوكس في شارع تلغراف، أنت تعرف المكان. اعتن بنفسك».

كان أنتوني جياكالوني «توني جاك» يعمل في منظمة مافيا ديترويت. كان توني جاك قريباً جداً من جيمي وزوجته وأطفاله. لكن جيمي لم يكن الشخص الوحيد الذي كان توني جاك قريباً منه. كانت زوجة توني جاك ابنة عم الرجل القصير، توني برو، وكانت علاقة القرابة تلك مهمة لدى الإيطاليين.

استطعت أن أفهم لماذا كان جيمي يثق بتوني جاك. كان توني جاك شخصاً ممتازاً. توفي في السجن في فبراير 2001. كان عنوان الصحف الرئيسي يومها: «رجل العصابات الأمريكي الشهير يأخذ سر هوبا معه إلى القبر». كان بإمكانه أن يقول بعض الأشياء.

دارت إشاعات لفترة طويلة مفادها أن توني جاك يحاول ترتيب لقاء آخر بين جيمي وتوني برو بعد الفشل الذريع للقاءهما في ميامي، لكن جيمي رفض هذه الفكرة؛ فقد كانا متناقضين في آرائهما كما هو حال سيسكيل وايبيرت<sup>(3)</sup>. ولكن جيمي وافق فجأة على مقابلة برو، وهو نفس الشخص الذي هدد بتمزيق أحشائه بيديه العاريتين. إذا نظرنا إلى الوراء، فأنت تعرف أن هذه الموافقة جاءت بعد فوات الأوان، فربما كان جيمي هو الشخص الذي أرسل برو إلى حتفه. ربما كان جيمي يعوّل على

---

(3) برنامج تلفزيوني أمريكي لاستعراض الأفلام، حيث يتبادل الضيوف آراءهم حول الأفلام التي صدرت حديثاً. (المترجم).

أن يتصرف برو مثل برو الذي يعرفه. كان توني جاك يجلس هناك في المطعم ويشاهد جيمي يتصرف بعقل وبرو يتصرف بغباء. ربما أراد جيمي أن يعلم راسل عند لقائهم يوم السبت على ضفاف البحيرة أنه جرب كل شيء ممكن أن يتحمله البشر مع الرجل، ولكن الآن على برو الرحيل.

قلت: «في مطعم في الهواء الطلق، هذا جيد، ربما يجمع حفل الزفاف هذا بالفعل كل الأحبة ويجعلهم يتطلعون إلى السلام ودفن الأحقاد القديمة. كان كل ما أريده أن أشعر براحة أكبر إذا كنت هناك وأن أقدم الدعم».

حينها قال: «حسنًا، أيها الأيرلندي»، كما لو كان يحاول أن يجعلني أشعر بتحسن، على الرغم من أنه الشخص الذي طلب مني أمرًا حال وصولي إلى ديترويت. بمجرد أن سألتني عندما وصلت، عرفت ما يريد. «ماذا لو قمت بجولة قصيرة وقابلتني هناك يوم الأربعاء في الساعة الثانية؟ فهم سيصلون عند الساعة الثانية والنصف».

«إنه إجراء احترازي. لكن مع ذلك، يمكنك أن تطمئن، سأجلب أخي الصغير. إنه مفاوض جيد حقًا».

اتصلت بروس على الفور وأخبرته بالأخبار المشجعة حول لقاء جيمي مع جاك وبرو، وأنتي سأكون مع جيمي لتقديم الدعم. لقد فكرت كثيرًا في هذا الأمر منذ ذلك الحين، لكنني لا أتذكر أن راسل قال شيئًا.

## الفصل الثاني

### هكذا ستجري الأمور

عندما وصلت مع زوجتي إيرين إلى بلدة كينغستون في شمال ولاية بنسلفانيا -التي تقع بالقرب من مدينة ويلكس بار- في ليلة الاثنين، كنا نخطط لتناول العشاء مع روس وزوجته كاري وأختها الكبرى الأرملة ماري. ثم سنقضي -أنا وإيرين- الليلة في فندق هوارد جونسون الذي يمتلك روس حصة فيه، ثم ننتقل نحن الخمسة في وقت مبكر من يوم الثلاثاء، نحو ديترويت في سيارتي السوداء الجديدة من طراز لينكولن كونتيننتال. (وهي السيارة التي قال محققوا مكتب التحقيقات الفدرالي إنني حصلت عليها كعمولة بشكل سري. عندما كانوا يحاولون إلصاق أي شيء بنا يمكنهم استخدامه ضدنا، نحن الثمانية المشتبه فيهم في قضية هوفاء، وهكذا استخدموا السيارة كحجة لإرسالنا إلى السجن عام 1981 بتهمة الابتزاز).

استغرقت الرحلة نحو 12 ساعة لأن راسل لم يسمح بالتدخين في السيارة. توقف روس عن التدخين عندما دخل في رهان مع جيمي بلو آيز، الذي كان مع ماير لانسكي، على متن قارب أخرجهم من كوبا عام 1960 عندما طردهم كاسترو وصادر كازينوهاتهم. لقد خسروا مليون دولار يوميًا بسبب كاسترو. كانوا جميعًا غاضبين بشدة على كاسترو، وخاصة راسل وصديقيه المقربين جدًا، كارلوس مارسيلو، زعيم عائلة المافيا في نيو أورليانز، وسانتو ترافيكانتني، زعيم عائلة فلوريدا. كان لدى كاسترو الجرأة

في وضع ترافيكانتي في السجن. سمعت أن سام جيانكانا «مومو» أرسل جاك روبي إلى كوبا ليوزع بعض الأموال كُرْشَى لإخراج ترافيكانتي من السجن وترحيله من كوبا.

كان راسل يدخل السيجارة تلو الأخرى لكونه كان يستعر غضباً وكان يلعن كاسترو بهدوء وهو على ذلك القارب. لذا رأى جيمي بلو آيز في ذلك فرصة للرهان مع روس بمبلغ خمسة وعشرين دولاراً ذهبياً على أن روس لن يتمكن من قضاء عام دون تدخين. ألقى روس سيجارته في البحر ولم يلتقط سيجارة مرة أخرى، حتى بعد مرور عام على انتهاء الرهان ودفع جيمي بلو آيز مبلغ الرهان.

لكن السيدات في السيارة لم يقمن برهان كهذا مع أي شخص، لذلك كنا نتوقف على طول الطريق ليدخن، وهذا ما جعل وقت رحلتنا طويلاً. (كان التدخين من تلك العيوب التي لم أضطر إلى أن أعترف بها للكاهن عندما كنت طفلاً. فأنا لم أقترّب قط من التبغ، ولا حتى في الحرب، ولم أقم بذلك حين تمركزت قواتنا في أثناء الحرب في مدينة أنسيو الإيطالية ولم نكن نقوم بأي شيء في المخبأ لمدة أربعة أشهر سوى لعب الورق والصلاة إلى الله والتدخين. المرء بحاجة إلى أنفاسه في هذه الحياة).

كان هناك سبب آخر جعل رحلتنا تستغرق وقتاً طويلاً هو أن راسل كانت لديه دائماً وقفات على طول الطريق للقيام بأعمال ومهام معينة، كان أينما ذهبنا معاً يصدر تعليمات لبعض الأشخاص حول بعض الأمور، ويستلم نقوداً، وأشياء من هذا القبيل.

في ليلة الاثنين، تناولنا العشاء أنا وإيرين مع راسل وكاري وأختها ماري في مطعم بروتيكو في بلدة أولد فورغ في بنسلفانيا.

كان لدى روس مطاعم خاصة تحقق معاييرهم. وإلا، فإذا لم يطبخ الطعام بنفسه، كان لا يأكل معظم الوقت.

لو لم يكن شعر روس أبيض، فلا توجد طريقة لتعرف أنه كان في السبعينيات من عمره، لقد كان رشيقيًا جدًا. وُلد في صقلية، لكنه كان يتحدث الإنجليزية بطلاقة. لم يكن لديه هو وكاري أي أطفال. في كثير من الأحيان كان روس يقرص خدي ويقول: «كان لا بد أن تكون إيطاليًا». وهو الشخص الذي أطلق عليَّ اسم «الأيرلندي». قبل ذلك كانوا يدعونني «تشيشي»، وهو اختصار لاسم فرانك الذي كان بالإيطالية «فرانشيسكو».

بعد أن تناولنا وجبتنا، التي كانت تحوي شيئاً مثل لحم العجل والفلفل مع سباغيتي المارينارا، وطبق جانبي من البروكلي، وسلطة لطيفة مع صلصة صنعها راسل، جلسنا واسترخينا وتناولنا قهوتنا الممزوجة مع شراب السامبوكا<sup>(4)</sup>.

ثم جاء المالك وهمس لروس. كان ذلك قبل اختراع الهواتف المحمولة. كان على روس مغادرة الطاولة لإجراء مكالمات هاتفية. ثم عاد وكانت على وجهه مسحة من الجذ. رأيت تلك الابتسامة على وجهه المستدير المجعد، التي تحصل عليها عندما تحرق إلى الشمس. كان لديه تلف عضلي في وجهه ما جعل عينيه تبدو ناعستين. إذا كنت لا تعرفه، فستعتقد أنه كان يرمش أو أنه شرب الخمر بكثرة. نظر بعينه السليمة من خلال نظارته الواسعة إلى عينيَّ الزرقاوين.

---

(4) نكهة عرق السوس الإيطالية. (المترجم).

لم يقل راسل أي شيء في البداية، كما لو كان يحاول التفكير في كيفية قول ذلك من خلال قراءة تعابير عيني. كان لدى راسل صوت فيه حشجة مثل صوت خشخيشة، لكن ما يثير الجنون أكثر أنه يجعل حديث راسل أكثر نعومة. كان يتحدث بلطف شديد في تلك الليلة قبل حفل العشاء الشهير في ليلة تكريم فرانك شيران، عندما حذر جيمي وطلب منه التراجع عن محاولة استعادة رئاسته النقابية.

تحدث راسل معي ونحن على المائدة في مطعم بروتيكو، بصوت خفيض جدًا؛ ما جعلني أميل رأسي الكبير جدًا لأكون قريبًا منه فأستطيع سماعه. وبصوت هامس خشن قال: «لقد جرى تغيير طفيف في خططنا. لن نغادر غدًا. سنبقى حتى صباح الأربعاء».

صعقني هذا الخبر مثل قذيفة هاون وقعت على رأسي. لم يريدوا أن أكون في ذلك المطعم في ديترويت بعد ظهر الأربعاء. أرادوا جيمي وحده.

بقيت منحنياً لأكون على مقربة من راسل. ربما سيخبرني بأشياء أكثر. عليك أن تصفي. ولا تطرح الأسئلة. بدا الأمر وكأنه استغرق بعض الوقت. ربما بدا لي وكأن الأمر طال كثيرًا قبل أن يتكلم. «لقد تأخر صديقك كثيرًا. ليست لنا حاجة إلى مقابلته يوم السبت على ضفاف البحيرة».

ظلّ راسل بوفالينو يركز جيدًا وهو ينظر إليّ بعينه السليمة. عدت إلى الورا في مقعدي. لم أستطع إظهار أي تعبير على وجهي. لم أكن أستطيع قول كلمة من دون أن يطلب مني ذلك.

النظرة الخاطئة في عينيّ قد تؤدي إلى قتلي.

نبهني جيمي لأن أكون حذرًا جدًا عندما التقيته في أكتوبر في فندق وارويك في فيلادلفيا، عندما حاولت أن أخبره بما يجري. حينها قال: «...انتبه لنفسك، قد ينتهي بك الأمر إلى أن تُعرض لمحاولة قتل». بالأمس فقط قام بتحذيري مرة أخرى على الهاتف من أنني كنت قريبًا جدًا منه «في أعين بعض الناس». شممت رائحة مزيج القهوة والسامبوكا. لم تكن رائحة عرق السوس قوية بما يكفي مقابل رائحة القهوة، لذا أضفت بعض السامبوكا.

لم يكن من الضروري أن يُقال لي إنه من الأفضل ألا أفكر حتى في الاتصال بجيمي عندما عدت أنا وإيرين إلى فندق هوارد جونسون في تلك الليلة. من تلك اللحظة، سواء أكان ذلك صحيحًا أم لا، كان عليّ أن أفترض أنني كنت تحت المراقبة. كانت لدى راسل حصة في فندق هوارد جونسون. لو كنت قد استخدمت الهاتف في تلك الليلة، فمن المحتمل جدًا أنني وإيرين لم نكن لنخرج من موقف السيارات في صباح اليوم التالي. كان قد حدث لي ما يعتقد البعض أنني أستحقه على أي حال، وكانت إيرين المسكينة في المكان الخطأ وفي الزمان الخطأ مع الأيرلندي الخطأ.

ولم يكن هناك طريقة في العالم تمكن جيمي من أن يتصل بي. في حالة كان عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي يتتصتون، عليك ألا تذكر أبدًا وأنت تتحدث في الهاتف المكان الذي ستقيم فيه أو إلى أين أنت ذاهب. لم تكن هناك هواتف محمولة في ذلك الوقت. لم يتلق جيمي مكالمة مني مساء الثلاثاء في ديترويت،

وانتهى كل شيء عند ذلك، ولن يعرف أبداً لماذا حدث ذلك. سيذهب وحده إلى اجتماعه يوم الأربعاء. ولن نكون أنا وأخي الصغير هناك لحمايته.

جلست هناك بصمت مع السيدات اللواتي كنّ يتحدثن فيما بينهن عن مواضيع كثيرة. بالإضافة إلى ذلك فقد كنّ يجلسن على الجانب الآخر من الجسر فوق الشلال الموجود في الطابق السفلي في قصر بيل بوفالينو.

كنت أراجع الأشياء بسرعة. وبعد أن اتصلت براسل في ذلك الصباح لأخبره باتصال جيمي معي، اتصل راسل مباشرة ببعض الأشخاص المهمين. كان يجب أن يخبر هؤلاء الناس بذهابي إلى المطعم لأكون مع جيمي وأن أصطحب معي أخي الصغير. وسواء أكنت على صواب أم على خطأ، كان أفضل ما يمكنني معرفته في تلك اللحظة هو أن هؤلاء الأشخاص اتصلوا براسل وأخبروه بأنهم يريدون منا أن نبقى في ذلك المكان ليوم واحد حتى يتمكنوا من مقابلة جيمي وحده.

كان عليهم قبل أن يتصلوا براسل، مراجعة الأشياء بأنفسهم. لا بد أن بعض الأشخاص في نيويورك وشيكاغو وديترويت طوال اليوم كانوا يناقشون ما إذا كانوا سيسمحون لي بالحضور مع جيمي يوم الأربعاء أم لا. بهذه الطريقة سيلقى هوبا وأحد أقرب مؤيديه في أمريكا حتفهما معاً. مهما كانت الأسرار التي أخبرني بها جيمي بعد لقائنا في مطعم برودواي إدي وفي تلك الليلة في فندق وارويك وعلى مر السنين فكلها ستموت معي. وفي النهاية اتخذوا القرار بإعفائي من الأمر احتراماً لراسل. لم تكن هذه

هي المرة الأولى التي ينقذني فيها راسل من شيء خطِر.

لم يكونوا ليهتموا بمدى صلابتك أو ما تعتقده عن مدى قوتك إذا كانوا يريدون أن تكون هدفهم. عادة ما يكون صديقك المفضل الذي يتوجه إليك ويتحدث معك عن رهان في مباراة كرة قدم هو من يقتلك ويخلصهم منك. مثلما حدث مع جيانكانا الذي كان يأكل السجق والبيض المقلي بزيت الزيتون مع صديق قديم يثق به.

كان هذا هو الوقت الخطأ بالنسبة إلي لأن أبدو وكأنني قلق بشأن جيمي. مع ذلك، لم أستطع أن أتمالك نفسي. ومن دون أن أجعل الأمر يبدو وكأنني كنت أحاول إنقاذ جيمي، قربت فمي من أذن راسل خوفاً من تنصت عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي. حاولت ألا أتلعثم، لكنني ربما كنت أتلعثم. لقد اعتاد على ذلك، فقد كانت تلك الطريقة التي أتحدث بها منذ الطفولة. لم أكن قلقاً من أنه قد ينظر إليها على أنها نوع من الدلائل على أنني أواجه مشكلة في هذه المسألة بالذات، لأنني كنت مخلصاً جداً له وقريباً جداً منه ومن عائلته. أحنيت رأسي وهزرتة من جانب إلى آخر. «لكن هناك كارثة ستحدث. أنت تعرف أن لدى جيمي سجلات مخبأة في حالة حدوث شيء غير طبيعي له».

هز راسل كتفيه وقال: «كان صديقك يمثل تهديداً للكثيرين في حياته».

«ليس بوسعي القول سوى أن كارثة ستحدث عندما يجدون جثته».

«لن تكون هناك جثة». وضع راسل إبهام يده اليمنى على الطاولة. كان راسل قد فقد إبهام وسبابة يده اليسرى عندما كان

صغيراً. حرّك الإبهام كما لو كان يطحن شيئاً في مفرش المائدة الأبيض وقال: «من التراب إلى التراب».

استندت إلى الوراء وارتشفت السامبوكا والقهوة. قلت: «إذاً هكذا ستجري الأمور». ثم أخذت رشفة أخرى وقلت: «إذاً، هكذا نكون قد وصلنا ليلة الأربعاء».

وصل الرجل العجوز وقرص خدي وكأنه يعرف ما كان في قلبي. «يا عزيزي الأيرلندي، فعلنا كل ما بوسعنا من أجل الرجل. لا أحد يستطيع أن يقول لذلك الرجل كيف ستحدث الأمور. سنكون في ديترويت معاً يوم الأربعاء».

وضعت فتجان القهوة في الطبق، ووضع راسل يده الدافئة والسميكة حول مؤخرة رقبتى وتركها هناك وهمس لي: «سنقود السيارة لمسافة محدودة، وسنتوقف لأجل النساء في مكان ما. وسنذهب للقيام ببعض الأعمال».

قلت لنفسى: «وهو كذلك»، وأومأت برأسى. كانت لراسل أعمال ومهام طوال الطريق من كينغستون إلى ديترويت. وكنا نترك النساء في بعض المطاعم على جانب الطريق ونذهب للقيام بعملنا في أثناء تدخينهن السجائر وتناول القهوة. مال راسل نحوي، وانحنيت نحوه وصرت قريباً منه. وحينها همس لي: «سيكون هناك طيار ينتظر. يمكنك القيام برحلة سريعة فوق البحيرة والقيام ببعض المهام في ديترويت، ثم تطير عائداً، ثم نأخذ النساء. حتى أنهن لن يلاحظن أننا ذهبنا. ونقوم بمهمتنا على مهل. من اللطيف أن تقوم بقيادة السيارة لبقية الطريق حتى ديترويت بتمهل؛ فالطريق ذو مناظر خلابة. لسنا على عجلة من أمرنا. هكذا ستجري الأمور».

## الفصل الثالث

### من الأفضل أن تجد لنفسك كيس ملاكمة آخر

ما التقلبات والانعطافات التي أتت بي في تلك اللحظة بالضبط إلى مطعم إيطالي صغير في بلدة لتعدين الفحم في بنسلفانيا، حيث أصغيت بعناية إلى تلك الأوامر الهامسة؟ الأوامر التي كان عليّ اتباعها لتأدية الدور الذي كان عليّ أن أقوم به في المؤامرة ضد صديقي جيمي هوفنا.

لم أكن قد وُلدت وسط طريقة حياة المافيا مثل الشباب الإيطاليين الذين خرجوا من أماكن مثل بروكلين وديترويت وشيكاغو. كنت كاثوليكيًا أيرلنديًا من فيلادلفيا، وقبل أن أعود إلى الوطن من الحرب، لم أرتكب أي خطأ حقًا، ولا حتى بعض التصرفات الشائنة.

لقد وُلدت في وقت عصيب، ليس فقط للأيرلنديين، وإنما للجميع. يقولون إن فترة الكساد بدأت عندما كان عمري تسع سنوات في عام 1929، ولكن فيما يتعلق بي، لم يكن لدى عائلتي أي نقود. ولم تكن هناك عائلة واحدة أخرى تملك المال أيضًا. جاءت المرة الأولى التي تذوقت فيها نيران العدو من المزارعين في نيو جيرسي عندما كنت صغيرًا. كان يمر بفيلادلفيا نهر ديلاوير الواسع الذي ينبع من مدينة كامدن في ولاية نيو جيرسي. نشأت كلتا المدينتين كمدينتين ساحليتين تقعان على المحيط، ويوصل بينهما جسر والت ويتمان. من الصعب أن تصدق الآن، عندما تقود سيارتك إلى ما بعد كامدن وترى أنه لا يكاد يوجد أي

أرض خالية مثل حديقة النصر الصغيرة، بينما كانت جميعها في سنوات العشرينيات الصاخبة عندما كنت طفلاً، أراضٍ مستوية تزخر بالحقول الزراعية المسيجة. كانت نيو جيرسي منطقة ريفية مقارنة بفيلا دلفيا. كانت الحياة فيها هادئة بحق.

كان والدي، توم شيران، يقترض سيارة خرقاء قديمة كبيرة تحتوي على دواسات خارج الأبواب. كان يصطحبني فيها إلى حقول المزارع خارج كامدن منذ أن كنت صغيراً جداً. وكان ينزلني حيث يوجد مطار كامدن الآن حتى أقوم ببعض أعمال الحصاد. كنا نذهب في وقت مبكر من المساء عندما تكون أشعة الشمس خفيفة بما يكفي لتمكننا من الرؤية، ولكن الظلام يحل تدريجياً. كان هذا هو الوقت الذي من المتوقع فيه أن يبدأ المزارعون بتناول عشاءهم. كنت أتسلق سور المزارع وأرمي لأبي عينات من المحصول الذي كنت أحصده. يمكن أن تكون قرون ذرة أو طماطم أو أي شيء كان بحسب الموسم. هذا ما كان عليك فعله للحصول على الطعام ووضعه على الطاولة.

لكنّ المزارعين لم يكونوا سعداء جداً بأفكارنا حول تقاسمنا معهم أفضل الطبيعة. في بعض الليالي كانوا ينتظروننا بالبنادق. كان بعض المزارعين يلاحقونني، وكنت أقفز فوق السياج وتتلقى مؤخرتي طلقات من بنادق صيد العصافير.

كانت واحدة من أولى ذكريات طفولتي هي إخراج أمي ماري طلقة بندقية صيد عصافير من ردف. كانت والدتي تقول لأبي: «توم، لماذا أجد دائماً هذه الأشياء في ظهر فرانسيس؟» كان والدي، الذي كان يناديها دائماً باسم مامي، يقول: «لأن الصبي لا يهرب بسرعة كافية يا مامي».

تعود ضخامة جسمي إلى الأصل السويدي لأسرة أمي. كان والدها عامل منجم وعاملاً للسكك الحديدية في السويد. وكان شقيقها طبيباً في فيلادلفيا، وهو الدكتور هانسن. كان طول والدتي نحو 177 سنتيمتراً، ولم يقل وزنها قط عن 200 رطل. كانت تأكل ربع لتر من الآيس كريم كل يوم. كنت أذهب كل ليلة إلى محل المرطبات لأشتري لها الآيس كريم. عليك أن تحضر وعاءك الخاص وهم سيعطونك مختلف نكهات الآيس كريم. كانوا يتوقعون مجيئي. وكانت والدتي تحب أن تطبخ وتصنع الأكل بنفسها. ما زلت أستطيع أن أشم رائحة لحم الخنزير المشوي، ومخلل الملفوف، والبطاطس التي تغلي على موقد الفحم. كانت أمي امرأة هادئة جداً، وأعتقد أنها أظهرت حبها لنا من خلال طبخها.

تزوج والداي في سن كانت تعتبر متأخرة جداً في تلك الأيام. كانت والدتي تبلغ من العمر اثنين وأربعين عاماً عندما أنجباني، كنت طفلهما الأول، وكان والدي في الثالثة والأربعين. وكانت تفصل ما بين أبنائهم سنة واحدة. كان أخي أصغر مني بثلاثة عشر شهراً، وكانت أختي أصغر منه بثلاثة عشر شهراً. شكلنا ما كانوا يسمونه بـ «التوائم الأيرلنديين»، لأن هذين الزوجين الأيرلنديين الكاثوليك أنجبا هؤلاء الأطفال في وقت متقارب.

على الرغم من أن والدتي كانت سويدية، نشأنا والدي كأيرلنديين. كان أهله من خارج دبلن، ولم يحدث لي أن قابلت أياً من أجدادي من الجانبين. لم يكن الناس في تلك الأيام يظهرون المودة كما يفعلون اليوم. ما زلت أتعلم كيف أكون حنوناً مع

أحفادي. لا أتذكر أن أمي قبلتني ذات مرة. ولم أرها قط تقبل أخي الصغير أو أختي الصغيرة مارغريت. لم يكن أحد يقصد أن يكون مفضلاً، لكن توم كان المفضل لدى والدي وكانت بيغي هي المفضلة لدى والدتي. وأعتقد لأنني كنت ضخماً جداً، وكوني الأكبر سناً، فقد توقعوا مني أن أكون أنضج من الاثنين الأصغر سناً. كان المعلمون في المدرسة يتعاملون معي بنفس الطريقة ويتحدثون إليّ وكأنني طفل أكبر سناً، وكانوا يتوقعون مني أن أفهم ما يتحدثون عنه.

لقد قام والداي بأفضل ما يمكنهما فعله بالإمكانات التي كانت لديهما. في كل عيد فصح كان توم وبيغي يحصلان على ملابس جديدة، لكن والديّ لم يكن لديهما أي نقود ليحلبا لي شيئاً. كان الحصول على ملابس جديدة في عيد الفصح أمراً غير عادي في الأحياء الكاثوليكية التي نشأت فيها. يمكنني أن أتذكر ما جرى في أحد أعياد الفصح عندما شكوت إلى والدي من عدم حصولي على أي ملابس جديدة لعيد الفصح فقال لي: «خذ قبعة توم الجديدة وضعها على رأسك وقف أمام النافذة وسيعتقد الجيران أنك حصلت على قبعة جديدة أيضاً».

لا أستطيع أن أتذكر أن أياً منا -نحن أطفال شيران- كانت لديه لعبة خاصة به. حصلنا في أحد أعياد الميلاد على زوج من الزلاجات كنا نتشارك فيها جميعاً. كانت الزلاجات معدنية، ويمكنك ضبط حجمها. اعتدنا على الحرمان. وكنا إذا أردنا شيئاً كان علينا أن ندبره بأنفسنا. عندما كنت في السابعة من عمري، كان أول عمل أقوم به هو العمل مساعداً لعامل تنظيف الأقبية

من الرماد. وإذا تمكنت من الحصول على بعض العمل مقابل قطع أعشاب حديقة شخص ما لإنفاق المال على نفسي واكتشف والدي ذلك، فسوف ينتظر حتى يتم دفع أجري، ثم يأخذ العملات المعدنية الكبيرة مني ولا يترك لي سوى مقدار ضئيل.

عشنا في العديد من الأحياء الكاثوليكية المختلفة، ولكنها كانت في الغالب ضمن نطاق نفس الرعية. كنا نقضي بضعة أشهر في مكان ما، وعندما يتأخر والدي عن دفع الإيجار، نترك المكان وننسل منه بسرعة وننتقل إلى شقة أخرى. ثم نفعل ذلك مرة أخرى عندما يحين موعد استحقاق الإيجار. وحدث أن عمل والدي عامل بناء وكان يصعد إلى المباني العالية، ويسير على عوارض خشبية مثل تلك التي يستخدمها الهنود الحمر. كان عملاً خطراً. كان العاملون يسقطون ويلقون حتفهم. كان أبي يعمل في مشروع بناء جسر ابن فرانكلين في فيلادلفيا، وفي المباني الشاهقة القليلة التي كان يمكن بناؤها في فترة الكساد. كان أقصر بنحو خمسة سنتيمترات من والدتي، وكان يزن نحو 145 رطلاً. ظلّ العمل الوحيد الذي كان يمكن أن يحصل عليه والدي لفترة طويلة هو حارس في الكنيسة، ثم عمل بواباً في مدرسة كانت تابعة لكنيسة مريم العذراء ومدرسة في مدينة داربي في بنسلفانيا.

كان الدين الكاثوليكي جزءاً مهماً من حياتنا، كان إلزامياً، فقد كان عليّ أن أذكر هواية والدتي، فسأقول إنها كانت متدينة جداً. كنت أقضي الكثير من الوقت داخل الكنائس الكاثوليكية. درس أبي مدة خمس سنوات في أحد المدارس اللاهوتية ليكون

قسيئاً قبل أن يتركها. كانت شقيقتها راهبتين. تعلمت كل شيء عن الاعتراف كطريقة للحصول على غفران لخطاياك. إذا مت وأنت في طريقك إلى الاعتراف قبل أن تتمكن من إخبار الكاهن بما ارتكبته من خطايا، فستحترق في الجحيم إلى الأبد. إذا مت وأنت في طريقك إلى المنزل بعد الاعتراف بخطاياك، فستذهب مباشرة إلى الجنة.

كنت صبي المذبح في كنيسة أم الأحزان، إلى أن طردت بسبب محاولتي تناول النبيذ المقدس. أنا لا ألوم صبي المذبح الآخر الذي وشى بي. لم يكن شيئاً بالفعل. لقد اكتشف الأب أومالي -صدق أو لا تصدق أن ذلك كان اسمه، وكان يشبه تماماً الكاهن الذي كان يؤدي دوره دائماً الممثل بينغ كروسبي- أن النبيذ قد اختفى وأخبر الصبي بأن كل من تناول النبيذ لن يذهب إلى الجنة. أعتقد أن الصبي اكتشف أن لديه فرصة للذهاب إلى الجنة فأفشى سري. والأسوأ في الأمر أن النبيذ الذي اعتادوا أن يستخدموه لم يعجبني.

كان والدي يحب البيرة. وكان يراهن عليّ كثيراً في الحانات غير المرخصة. يحدث أن تنتقل إلى السكن في أحد أحياء فيلادلفيا حيث لا يعرفنا السكان جيداً بعد، ويذهب أبي إلى واحدة من تلك الحانات ويраهن على أن لديه طفلاً في العاشرة من عمره يمكنه أن يتغلب على أي صبي في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره. كان يتراهن مع بعض آباء الأطفال على ربع برميل من الجعة، وكان علينا نحن الأطفال أن نتصارع أمام جميع الرجال البالغين. في حالة فوزي، وهو الأمر الذي كان

يحدث دائماً تقريباً، كان يقذف لي بسنت واحد . وإذا خسرت فإنه يصفعني بشدة على مؤخرة رأسي .

عشنا فترة من الوقت في حي معظم سكانه من الإيطاليين، وكان عليّ أن أشارك عند العودة من المدرسة في كل يوم . لقد تعلّمت الكثير من الكلمات الإيطالية عندما كنت طفلاً ساعدتني لاحقاً في القتال في صقلية وإيطاليا خلال الحرب . بينما كنت هناك تعلّمت أن أتحدث الإيطالية بشكل جيد . وعلى الرغم من أن هدفي من التعلم كان بالدرجة الأساس من أجل مصاحبة النساء الإيطاليات، لم أكن أدرك أن الأشخاص الذين سأعمل معهم بعد الحرب سيعجبون كثيراً بمدى إتقاني للإيطالية . واعتبروه علامة على الاحترام الذي أكّنه لهم . لقد سهّل ذلك عليهم كثيراً أن يأتمنوني على أسرارهم ويثقوا بي ويحترموني .

كان والدي، توماس شيران، ملاكماً غير محترف يلعب في نادي شاناهان الكاثوليكي . وكان ملاكماً قوياً في فئة الوزن المتوسط . أما أنا فقد استمررت لسنوات عديدة بعد الحرب في لعب كرة القدم لصالح نادي شاناهان . عندما كنت طفلاً، كانت الكنيسة توفر الدعم للكثير من أنشطتنا . حدث هذا قبل ظهور التلفزيون . كان عدد قليل جداً من الناس يمتلكون أجهزة الراديو وكان الدخول إلى السينما يكلف مبالغ كبيرة . لذلك كان الناس يأتون لمشاهدة المباريات في الكنيسة أو يشاركون فيها . كان والدي يشارك في نزالات كثيرة في الحلبة .

كما كان يدخل في نزالات كثيرة في المنزل . فكلما ظن أنني قد فعلت شيئاً خاطئاً، كان يرمي لي بقفازات الملاكمة . لكن

لم يكن مسموحاً لي بالرد. كان المساس بوالدي محظوراً. كان يلکمني في وجهي بخطافية ثم ينقضّ بكلمة في أعلى الجهة اليمنى منه. ولكونه عامل بناء، كان الضرب أمراً سهلاً لديه. أما أنا فكنت أتمايل وأترنح وأحاول حجب الضربات بقفازاتي. إذا حدث وارتكبت حماقة وحاولت لكمه، فسأصاب فعلاً بالإعاقة. كنت الشخص الوحيد في الأسرة الذي يلاكمه. أما توماس الصغير (الذي سُمّي على اسم أبي) فبغض النظر عن الخطأ الذي يرتكبه، فلم يُصنع قطّ.

ولكن توم -في ذلك الوقت- لم يدبر المقابل التي كنت أدبرها قطّ. لم أكن شريراً، لكنني كنت متمرداً دائماً. ذات مرة عندما كنت في الصف السابع، وعندما كنت أتهيأ للذهاب إلى مدرسة مريم العذراء الابتدائية، أخرجت قطعة جبن ليمبرغر من البراد القديم الذي كان لدينا في المنزل وأحضرتها إلى المدرسة. كانت المدارس باردة جداً عندما كنا نصل إليها في البداية ثم يزداد الدفء تدريجياً، كنا نجلس جميعاً نحن التلاميذ نرتدي بلوزاتنا وستراتنا الشتوية. كانت هناك مدافئ بخارية في المدرسة. وكانت الحرارة تتبعث من المدافئ، وكان علينا أن ننتظر حتى تسخن قاعة الصف. كنت قد وضعت قطعة الجبن على المدفأة. وبعدما سخن وأصبح أكثر ليونة ونعومة بدأت رائحته النتنة تنتشر في أرجاء قاعة الصف بأكملها. نادوا أبي الذي كان بواب المدرسة. فقام بتتبع الرائحة إلى أن وجد قطعة الجبن، وحينها وشى بي أحد الأطفال. فقال أبي أنه سينظر في أمري عندما يعود إلى المنزل.

عندما وصلت إلى المنزل وانتظرتة، كنت أعرف أنه حال وصوله إلى المنزل سيخرج قفازات الملاكمة ويرميها لي. وحدث ما توقعته فعندما دخل من الباب قال بهدوء: «ماذا تريد أن تفعل، تأكل أولاً أو تأكل بعد الضرب؟» قلت له: «سأكل أولاً». كنت أعلم أنني لن أشعر برغبة في تناول العشاء بعد الضرب. نلت ما فيه الكفاية من الضرب في تلك الليلة، ولكن على الأقل كان لدي بعض الطعام في جوفي.

كنت أتأتى في الكلام كثيراً عندما كنت صبيًا صغيرًا، وعندما كبرت بقيت أفعل ذلك عندما أتحدث بسرعة كبيرة، حتى الآن وأنا في الثالثة والثمانين من العمر، حينما يتأتى الطفل فإن هذا الأمر يجعله يتشاجر كثيراً. كان الفتيان الذين لا يعرفون قدرتي الجيدة على القتال يسخرون مني، لكنهم يدفعون حينها ثمنًا غاليًا مقابل ذلك.

كنا نقاتل نحن الأطفال كثيراً من أجل المتعة أيضًا. كانت لدينا في كل ليلة جمعة مباريات ملاكمة في إحدى زوايا الشارع. لم يصب أحد بسوء. كان كل ما يجري في نطاق الرياضة، وهكذا تعلمت كيفية القتال، من خلال تلقي الضربات من حين إلى آخر. فكرت في أن أصبح ملاكمًا، لكنني كنت أعلم أنني لن أكون ماهرًا أبدًا مثل جو لويس، وإذا لم تستطع أن تكون البطل، فليس هناك نفع من الملاكمة. يلعب الأطفال اليوم كرة القدم وكرة البيسبول. وأنا أحب الذهاب إلى مباريات كرة القدم التي يلعبها أحفادي. ولكن في ذلك الوقت كان علينا أن نسلي أنفسنا، وبدا أن العراك هو كل ما لدينا. إذا نظرنا إلى الوراء، كان أمرًا جيدًا بالنسبة

إلينا. فهو يخلصك من الكثير من المشاعر السلبية. وهو يعلمك الكثير. وفيما بعد عندما كانت بلادنا بحاجة إلى جنود، كنا على أهبة الاستعداد. لقد كانت لدينا بالفعل صلابة ذهنية.

تخرجت من الصف الثامن في مدرسة السيدة مريم العذراء، حيث كان يعمل والدي وكان عليّ أن أكون حذرًا في تصرفاتي. في المدرسة الثانوية، انتقلت إلى مدرسة حكومية، كان جوها أقل تقييدًا. سُجّلت في الصف التاسع في مدرسة داربي الثانوية. لم أتمكن من اجتياز الصف التاسع. ذات صباح في أثناء الاصطفاف كان المدير على منصة المسرح يغني ونحن نردد وراءه الأغنية القديمة «في الطريق إلى ماندالاي». كان يشدد على الكلمات عن طريق الغمز بالعين بعد كل سطر من الأغنية مثل بعض مغني الفودفيل. ولكوني كنت طويل القامة جدًا، وكنت واقفًا كان بإمكانه أن ينظر إليّ مباشرة. لذلك في كل مرة كان يغمز فيها، كنت أقوم بتقليده وأغمز له مرة أخرى.

عندما انتهينا من الاصطفاف قال لي أن أنتظره في مكتبه. ذهبت وجلست هناك على الكرسي الموجود أمام مكتبه. كان رجلًا ضخماً جدًا، أطول مني على الرغم من طول قامتي. دخل إلى المكتب، ووقف خلفي، وصفعني بقوة على مؤخرة رأسي بنفس الطريقة التي اعتاد والدي أن يصفعني بها عندما كنت أخسر أحد رهانات البيرة الخاصة به. حينها قلت له: «أيها الوغد السمين»، وقفزت نحوه وسددت له لكمة قوية. كسرت فكه، وتقرر طردي بشكل دائم من المدرسة في الحال.

بطبيعة الحال، كنت أعرف ما يمكن توقعه عندما يعود والدي إلى المنزل. كان لديّ الكثير من الوقت للتفكير في الأمر، ولكن كل ما كان يمكنني التفكير فيه هو كسر فك المدير بلكمة واحدة فقط، يا لي من رجل ناضج.

دخل والدي من الباب وهو يغلي بجنون، ورمى نحوي بقوة قفازات الملاكمة. أمسكتها، لكن هذه المرة ألقيت بها نحوه لأعيدها إليه. وقلت له «من الأفضل أن تعيد التفكير في الأمر». كان عمري حينها ستة عشر عامًا، أو نحو سبعة عشر. قلت: «أنا لن أضربك، أنت والدي. ولكن من الأفضل أن تجد لنفسك كيس ملاكمة آخر».

مكتبة

t.me/soramnqraa

## الفصل الرابع

### جامعة الراقصة الصغيرة

ثم انضممت إلى الكرنفال. كان أهم حدث يحصل في كل ربيع في فيلادلفيا هو وصول كرنفال ريجنت المتنقل. كان أفرادهم ينصبون خيامهم في الشارع الثاني والسبعين بالقرب من طريق آيلاند أفينيو. لم يكن هناك أي بناء على الإطلاق في ذلك الوقت سوى مساحات شاسعة من المراعي. وبقيت الأراضي على نفس الحال حين تركها الهنود الحمر. واليوم أصبحت تحتلها بالكامل وكالات بيع وشراء السيارات.

وبقدر ما كانت فيلادلفيا مدينة كبيرة وبقدر ما كانت قريبة من مدينة نيويورك، كانت بنفس القدر تمنحك إحساس البلدة الصغيرة. كان لدى ولاية بنسلفانيا «قوانين زرقاء»، لا تسمح بفتح الحانات يوم الأحد. ولم تكن هناك متاجر مفتوحة. كان يوم العبادة. حتى فيما بعد عندما دخلت إليها لعبة البيسبول الليلية، كان بإمكان فريقي فيلادلفيا فيليز وفيلادلفيا أثليتيكس لعب البيسبول في حديقة شيببي يوم الأحد وفي النهار فقط. لم يكن يسمح للفريقين بإثارة أضواء الملعب يوم الأحد. أُلغيت العديد من مباريات الأحد بسبب الظلام. لم يحدث قط أن أمسكت صحيفة وقرأت فيها عن منع عمليات القتل التي كانت تقوم بها العصابات أو أي من تلك الأشياء التي حدثت في نيويورك، على بعد ساعتين فقط من المسير على خط السكك الحديدية في بنسلفانيا، لذا كان قدوم ذلك الكرنفال إلى فيلادلفيا مناسبة ترفيحية ضخمة جدًا.

بعد أن طُردت من مدرسة داربي الثانوية، بدأت أعمل في وظائف غريبة، مثل وضع المشتريات في أكياس ورقية في متجر البقالة «بن فروت»، واعتمادًا على حالة الطقس، كنت أذهب إلى ملعب الغولف باكسون هولوا لأعمل مساعدًا للاعبين، أحمل مضارب الجولف عنهم في أثناء تحركهم. كنت أعيش في منزل العائلة، الأمر الذي كان لا يزال يعني الانتقال كثيرًا للتخلص من دفع الإيجار. ربما كان هذا الانتقال في كل مرة يحين فيها موعد دفع الإيجار قد جعلني في حالة من القلق، وتفجرت هذه الحالة من القلق مثل العديد من البراعم التي تفجرت على الأشجار في ذلك الربيع عندما وصل الكرنفال.

كان أفضل أصدقائي في ذلك الوقت هو فرانسيس كوين «يانك». كان أكبر مني بسنة وأنهى المدرسة الثانوية. بعد بضعة سنوات ذهب إلى الكلية وخدم في الجيش برتبة ملازم ثانٍ. خاض الكثير من المعارك في أوروبا. لكنني لم ألتقه قط هناك. في وقت لاحق بعد الحرب لعبنا كرة القدم معًا في نادي شاناهان الكاثوليكي. كان يانك يلعب في خط الوسط.

في إحدى الليالي الدافئة، ذهبنا أنا ويانك -وكان معنا دولار واحد لننفقه ولم يكن لدينا عمل ثابت- إلى الكرنفال لنقوم بجولة فيه، والشيء التالي -كما تعرف- هو أننا حصلنا على وظائف كعمال، كنا نسافر مع عروض الكرنفال في جولته في نيو أنجلند. كنت طوال شبابي أرغب في الخروج من فيلادلفيا ورؤية العالم، وها أنا ذا أقوم بذلك الآن واستلم مالا عن ذلك.

عملت منادياً في برنامج عرض الفتيات الراقصات (عاريات وشبه عاريات). كان لدى فرقة ريجنت فتاتان راقستان، ترقصان بشكل مماثل للراقصات القديمات اللواتي ظهرن في السبعينيات. كانت راقصات الكرنفال فقط هن من يرتدين الملابس. ولم يكشفن الكثير من أجسامهن ليسرح بها خيال الزبائن. إحدى الراقصتين كانت تسمى نفسها «المصرية الصغيرة»، وهي امرأة سمراء ترتدي ملابس براقة كما لو أنها خرجت من مصباح علاء الدين، والثانية تسمى نفسها «نبتون النيل»، كانت شقراء ترتدي طبقات من أغطية زرقاء كما لو أنها ظهرت فجأة من البحر الأزرق العميق. كانتا ترقصان في وقت واحد ويؤديان رقصاتهن الغريبة على منصة داخل خيمتهما. وكانت وظيفة المنادي الترويج للعرض، وكنت آخذ خمسين سنتاً من كل زبون وأعطيه تذكركه. كانت عروض فرقة الريجنت ترفيهاً خالصاً متنوعاً، مثل برنامج إد سوليفان القديم الذي كان يُعرض على شاشة التلفزيون. كانت الفرقة تعرض ألعاب سحر وشعوذة، وألعاباً بهلوانية، وألعاباً يمكن للناس المشاركين فيها أن يربحوا دمي، وكانت هناك أيضاً لعبة رمي السكين، وابتلاع السيوف، وهناك فرقة موسيقية تعزف أغاني السيرك. لم تكن هناك ألعاب قمار. فلم يكن لدى الزبائن أي أموال للمقاومة بها. كان الكساد في أعلى مستوياته. بغض النظر عما يقولون، لم ينتهِ الكساد حتى جاءت الحرب. وبالتأكيد نحن العمال لم يكن لدينا أي أموال للمقاومة. كان العمال في الغالب من الهاربين وأناس من دون أصول. كان الجميع محترمين جداً، على الرغم من ذلك، فلم يكونوا من مثيري الشغب.

تعاوننا أنا ويانك في نصب الخيام والمقاعد للزبائن وكنا نزيل ونجمع كل شيء عندما نساخر. إذا كانت هناك أية مشكلة -ربما يندلع شجار بين الزبائن- عندها يخبرنا رجال الشرطة المحلية بأن نحزم أمتعتنا ونغادر المدينة. إن كان العمل جيداً وإن حصلنا على استقبال جيد من حشود الناس كنا نبقي نحو عشرة أيام. خلاف ذلك، إن لم نجنِ أية أموال فإننا نحزم أمتعتنا ونتنقل بحثاً عن استقبال أفضل. لقد قدمنا عروضاً في الكثير من المدن الصغيرة في أماكن مثل كونيتيكت وفيرمونت ونيو هامبشاير وخارج بوسطن.

كنا نتنقل في شاحنات متداعية وسيارات قديمة، وكنا ننام في العراء على البطانيات تحت النجوم. لم يكن هذا سيرك الأخوة رنغلينغ، بل كان كرنفال الهونكي تونك. أعتقد أنك يمكن أن تقول إن طفولتي التي كنت أنتقل فيها مع عائلتي مثل البدو في الصحراء قد أعدتني لتحمل مرارة هذه الحياة.

لم يدفعوا لنا الكثير، لكنهم كانوا يقدمون لنا طعاماً جيداً. كان هناك الكثير من حساء اللحم البقري اللذيذ الذي كانت رائحته الطيبة تنتشر في الهواء الطلق، ولكنه لا يمكن أن يقارن بطبخ والدتي، وإن كان الفرق بينهما ليس كبيراً. حين تمطر السماء كنا ننام تحت الشاحنات. لقد جريت لأول مرة رؤية سطوع ضوء القمر على الطريق مع هذا الكرنفال حين كنت أنام تحت الشاحنة هرباً من المطر. وكنت حقاً لا أهتم به. لم أعتد -في الواقع- الشرب إلى أن قامت الحرب. كانت أول مرة أتناول فيها المشروبات بشكل فعلي حين كنت في مدينة كاتانيا في جزيرة

صقلية. عندما ذقت النبيذ الأحمر لأول مرة، أصبح مشروبي المفضل، وبقيت على هذا النحو طوال حياتي.

ذات صباح في محطة استراحة على الطريق في بلدة براتلبورو في فيرمونت، هطلت الأمطار ولم تهدأ طوال اليوم. أصبح هناك طين في كل مكان. فلم يكن هناك زبائن، ولا استلام ثمن التذكرة، ولا توزيع تذاكر. رأيتي الراقصة الصغيرة واقفاً أنفخ الهواء الساخن في يدي محاولاً تدفئتهما، فأخذتني جانباً وهمست في أذني. سألتني إن كنت أرغب في قضاء الليل في خيمتها معها هي ونبتون. كنت أعلم أنهما تحبانني فقلت «نعم، بالتأكيد». كان على يانك أن ينام تحت الشاحنة، لكنني سأكون مستمتعاً ولن يبللني المطر طوال الليل.

مسكين يانك، كان ينام في البرد على الأرض الرطبة. لا أعتقد أنه غفر لي. (كان يانك رجلاً طيباً عاش حياة صالحة. ولم يرتكب أي خطأ على الإطلاق. لقد مات قبل أوانه، بينما كنت لا أزال في السجن. لم يسمحوا لي بالعودة إلى المنزل لاستراخ في تشييعه. ولا حتى تشييع جنازة أخي أو أختي. كان يانك يدير مطعم أومالي على طريق ويست شيلستر بايك في بنسلفانيا، وكتب لي عندما كنت في السجن أنه سيقوم حفل استقبال كبير في المنزل عندما أخرج، لكن يانك المسكين أصيب بنوبة قلبية أدت إلى وفاته).

عندما وصلنا إلى ولاية مين مع الكرنفال، كان الصيف قد انتهى. كان ذلك في شهر سبتمبر تقريباً، وكان عرض فرقة ريجنت يتوجه دائماً جنوباً إلى فلوريدا لقضاء فصل الشتاء هناك. كنا في مدينة كامدن، في ولاية مين، عندما أختتم العرض. على بعد

أربعين ميلاً تقريباً، كان هناك معسكر لقطع الأشجار سمعنا أن المسؤولين عنه يطلبون بعض العمال، لذا توجهنا إليه أنا ويانك عبر طريق ترابي في الغابة سيراً على الأقدام. كنت أعلم أنني سأفتقد الراقصة الصغيرة، ولكن لم يعد هناك عمل بالنسبة إلي مع الكرنفال بمجرد أن نفكك المخيم للمرة الأخيرة ونحمله في الشاحنات.

لقد استأجرتنا شركة الأخشاب. وضعوا يانك في المطبخ لمساعدة الطباخ. وبسبب ضخامتي وضعوني على منشار معد للاستخدام من قبل رجلين. كنت أصغر من أن أقطع الأشجار الكبيرة، لكنني كنت أقطع فروع الأشجار بالمنشار وأحولها إلى جذوع من الخشب بمجرد أن تسقط على الأرض. ثم تقوم الجرافات بدفع جذوع الأشجار إلى النهر، ثم تطفو على سطح النهر متجهة نحو المصب إلى نقطة معينة حيث تحملها الشاحنات. كان تقطيع هذه الأشجار طوال اليوم عملاً شاقاً. كان عمري حينها نحو ستة عشر عاماً وكان وزني نحو 175 رطلاً، وبعد تسعة أشهر من ذلك العمل لم تعد هناك أوقية واحدة من الشحوم في جسمي.

كنا ننام في أكواخ صغيرة أقامتها الشركة، وكانت هناك مواقد للطبخ على الخشب وكنا نتناول -بحسب تخمينك- الحساء والمزيد من الحساء. بعد يوم من تقطيع الأخشاب يدوياً، لا تحظى بتناول طعام له قيمة أبداً.

لقد ادخرنا القليل من المال الذي كسبناه لأنه لم يكن هناك مكان لإنفاقه. لم نقم لا أنا ولا يانك بلعب الورق مع الرجال وإلا لكانوا قد تغلبوا علينا.

كان لديهم نوع غريب من لعبة الركبي يمارسونه في أيام الأحد. وقد لعبت الكثير من المباريات في ذلك الوقت. لم أكن ألتزم بالقواعد مطلقاً، هذا إذا كان هناك أي منها. لقد كان الأمر مجرد أن نصطدم ببعضنا بعضاً مرات عدة.

أقيمت مباريات ملاكمة في كل ليلة لم يتساقط فيها الثلج، أقيمت في منطقة مخصصة يتجمع الناس فيها مثل حلقة. لم يكن لديهم أي قفازات، لذا لفّ المشاركون قبضاتهم بالضمادات. أراد الجميع مشاهدة الطفل الضخم الذي يلاكم الرجال الذين كانوا في أواخر العشرينيات والثلاثينيات من العمر. لذا، وبناءً على طلب الجماهير، شاركت في كثير من تلك المباريات. ذكررتي بوالدي الذي كان يجعلني ألاكم الأولاد الأكبر سنّاً مني لكي يفوز بمراهنات البيرة. بدا لي أنني كنت دائماً ما أنافس رجالاً أكبر سنّاً مني بما في ذلك والدي. فقط هؤلاء الخطابين كان يمكن أن يضربوا بقوة أكبر من والدي. لقد خسرت العديد من النزالات، لكنني كنت دائماً أستطيع الضرب أيضاً، وتعلمت الكثير من الحيل.

أعتقد أنني وُلدت ولديّ القدرة على الضرب. لم يبدأ روكي مارسيانو في الملاكمة إلا بعد الحرب عندما كان في السادسة والعشرين، لكنه كان ملاكماً بالفطرة. أنت بحاجة إلى القوة، ولكن الكثير من قوتك تأتي من الساعد نزولاً إلى معصمك. هناك فرقة تحصل كردة فعل على لكمتك تأتي من معصمك إلى قبضة يدك، وهذه هي ما تطرح الرجل الآخر أرضاً. يمكنك بالفعل سماع صوت الفرقة تلك. تبدو وكأنها طلقة مسدس يعمل

بإتقان. كان جو لويس صاحب لكمة الستة بوصات الشهيرة. كان يضرب الرجل بلكمة تمتد ست بوصات فقط. كانت قوته تتبع من المفاجأة. كان الأمر مثل التقاط منشفة من مؤخرة شخص ما. ليس هناك قوة في ذراعيك.

ثم إنك إذا تعلمت خدعة أو اثنتين إلى جانب ذلك، فسوف تتطلق في عالم الملاكمة. يقولون إن جاك ديمبسي تعلم كل حيل القتال عندما كان يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا وكان يعمل في معسكرات التعدين في كولورادو. أستطيع أن أصدق ما قيل عن ديمبسي بعد قضائي تسعة أشهر في تلك الغابة العميقة في ولاية مين.

لقد عدنا إلى فيلاديلفيا في الصيف التالي، فجأة وجدنا أن لدينا اهتمامًا جديدًا إلى جانب الملاكمة، وهو مطاردة الفتيات. عملت في وظيفتين أو ثلاث وظائف، كلما استطعت العثور على عمل، حتى حصلت على تدريب في شركة بيرلشتاين للزجاج التي تقع على شارع فيفث ولومبارد. كانت منطقة تجارية بالقرب من الشارع الجنوبي حيث يذهب الأطفال حاليًا للتسوق. كنت أتدرب لأكون مركّب زجاج. تعلمت كيفية تركيب النوافذ في جميع المباني الكبيرة في المدينة. في بعض الأحيان كنت أعمل في المحل لصقل الحواف الزجاجية. لقد تعلمت الكثير، ولم يكن هناك عمل شاق مثل قطع الأشجار. في نهاية يوم العمل، كان لدي الكثير من الطاقة المتبقية للتنافس مع يانك على الإيقاع بفتيات الحي.

كان سلاحه السري ضد يانك هو رقصي. كان معظم الرجال ذوي الأجسام الضخمة أشخاصًا يتميزون بالخرق والحركة

الثقيلة، لكن ذلك الأمر لم يكن ينطبق عليّ. كان لديّ إحساس جيد بالإيقاع الموسيقي ويمكنني تحريك كل جزء من جسدي. كانت ذراعاي سريعتين أيضًا، وأستطيع تحريكهما بتناسق جيد. كانت موسيقى السوينغ (نمط من موسيقى الجاز) تجتاح البلاد، وكان الرقص المختلط شائعًا. كنت أرقص ست ليالٍ في الأسبوع (لم يكن من بينها يوم الأحد قطّ) في قاعة مختلفة كل ليلة. هكذا يتعلم المرء الرقصات. أنت تتعلم حين تذهب إلى الرقص. كان لدى جميع الراقصين خطوات معينة، على عكس اليوم حيث تختلقها في أثناء رقصك. بعد الحرب، كانت إحدى الوظائف التي كنت أعمل فيها هي مدرب للرقص في قاعة رقص.

في عام 1939، عندما كنت في التاسعة عشرة من عمري، حصلت أنا وشريكتي في الرقص، روزان دي أنجيليس، على المركز الثاني في مسابقة لرقصة الفوكستروت ضد خمسة آلاف ثنائي راقص، جرت المسابقة في قاعة ماديسون سكوير غاردن ضمن مسابقة هارفست موون بول دانس. كانت روزان راقصة رشيقة. التقيتها في الحديقة قبل المسابقة عندما تعرض شريكها للإصابة على حلبة الرقص في أثناء التدريب. تعبت شريكتي وبدأت تشعر بالإرهاق، لذا تعاونت أنا وروزان. كانت مسابقة هارفست موون أكبر حدث في عالم الرقص في البلاد بأكملها. كانت تتم رعايتها كل عام من قبل صحيفة نيويورك ديلي نيوز. بعد سنوات عديدة علمت بناتي كيفية الرقص، وكل أنواع الرقص، حتى التانغو والرومبا.

لقد كسبت أموالاً جيدة من عملي في شركة بيرلشتاين نحو 45 دولاراً في الأسبوع. كان ذلك أكثر مما كان يحصل عليه والدي من عمله بواباً في مدرسة مريم العذراء. كنت أدفع تكاليف السكن والطعام في المنزل لذلك لم يكن علينا الاستمرار في التنقل. كانت أختي، بيغي، لا تزال تدرس في المدرسة وكانت تعمل بعد المدرسة في محلات البقالة A & P في ترتيب البضاعة. كان أخي توم يعيش خارج المنزل. كان قد ترك المدرسة وانضم إلى CCC، وهو فيلق حماية الشباب الذي أنشأه روزفلت لتوفير وظائف للشباب بسبب الكساد. كان الشباب يذهبون إلى المخيمات المقامة في المناطق الريفية في جميع أنحاء البلاد، ويعملون في مشاريع الحفاظ على البيئة.

كنت أنفق معظم الأموال المتبقية من راتبي في شركة بيرلشتاين بعد دفع تلك المصاريف لوالدي في قاعات الرقص. لم يكن هناك الكثير المتبقي لإنفاقه على المواعيد مع الفتيات، ولكنني وجدت مع يانك طرقاً للاستمتاع من دون نقود. بعد ظهر أحد الأيام، اصطحبت فتاة أيرلندية شابة جميلة لديها نمش في وجهها للسباحة في جدول عند طريق ترابي يؤدي إلى مدينة داربي، حيث يوجد مستشفى ميرسي فيتزجيرالد الآن. كان الجدول على بعد نحو مئة ياردة من الطريق. تسلل يانك إلينا وسرق ملابسنا. ثم وقف على قمة التل بالقرب من الطريق وصاح نحو الفتاة التي كانت معي يخبرها بين الخروج من الماء وارتداء ملابسها والذهاب معه، وبين أن يغادر ويأخذ ملابسها أيضاً معه. خرجتُ وذهبت معه، لكنه أعطى طفلاً ربع دولار ليحمل ملابسي

حتى يغيب هو والفتاة عن الأنظار ثم يلقيها قرب الجدول ويهرب بسرعة.

أنا متأكد من أنني صنعت مقلباً به، لا أتذكر بالضبط ماذا كان. هل نشرت الشائعة القائلة بأن الجنين في بطن الفتاة الحامل -التي كان حتى لا يعرفها- هو ولده؟ هذا محتمل. هل لعبت معه مزحة القدم الساخنة<sup>(5)</sup>؟ لا شك، ولكن هذا كل ما كنا نفعله. نصنع المقالب. نتسكع ونعبث. لم نعد ملاكمين ومقاتلين أو محاربي طريق. بل كنا عشاقاً وراقصين.

كنت أعيش حياة الشبان المثالية الخالية من الهموم؛ شعبية بين الفتيات، وأصدقاء جيدين، وعدم وجود مسؤوليات. حياة تكون فيها وظيفتك الحقيقية الوحيدة هي صنع ذكريات لبقية أيامك، إلا أنني لم أستطع الاستمرار. كنت لا أتحدى بالصبر. كان يجب أن أنتقل إلى مكان آخر. وبسرعة وجدت نفسي في منتصف الطريق حول العالم. ولكن بحلول ذلك الوقت لم يعد بإمكانني الحصول على الرفاهية لأكون غير صبور. كان عليّ أن أفعل أشياء على طريقة الجيش: عجل وانتظر.

---

(5) دعابة منتشرة بين الشباب، يضع أحدهم عود كبريت بين أصابع الشخص النائم ثم يشعله. (المترجم).

## الفصل الخامس

### 411 يومًا

سمعت أغنية «توكسيدو جانكشن»<sup>(6)</sup> لأول مرة في عام 1941. كنت حينها في الشرطة العسكرية في مدينة كولورادو، أقوم بمهام الحراسة في قاعدة سلاح الجو في الجيش في حي لوري فيلد. يعتقد معظم الناس أن غلين ميللر هو الذي جعل هذه الأغنية مشهورة لأول مرة، لكنها كانت لقائد فرقة أسود يدعى إرسكين هوكينز. هو من كتب الأغنية وهو أول من غناها. ظلت تلك الأغنية عالقة في ذهني لأنها رافقتني طوال الحرب. بعد الحرب، كان أول موعد لي مع ماري، زوجتي المستقبلية، هو حضور حفلة لإرسكين هوكينز في مسرح إيرل القديم في فيلاديلفيا.

في إحدى الليالي الباردة في شهر ديسمبر 1941، فزت بمسابقة رقص أديت فيها رقصة التجريب على أنغام أغنية «توكسيدو جنكشن» في قاعة رقص دنفر. الشيء التالي الذي عرفته هو أنني سأكون على متن قطار في الرابعة صباحًا متوجهًا إلى الساحل الغربي للدفاع عن كاليفورنيا. حين قصف اليابانيون ميناء بيرل هاربور كنت قد بلغت للتو واحدًا وعشرين عامًا وكان طولي نحو 188 سنتيمترًا. وبعد ذلك بأربع سنوات عندما انتهت الحرب سُرّحت من الخدمة قبل يوم واحد من بلوغي الخامسة والعشرين؛ وأصبح طولي 195 سنتيمترًا. لقد ازداد طولي بمقدار

---

(6) أغنية شعبية شهيرة ظهرت عام 1939 للمغني إرسكين هوكينز. (المترجم).

سبع سنتيمترات. ينسى الناس كيف كنا صغاراً، والبعض منا لم ينضج بعد.

قضيت الحرب في أوروبا كجندي رماية في كتيبة تدريب التابعة لفرقة المشاة 45. يُقال إن متوسط عدد أيام القتال الفعلية المطلوبة من المقاتل المتمرس هي ثمانون يوماً. في الوقت الذي انتهت فيه الحرب، أخبروني في الجيش بأنني أمضيت 411 يوماً قتالياً، ما جعلني أستحق 20 دولاراً إضافياً عن كل شهر. كنت واحداً من المحظوظين. كان هناك أبطال حقيقيون، لم يكن لدى بعضهم سوى يوم قتال واحد فقط، كانوا لا يزالون هناك. على الرغم من أنني كنت هدفاً واضحاً بسبب ضخامتي، وعلى الرغم من مشاركتي في العديد من العمليات القتالية عندما كنت في الجيش فإنني لم أصب بأي رصاصة أو شظية مدفع ألمانية. لقد رددت الكثير من الصلوات في الخنادق<sup>(7)</sup>، لا سيما حين كنت عالقاً في مخبأ في معركة أنزيو. ومهما كان رأي أي شخص عن طفولتي، فإن أحد الأشياء التي تعلمتها في طفولتي هي كيفية العناية بنفسني، وكيفية البقاء على قيد الحياة.

كان استخلاص المعلومات من فرانك شيران حول تجاربه القتالية هو الجزء الأكثر صعوبة في عملية المقابلة. مرت سنتان قبل أن يتمكن من قبول حقيقة أن تجربته القتالية كانت تستحق المناقشة. ثم أصبح الأمر شاقاً ومجهداً لكل من السائل المحترم والطرف الآخر المتردد، مع العديد من التوقفات والبدائيات.

---

(7) - في إحالة إلى العبارة الإنجليزية الشهيرة «لا ملحدين في الخنادق»، التي ظهرت في أثناء الحرب العالمية الثانية. ويقصد بها أن لا أحد ملحد في الشدائد، وعند اقتراب الموت.

لمساعدتي في فهم أيام القتال التي أشرت فيها، راجع شيران تقريرَ فرقة المشاة الخامسة والأربعين، وهو تقرير حربي مؤلف من 202 صفحة، صدر في غضون أشهر من نهاية الحرب العالمية الثانية. كلما تعلمت أشياء أكثر من كل من هذا التقرير ومن فرانك نفسه بدا لي أكثر وضوحًا أن فرانك شيران -من خلال واجباته القتالية الطويلة والمتواصلة- قد تعلم القتل بدم بارد.

يذكر التقرير الحربي: «إن الفرقة الخامسة والأربعين دفعت ثمنًا باهظًا للحفاظ على تراشا الأمريكي: 21899 ضحية جراء المعارك». عند الأخذ بالاعتبار أن الفرقة التي تعمل بكامل طاقمها تحتوي على 15000 فرد، فإن هذا يعني أن شيران كان يشهد تنفيذ عمليات استبدال الجنود بشكل يومي. يؤكد التقرير تسجيل «511 يومًا من القتال» للفرقة نفسها؛ أي 511 يومًا من إطلاق النار المُتبادل على الخطوط الأمامية. قاتل أفراد كتيبة شديرد ببسالة منذ اليوم الأول للحرب في أوروبا حتى اليوم الأخير.

عند حساب أوقات الراحة وإعادة التأهيل على طول خدمته العسكرية، يكون الجندي فرانك شيران قد خاض 411 يومًا قتاليًا، والتي تمثل أكثر من 80 في المئة من إجمالي «أيام القتال» للفرقة. بدأ شيران يعتاد بقية حياته على حوادث القتل والتشويه يوميًا بعد يوم، وكان يتساءل متى ستكون الحادثة التالية. لا يتأثر جميع الأشخاص بنفس الطريقة بالأحداث نفسها. لكل منا بصماته وخلاصة تجارب حياته. كان قدامى المحاربين الآخرين الذين

قابلتهم يفغرون أفواههم دهشةً وتعجبًا ويشهقون من فكرة قضاء 411 يومًا في القتال.

قال لي تشارلي مايرز «ديغسي»: «يجب أن أركل مؤخرتك». كنت أكبر بسنتين من ديغسي وأطول منه بمقدار قدم. لقد كنا أصدقاء منذ أيام المدرسة الابتدائية. سألته مبتسمًا: «أي خطأ ارتكبت؟ لماذا تريد ركل مؤخرتي يا ديغسي؟»

«لأنه كانت لديك وظيفة في الشرطة العسكرية أجرها جيد وليس فيها قتال. كان بإمكانك أن تتحاشى الاشتراك في هذه الحرب اللعينة وتبقى في بلدك. لا بد أنك مجنون كي تقرر أن تأتي إلى هنا. كنت أعلم دائمًا أنك شخص معتوه، ولكن هذا هو المكان الأسوأ. هل تعتقد أننا نستمتع هنا؟»

قلت له: «أردت أن أرى بعض الإثارة»، كنت أشعر بالفعل بأنني أحرق.

«حسنًا، سوف تراها».

دوّى انفجار مثل الرعد وارتفع صوت طنين صافرة أطلقت عبر السماء.  
«ما هذا؟»

«هذه هي الإثارة التي تبحث عنها». أعطاني مجرفة وقال: «هنا».

سألته: «ماذا أفعل بها بحق الجحيم؟».

«الخندق الخاص بك. هيا ابدأ الحفر. مرحبًا بك في صقلية». بعد أن انتهيت من الحفر، شرح لي تشارلي أن القذيفة حين تنفجر ستتشق شظاياها في زاوية تتجه إلى الأعلى. ولكنك تنزل

في الخندق وتبقى هناك، وحينها لن تصيبك شظاياها وإلا فإنها ستخترق صدرك وتقطعك إلى نصفين. عندما كنا صغارًا كنت أنا من يعتني بديغسي، ولكن الآن سيحدث العكس.

كيف انتهى بي الأمر لأن أحمل مجرفة في يدي في صقلية عام 1943؟

في أغسطس 1941، التحقت بالجيش. كانت بقية دول العالم في حالة حرب بالفعل، لكننا كنا محايدين ولم نشترك فيها بعد. أجريت تدريباتي الأساسية في مدينة بيلوكسي في ولاية ميسيسيبي. ذات يوم خاطب رقيب من الجنوب المجندين وقال إنه يستطيع أن يصرع أي واحد منا، وإذا كان أي شخص يعتقد خلاف ذلك، فعليه التقدم إلى الأمام الآن. تقدمت خطوة كبيرة إلى الأمام، وكانت النتيجة أن جعلني أحضر مراحيض لمدة خمسة أيام. لقد كانت مجرد خدعة ليجعلنا نطيع أوامره ونحترم رتبته وجميع الرتب الأخرى. كانوا يجعلوننا نستعد للحرب.

بعد التدريب الأساسي، ألقى المسؤولون في الجيش نظرة واحدة عليّ وقرروا تبعًا لضخامة جسمي أنني أصلح للشرطة العسكرية. لم يكونوا ليسألوك عن رأيك في مهمتك الجديدة، وقبل بدء الحرب لم يكن هناك سبيل لترك الشرطة العسكرية. ولكن بعد حادثة بيرل هاربور، ومع استمرار الحرب، سُمح للجميع بالانتقال خارج الشرطة العسكرية إذا كانوا على استعداد للذهاب إلى القتال. لقد أحببت فكرة ترك الجنة التي كنت فيها والذهاب إلى ساحة المعركة، وسجلت في القوات المحمولة جواً وانتقلت إلى قاعدة فورت بنينغ، في ولاية جورجيا، لتدريب

المظليين. كنت في حالة جيدة جدًا، لذا كان التدريب الصارم للمظلي سهلًا بالنسبة إلي. لقد أعجبتني فكرة رؤية بعض الإثارة أخيرًا. عندما تهبط بمظلتك، ستكون غالبًا بمفردك، ثمّة نوع من الاعتماد على الذات. ظننت أنني أصبحت شخصًا مميزًا إلى أن قفزت ذات مرة من أحد الأبراج في أثناء التدريب وتسبب ذلك في خلع كتفي اليمنى. لقد هبطت بصورة خاطئة، وكانوا لا يسمحون لك أن تخطئ. طردوني من المجموعة. وانتقلت حينها إلى صنف المشاة كجندي مشاة مقاتل.

كان لا يمكن لأي قدر من السلطة أو الانضباط العسكري حينها أن يمنعي من الدخول في ورطاتي الصغيرة. كنت قد دخلت في ورطة تلو الأخرى خلال مسيرتي العسكرية. لقد التحقت بالجيش برتبة جندي، وخرجت منه بعد أربع سنوات وشهرين برتبة جندي أول. كانوا يمنحونني ترقيةات قتالية من وقت إلى آخر، ولكن بسبب انغماسي في البحث عن لذاتي كنت أفقد تلك الترقيةات وأعود إلى حيث كنت سابقًا. بشكل عام، فقدت خمسين يومًا من خدمتي بسبب التغيب من دون إجازة رسمية، قضيتها في الغالب في شرب النبيذ الأحمر وملاحقة النساء الإيطاليات والفرنسيات والألمانيات. ومع ذلك، لم أكن أتغيب قط عندما كانت سرיתי تعود إلى الخطوط الأمامية. إذا تغيبت من دون إجازة رسمية عندما تعود سريتك إلى القتال، عليك أن تستمر في غيابك ولا تعود لأن ضباطك سوف يقتلونك، ولم يكن عليهم حتى أن يقولوا إن الألمان هم من قتلوك. فهذا الأمر يعد فرارًا من مواجهة العدو.

بينما كنت في انتظار أن يتم نقلني إلى خارج البلاد، أخذوني إلى معسكر باتريك هنري في ولاية فرجينيا، بسبب أنني تكلمت بفضاظة ودون احترام مع أحد هؤلاء الرقباء الجنوبيين، وضعوني مع الطباقين وكان عملي تقشير البطاطس. عند أول فرصة لاحت لي اشترت ملينًا للأعماء من أحد الحوانيت العسكرية ووضعتة في جرّة القهوة العملاقة. أصيب الجميع بإسهال شديد بمن فيهم الضباط. لسوء الحظ، كنت الشخص الوحيد الذي لم يبلغ عن إصابته بالمرض في العيادة الطبية. لقد توصلوا إلى من قام بهذه المزحة قبل أن يطلبوا الحصول على ورق تواليت إضافي. هل يمكنك أن تحزر أي مجرم بارع انتهى به الأمر لأن يجثو على ركبتيه ويفرك أرضية الحمام؟

أبحرت يوم 14 يوليو 1943 إلى مدينة الدار البيضاء في شمال إفريقيا، وكان منصبي في فرقة المشاة الخامسة والأربعين هو معلم رماية. بينما لا يمكنك اختيار الفرقة التي تريد الالتحاق بها، يمكنك اختيار سرية معينة في الفرقة إذا كان لديها مكان شاغر. كانت السرية التي اخترتها مؤلفة من نحو 120 رجلاً. كانت كنيسة في فيلادلفيا قد أصدرت نشرة إخبارية ذكرت فيها الوحدات التي تضم جميع أبناء الحي، لذلك كنت أعرف أن ديفسي كان في سرية شديريرد. طلبت أن أكون في سرية وكان لي ذلك. لم يكن هذا يعني أنني سألتحق بفصيلة المؤلف من نحو 32 رجلاً أو وحدته المكونة من ثمانية رجال ضمن فصيلته، لكنني نجحت في فعل ذلك، وبقينا معاً في نفس الوحدة.

في خريف عام 1942، بينما كان جنود الفرقة لا يزالون يتلقون

التدريب للقتال في الولايات المتحدة ولم يذهبوا خارجها بعد، خاطبهم الجنرال جورج باتون ديغسي من فوق منصة في المنشأة العسكرية فورت ديفينز، في ولاية ماساتشوستس. وأخبر الجنرال باتون فتيان الفرقة 45 الذين كان من السهل التأثير فيهم بأنهم سيفادرون أرض الوطن لأول مرة، من أجل القتال في الخارج حتى الموت، وهذا سيمنح فرقتهم دورًا مميزًا في الحرب.

وفقًا لما صرَّح به العقيد جورج إ. مارتن، رئيس أركان القائد العام في فرقة المشاة الخامسة والأربعين:

«كان لدى [الجنرال باتون] الكثير من الكلام، تداخلت كلماته في لغة بذيئة وفظة بشكل صادم. وقد روى حادثة عن تقدم جنود المشاة البريطانيين إلى الأمام للهجوم على جيوب العدو، ليجدوا أنفسهم مشتبكين في القتال مع هذا العدو من الخلف. وعندما لجأ البريطانيون إلى تطهير المكان، كان الجنود الألمان يلقون بأسلحتهم ويرفعون أيديهم يعلنون الاستسلام. وعندئذ قال الجنرال باتون، إذا حدث هذا لنا فلا يجب أن نقبل باستسلامهم. بدلاً من ذلك يجب أن نقتل الجميع حتى القضاء على آخر فرد من أولاد الزنا واللقطاء.

ثم قال لنا: إن فرقتنا ربما ستشهد قتالاً أكثر من أي فرقة أمريكية أخرى، وقد أراد منا أن نجعل الألمان يعرفوننا باسم «الفرقة القاتلة».

في خطاب لاحق له ألقاه في 27 يونيو في الجزائر العاصمة، شمال إفريقيا، كما أفاد ضابط من الفرقة كان حاضراً، أخبر باتون رجال «الفرقة القاتلة»:

«يجب أن نقتل ونستمر في القتل، وكلما قتلنا أكثر انخفض عدد من نقتلهم في وقت لاحق، وهكذا سيكون وضع الفرقة أفضل على المدى الطويل. وقال إنه كلما كان هناك المزيد من الرجال الذين سنأخذهم أسرى سنضطر إلى إطعامهم، لذلك لا يمكن الإبقاء على الأسرى. وقال إن هناك ألمانًا واحدًا جيدًا وهو الألماني الميت».

أشار ضابط آخر كان يستمع إلى الخطاب إلى موقف باتون من قتل المدنيين: «قال شيئاً عمّا إذا واصل الناس الذين يعيشون في المدن البقاء قرب ساحة القتال فإنهم بمثابة أعداء لنا، فكان علينا قتلهم بلا رحمة وإبعادهم عن الطريق».

بعد أن حصلت على الخندق الخاص بي، روى لي ديفسي قصة فضيحتين صارختين وقعتا في كلا الطرفين. كان الجميع يكره القناصين. وكان ذلك الكره موجود لدى كلا الجانبين، وإذا أسرت أحدهم، فلا بأس من قتله على الفور. حدثت بعض عمليات القنص خارج مطار بسكاري، وأصيب حفنة من الأمريكيين. عندما استسلم نحو أربعين جنديًا إيطاليًا، لم يستطع أي منهم الإبلاغ عن الذي قام بالقنص فجعلهم الأمريكيون يصطفون جميعًا في خط واحد وأطلقوا النار عليهم. ثم أخذ رقيب في الجيش الأمريكي نحو ثلاثين أسيرًا وأعادهم للوقوف وراء الخط. عندما وصلوا إلى مسافة معينة، أمسك مدفع رشاش وبدأ يطلق النار عليهم. وكان ذلك هو الصوت الذي يشبه الصافرة والذي لفت انتباهي عندما مر من فوقنا. إن مثل هذا الأمر يجعلك تفكر مرتين قبل أن تقرر تسليم نفسك إذا ما اضطررت إلى ذلك.

أخبر باتون رجال وضباط الفرقة الخامسة والأربعين في خطابه الأخير الذي وجهه إلى فرقة المشاة الخامسة والأربعين في أغسطس 1943، بعد النجاح الذي أحرزوه في القتال في صقلية، وقد ألقاه في الهواء الطلق: «إن فرقتكم هي واحدة من أفضل الفرق، إن لم تكن الأفضل، في تاريخ القوات المسلحة الأمريكية». من خلال مديحه هذا كان باتون يعزز إيمانه بـ «الفرقة القتالة». كان أفرادها يفعلون الأشياء بالطريقة التي أرادهم أن يقوموا بها وبالطريقة التي أمرهم أن يقوموا بها في خطابات سابقة.

في الوقت الذي قال فيه هذه الكلمات لجنود الفرقة الخامسة والأربعين، كان اثنان من رفاقهما يواجهان محاكم عسكرية بتهمة القتل. وكان النقيب جون ت. كومبتون قد أمر فصيل الإعدامات بإطلاق النار على ما يقرب من أربعين أسير حرب غير مسلح، اثنان منهم مدنيان، بعد معركة السيطرة على مطار بسكاري في صقلية في 14 يوليو 1943. وفي حادثة منفصلة قام الرقيب هوراس تي ويست شخصياً بإطلاق النار من مدفع رشاش على ستة وثلاثين أسير حرب غير مسلح في نفس اليوم التالي لتلك المعركة.

يقول باتون في مذكراته الشخصية ليوم 15 يوليو 1943، أي بعد يوم من عمليات القتل هذه:

وصل الجنرال عمر برادلي -وهو من أكثر الرجال ولاءً- وهو متأثر جداً نحو الساعة 0900 ليبلغنا أن نقيباً في فريق الفوج القتالي 180، في الفرقة 45 [وهو ذات فوج الفرقة الذي كان شيران ينتسب إليه]، قد أخذ على محمل الجد أمري بقتل الرجال الذين

استمروا بإطلاق النار حتى وصلنا إلى مسافة 200 ياردة منهم، وأطلق النار على نحو 50 أسيراً بدم بارد بعدما جعلهم يقفون في صف واحد، والذي كان خطأ كبيراً جداً. أخبرته بأنه ربما كان في الأمر بعض المبالغة، ولكن على أي حال أخبرت الضابط بأن يكون متأكداً من أن القتلى كانوا قناصة أو حاولوا الفرار أو شيء ما، لأن الأمر سيثير لنا مشكلات في الصحافة وسيجعل المدنيين غاضبين».

لم يفعل الجنرال عمر برادلي -وقد كان في نفس رتبة باتون- أي شيء من هذا القبيل. لم يتستر برادلي على القضية، وأدى التحقيق الذي قام به إلى توجيه اتهامات بالقتل ضد النقيب والرقيب.

وحوكم النقيب جون ت. كومبتون أمام محكمة عسكرية، ولكن تمت تبرئته على أساس أنه كان يتبع تعليمات باتون الصريحة إلى الفرقة الخامسة والأربعين بإطلاق النار على الأسرى بدم بارد.

كما تمت محاكمة الرقيب هوراس تي ويست من قبل محكمة عسكرية بتهمة القتل، واستخدم نفس حجج الدفاع التي استخدمها النقيب كومبتون. شهد ضابط برتبة ملازم أنه في الليلة التي سبقت غزو صقلية، أمسك اللفتانت كولونيل وليام هـ. شيفر بمكبر الصوت في السفينة وذكر الرجال بكلمات باتون: «لا تأخذوا أي أسرى».

ومع ذلك فقد أدين الرقيب هوراس تي ويست، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. أدت الضجة التي لم تهدأ والتي أعقبت تبرئة الضابط، وإدانة رجل مجند قام بنفس السلوك بشكل أساسي، في نفس اليوم، بعد نفس المعركة، وفي نفس الحملة،

ومن نفس فرقة المشاة الخامسة والأربعين، إلى الإفراج الفوري عن الرقيب وعودته إلى القتال، حيث خدم في ما تبقى من سنوات الحرب برتبة جندي. بعد أربعة أشهر من تبرئته، أطلق النار على النقيب كومبتون وقتل في الحال عندما اقترب من الجنود الألمان الذين كانوا يرفعون العلم الأبيض للاستسلام وكانت تلك خدعة قاتلة منهم.

كانت هناك تقارير لم تكشف حدوث فظائع أخرى في صقلية أيضًا. يتحدث ستانلي ب. هيرشسون -أحد الصحفيين البريطانيين المعروفين- في كتابه «الجنرال باتون: حياة جندي» عن اليوم الذي شهد إطلاق النار على حافظتين للجنود كانتا تقلان نحو ستين أسيرًا، ولكنه اختار عدم الإبلاغ عن القصة بعد أن وعده باتون أن يضع حدًا لجميع الأعمال الوحشية. غير أن الصحفي أخبر صديقًا، وكان ذلك الصديق قد أعد مذكرة سرد فيها تلك الأحداث. تقول المذكرة: «إن طريقة باتون المتعطشة للدماء في الكلام، والأسلوب الذي صاغ به تعليماته قبل الهبوط في صقلية، نُفِذت حرفيًا من قبل القوات الأمريكية ومن الفرقة 45 على وجه الخصوص».

في وقت لاحق من ذلك اليوم، سألتني ديفسي عن الشائعات التي سمعها من أحد أصدقائه في الحي والذي كان خارج البلاد من أنني دخلت إلى الجيش لأن يانك صديقي تسبب في حمل فتاة واتهمني أنا بفعل ذلك. هل يمكنك أن تتخيل، كنت في النصف الآخر من العالم والشائعات تدور حولي. كنت أعلم أن يانك كان في مكان ما بعد أن تخرج من الكلية ولا يزال يقوم بمزحاته الصغيرة.

## الفصل السادس

### كنت أفعل ما يجب عليّ فعله

بالنسبة إليّ، كان أسهل جزء من الحرب هو القتال في صقلية. كان الإيطاليون جنودًا بشعيين. كان الألمان يشكلون العمود الفقري للقوات الإيطالية. حين كنا نتقدم، كنا نرى الجنود الإيطاليين أحيانًا يقفون هناك منشغلين بحزم حقائبهم. حين كنت في صقلية، استسلم موسوليني وتولى الألمان مسؤولية الحرب بدلًا من الإيطاليين. كان الصقليون ودودين جدًا. بمجرد أن أخرجنا الألمان، تمكنت من رؤية مدينة كاتانيا، حيث كان كل منزل يصنع المعكرونة بنفسه وينشرها على جبل الغسيل لتجف. بعد الحرب، أحب راسل بوفالينو حقيقة أنني ذهبت إلى مدينته.

كان أول صديق جديد لي في وحدتنا رجلًا صلبًا قدم من الجزء اليهودي في حي بروكلين يُدعى أليكس سيفل. لقد التقطنا صورة معًا في صقلية وقد وضعت ذراعي على كتفه، لكنه قُتل بعد ذلك بشهر في قصف على شاطئ البحر في مدينة ساليرنو. ساليرنو هي مدينة تقع مباشرة تحت نابولي على الساحل الغربي لإيطاليا. في سبتمبر 1943، قفزنا من زوارق الإنزال إلى البحر الأبيض المتوسط وكانت القذائف الألمانية تتفجر في كل مكان من حولنا. كان الإنزال في ساليرنو هو الأسوأ من بين ثلاثة عمليات إنزال هجومية شاركت بها. كان هدف أولئك الذين نجحوا في الوصول إلى الشاطئ هو الحصول على نحو 1000 ياردة لتأمين رأس الشاطئ. كان لدى كل جندي مجرفة في

حقيقته، وبدأنا الحفر. بغض النظر عن مدى تعبك، كنت عندما تسمع مدفعية العدو، تحفر بكل حماس.

تعرضت مواضعنا إلى قصف مدفعي كثيف ورشقات غزيرة من الطائرات الألمانية. أما إذا رأيت جنودًا ألمانين يتجهون نحوك، فعليك أن تطلق النار من بندقيتك. كنت أعلم أنني كنت هناك لأجل أن أطلق النار. كنت أعرف أنني كنت أسأل نفسي لماذا تطوعت للقتال في هذا الجحيم، لكني لا أتذكر المرة الأولى التي أطلقت فيها النار على جندي من الأعداء في ساليرونو.

كنا نريد أن ننسحب من الشاطئ بسبب قصف الألمان، لكنني أعلم أنني بقيت هناك مثلما فعل الجميع. كان الجميع خائفين. كان بعضهم لا يريد أن يعترف بذلك، ولكن لا فرق سواء اعترفت بذلك أم لا، فأنت تبقى خائفًا.

ينقل التقرير الحربي عن جنرال من فرقة أخرى كان شاهد عيان على ما حدث قوله: «لقد منع جنود الفرقة الخامسة والأربعين الألمان من أن يفرقوا قوات الحلفاء في البحر». عندما أطلقت مدفعيتنا البحرية النار بكثافة، تراجع الألمان عن نطاق البنادق التابعة للبحرية. أعطانا ذلك فرصة للتحرك إلى الأمام، وقد تقدّمنا بعيدًا عن الشاطئ والتحمنا بفرق أخرى واندفعنا باتجاه الشمال.

كان الرماة يراقبون الأوامر المعطاة لهم بغض النظر عن المهمة المكلفين بها. إذا لم تنفذ الأوامر في القتال، فيمكنهم إطلاق النار عليك تلقائيًا وفورًا. لم يلتحق جيمي هوف بالخدمة العسكرية قط. لقد جرب معاناة من نوع ما وكان يتجنبها. يتعلم

المرء في القتال بسرعة، إذا لم يسبق لك أن عرفتھا، أن بعض الأوامر تكون صارمة ولا يوجد شخص لا يخضع لها. قبل القتال لم أكن قط محباً لاتباع الأوامر بنفسی، لكنني تعلمت هناك التقيد بالأوامر وإلا فالعواقب ستكون وخيمة.

كان شیران يطیع الأوامر التي سببت ما سماه التقرير الحربي «التعب والإرهاق بين صفوف القوات» خلال «القتال المرهق والمفجع في التضاريس الوعرة». في الطريق من ساليرنو شمالاً إلى فينافرو، والذي أعقبته بلا رحمة «المعاناة المصاحبة للحملة الشتوية وسط البرودة الشديدة» لسلسلة جبال الأبينيني<sup>(8)</sup> تحت قصف المدافع المتمركزة في الدير الذي كان يسيطر عليه الألمان عند التلة الصخرية مونتي كاسينو.

اندفعنا شمالاً في إيطاليا من نابولي نحو روما، وبحلول نوفمبر 1943، وصلنا إلى سفوح التلال حيث بدأنا نتعرض للقصف من قبل الألمان الذين كانوا فوقنا على الجبال المحيطة بمونتي كاسينو. تمركزنا هناك لأكثر من شهرين. كان هناك دير على قمة مونتي كاسينو استخدمه الألمان كمركز مراقبة حتى يتمكنوا من رؤية كل تحركاتنا. كان ديراً قديماً، ولم ترغب بعض الفصائل في قصفه. عندما تقرر أخيراً قصفه، جعل ذلك الوضع كله أسوأ لأنه أصبح حينها بإمكان الألمان الحصول على الحماية من الأنقاض التي كانت حولهم. حاولنا في يناير 1944 مهاجمة خط القتال الألماني ولكن أُجبرنا على التراجع إلى أسفل الجبل. في

---

(8) سلسلة جبال تمتد لمسافة تقدر بألف كيلومتر في إيطاليا. (المترجم).

بعض الليالي، كنا نذهب في دوريات للقبض على جندي ألماني لاستجوابه. حاولنا في معظم الليالي أن لا نتعرض لمياه الأمطار وأن نحتمي من القصف.

في ذلك الوقت كنت أعلم عدم الاقتراب من الكثير من الناس. أنت تشعر بمودة تجاه بعض الأشخاص ثم تراهم يُقتلون أمام عينيك. جاءنا فتى يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا كبديل لأحد الجنود، وقبل أن تتاح لحذائه فرصة أن يجف سقط ميتًا. من المحتمل أن تؤثر هذه المواقف في صحتك العقلية. كنت على مقربة من ديفسي وكان هذا ما يهمني. كان الأمر صعبًا جدًا وأنا أرى النار تطلق على ديفسي مرتين.

ثم جاء أسوأ ما في الأمر. تقرر إعادة البعض منا إلى منطقة استراحة في مدينة كازيرتا بالقرب من نابولي. كان المكان قصيرًا للملك الإيطالي. لقد كان الأمر سهلًا لمدة عشرة أيام تقريبًا، ثم أقلعنا في مركب إنزال وتوجهنا إلى أنزيو. كانت هذه مدينة ساحلية تقع شمال خط القتال الألماني في مونتي كاسينو ولكن جنوب روما. كانت الفكرة هي مهاجمة الجناح الألماني ومنح قواتنا الرئيسة فرصة لاختراق مونتي كاسينو.

سُحبت الفرقة 45 من المشاركة في هجمات الحلفاء الفاشلة والمكلفة بشكل متكرر ضد الدير في مونتي كاسينو لفتح جبهة أخرى على الجناح الألماني من خلال الغزو البرمائي لأنزيو. كتب الجنرال مارك كلارك، خلال تحرك الفرقة 45 بعيدًا عن خط القتال الأمامي في مونتي كاسينو يقول: «على مدار الأيام الاثنتين والسبعين الماضية، انخرطت فرقة المشاة الخامسة والأربعين

في قتال مستمر ضد قوات العدو القوية وفي ظل ظروف قتالية قاسية». كان الجنرال كلارك يفكر ملياً في «الجو شديد البرودة والرطب، وقصف قوات العدو شبه المستمر بالمدافع وقذائف الهاون» الذي تعرضت له الفرقة 45 -والجندي فرانك شيران- في مونتني كاسينو. ما لم يكن الجنرال يعرفه هو أنه كان يخرج الفرقة 45 من مأزق مونتني كاسينو ويضعها في قلب نيران جحيم أنزيو.

كنت تشعر قبل المعركة أو موعد الإنزال، بالتوتر العصبي قليلاً. بمجرد أن يبدأ إطلاق النار يختفي ذلك الشعور. ليس لديك وقت للتفكير. أنت فقط تفعل ما عليك القيام به. بعد بدء المعركة تكون قد انغمست فيها.

فاجأنا الألمان على شاطئ أنزيو، حيث أسرنا بضع مئات من الجنود. كان كل شيء هادئاً في أول أربع وعشرين ساعة في أثناء تحركنا بعيداً عن الشاطئ، ولكن بدلاً من التقدم، كان الجنرال المسؤول يعتقد أننا على وشك الوقوع في فخ. فقرر أن يتجنب القتال وينتظر وصول الدبابات والمدفعية. هذا التأخير في التقدم أعطى الألمان الوقت لوضع دباباتهم ومدفيعتهم في أماكن أعلى من مواضعنا وحفر مواضع لهم حتى يتمكنوا من محاصرتنا ومنع الدبابات والمدفعية من الهبوط.

كما قال السير ونستون تشرشل، وعلى الرغم من أن ذلك عكس رغباته المعلنة: «الآن حلت الكارثة، دفاعات رأس الساحل بدأت تتوسع، ولكن الفرصة قد ضاعت الآن». أرسل هتلر تعزيزات قتالية، وتمكنت من محاصرة قوات الحلفاء، وأمر جيشه بتخليصه

من «وجع الرأس» الذي يشكله الحلفاء في أنزيو.

ثم بدأت مدفعيتهم الثقيلة وطائراتهم قصفنا. كان علينا أن نحفر عميقاً لأن تلك الخنادق لن تفيدنا. انتهى بنا المطاف في مخابئ عمقها نحو ثمانية أقدام حفرناها بمجارفنا. استخدمنا السلالم للتسلق، ووضعنا الألواح وفروع الأشجار في الأعلى لحمايتنا من المطر وشظايا القصف المستمر.

بقينا على هذا النحو في ظل هجوم لا ينتهي لأربعة أشهر عصيبة. لا يمكنك ترك مخبئك في وضوح النهار وإلا فستقتل. وأين ستذهب على أي حال؟ ستغتم فرصتك وتخرج ليلاً لتريح نفسك أو تفرغ خوذتك من فضلات جسدك هذا في حال لم تستطع أن تحبسها في أثناء النهار ووجب عليك فعلها في خوذتك. أكلت حصتي من المعلبات. لم يتمكنوا من الحصول على أي طعام مطبوخ لنا. قصف الألمان سفن الإمداد الخاصة بنا. لقد لعبت الورق وتحدثت عما سأفعله بعد الحرب. والأهم من ذلك كله، صليت. وقتها لا يهتمك من كنت أو من تظن نفسك لكنك ستصلي. وقد صليت حتى توقفت عن عد الصلوات. لقد وعدت أن لا أخطئ بعد الآن إذا خرجت من هنا على قيد الحياة. لقد أقسمت على التخلي عن النساء والنبذ وشتم الآخرين وأي شيء خاطئ فعلته في أي وقت يمكنني ذكره في صلواتي.

كان أسوأ قصف يحدث في الليل بسبب ما أطلقنا عليه «أنيزو أكسبرس» كانت قطعة مدفعية عملاقة أبقاها الألمان مموهة خلال النهار لذلك لم تتمكن طائراتنا من العثور عليها. احتفظ بها على خط سكة حديد خارج روما. كانوا يخرجونها ويضعونها

في مكانها بعد حلول الظلام، عندما كانت طائراتنا على الأرض، تبدأ قطعة المدفعية العملاقة قصفنا. كان غطاؤها يبدو مثل عربة قطار شحن في الليل. لقد كان صوتها مربعاً ومخيفاً جداً، وكان يربكنا في كل مرة نسمعه، وكنت أفكر في أن بعض المواضع التي ليست بعيدة كانت تُقصف وتتفجر ويصبح كل شيء كالجحيم ولا يكون هناك جثث لإرسالها إلى عائلات أصحابها. ومن المحتمل أن تكون أنت الضحية التالية.

لقد أخذت دوري على بعد مئة ياردة على محيط الخنادق كموقع استمکان حتى يتمكن الجنود الآخرون من الحصول على بعض النوم، ولكن لم نحصل على الكثير من النوم خلال تلك الأشهر الأربعة. لقد وجدت أماكن أفضل من أن أكون في الخارج طوال الليل. الليل هو دائماً أكثر رعباً من النهار. حتى من دون قصف «أنيزو أكسبرس» في الليل فإنك تتعرض للقصف التقليدي طوال اليوم. ما يجعل أعصابك متوترة، وأنت تحاول أن تمنع نفسك من الخوف. سيؤثر القصف فيك ما لم تكن صلباً. هاجم الألمان موضعنا مرتين محاولين إبعادنا عن الشاطئ، لكننا تمسكنا به.

يشير التقرير الحربي إلى أن الفرقة الخامسة والأربعين «تمزقت إرباً» بسبب المحاولة الألمانية «لتطهير رأس الشاطئ». وأعقبت هذه الفترة من صد الهجوم الألماني «الأشهر الطويلة من الانتظار» في أنيزو والقصف المستمر وخسارة أكثر من 6000 فرد من قوات الحلفاء. في مايو، اخترقت القوة الرئيسية التي كانت في حالة من المواجهة خطوط القتال الألمانية في مونتي كاسينو.

بحلول نهاية ذلك الشهر، خرج 150.000 من الجنود المتعبين والسعداء من مخابئهم في أنزيو وانضموا إلى القوة الرئيسية التي كانت تتقدم من الجنوب نحو روما. في غضون ذلك، في 6 يونيو، هبط الحلفاء في نورماندي وفتحوا جبهة أخرى.

سرنا إلى روما دون قتال. كان يطلق على روما اسم المدينة المحايدة؛ ما يعني أنه لن يقوم أي من الطرفين بقصفها، ولكن كان هناك القليل من القصف. في روما كانت المرة الأولى التي أرى فيها مقهى على الرصيف. كنا نجلس هناك ونسترخي ونتناول طعام الغداء ونشرب القليل من النبيذ. رأيت لأول مرة امرأة إيطالية شقراء في روما تتمشى بالقرب من المقهى. قمت ببعض المغامرات. لم يكن من الصعب القيام بذلك. وزعنا ألواح الشوكولاتة وعلب الجبن وعلب البيض المفروم. هذا كل ما يتطلبه الأمر. لم يكن لدى الناس شيء لذلك لا يمكنك الحكم عليهم من وجهة نظر الأخلاق. كانت مرافقة النساء المحليات خرقاً للوائح العسكرية، ولكن ماذا سيفعلون إذا ما أرادوا معاقبتنا، يرسلوننا إلى وحدة قتالية؟

قاتلنا الألمان في إيطاليا لفترة من الوقت، ثم وُضعنا على متن سفينة إنزال للقيام بعملية غزو جنوب فرنسا، كان اسمها عملية دراغون، في 14 أغسطس 1944. واجهتنا بعض المقاومة عندما هبطنا. كان الاشتباك مع إطلاق النار الحقيقي هو الأكثر إزعاجاً. لكن الرصاص هو ذاته نفس الرصاص. طلقتان منه كافيتان للقضاء عليك.

عند الركض وسط أمواج الشاطئ في سانت تروبيز، اعتقدت أنني أصبت برصاصة. نظرت إلى أسفل ورأيت اللون الأحمر يلون جميع أجزاء بدلتى. ذهبت إلى الطبيب الملازم كافوتا من هازلتون، بنسلفانيا، ركض نحوي وصاح بي: «أيها السافل، هذا نبيد. أنت لست مصابًا. انهض واستمر، لقد أطلقوا النار على زمزميتك». كان شخصًا طيبًا.

تمكنا أخيرًا من إجبار الألمان على التراجع ودخلنا منطقة الألزاس واللورين، وهي إقليم يقع في فرنسا وألمانيا. كان لدي صديق من كنتاكي أطلقنا عليه اسم بوب. كان جنديًا جيدًا. لا يمكنك أن تقول إن مثل هذا الرجل جبان. يمكنك فقط أن تتعلم الكثير منه. رأيت بوب في الألزاس واللورين يخرج ساقه من وراء شجرة لكي يصاب بإصابة خطيرة حتى تتم إعادته إلى الديار. أطلقت النار بكثافة وأفقدته ساقه. نجا وذهب إلى الديار من دون ساقه.

كانت هناك طريقة أخرى رأيت فيها الرجال يفقدون أعصابهم قليلًا عندما يتعلق الأمر باصطياد الأسرى. في تلك الحالة كان هؤلاء الألمان يطلقون النار عليك، ويحاولون قتلك ويقذفون بأصدقائك إلى الجحيم، والآن لديك فرصة للنيل منهم، وهم يريدون الاستسلام. يأخذ بعض الأشخاص ذلك الأمر من ناحية شخصية، لذا ربما لا تفهم ما كانوا يقولون، أو إذا أخذتهم وهم على قيد الحياة وأعدتهم خلف خطوطك القتالية، فربما حاولوا الفرار. أنا لا أقصد القيام بمذبحة. إذا كان لديك عدد كبير من الأسرى فعليك إعادتهم، ولكن مع حفنة من الألمان أو أقل

فإنك فعلت ما كان عليك فعله وما توقعه الآخرون منك. أعطاني  
الملازم الكثير من الأسرى للتعامل معهم وفعلت ما عليّ فعله.  
في أثناء تبادل لإطلاق النار في الألزاس، تعرض ديفسي  
للإصابة بطلقة في الظهر في منتصف الطريق أعلى التل.  
التقطه المسعفون وبدؤوا بإنزاله إلى أسفل التل. لم يكن لديّ  
الكثير من المشاعر التي تركتها هذه المرة في الحرب، لكن يجب  
أن أقول إن رؤية الصغير ديفسي يتعرض لإطلاق نار على هذا  
التل هزت مشاعري. رأيت بندقيته على الأرض حيث سقط. إنهم  
لا يريدونك أن تفقد بندقيتك هناك. كان لا بد أن ألتقطها أو شيء  
من هذا القبيل، لذا طلبت تغطية من الرجال الآخرين، وزحفت  
وأخذت بندقية ديفسي ليصطحبها معه. عندما زحفنا جميعاً مرة  
أخرى إلى أسفل التل، قال لي ديفسي: «كان تصرفك هذا جنونياً.  
كان من الممكن أن تُقتل من أجل هذه البندقية اللعينة». قلت: «آه،  
لم يعرف الألمان أنهم تجاوزوا عددنا». كانت المرة الثانية التي  
رأيت فيها مصاباً بنيران العدو.

عندما كنا في منطقة الألزاس واللورين سمعنا أن الألمان قد  
شنوا هجوماً مضاداً في الشمال عبر غابة في بلجيكا لوقف  
تقدمنا بعد إنزال النورماندي، في ما أطلقوا عليه معركة الثغرة.  
كان الألمان يتقدمون في الثغرة، لذا كانت هناك حاجة لإرسال  
قوات الحلفاء من جبهتنا الجنوبية لتعزيز الجبهة الشمالية. تركت  
سريتنا لتغطية الجبهة الجنوبية الكاملة للفرقة؛ ما يعني أن 120  
رجلاً كانوا يغطون جبهة قد تكون مغطاة بفرقة كاملة مؤلفة من  
10000 أو 15000 جندي.

كل ما فعلناه هو التراجع. مشينا طوال ليلة رأس السنة في عام 1945. شاهدنا الفرنسيين من الألزاس وهم يسحبون الأعلام الأمريكية من فوق منازلهم ويبدوون في إعادة الأعلام الألمانية مرة أخرى. ولكن سرعان ما جاءت التعزيزات، عززنا قوتنا واندفعنا عائدين إلى الجزء الألماني من الألزاس.

من هناك قاتلنا في طريقنا إلى معسكرات الاعتقال في جبل هارز. في إحدى الليالي، اعترضنا قافلة من البغال تحمل الطعام الساخن للحراس الألمان في الأعلى. أكلنا حتى شبعنا ولوثنا ما تبقى بفضلاتنا. لم نمس النساء الألمانيات. لقد كن مثل النساء اللواتي يخدمن في جيشنا، كن يقمن بإعداد الطعام، فقرّرنا تركهن هناك. لكن قافلة البغال كان يقودها حفنة من الجنود الألمان. لم تكن لدينا أية نية لإعادتهم إلى أسفل الجبل، ولم نتمكن من أخذهم معنا في أثناء تقدمنا إلى الأعلى، لذلك قدمنا لهم معاول، وحفروا بأنفسهم قبورهم التي لم تكن عميقة. قد تتساءل لماذا يهتم أي شخص بحفر قبره بيديه، ولكن حينها أعتقد أنك تتشبث ببعض الأمل في أن الأشخاص الذين يحملون البنادق سيغيرون رأيهم، أو ربما يصل إلى المكان جنود من جيشك في أثناء الحفر وينقذونك، أو ربما إذا تعاونت وحفرت قبرك الخاص ستحصل على مئة نظيفة وجيدة دون أي وحشية أو معاناة. في ذلك الوقت، لم أفكر في القيام بما كان عليّ فعله. استدرنا يميناً عند جبال هارز وواصلنا المسير في خط مستقيم متجهين جنوباً في ألمانيا، استولينا على مدينة بامبرغ ثم مدينة نورمبرغ. أدى قصف تلك المدينة إلى تسويتها فعلياً

بالأرض. كانت نورمبرغ هي المكان الذي أقام فيه هتلر جميع مسيراته الكبيرة. لقد دُمّر كل رمز من رموز النازيين بعد أن نجا من القصف.

كان هدفنا هو الوصول إلى مدينة ميونيخ في إقليم بافاريا في جنوب ألمانيا، البلدة التي بدأ فيها هتلر مسيرته من حانة البيرة، لكننا توقفنا في الطريق لتحرير أسرى معسكر الاعتقال في داخاو.

يشير التقرير الحربي إلى أنه كانت هناك داخل المخيم نحو ألف جثة. كانت غرف الغاز ومحارق الجثث مشيدة -لأغراض عملية- جنباً إلى جنب. كُدّست الملابس والأحذية والجثث على حد سواء في أكوام أنيقة ومنظمة».

سمعنا شائعات عن الفضائع التي حصلت في تلك المعسكرات، لكننا لم نكن مستعدين لرؤية ما رأيناه بسبب الرائحة الكريهة التي كنا نشمها. إذا رأيت شيئاً كهذا فإنه سينطبع في ذاكرتك إلى الأبد. عندما ترى ذلك المشهد وتشم تلك الرائحة لأول مرة فإنهما سينطبعان في ذاكرتك إلى الأبد. تمّ وضع القائد الألماني الشاب ذي الشعر الأشقر المسؤول عن المعسكر وجميع ضباطه في سيارات جيب تتقلهم بعيداً. سمعنا إطلاق نار من بعيد. أما كل ما تبقى منهم -وكانوا نحو 500 جندي ألماني يحرسون معسكر داخاو- فقد تخلصنا منهم جميعاً في وقت قصير، وقام بعض ضحايا المعسكر الذين كانوا لا يزالون يمتلكون القوة باستعارة أسلحتنا وفعلوا ما كان عليهم فعله. ولم ترمش عين أي واحد عندما كان يقوم بذلك.

مكتبة

t.me/soramnqraa

بعد ذلك مباشرة، واصلنا المسير واستولينا على ميونيخ، وبعد نحو أسبوعين انتهت الحرب في أوروبا باستسلام ألمانيا غير المشروط.

بعد كل هذه السنوات وبعد أن هاجت مشاعري بتذكرها بدأت أحلم مرة أخرى بالقتال، إلا أن الأحلام كانت مختلطة مع أشياء بدأت أفعلها لأشخاص معينين بعد الحرب.

خرجت من المستشفى في 24 أكتوبر 1945، قبل يوم واحد من عيد ميلادي الخامس والعشرين، ولكن ذلك كان عمري الزمني، وليس الحقيقي.

## الفصل السابع

### الاستيقاظ في أمريكا

قابلت أخي الصغير توم مصادفة على رصيف الميناء في مدينة لو هافر في فرنسا، في أكتوبر 1945. كانت الحرب قد انتهت وكان كلانا في طريق العودة إلى فيلاديلفيا، ولكن على متن سفن منفصلة. لم يشهد توم سوى القليل من القتال. قلت له: «مرحباً يا توم». فأجابني: «أهلاً يا فرانك. لقد تغيرت! أنت لست الأخ نفسه الذي أتذكره قبل الحرب». كنت أعرف ما يقصده. هذا ما تفعله بك 411 يوماً من القتال. يمكن أن يراه على وجهي، وربما حتى في نظراتي.

جعلني التفكير في ما قاله أخي على رصيف ميناء لو هافر أتساءل عما إذا كان ينظر إلى روعي. كنت أعرف أن شيئاً ما في داخلي قد تغير. لم أعد أهتم بالكثير من الأمور. لقد خضت عملياً سنوات الحرب بأكملها؛ ماذا يمكن لأي شخص أن يفعل لي؟ شيء ما في تلك التجربة جعلتني أصبح قاسياً مع نفسي، وأن لا أتراخى مرة أخرى أبداً. لقد اعتدت على الموت. وعلى القتل. بالتأكيد، سوف تترك الجيش وتستمتع بوقتك، ولكن حتى ذلك له ميزة. لا أتذمر أو أي شيء آخر، لأنني كنت من المحظوظين لأنني خرجت سالماً. ولكنني إن لم أكن قد تطوعت في الجيش، لما كنت رأيت أيّاً مما رأيت أو فعلت أيّاً مما فعلته. كنت سأبقى في الولايات المتحدة بصفتي أحد أفراد الشرطة العسكرية وأرقص رقصة الجترينغ على أنغام أغنية «توكسيدو جانكشن».

حينما تسير على الشاطئ في أي بلد أوروبي وترى الجنود الأمريكيين في كل مكان على مد البصر، وهم لا يرتدون زيًا رسميًا، ويتحدثون الإنجليزية، ترتفع روحك المغنوية كثيرًا.

يمنحك الجيش 100 دولار شهريًا لمدة ثلاثة أشهر. يبدو أن الرجال الذين لم يذهبوا للحرب نالوا جميع الوظائف الجيدة وأنت عدت للتو من حيث أتيت وتحاول تعويض ما فاتك. عدت للعيش مع والداي في ويست فيلي وعدت إلى شركة بيرلشتاين لمتابعة عملي من حيث تركته كمتدرب. لكنني لم أستطع تحمل البقاء محبوسًا في وظيفة بعد أن تعودت العيش في الهواء الطلق طوال الوقت، حين شاركت في القتال خارج البلاد في أثناء أدائي الخدمة العسكرية. كان العاملون في شركة بيرلشتاين طيبين معي، لكنني لم أستطع تولي وظيفة الإشراف على العمال واستقلت بعد شهرين.

كنت أستيقظ، في صباحات عديدة، لأكتشف أنني في أمريكا، وأتفاجأ حين أجد نفسي في السرير. كنت أعاني من الكوابيس طوال الليل، ولم أكن أعرف أين كنت. سيستغرق الأمر بعض الوقت كي أتأقلم، لأنني لم أصدق أنني كنت في السرير. ماذا كنت أفعل في السرير؟ بعد الحرب لم أنم أكثر من ثلاث أو أربع ساعات في الليلة.

في تلك الأيام لم تكن تتحدث عن حدوث أشياء لك من هذا القبيل. لم يكن هناك شيء مثل متلازمة الحرب، لكنك تعلم أن هناك شيئًا قد اختلف.

لقد حاولت ألا تتذكر أي شيء من هناك، لكن الأشياء عادت إليك. لقد فعلت كل شيء لعين في بلدان أوروبا، من القتل بدم

بارد إلى تدمير الممتلكات إلى سرقة كل ما تريد وشرب الكثير من النبيذ والحصول على أكبر عدد ممكن من النساء كما تريد. لقد عشت كل دقيقة من كل يوم والخطر يهدد حياتك وأطراف جسدك. لا يمكنك المجازفة. في كثير من الأحيان كان لديك جزء من الثانية لتقرر أن تكون قاضيًا وهيئة محلفين وجلادًا. كان هناك قاعدتان فقط كان عليك أن تطيعهما. كان عليك أن تعود إلى وحدتك القتالية عندما تعود إلى خط القتال. وكان عليك أن تطيع الأوامر المباشرة في القتال. إذا خرقت إحدى هاتين القاعدتين ستحكم على نفسك بالإعدام، وسيُنْفَذ الحكم فورًا. من ناحية أخرى، تبدأ تتباهى بالسلطة التي تمتلكها. لقد فقدت الميزات الأخلاقية التي تراكمت في داخلك حين عشت الحياة المدنية، واستبدلت بها قواعدك الخاصة. لقد بنيت لنفسك غطاء صلبًا، كما لو كنت مغلفًا بالرصااص. كنت خائفًا أكثر من أي وقت مضى في حياتك. لقد قمت ببعض الأشياء، ربما ضد إرادتك في بعض الأحيان، لكنك فعلت ذلك، وإذا بقيت هناك لفترة كافية لم تعد تفكر فيها بعد الآن. لقد فعلتها وكأنك كنت تحك رأسك.

لقد رأيت الأشياء اللينة؛ جثث هزيلة مكدسة مثل جذوع الأشجار في معسكرات الاعتقال. أطفال صغار بالكاد نمت لحاهم ويكذبون حول أعمارهم لأجل السماح لهم بالمشاركة في القتال ثم يلقون مصرعهم، بل حتى رأيت رفاقك وهم موتى مستقلقين وسط الوحل. تخيل ما تشعر به عندما ترى جسدًا واحدًا فقط مسجى في قاعة الجنازات، في حين كنت ترى هناك جثة فوق الأخرى.

تعودت أن أفكر كثيرًا في الموت عندما عدت إلى الوطن. كان الجميع يفعل ذلك. ثم فكرت، ما الذي تقلق بشأنه؟ ليس لديك أي سيطرة على ذلك. تصورت أن الجميع يأتي إلى هنا مع تاريخين محددين له سلفًا. تاريخ ميلاده وتاريخ رحيله. ليس لديك أي سيطرة على أي من هذين التاريخين، لذا أصبح شعاري «ما مكتوب لك سيحدث لك». لقد تخطيت الحرب، فماذا يمكن أن يحدث لي؟ لم أعد أهتم كثيرًا بالأشياء. ما هو مقدّر له أن يحدث سيحدث.

لقد شربت الكثير من النبيذ في تلك البلدان. استخدمت النبيذ هناك بنفس الطريقة التي تستخدم فيها سيارات الجيب البنزين. وحافظت على هذا المسار عندما عدت إلى الوطن. اشتكت زوجتي من طريقتي النهمه في الشرب. كثيرًا ما قلت أنه عندما وضعوني في السجن عام 1981، وإن لم يكن ذلك قصد مكتب التحقيقات الفدرالي، إلا أنهم أنقذوا حياتي. لم يكن لديهم سوى سبعة أيام في الأسبوع، وكنت في الوقت الذي ذهبت فيه إلى السجن أشرب ثمانى مرات في الأسبوع.

في ذلك العام الأول جربت وظائف مختلفة. عملت لدى أسواق بينيت كول آند آيس كلما احتاجوا إليّ. كنت أنقل الثلج إلى البيوت في الصيف -كنت أحمل قالبين في صندوق الثلج- لم يكن لدى الكثير من الناس ثلاجات كهربائية بعد الحرب. في الشتاء كنت أوصل إلى البيوت فحم التدفئة. كان من المضحك أن وظيفتي الأولى في السابعة كانت تنظيف الرماد الذي يخلفه الفحم وراءه، والآن بدأت أبذل أقصى جهدي في توصيل الفحم للناس. عملت

في شركة للنقل لمدة شهر. عملت في تكديس أكياس الأسمنت في مصنع للأسمنت طوال يوم كامل. عملت كعامل إنشاءات كلما لاحت لي فرصة. أنا لم أسرق أحد البنوك. عملت حارسًا ودرست الرقص في قاعة فاغنر للرقص بدوام جزئي أيام الثلاثاء والجمعة والسبت. واحتفظت بهذه الوظيفة لمدة عشر سنوات.

عملت في الكثير من المهن التي أحاول الآن أن أتذكرها. كانت أحد الأعمال التي أتذكرها هو قيامي بأخذ وعاء يحوي مزيج فطيرة التوت الساخن فور خروجه من الفرن إلى ناقل شديد البرودة مصنوع من الألمنيوم. كنت كلما أقوم بإماليته أكثر يصبح التوت أكثر برودة قبل أن يُحشى داخل الفطائر المعروفة باسم تيستي كيك. كان المشرف على العمل يحثني على أن أحرك الوعاء بقوة. كان يقول لي: «أنت تتراخى بعض الشيء في تحريك الوعاء». حاولت أن أتجاهله، فقال لي: «هل سمعت ما قلته يا فتى؟» سألته: إلى من يعتقد أنه يتحدث بحق الجحيم. قال: «أنا أتحدث إليك يا فتى». ثم قال إن لم أبذل المزيد من الجهد في العمل فإنه سيلصق الوعاء في مؤخرتي. قلت له: إنني سأفعل ذلك بشكل أفضل وسوف أضع الوعاء في حلقة. كان رجلًا أسود ضخماً فهجم عليّ. لكمته ووضعتة على حزام الناقل دون وعي مني. حشوت التوت في فمه. هكذا توليت أمره. كان على رجال الشرطة إخراجي من هناك.

بعد ذلك ذهبت والدتي لرؤية سناطور الولاية وكان يدعى جيمي جادج. كانت لأمي بعض العلاقات مع السياسيين. كان أحد إخوتها طبيباً في فيلادلفيا. وآخر كان يشغل منصباً كبيراً في اتحاد

العاملين في صناعة الزجاج وكان عضو مجلس الملاك، وهو مثل عضو مجلس محلي، في مدينة كامدن. وكان هو الشخص الذي وفر لي فرصة التدريب المهني النقابي في شركة بيرلشتاين. على أي حال، ذات صباح عندما استيقظت أخبرتني بأنها اتفقت مع السيناتور ليصطحبني إلى شرطة ولاية بنسلفانيا. كل ما كان علي فعله هو اجتياز اختبار اللياقة. أردت أن أكون ممثلاً له، ولكن كان هذا آخر شيء أردت القيام به، لذلك لم أذهب قط لأقدم احترامي للسيناتور. بعد مرور عدة سنوات عندما أخبرت إف. إيميت فيتزباتريك المحامي الذي كان يدافع عني بذلك، قال لي: «أي نوع من رجال الشرطة كنت ستصبح؟» فقلت: «كنت سأصبح شرطياً ثرياً». كنت سأعتقلك بسبب قضايا مثل الاغتصاب وإساءة معاملة الأطفال وأشياء من هذا القبيل. وأي شيء آخر وأنت في طريقك إلى القيام بتسوية خارج المحكمة.

حاولت أن أكون هادئاً من جديد كما كنت قبل أن أذهب في الحرب، لكنني لم أستطع أن أفعل ذلك. لم يكن الأمر يتطلب بذل الكثير من الجهد حتى يمكن استفزازي. كنت أغضب بسرعة. ساعد الشرب في تخفيف ذلك قليلاً. كما كنت أتسكع مع أصدقائي القدامى. ساعدتني كرة القدم والبيسبول قليلاً أيضاً. لعبت في خط الدفاع مع فريق نادي شاناهان. كان صديقي القديم يانك كوين لاعب الوسط. كانوا يستخدمون خوذات كرة القدم الجلدية في تلك الأيام، ولكن بسبب رأسي الكبير لم أستطع أن أرتاح في واحدة منها، لذا وضعت قبعة من الصوف على رأسي في أثناء اللعب، لم يكن غرضي التبجح بشجاعتي أو بأي شيء

آخر، ولكن كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنني الحصول عليه ليناسب رأسي الكبير. ليس هناك شك، لو أنني كنت قد وُلدت لاحقًا، في أوقات أفضل، لكنت أفضل أن أحاول أن أصبح لاعب كرة قدم محترف. لم أكن فقط ضخمة البنية. كنت قويًا وسريعًا جدًا ورشيقيًا جدًا ولاعبًا ذكيًا. لقد رحل جميع زملائي في الفريق الآن ما عدا واحدًا منهم. وكما قلت، حياتنا جميعًا عبارة عن تنقل بين المحطات، لا نعرف متى نصل إلى المحطة الأخيرة. مثل كل الشباب اعتقدنا في ذلك الوقت أنه كان علينا أن نعيش إلى الأبد.

بعد ظهر أحد الأيام، ذهب عدد منا إلى وسط المدينة لبيع دماننا بمبلغ عشرة دولارات لكل نصف لتر، للحصول على مزيد من المال لكي نواصل شرب الكحول والبيرة. في طريق العودة رأينا إعلانًا لأحد المهرجانات. كان يشير إلى أنه إذا استطعت أن تفوز في نزال ملاكمة مع حيوان الكنغر في ثلاث جولات، فستريح 100 دولار. كانت تلك صفقة أفضل من أموال بيع الدم التي جمعناها للتو، لذلك ذهبنا إلى المهرجان.

كان لديهم كنغر مدرب في الحلبة ويرتدي قفازات الملاكمة. اتفق أصدقائي على أن ألكم الكنغر. كانت لدى الكنغر ذراعان قصيرتان، لذلك تصورت أنني سأبرحه ضربًا. قدموا لي القفازات وبدأت بتوجيه اللكمات إليه، لكن ما لم أكن أعرفه هو أن الكنغر لديه فك طليق، لذا عندما تضربه لا يذهب أثر الضربة إلى دماغه ويفقد الوعي. كنت أوجه لكماتي إلى ذلك الفك فقط، فمن ذا الذي يريد إيذاء كنغره؟ ولكن عندما لم أتمكن من الوصول

إلى أي نتيجة معه باستخدام لكماتي، تركت فكه ووجهت له لكمة علوية اليمنى، كانت ضربة قوية فعلاً. سقط الكنغر أرضاً. شعرت بضربة شديدة على الجزء الخلفي من رأسي في المكان الذي كان الرجل العجوز معتاداً على أن يضربني فيه. تخلصت منه وعدت إلى توجيه اللكمات إلى الكنغر الذي كان يقفز في كل مكان، وأنا أحاول معرفة من ابن الزنا الذي يضربني من الخلف.

كان هناك شيء آخر لم أكن أعرفه، هو أن الكنغر يدافع عن نفسه بواسطة ذيله. كان له ذيل طوله ثمانية أقدام يقوم بجلدك من الخلف عندما تطرح الكنغر أرضاً. وكلما ضربته بشدة أكبر، كان ذيله يوجه لي ضربات بشكل أشد وأسرع من الخلف. لم أر قط ذلك الذيل وهو يضربني من الخلف، ولم أنتبه قط لقفاز الملاكمة الموجود على طرف الذيل. كان لديه ذيل يمتد مسافة ثمانية أقدام لم أكن أعرف عنه شيئاً.

في الواقع، كان اهتمامي منصباً على فتاة أيرلندية جميلة كانت تجلس في المدرجات، ترتسم على وجهها أحلى ابتسامة. كنت أحاول التباهي أمامها. كان اسمها ماري ليدي، وكنت قد رأيته في الحي، لكنني لم أتحدث معها قط. سرعان ما ستغير اسمها إلى السيدة فرانسيس ج. شيران، لكنها لم تكن تعلم ذلك في حينها فقد كانت تجلس في الصف الثالث، تضحك مع بقية حشد المتفرجين.

كان أصحابي يضحكون في الفترة التي تفصل بين الجولتين الأوليين مثل المجانين، لكنني لم أكن أعرف ما الذي يحدث. خرجت للجولة الثانية، ولم يكن الأمر يختلف كثيراً سوى أنني

في هذه المرة أسقطت الكنفر مرتين -وهو أمر لم يكن سهلاً في البداية- وتلقيت ضربة على مؤخرة الرأس مرتين. بدأت أشعر بالدوار بسبب تناولي المشروبات طوال اليوم وبيع دمي، والضربات التي تلقيتها على مؤخرة الرأس. ولم أكن أبدو بحالة جيدة للفتاة الجالسة في الصف الثالث أيضاً.

بين الجولتين الثانية والثالثة سألت رفاقي ماذا يحدث بحق الجحيم. «من يضربني على رأسي؟» قالوا لي إنه الحكم، إنه لا يحب الأيرلنديين. توجهت نحو الحكم وأخبرته بأنه إذا ضربني على مؤخرة رأسي مرة أخرى سأضربه. فقال: «عد إلى هناك وقاتل أيها المبتدئ».

وصلت حينها إلى الحلبة وأنا أنظر بعين إلى الكنفر وبالأخرى إلى الحكم. كنت حينها أشعر بغضب عارم حقاً، وقد هجمت على ذلك الكنفر. ضربني بذيله بشدة جعلت رأسي يؤلمني لمدة ثلاثة أيام. قفزت إلى الحكم ولكمته. قفز أصدقاء الحكم إلى الحلبة من خلفي، وقفز أصدقائي بعدهم. كان لدى رجال الشرطة مهمة عصبية في تلك الحلبة لحل الأمور.

تم اقتيادي إلى موكو، وهو الاسم الذي كنا نطلقه على سجن المدينة المعروف بسجن مويامينسينج، الواقع في الشارع العاشر في حي مويامينسينج في مدينة فيلادلفيا الجنوبية. في تلك الأيام كانوا يبقونك بشكل غير رسمي لفترة من الزمن ويسمحون لك بالخروج دون أي إجراءات قانونية. كانوا لا يفعلون لك أي شيء ما لم تطلب ذلك. كانوا لا يضيعون وقتهم على أشياء تافهة. عندما اعتقدوا أنني حصلت على ما يكفي من العقاب أطلقوا سراحني.

توجهت مباشرة إلى منزل ماري ليدي، وطرقت بابها، ودعوتهما للخروج معي. حددنا موعدًا لمشاهدة حفل فرقة المغني إرسكين هوكينز الموسيقية في مسرح إيرل. استمتعنا كثيرًا. كانت ماري كاثوليكية صارمة حقيقية، وكنت أنا محترمًا جدًا. كان شعرها بنيًا داكنًا جميلًا، وتملك وجه فتاة أيرلندية كان أكثر الوجوه التي رأيتهما في حياتي جمالًا. ويا فتى، كانت تجيد الرقص! وضعت في بالي في تلك الليلة أن هذه هي الفتاة التي سأتزوجها. أردت أن أستقر. لقد تسكعت بما فيه الكفاية. كانت نيتي حسنة.

يقولون إن الفتيات الجيدات مثل الأولاد السيئين. فالأضداد ينجذب بعضها إلى بعض. لقد أحببتي ماري، لكن عائلتها كرهتني. ظنوا أنني أنتمي إلى ما اعتادوا على تسميته «مدن الصفيح الأيرلندية»، وأعتقد أنهم ظنوا أنفسهم ينتمون إلى ما كانوا يسمونه «الأيرلنديون ذوو ستائر الدانتيل». أو ربما رأوا شيئًا ما لم يعجبهم في شخصي. ومهما بذلت من جهد مضني كانوا غير قادرين على التنبؤ كيف ستكون حياتي مع ابنتهم.

كانت ماري تذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد، ورحت أذهب معها. كنت أحاول جاهدًا إرضاءها. في عام 1947 تزوجنا في كنيسة أم الأحزان، حيث كنت قد استبعدت من دوري كصبي مذبح بسبب شربي النبيذ المقدس. كنت لا أزال بلا عمل ثابت، ألتقط العمل حيثما استطعت، وكنت أعمل حينها مدربًا في قاعة الرقص واغنر.

ذهبت إلى أربع شركات تمويل واقتضت مئة دولار من كل شركة حتى يتمكن من الزواج. وحينما جاء جباة القروض،

أقنعتهم أن يقولوا للشركة إنهم لم يتمكنوا من العثور عليّ. أحد الذين أقنعتهم قال إن القضية قد تولاها المشرف على عمله، والذي قرر عدم التعاون ولم يقتنع بقصة اختفائي وظهر ذات ليلة في متاجر واغنى ببحث عن فرانك شيران. لم يكن يعلم أن من كان واقفاً على الباب هو أنا. قلت له أن يتبعني وسأخذه ليقابل السيد شيران. تبعني إلى الحمام فوجهت لكمة إلى بدنه وأخرى إلى فكه، فانصرف حينها. لم أطرده ولم أفعل له أي شيء. أردت فقط أن أتأكد من أنه قد فهم أن السيد شيران كان مشغولاً جداً فلن يتمكن من رؤيته في تلك الليلة أو في أي ليلة أخرى. ولقد فهم الرسالة.

كانت ماري تملك وظيفة جيدة حيث كانت تعمل سكرتيرة في كلية فيلادلفيا للصيدلة. لم نتمكن من تحمل مصاريف العيش بمفردنا في البداية، ولذا، ومثل معظم أصدقائنا، كنا نعيش مع والديها في بدء حياتنا الزوجية. لا أنصح بذلك لأي زوجين يمكنهما العيش بمفردهما. في ليلة الزفاف أقمنا حفل استقبال في منزل والديها، وتناولت بعض المشروبات وأعلنت أنني سأعيد جميع هدايا الزفاف التي جاءتني من أفراد أسرتها. إذا كانوا لا يريدونني فأنا لا أريد هداياهم، وكذلك لا أنصح بذلك أيضاً. كنت لا أزال أغضب بسرعة وهي الصفة التي تعود إلى أيام الحرب. وفقاً لسجلي الجنائي، حدث أول إجراء قانوني حقيقي بحقي في 4 فبراير 1947. لا بد أن اثنين من الأشخاص المتكبرين ممن كانوا يستقلون إحدى عربات الترام قد قالوا شيئاً لم يعجبني، أو ربما نظروا إليّ بطريقة خاطئة. لم يستغرق الأمر الكثير في تلك

الأيام. خرجنا نحن الثلاثة من العربة للقتال. بدأت أضرب كليهما، ثم وصل رجال الشرطة وأخبرونا بأنه من الأفضل أن نذهب من هنا. كان الرجلان سعيدين بالخلاص من هذا المأزق. أخبرت الشرطي بأنني لن أذهب إلى أي مكان إلا بعد أن أنتهي منهما. ما حدث بعد ذلك أنني بدأت أقاتل ثلاثة رجال شرطة. في هذه المرة حجزوني بتهمة السلوك غير اللائق ومقاومة الاعتقال. كان لديّ سكين جيب في جيبتي. ولكي يزيد مبلغ كفالتي وجهوا لي تهمة حمل سلاح مخفي. مع إنني لو أردت أن استخدم سلاحاً، فلن يكون سكيناً. دفعت الغرامة، ووضعوني تحت المراقبة.

استطعنا توفير بعض المال أنا وماري ولم نقم طويلاً مع والديها، وظللت أبحث عن عمل دائم. عملت في شركة «بود» للتصنيع حيث كانوا يصنعون أجزاء من جسم السيارة. كان عملاً يليق بالعبيد فقط، وكان أشبه بمسلخ حقيقي. لم يكن لديهم معايير سلامة لائقة. في كثير من الأحيان يفقد شخص يده أو إصبعه. ينسى الناس اليوم مدى فائدة نشاط النقابات في الحصول على ظروف عمل لائقة. لم أشعر برغبة في التبرع بذراعي لشركة «بود»، ومن جديد تركت ذلك المكان، لكن هذه الوظيفة تركت انطباعاً عندي، كان لا يزال حاضراً عندما دخلت إلى العمل النقابي لاحقاً.

وسط حالة اليأس من الحصول على وظيفة، ذهبت إلى شارع جيرارد الذي يضم شركات الجزارة الحقيقية. رأيت رجلاً أسود يحمل ذبيحة ليضعها في شاحنة تابعة لشركة «سويفت» لبيع اللحوم. سألته إن كان يتوافر عمل في الشركة، فأرسلني إلى رجل

سألني عما إذا كنت أظن أن بإمكانني العمل في نقل الذبائح. كنت أذهب إلى صالة الألعاب الرياضية ثلاثة أيام في الأسبوع وأضرب كيسًا ثقيلًا، وهو كيس الملاكمة، وأرفع الأثقال، وألعب كرة اليد. بالإضافة إلى أنني كنت أقوم بتدريس الرقص، لذلك التقت بإحدى الذبائح وحملتها وكأنها شريحة صغيرة من لحم الخنزير، وحصلت على الوظيفة.

كان الرجل الأسود يُدعى بودي هوكينز، أصبحنا أصدقاء. عند وقت تناول الإفطار في كل صباح، كان بودي يجلب زجاجة ويسكي وقطعة كبيرة من فطيرة التفاح الفرنسية. قدمني بودي إلى دستي ويلكنسون، وهو ملاكم أسود في فئة الوزن الثقيل، كان قد واجه البطل جيرسي جو وولكوت ذات مرة. كان نزالهما شرسًا جدًا. كان دستي إنسانًا طيبًا وأصبحنا أصدقاء. كان ملاكمًا جيدًا، لكنه لم يكن يحب التدريب. عمل حارسًا في نادٍ لرقص السود يُدعى قاعة نيكسون وفي حانة الديك الأحمر، في بلدة تينث والاس. كنت أزورها وأقضي بعض الوقت مع دستي في الحانة وأشرب مجانًا.

بعد حصولي على وظيفة براتب ثابت وحمل ماري، تمكنت من تقديم استقالتها من وظيفتها، وتمكننا من تحمل مصاريف العيش بشكل مستقل. استأجرنا منزلًا في شمال مدينة داربي. كنا ندفع نصف الإيجار مقابل رعاية ماري ابنة صاحبة المنزل خلال النهار.

ثم وُلدت الطفلة الأولى، ماري آن، في عيد ميلاد ماري. لا يوجد شعور بالسعادة أكبر من ذلك. لقد تعهدت بجني أكبر قدر

ممکن من المال لعائلي. وكوننا كاثوليكيين، كان علينا أن نقبل بأي عدد من الأطفال يرزقنا بهم الله. أقمنا حفلة ترميد لطيفة لماري آن في المنزل. زارنا دستي في المنزل، وهو أمر غير معتاد في عام 1948 في فيلادلفيا. كان نادي فيلادلفيا فيليز للبيسبول آخر فرق الدوري الرئيسة الذي ضم لاعباً أسود إلى صفوفه.

بعد عملي في تحميل الشاحنات لفترة معينة، حصلت أخيراً على وظيفة نقابية ثابتة وجيدة كسائق شاحنة في سلسلة متاجر لبيع الأغذية. احتفظت بهذه الوظيفة لمدة عشر سنوات. كنت أقوم بتوصيل الدجاج واللحم في الغالب. علمني دستي كيف أحتفظ جانباً ببعض الدجاج وأبيعه لصالحه. كنت أضع جانباً بعض الدجاج وأستبدل به الثلج حتى يبقى وزن الصناديق دون تغيير. كنت أقود شاحنتي بجوار حانة ريد روستر، كان دستي يقف قبالة الناس الواقفين في طابور لشراء الدجاج. كان يبيع دجاجة كاملة طازجة بدولار واحد، بعدها نقسم المال بيننا. إذا كان لدي ستون دجاجة إضافية، فهذا يعني أنني سأحصل على 30 دولاراً.

وُلدت ابنتي بيغي بعد أكثر من عام بقليل، ومع العمل المستمر في متجر الأغذية، والعمل الإضافي في قاعة الرقص واجنر، والأموال التي كانت تأتيني من بيع الدجاج، كانت الأمور تبدو مزدهرة في أسرة شيران. كما أن والدتي ماري كانت تقدم بعض المساعدة.

كنت حينها أنتقل لبضعة أيام من قاعة الرقص واغنر لأعمل حارساً في قاعة نيكسون، أقف على بابها مع دستي لتنظيم

دخول الناس إليها . كانت الفتيات السود يعبرن عن إعجابهن بي ليجعلن أصدقائهن يشعرون بالغيرة، وكان عليّ تهدئة الجميع . ذات يوم جاءني دستي بفكرة . قال لي : لقد بدأ الرجال يعتقدون أنني خائف من قتالهم لأنني كنت أهدئهم ؛ لذا توصلنا إلى صفقة حيث أترجع وأستمر في التراجع ، بينما يراهن داستي على أنني سأبرحهم ضرباً . عندما يكون الرهان لصالح دستي فإنه يومئ برأسه وأقوم أنا بضرب الرجل حتى يفقد وعيه . لا أعرف ما إذا كنت قد ضربت أحداً من قبل ، لكن كان أفضل مكان لضربه هو المكان الذي يلتقي فيه الفك بالأذن . إذا أمسكته بشكل صحيح فإن الشخص سيقع على وجهه . كانوا دائماً يمسكون قميصي ويمزقونه ويطرحوني أرضاً ، لذلك اتفقت مع مالكي قاعة نيكسون على أن أحصل على قميص أبيض جديد كل ليلة كجزء من راتبي . على أي حال ، كنا أنا ودستي نتقاسم الربح الناتج من تلك الرهانات . لسوء الحظ ، لم يدم ذلك طويلاً . فبعد مرور فترة قصيرة جداً لم يعد هناك متطوعون .

أصبح لدينا ابنة ثالثة في عام 1955 ، دولوريس . كنا نذهب أنا وماري إلى الكنيسة كل يوم أحد ، وكان لدى الأطفال قداس خاص بهم . كانت ماري تحضر صلاة النوفينا<sup>(9)</sup> في مواعيدها وتحضر جميع طقوس الأسرار<sup>(10)</sup> ، كانت مريم أمّاً رائعة ، وكانت فتاة هادئة

---

(9) صلاة مسيحية خاصة أو عامة تتكرر لمدة تسعة أيام أو أسابيع متتالية .  
(المترجم) .

(10) طقوس يقوم بها الكاهن لإحلال بركة إلهية على أحد أبناء الكنيسة .  
(المترجم) .

جداً مثل والدتي، لكنها كانت تظهر مودتها للفتيات، وكان القيام بذلك صعباً بالنسبة إلي، لأنني لم أحصل عليه قط عندما كنت طفلاً. لقد تعلمت القيام بذلك مع أحفادي أكثر مما تعلمته مع أطفالي. ربّيت مريم الفتيات. لم تسبب لي أي واحدة من بناتي إزعاجاً جراء سلوكهن. ليس بسبب رعايتي لهن، بل بسبب اهتمام والدتهن بهن وطريقة تربيتهن.

كنت أصطحب ابنتي الثانية بيغي معي إلى نادي جوني مونك. كانت ماري آن تحب البقاء في المنزل مع والدتها والطفلة الجديدة دولوريس. كان نادي جوني مونك هو الأفضل في بلدتنا. كان مطعمه يقدم طعاماً ممتازاً. كنا نذهب هناك في ليلة رأس السنة الجديدة، على الرغم من أن ماري لم تكن تشرب الخمر. أحببت ماري التنزه مع الأطفال، وكنا نأخذهن إلى متنزه ويلو غروف الترفيهي. لم أكن أركض دائماً. عندما كنّ أصغر سنّاً، كنت أصطحبهن في نزهة. كنت قريباً جداً من بيغي، لكنها لم تعد تتكلم معي منذ اختفاء جيمي.

تغير كل شيء عندما بدأت التسكع في وسط المدينة. كان بعض السائقين في متجر الأغذية إيطاليين، وبدأت أذهب معهم إلى وسط المدينة لرتاد الحانات والمطاعم التي يقضي أشخاص معينون أوقاتهم فيها أيضاً. كنت حينها قد دخلت إلى مجتمع جديد.

أشعر بالحزن حيال ذلك الآن. لم أكن أباً سيئاً، لكنني بدأت أهمل عائلتي قليلاً، وكانت ماري امرأة ممتازة متساهلة معي جداً. ثم في مرحلة ما، حين انضمت إلى ذلك المجتمع الجديد

وتغيبت عن المنزل، لكنني كنت أحضر نقودًا كل أسبوع. وحين كنت أتصرف بشكل جيد، كانت ماري تعاملني أيضًا بشكل جيد. كنت حقيرًا وأناانيًا. اعتقدت أنني أفعل المطلوب مني من خلال إعطاء المال، لكنني لم أمنح الأطفال ما يكفي من الوقت كوني رب أسرة. ولم أعط زوجتي الوقت الكافي. كان الأمر مختلفًا في الستينيات عندما تزوجت من زوجتي الثانية، إيرين، وأصبحت عندي ابنة رابعة تدعى كوني. في ذلك الوقت، كنت أعمل مع هوبا ونقابة سائقي الشاحنات، وكان دخلي ثابتًا وكنت أكبر سنًا وأقضي وقتًا أطول في المنزل. لم أعد أتحايل. كنت بالفعل في مكاني الصحيح.

في وقت ما في الخمسينيات أتذكر أنني شاهدت فيلم «على الواجهة البحرية» في السينما مع ماري. كنت أعتقد أنني رجل سيئ ولكنني على الأقل كنت مثل شخصية مارلون براندو في الفيلم، وددت لو أنني انخرطت في العمل النقابي في يوم من الأيام. منحني عملي في نقابة سائقي الشاحنات الأمان والاستقرار الوظيفي من خلال عملي في متجر الأغذية. لا يمكنهم طردك إلا إذا قبضوا عليك متلبسًا بالسرقة. دعني أوضح الأمر بطريقة أخرى، يمكنهم طردك فقط قبضوا عليك متلبسًا بالسرقة، واستطاعوا إثبات ذلك.

## الفصل الثامن

### راسل بوفالينو

في عام 1957 ظهرت منظمات المافيا إلى العلن. كان ذلك عن غير قصد، لكنه حدث. قبل عام 1957 كان من الممكن أن يختلف الرجال العقلاء حول ما إذا كانت هناك شبكة منظمة من العصابات موجودة في أمريكا. على مدى عدة سنوات، كان مدير مكتب التحقيقات الفدرالي ج. أدغار هوفر يؤكد أن لا وجود لمثل هذه المنظمات في أمريكا، وسخّر معظم مصادر مكتب التحقيقات الفدرالي للتحقيق مع الشيوعيين المشتبه فيهم. ولكن نتيجة كشف أمر منظمات المافيا في عام 1957 إلى العلن انشغل هوفر نفسه بالموضوع. أطلق على منظمات المافيا لقب «لا كوسا نوسترا» La Cosa Nostra، وهذه العبارة تعني باللغة الإيطالية «الشيء الخاص بنا»، وهو مصطلح سُمع خلال تنصت الحكومة على المكالمات الهاتفية التي تجري بين رجال المافيا.

ومن المفارقات، أن راسل بوفالينو الذي كان يخجل من الأضواء كان له علاقة بانكشاف أمر المافيا الذي لم يكن يرغب فيه في عام 1957. فقد ساهم راسل بوفالينو في تنظيم الاجتماع الشهير لعَرَّابي المافيا وكبار زعمائها من جميع أنحاء البلاد في بلدة أباتشين في نيويورك، في نوفمبر 1957. تمت الدعوة إلى الاجتماع لتسوية المشكلات المحتملة التي كان من الممكن أن تتدلع في أعقاب حادثة إطلاق النار على ألبرت أناستاسيا عَرَّاب إحدى عصابات المافيا في أكتوبر 1957 حين كان على

كرسي الحلاقة واضعاً على وجهه منشفة ساخنة في فندق بارك شيراتون في نيويورك.

تسبب اجتماع أباتشين في إلحاق الأذى بالماфия أكثر من تقديم فائدة لها. كانت الشرطة في أباتشين تشتهر في كل نشاط للماфия في المنطقة وداهمت المنزل الذي عُقد فيه الاجتماع. حدث هذا قبل أن تغير المحكمة العليا الأمريكية جميع قوانين التحري والاعتقال. أُلقي القبض على ثمانية وخمسين من أعتى رجال العصابات في أمريكا من قبل الشرطة. وفرّ خمسون فرداً أو نحو ذلك راكضين عبر الغابة.

أضف إلى ذلك، إن المواطنين تمكنوا في عام 1957 من إلقاء نظرة فاحصة على أنواع من الجريمة المنظمة كانت تقدم كل يوم على شاشة التلفزيون خلال نقل جلسات الاستماع للجنة ماكيلان حول الجريمة المنظمة التابعة لمجلس الشيوخ في الولايات المتحدة. كان بثاً بالأبيض والأسود تشاهده أمريكا كلها، بشكل لا تستطيع أي صحيفة القيام به، ظهر عتاة المجرمين وهم يرتدون خواتم الخنصر الماسية ويتشاورون بهدوء مع محاميهم، ثم يتحولون في كراسيهم لمواجهة أعضاء مجلس الشيوخ ومستشارهم، بوبي كينيدي، وكانوا يعلنون بأصواتهم الخشنة الأجشة لجوءهم إلى التعديل الخامس<sup>(11)</sup> عند كل سؤال يوجه إليهم. كانت معظم هذه الأسئلة تحمل اتهامات بالقتل والتعذيب

---

(11) التعديل الخامس لدستور الولايات المتحدة الأمريكية ينص على: «لا يجوز اعتقال أي شخص لاستجوابه بشأن جريمة شائنة أخرى، إلا تبعاً لصدور قرار اتهامي أو مضبطة اتهام عن هيئة محلفين كبرى». (المترجم).

والأنشطة الإجرامية الرئيسة الأخرى. أصبحت الفقرة التالية جزءاً من أساليب تعبيرهم في الخمسينيات: حضرة «السيناتور، بناء على نصيحة المحامي، أرفض بكل احترام الإجابة عن هذا السؤال على أساس أنه قد يميل إلى تجريمي». وبالطبع، كان الجمهور ينظر إلى تلك الإجابة على أنها اعتراف بالذنب.

لم يكن يتم اتخاذ أي قرار رئيس في الهيئة العليا للمافيا التي تعرف باسم «اللجنة» دون موافقة راسل بوفالينو. ومع ذلك، لم يكن الرأي العام يعرف عنها شيئاً قبل جلسات الاستماع للمشاركين في اجتماع أبالاتشين أمام أعضاء لجنة ماكليان. على عكس آل كابوني أو دابر دون، الذين كانوا يتفاخرون بكونهم من زعماء المافيا، لا يمكن المرء حين يرى بوفالينو الهادئ أن يتصوره زعيم مافيا، بل يعتقد نموذجاً للمهاجرين الإيطاليين. وُلد روزاريو بوفالينو عام 1903 في صقلية، وفي السنوات التي تلت جلسات الاستماع إلى المشاركين في اجتماع أبالاتشين وأعضاء لجنة ماكليان، نجحت وزارة العدل في إصدار قرار بترحيل بوفالينو، مع صديقه المقرب وحليفه كارلوس مارسيلو، زعيم عصابات الجريمة في نيو أورليانز. وعلى الرغم من أن شراء تذاكر الطائرة بالفعل والترتيبات التي أجراها لأخذ بعض أمواله معه، نجح بوفالينو في إلغاء قرار الترحيل في المحكمة. اختار مكتب التحقيقات الفدرالي -لعدم رغبته في أن يستغل كارلوس مارسيلو فرصة وجوده في المحكمة- أن يلتقط كارلوس -وهو صديق راسل المقرب- من شوارع نيو أورليانز ويضعه على متن طائرة إلى غواتيمالا. كانت لدى كارلوس شهادة ميلاد

غواتيمالية، وبحسب مكتب التحقيقات الفدرالي، لم يكن لديه حقوق مواطن أمريكي. عاد مارسيلو أدراجه وهو غاضب وحانق واستطاع أيضًا إلغاء قرار الترحيل في المحكمة.

على الرغم من ضغوط الحكومة استمر بوفالينو في إدارة أعماله وجعلها مزدهره. كشف تقرير بنسلفانيا للجريمة المنظمة لعام 1980 الذي كان بعنوان «عقد من الجريمة المنظمة» أنه بحلول ذلك الوقت: «لم يعد هناك وجود لرؤساء عائلات الجريمة المنظمة مثل ماجادينو أو جينوفيز، أصبح أفراد هذه العائلات الآن تحت سيطرة راسل بوفالينو».

حددت لجنة الجريمة المنظمة في بنسلفانيا بوفالينو شريكًا صامتًا لأكبر مورد للذخيرة لحكومة الولايات المتحدة، شركة ميديكو أندستريز. كان لدى راسل بوفالينو مصالح سرية في كازينوهات لاس فيغاس واتصالات ليست سرية جدًا بالدكتاتور الكوبي فولجنسيو باتيستا، الذي أطاح به فيدل كاسترو عام 1959. بسبب بركات باتيستا، كان بوفالينو يمتلك مضمار سباق وكازينو كبير بالقرب من هافانا. خسر بوفالينو الكثير من المال والممتلكات، بما في ذلك مضمار السباق والكازينو، عندما أخرج كاسترو المافيا من الجزيرة.

ذكرت مجلة تايم في يونيو 1975، قبل أسبوع من اغتيال سام جيانكانا «مومو» في شيكاغو وقبل شهر من اختفاء جيمي هوبا في ديترويت، وخلال جلسات استماع مجلس الشيوخ لأقوال لجنة الكنيسة حول علاقات وكالة المخابرات المركزية مع عصابات الجريمة المنظمة، أنه تم تجنيد راسل بوفالينو بنجاح من قبل

وكالة المخابرات المركزية لمساعدتها في المؤامرة الغامضة التي جرت بمشاركة رجال العصابات ووكالة المخابرات المركزية لقتل كاسترو. خلصت لجنة السناطور فرانك تشيرش إلى أن بوفالينو كان جزءاً من مؤامرة غامضة لاغتيال كاسترو باستخدام أقراص سامة قبل غزو خليج الخنازير عام 1961 مباشرة.

وحصل بوفالينو على ثلاثة قرارات تبرئة له من نشاط الجريمة المنظمة في السبعينيات. آخرها، قضية ابتزاز اتحادية، أسقطت قبل خمسة أيام فقط من اختفاء جيمي هوبا. وذكرت صحيفة بوفالو إيفنينج نيوز في 25 يوليو 1975: إن بوفالينو قال: «لقد سارت الأمور بالطريقة التي توقعتها»، وكانت له علاقة بتخطيط وكالة المخابرات المركزية لغزو خليج الخنازير. في نفس اليوم، ذكرت صحيفة ديموكرات وكرونيكل التي تصدر في مدينة روتشستر في نيويورك: «عندما سُئل بوفالينو عما إذا كان سيتقاعد، أجاب: أود أن أتعاعد، لكنهم لن يسمحوا لي بالتقاعد. عليّ أن أدفع أجور المحامين».

كانت منطقة نفوذ عصابة راسل بوفالينو تشمل بنسلفانيا خارج فيلادلفيا، شمال ولاية نيويورك، بما في ذلك بافالو، ومصالح في فلوريدا وكندا، وأجزاء من مدينة نيويورك، وأجزاء من شمال نيو جيرسي. لكن قوته الحقيقية كانت في الاحترام الذي حصل عليه من كل عائلة مافيا في البلاد. بالإضافة إلى ذلك، كانت زوجته، كارولينا سياندرا، والمعروفة باسم كاري، مرتبطة بنسل عائلة سياندرا في مافيا صقلية. على الرغم من أي فرد من عائلة سياندرا لم يكن قد ارتقى إلى مكانة العراب، كان أفراد

العائلة أعضاء في عصابات المافيا الأمريكية منذ أيامها الأولى. ربما كان أقرب أصدقاء بوفالينو هو زعيم عصابات الجريمة في فيلادلفيا أنجيلو برونو. كان موظفو إنفاذ القانون يشيرون إلى بوفالينو باسم «دون روزاريو الهادئ»؛ أما برونو فقد عُرف باسم «دون دوسيلي» لنهجه الهادئ المماثل في زعامة عائلة إجرامية كبرى. وكما هو الحال مع عائلة بوفالينو، لم يُسمح لعائلة الجريمة التي يتزعمها برونو بالتعامل في المخدرات. وبسبب طرده القديمة الواضحة قُتل برونو على يد مرؤوسيه الجشعين في عام 1980. أدى غياب برونو إلى حدوث فوضى أبدية في عائلته. أما خليفته، فيليب تيستا «تشيكن مان»، فقد فُجّر جسده حرفياً بعد عام من توليه منصبه. خلف تيستا، نيكوديموس سكارفو «نيكي الصغير»، الذي يقضي الآن عدة أحكام بالسجن مدى الحياة بتهمة القتل، بعد أن تعرض للخيانة من قبل مساعده وابن أخيه. ويقضي خليفة نيكي الصغير جون ستانفا خمس أحكام بالسجن المؤبد لإدانته بارتكاب جريمة قتل. كان فرانك شيران يحصل على بطاقة عيد الميلاد كل عام من جون ستانفا وهو في زنزانته في سجن ليفينورث. كان رالف ناتالي خليفة جون ستانفا، أول رئيس عصابة يتحول إلى مخبر حكومي ويشهد ضد رجاله. يصف فرانك شيران فيلادلفيا بأنها «مدينة الوشاة». من ناحية أخرى، عاش راسل بوفالينو حياة طويلة. توفي في سن الشيخوخة في دار رعاية في عام 1994 عن عمر يناهز التسعين. كان يسيطر على «عائلته» حتى يوم وفاته، وعلى عكس عائلة أنجيلو برونو في فيلادلفيا، لم يتم الإبلاغ عن أي دليل على وجود

خلاف داخل عائلة بوفالينو منذ وفاته.

قال فرانك شيران أنه من بين كل رؤساء عوائل الجريمة المزعمين الذين قابلهم على الإطلاق، كانت سلوكيات وأسلوب مارلون براندو في فيلم «العرب» تشبه إلى حد بعيد خصال راسل بوفالينو.

وصفت لجنة ماكليلان المعنية بالجريمة المنظمة التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي، في تقرير عن نتائج عملها، راسل بوفالينو بأنه «أحد أكثر زعماء المافيا قسوة وقوة في الولايات المتحدة».

في صيف 1999، أوقفني رجل وزوجته وابنه على طريق بنسلفانيا السريع لأقلهم. كانت سيارتهم قد تعطلت، وكانوا بحاجة إلى الوصول إلى منطقة ليرتأخوا فيها. وتبين أن الرجل هو قائد الشرطة المتقاعد في البلدة التي عاش فيها راسل بوفالينو وحيث لا تزال أرملته كاري تعيش. عرّفت نفسي كمدع عام سابق وسألت عما إذا كان بإمكان الرجل أن يخبرني بأي شيء عن راسل بوفالينو. ابتسم قائد الشرطة المتقاعد وقال لي «كل ما فعله في أماكن أخرى أبقاه خارج اختصاصنا. كان يحمل تقاليد الأجيال القديمة، وكان مهذبًا جدًا، ورجلاً مثاليًا. ما كنت لتعلم أنه كان غنيًا جدًا لو نظرت إلى منزله أو إلى السيارة التي يقودها».

## الفصل التاسع

### نبيل بيتي الصنع وطبق بروشيتو

غير اليوم الذي قابلت فيه راسل بوفالينو حياتي. واكتشفت لاحقاً، أن مجرد رؤيتي في شركته -من قبل أشخاص معينين- سينقذني في المستقبل، عندما يكون فيه مصيري فعلياً على المحك. وسواء كان ذلك جيداً أو سيئاً، فإن لقاء راسل بوفالينو ورؤيتي في شركته جعلني أكتشف عادات وطباع سكان وسط المدينة بشكل أعمق مما لو كنت فعلت ذلك بمفردي. بعد الحرب، كان تعرفي على راسل أكبر شيء حدث لي بعد زواجي وإنجاب بناتي.

كنت أنقل اللحوم لصالح متجر الأغذية في شاحنة مبردة في منتصف الخمسينيات، ربما في عام 1955. كانت مدينة سيراكيوز وجهتي عندما بدأ محرك شاحنتي يتعثر في أدائه عند بلدة إنديكوت في ولاية نيويورك. توقفت في موقف للشاحنات ورفعت غطاء المحرك عندما اقترب من شاحنتي ذلك الرجل الإيطالي القصير وخاطبني قائلاً: «هل يمكنني أن أمد لك يد المساعدة، يا صغيري؟» فقلت: «بالتأكيد» وأخذ يعبث بالمحرك لوقت قصير، ثم قال: «أعتقد أن المشكلة في المكربن». كانت لديه أدوات عمل خاصة به. تحدثت معه بالإيطالية قليلاً في أثناء عمله. مهما كان، لقد جعل شاحنتي تعمل من جديد. عندما بدأ المحرك يخرخر نزلت من الشاحنة وصافحته وشكرته. كانت قبضته قوية جداً. يمكن وصف الطريقة التي تصافحنا بها -بحرارة- بأنها كانت تبدو أننا نضرب بعضنا بعضاً.

في وقت لاحق عندما تعرفنا على بعضنا أخبرني بأنه في المرة الأولى التي رآني فيها أحب الطريقة التي أتصرف بها. أخبرته بأن هناك شيئاً خاصاً به أيضاً، ربما مثل امتلاك موقف الشاحنات أو شيء ما، أو ربما كان يمتلك الطريق بأكمله، ولكن الأمر كان أكثر من ذلك. كان لدى راسل ثقة بطل أو منتصر بينما كان متواضعاً ومحترماً. عندما تذهب إلى الكنيسة للاعتراف يوم السبت، أنت تعرف توجهات الكاهن الذي ينبغي لك أن تذهب إليه. تريد أن تذهب إلى الأكثر إنصافاً، شخصاً لم يسبب لك المتاعب؛ وقد كان مثل هذا الكاهن. في تلك اللحظة التي تصافحنا فيها ووقعت عيناى عليه للمرة الأولى لم يكن لدي أي فكرة عمن يكون، أو إن كنت سأراه مرة أخرى. لكنه غير مسار حياتي.

في الوقت نفسه تقريباً، بدأت بالفعل الذهاب إلى وسط المدينة إلى نادي بوكو في الشارع الخامس في جادة واشنطن مع مجموعة من الرجال الإيطاليين الذين كنت أعمل معهم في متجر الأغذية، والذين كانوا يعيشون في جنوب فيلاديلفيا. لقد كانت مجموعة جديدة بالنسبة إلي. كنا ننتقل من هناك إلى حانة فريندلي لونج الواقعة في الشارع العاشر في جادة واشنطن، المملوكة لرجل يُدعى جون، والذي كان يلقب سكينى رازور. في البداية لم أكن أعرف شيئاً عن جون، لكن بعض الرجال من المتجر دفعوا القليل من المال وهم في طريقهم إلى جون. كانت هناك نادلة في المطعم، تقترض على سبيل المثال، 100 دولار وتسدد 12 دولاراً في الأسبوع لمدة عشرة أسابيع. إذا لم تستطع

دفع 12 دولارًا في الأسبوع، فستدفع دولارين فقط، لكنها ستظل مدينة بـ 12 دولارًا لهذا الأسبوع وستتم إضافتها في النهاية. إذا لم تُدفع في الوقت المحدد، فستستمر الفائدة في التراكم. جزء الدين الذي يمثله مبلغ 2 دولار كان يسمى «فائدة». وهو ما يمثل ربح العملية.

استطاع زملائي الإيطاليون في متجر الأغذية من جني بضعة دولارات بهذه الطريقة، وذات مرة عندما كنا في حانة فريندلي لونج قدموني إلى سكيبي رازور، وبدأت فعل ذلك باستمرار وبانتظام. كان المال سهلًا، ولا يحتاج إلى جهدٍ عضليٍّ، وكان يقدم خدمة محدودة للأشخاص الذين ليس لديهم خبرة في الاقتراض. كان هذا قبل اختراع بطاقات الائتمان عندما لم يكن لدى الناس مكان يذهبون إليه ليقتترضوا بضعة دولارات عندما يكونون في ضائقة مالية. ولكن من الناحية الفنية، كان دفع الفوائد غير قانوني تمامًا لأنه كان يعد جريمة، منح قروض بفوائد فاحشة. كان دفع الفوائد أمرًا طبيعيًا بالنسبة إلي، لأنه سبق لي وأن دفعت عمولات لشراء تذاكر يانصيب لكرة القدم في مطعم وايت تاور للهامبرغر في طريقي للقاء الرجل المفتول العضلات والملاكم السابق جوي مكغريل الذي كان ينظم شؤون النقابة خارج الحي الذي كنت أسكن فيه. اشترى صديقي الإيطالي في متجر الأغذية تذاكر اليانصيب مني. لم أكن مقتنعًا بفكرة اليانصيب. لم أستطع تحمل فعل ذلك في حالة فاز شخص بمبلغ كبير. كان مكغريل يدعم الأمر، وقد أخذت نصيبي من العمولة. بدأت أراهن على تذاكر اليانصيب بنفسني. سرعان ما بدأت بيعها في

وسط المدينة لأناس يرتادون الحانات. لم يكن وكلاء المراهنات الحقيقيون مثل سكيبي رازور يكثرثون إذا ما قمت ببيعها في الحانة، لأنهم لم يهتموا بألعاب يانصيب كرة القدم. لأن أموالها كانت قليلة. ومع ذلك، كانت غير قانونية في تلك الأيام. أعتقد أنها ما زالت كذلك.

يمكنك أن تقول أن سكيبي رازور كان ناجحًا في أعماله الجانبية مثل المراهنات والربا من الطريقة التي أدار بها أعماله ونوع الاحترام الذي كان يحصل عليه من الأشخاص الذين يأتون للتحدث معه. بدا وكأنه ضابط عسكري أو شيء ما وكل شخص آخر جنديًا لديه. ولكن لم يعرف عنه أي من أصدقائي الإيطاليين أن لديه أي نوع من نشاطات العصابات الواسعة أو أي شيء من هذا القبيل. ما نوع النشاط الواسع الذي يمكن أن يقوم به شخص يحمل لقب «سكيبي رازور»؟

حصل جون على لقب سكيبي رازور لأنه كان يمتلك متجرًا لبيع الدجاج في الحي، وكانت السيدات الإيطاليات يأتين إليه ويخرن الدجاج الذي يرغبن في شرائه من خلال النظر إلى الدجاج الموجود في الأقفاص الموضوعة بالترتيب. ثم يأخذ جون شفرة حلاقة حادة ويقطع عنق الدجاجة، وتكون تلك هي الدجاجة التي ستأخذها السيدة الإيطالية إلى المنزل وتنتف ريشها وتطهوها وتقدمها في العشاء.

كان سكيبي رازور محبوبًا جدًا وكان يتمتع بروح الدعابة. كان ينادي جميع السيدات بكلمة «أمي» وكان يقولها بطريقة حنونة، وليس كما يستخدمون هذه الكلمة اليوم. كان نحيفًا جدًا وطوله

نحو 185 سنتيمترًا، وكان يعد طويلًا جدًا بالنسبة إلى سكان وسط المدينة. كان يشبه قليلاً شفرة حلاقة حادة ونحيفة. كان سكينى يتعامل بشكل جيد جدًا مع الناس الضعفاء. إذا ارتكبت خطأ، يمكنك دائمًا أن تطلب السماح منه، ما لم يكن ما فعلته «خطيرًا». إذا كانت جنحة، فسوف يمنحك مهلة، لكنه لن يقربك منه.

وبقدر ما هو صعب التصديق اليوم، لم يكن الناس يعرفون حقًا أنه كانت هناك منظمة مافيا في تلك الأيام. سمعنا عن أفراد العصابات، بالتأكيد، مثل آل كابوني وعصاباتهم الخاصة، ولكن المافيا التي تشمل كل البلاد والتي لها يد في كل شيء تقريبًا، لم يكن الكثير من الناس يعلمون بوجودها. كنت على علم بالكثير من الأشياء، لكنني لم أعرف عن ذلك ولو قليلاً، مثل أي شخص آخر، لم أكن أعلم أن وكيل المراهنات في الحي كانت له علاقة بسارق مجوهرات أو خاطف شاحنات أو رئيس عمال أو سياسي. لم أكن أعرف بوجود هذا الشيء الكبير الذي كنت أتعرف عليه شيئًا فشيئًا في البداية، عندما كنت أتعرف على طباعه وعاداتهم. وبطريقة ما كان الأمر مثل تعرض عامل الرصيف للأسبستوس كل يوم دون أن يعرف مدى خطورة ذلك. لم يرغبوا في أن يعرف الناس ذلك.

لم يعرف الرجال الإيطاليون الذين كنت أعمل معهم في متجر الأغذية، والذين دفعوا الفوائد والعمولات، شيئًا عن الرجل الذي أطلقوا عليه لقب سكينى رازور.

عندما كنا نتجاذب أطراف الحديث ومعنا زجاجة من النبيذ الأحمر بيتي الصنع، تفاخرت أمام زملائي في متجر الأغذية

بالصفقة التي أبرمتها مع داستي -المتعلقة بالدجاج- وأفشيت لهم سر الطريقة التي يمكن من خلالها الحصول على المزيد من المال. بعد تحميل شاحنتك بالذبائح، سيضع المسؤول عن التحميل -الذي قمت بتحميل شاحنتك من عنده- ختمًا من الألمنيوم على القفل 9 وستتحرك بشاحنتك. عندما تصل إلى مخازن متجر الأغذية مع حمولتك من الذبائح، سيزيل مدير المتجر ختم الألمنيوم وستضع اللحوم في ثلاجة المتجر. بمجرد إزالة الختم، لا يمكن إعادته مرة أخرى، لذا لا يمكنك إزالة الختم وأنت في طريقك إلى المتجر لكي تنقل طلبية اللحوم. فقط مدير المتجر يمكنه إزالة الختم. ولكن في الأيام الشديدة البرودة، يصبح المسؤول عن التحميل الذي كان من المفترض أن يضع الختم بعد تحميل اللحم على شاحنتك كسولاً قليلاً وسيعطيك الختم لتضعه أنت على القفل. إذا حصلت على الختم، يمكنك أن تسلم، على سبيل المثال: خمس ذبائح إلى رجل ينتظرك في مطعم صغير، ثم يقوم بتوزيعها على عدد من المطاعم ويقسم الأموال معك. بعد أن تكون قد أعطيت ذلك الرجل الذبائح الخمس، يمكنك وضع الختم على قفلك. عندما تصل إلى المتجر، سيكون ختمك سليماً ومن ثم ستم إزالته من قبل مدير المتجر وسيسير كل شيء على ما يرام. ثم ستصبح رجلاً لطيفاً وتخبر الجزار بأنك ستجمع اللحم له في براد الثلج الخاص به. ستدخل وستجد الذبائح معلقة في الخطافات الموجودة في السكة اليمنى. ستتحرك خمس ذبائح إلى السكة اليسرى. ثم بدلاً من توصيل خمس وعشرين ذبيحة، ستضيف العشرين التي تركتها إلى الخمسة التي سبق لك أن

وضعتها في السكة اليسرى. سيحسب مدير المتجر أنك جلبت خمسًا وعشرين ذبيحة ويوقع على ذلك. سيكتشفون في المخزن أن لديهم نقصًا، لكنهم لن يعرفوا من هو المسؤول عنه أو كيف حدث. لن يعترف المسؤول عن التحميل أبدًا أنه سلمك الختم لتضعه بنفسك وأنه كان كسولاً جدًا بحيث لا يستطيع الخروج بالبرد وأداء عمله بالطريقة الصحيحة.

هكذا كانت تجري الأمور نظريًا، ولكن في الواقع كان الجميع تقريبًا مشاركين في الصفقة وحصل كل واحد منهم على قطعة صغيرة من الكعكة مقابل أن يتغاضى عن الأمر.

قبل الحرب، اجتهدت لأحصل على كل ما أملك. خلال الحرب، ستتعلم أن تأخذ كل ما تريد، يمكنك أن تحصل على ما تريد بالقوة، مع أنه لم يكن هناك الكثير. مع ذلك، فقد حصلت على النبيذ والنساء، وإذا كنت بحاجة إلى سيارة فستحصل عليها أيضًا، وأشياء من هذا القبيل. بعد الحرب، بدا من الطبيعي أن تأخذ ما يمكنك أخذه أينما كنت. لم يكن هناك سوى الكثير من الدم الذي يمكنك بيعه مقابل 10 دولارات للنصف لتر.

في أحد الأيام حمّلت عددًا قليلًا من الذبائح، وبعث حمولتي بالكامل وأنا في طريقي لتوصيلها إلى متجر في مدينة أتلانتيك سيتي. وضعت الختم على قلبي بعد أن سلمت حمولة اللحم بكاملها إلى شريكي. عندما وصلت إلى أتلانتيك سيتي، تمت إزالة الختم من قبل المدير ولم يكن هناك لحوم في الداخل، كنت في حيرة من أمري. ربما نسي الرجال الذين حملوا الشاحنة تحميلها. سألني مدير المتجر ألم أدرك أنني أقود شاحنة خفيفة؟

قلت له إنني اعتقدت أن لدي شاحنة قوية. بعد تلك الحادثة، وضعت متاجر الأغذية إشارات تحذير في المخازن لجميع المديرين لكي يراقبوني بدقة. ولكن حينها -كما قلت- كان الكثير منهم متورطين في الأمر على أي حال.

لم تمنعني إشارات التحذير. كانوا يعرفون أن هناك أشياء مفقودة أينما ذهبت، لكن ليس لديهم أي دليل ضدي. كانوا يعرفون أنني أفعل ذلك، لكنهم لم يعرفوا كيف كنت أفعل ذلك. وبموجب العقود السارية، لا تستطيع الإدارة طرد فرد منتسب إلى نقابة سائقي الشاحنات إلا إذا كان لديهم أسباب معينة. لم يكن لديهم شيء. كانت السرقة فقط تمثل سبباً إذا استطاعوا إثبات ذلك. إلى جانب ذلك، فإني كنت قد عملت بجد من أجلهم عندما لم أكن أسرق منهم.

لكن في 5 نوفمبر 1956، قرروا أن يتخذوا إجراءً بهذا الخصوص، فوجهوا لي تهمة السرقة في أثناء نقل البضاعة بين الولايات. أراد مني المحامي أن أتقدم بالتماس وأن أنقلب على الأشخاص الذين كانوا مشتركين معي، لكنني كنت أعلم أن جميع الأشخاص المشتركين معي كانوا هم الشهود الذين خططت الحكومة لاستخدامهم في قضيتها ضدي. إذا وضعوني في السجن، فعليهم إحضار عربة إلى المحكمة لنقل شهودهم. إذا تمكنوا مني، فقد تمكنوا من الجميع. كل ما أرادوا مني فعله هو أن أسمى لهم الأشخاص ويخلون سبيلي. لقد أوصلت معلومة لمن كانوا يريدون أن يشهدوا ضدي أن يصمدوا، وأنني لن أشي بأحد. عليهم أن يبقوا أفواههم مغلقة وأن يتصرفوا كأنهم لا يعرفون أي شيء. وفي

الوقت نفسه، انتهزت الفرصة لاقتحام المكتب وسرقت السجلات المذكور فيها جميع الأشياء التي لم يتمكن متجر الأغذية من حسابها إلى جانب اللحوم التي سلمتها.

لم يستطع شهود الحكومة، الواحد تلو الآخر، إثبات أي شيء ضدي. طلبت من المحامي الذي وكلته أن يتقدم بطلب الحصول على سجلات متجر الأغذية المذكور فيها جميع الأشياء التي فُقدت طوال تلك الفترة. اعترض ممثلو الحكومة لأنهم قالوا إنني سرقت السجلات. فقلت: «لقد قام شخص مجهول بسرقتها وتركها في صندوق بريدي». رفض القاضي القضية وقال إنه إذا كان يملك أسهماً في متجر الأغذية فسوف يبيعها. ثم قدم متجر الأغذية عرضاً لي من خلال المحامي الخاص بي بأنه إذا استقلت فسوف يعطونني 25000 دولار. قلت لهم إنني لا أستطيع تحمل هذا التخفيض في الدخل.

احتفلنا في وسط المدينة، واستطعت أن أرى أن سكينى رازور وبعض الأشخاص الآخرين الذين كانوا يجلسون معه، كانوا أكثر إعجاباً لأنني لم أشْ بأحد. عدم الوشاية كانت أهم بالنسبة إليهم من الفوز بالقضية.

في مكان ما في تلك الفترة، عندما بدأت التسكع في وسط المدينة، قررت أن أذهب إلى مطعم فيلا دا روما الإيطالي الذي كان يقع في الشارع التاسع لتناول العشاء. ذات ليلة رأيت ذلك الرجل وعرفت أنه الرجل العجوز الذي قام بتصليح شاحنتي عندما ركنتها في محطة وقوف الشاحنات. توجهت إليه وأعربت له عن احترامي، فدعاني إلى الجلوس معه هو وصديقه. اتضح

أن صديقه كان أنجيلو برونو، وسأعرف فيما بعد أن أنجيلو برونو كان رئيس سكينى رازور ورئيس عائلة فيلادلفيا بالكامل، وأن أنجيلو برونو كان شريكاً صامتاً في كل شيء تقريباً في وسط المدينة، بما في ذلك مطعم فيلا دي روما.

شربت كأساً من النبيذ معهما وأخبرني راسل بأنه يأتي إلى فيلادلفيا كثيراً ليتناول طبق خبز البروشيتو. وهو خبز يوضع فيه لحم البروشيتو وجبن الموزاريلا وتطبخ تلك المكونات معاً. ثم تقطعه وتتأوله مثل الساندويتش. إنه تقريباً مثل الساندويتش، لكنه ليس كذلك. ظننت أنه جاد عندما قال إن هذا هو السبب الوحيد الذي يجعله يأتي إلى فيلادلفيا، وفي المرة التالية عندما مررت على طريقه، أحضرت له عشرات اللقائف من خبز البروشيتو. يظهر لك هذا مقدار ما كنت أعرف. لقد كان كريماً جداً.

ثم بدأت أرى راسل في أماكن مختلفة في مركز المدينة، كان دائماً مع صديقه أنجيلو برونو. وكلما كان يصدف أن أمر عليه، أحضر له سجق الروشيل، لأنه قال إنه يأتي إلى فيلادلفيا من أجلها أيضاً. في هذه الأثناء، كانت كلما ازدادت كمية الخبز والسجق التي أقوم بتوصيلها له كنت أراه أكثر في فيلادلفيا. لطالما دعاني إلى الجلوس وشرب النبيذ الأحمر وغمس الخبز فيه. لقد أحب حقيقة أنني كنت قد زرت كاتانيا خلال الحرب، وهي المدينة التي وُلد فيها في جزيرة صقلية. حدثته عن المعكرونة المعلقة على الحبال مثل الغسيل لتجف يوم الأحد في كاتانيا. في بعض الأحيان كان يدعوني لتناول الطعام معه ونتحدث الإيطالية قليلاً. كان يحدث

أن يشتري فعلاً تذكرة يانصيب لكرة القدم بقيمة دولارين مني ويراهن بها. لم تكن غايته سوى مجاملتي.

ثم توقفت فجأة خططي لأصبح شريكاً دائماً في متجر الأغذية. كلفت الحكومة محققي وكالة غلوب للتحقيقات بمراقبة مطعم معين اشتبهوا فيه، وألقوا القبض على الرجل الذي أحضر اللحم إلى منطقة التسليم. لم يسبق له العمل في متجر الأغذية قط. كان مجرد رجل يتجول في وسط المدينة عند موقع عمل سكينى رازور. استخدم شاحنة صغيرة وكانت محملة بلحوم متجر الأغذية التي أعطيتها له. مرة أخرى لم يكن لديهم أي شيء ضدي، لأنهم لم يتمكنوا من تحديد لمن كان اللحم، لأنه كان من الممكن أن يكون لدى أي سائق. كل ما لديهم ضدي كان من قبيل الأمنيات. لكنهم عرفوا أنه أنا وجاءوا إليّ وقالوا إنني إذا استقلت، فسوف يتركون ذلك الرجل يذهب لحال سبيله. طلبت مبلغ الخمسة والعشرين ألف دولار الذي وعدوني به إذا استقلت فضحكوا مني. لقد أدركوا أنني لن أدع ذلك الرجل يتعرض للأذى، وكانوا على حق. فقدمت استقالتي.

الشيء التالي الذي تعرفه هو عندما كنت في مطعم فيلا دي روما والتقيت راسل، كان يعرف كل شيء عن الأمر وقال إنني فعلت الشيء الصحيح. وقال أن الرجل لديه زوجة وأولاد وقد فعلت الشيء الصحيح لإنقاذه من السجن. في هذه الأثناء، كان لديّ أنا زوجة وأطفال أيضاً، وأصبحت بلا عمل.

بدأت ألتقط الوظائف من بهو اتحاد العمال. قد تعمل عند شركة كان سائق شاحنتها مريضاً. أو تحسّن من أدائك كما فعل

عامل الميناء في فيلم «على الواجهة البحرية». في بعض الأيام كنت تحصل على عمل، وفي بعض الأيام لا تعمل، وفي كل الأوقات كنت تأمل في الحصول على وظيفة ثابتة. كنت لا أزال أعمل في قاعة الرقص. لكنني فقدت وظيفتي في متجر الأغذية، ودونها كان من الصعب دفع الأموال لسكيني رازور وبيع تذاكر اليانصيب لجوي مكغريل.

كان عدم وجود عمل لديّ يعني أن لديّ المزيد من الوقت للتسكع في وسط المدينة ومحاولة كسب المال من هنا أو هناك. سوف يتفاخر زملائي الإيطاليون في متجر الأغذية بالطريقة التي يمكنني بها رفع 400 رطل وكيف أقوم بـ 275 دورة متواصلة من تمارين شد العضلات دون توقف عندما كنا نتدرب في صالة الألعاب الرياضية. ذات يوم جاءني كاتب حسابات يدعى إدي ريك وأراد أن يعرف ما إذا كنت أرغب في كسب بعض المال. أراد مني أن أعتني بمسألة صغيرة بالنسبة إليه. أعطاني بضعة دولارات للذهاب لرؤية رجل في جيرسي كان يعيث مع صديقة أحد أقاربه. أعطاني مسدسًا وطلب مني أن أجعل الرجل يراه، لكنه أخبرني بـ «لا أستخدمه، بل أهدده به فقط». هكذا كان الحال في تلك الأيام. أن تهدد بالمسدس. في أيامنا هذه لا يهددونك بالمسدس، بل يطلقون النار عليك. في تلك الأيام كانوا يريدون أموالهم المستحقة في موعدها. أما الآن فهم يريدون أموالهم المستحقة أمس. نصف القتلة المأجورين اليوم يتعاطون المخدرات، وهذا ما يجعلهم متهورين. إنها تشوه تفكيرهم. بل أكثر من نصفهم يتعاطونها. ومن ضمنهم بعض زعماء العوائل أيضًا.

ذهبت إلى جيرسي وتحديث إلى الرجل. قلت له أن يبتعد عن نساء الآخرين، وليهتم بنسائه فقط. أخبرته بأن هذه المرأة مرتبطة بأحد الأشخاص. أخبرته بأن يحاول الحصول على الهدام الذي يناسبه، هذا ما كنا نسميه في تلك الأيام، الحصول على هندام. قلت له أن يبحث عن هندامه في مكان آخر. عرفت على الفور أن روميو لا يريد أن يدخل معي في أي مشكلة، لذلك فلم أزعج نفسي حتى وأشهر عليه المسدس. فقد كان على علم بوجوده.

جرت تلك المهمة الصغيرة لإدي ريك على ما يرام، وأدى ذلك إلى تنفيذي المزيد من المهمات لعدد من الناس. قد يدين شخص لواحد من الرجال في وسط المدينة ببعض المال فأذهب لتحصيله. ذات مرة أخبرني سكينى رازور بأن أذهب إلى أتلانتيك سيتي وأحضر رجلاً كان يتأخر في دفع الفوائد المستحقة على قرض أستلفه منه. ذهبت ووجدت الرجل. كان عليّ في حالة هذا الرجل أن أشهر عليه المسدس لأتمكن من إدخاله في سيارتي. كان يتبول في بنطاله عندما وصلنا إلى حانة فريندي لونج. نظر إليه سكينى رازور وأخبره بأن يعيد له أمواله. سأل الرجل سكينى كيف سيعود إلى أتلانتيك سيتي للحصول على ماله، فقال له سكينى عليك أن تستقل الحافلة.

لا شك أنني حصلت على سمعة جيدة ليس لأنني كنت أنفذ المهمات بشكل فعال وسريع فحسب، بل لأنني أيضاً كنت شخصاً يمكن الوثوق به. ظل الناس يعتبرون تركي للوظيفة في متجر الأغذية من أجل إنقاذ ذلك الرجل من الدخول إلى السجن دليلاً

على أنني رجل مستقيم. بدؤوا ينادونني باسم «تشيكي»، وهو اختصار لاسم فرانك الذي يلفظ باللغة الإيطالية «فرانشيسكو». راحوا يدعونني إلى نادي ميسينا الواقع في منطقة تينث تاسكر، والذي يقتصر دخوله على الأعضاء فقط حيث تحصل فيه على أفضل السجق والفلفل الذي تناولته في حياتك على الإطلاق. ستلعب الورق هناك، كنت تقضي وقتك هناك دون أن يكون أفراد من عامة الناس جالسين إلى الطاولة المجاورة. لا يزال هذا النادي موجوداً هناك، ولا يزال يقدم أفضل السجق والفلفل في كل جنوب فيلاديلفيا.

في بعض الأحيان، عندما كنت أصادف راسل أيام الأربعاء، كان يطلب مني الذهاب إلى المنزل وإحضار زوجتي. ثم يلتقينا هو وزوجته كاري في مطعم فيلا دي روما لتناول العشاء. ليلة الأربعاء كانت هي الليلة التي تخرج فيها مع زوجتك، وبهذه الطريقة لا يشاهد أي شخص وهو خارج مع عشيقته أو سمها ما شئت. كان الجميع يعرف أن لا أحد يخرج مع عشيقته ليلة الأربعاء. كان الأمر مثل قاعدة غير مكتوبة. وهكذا بدأنا أنا وماري نقضي أمسيات ممتعة في العديد من أيام الأربعاء مع روس وكاري.

بدأت أذهب بشكل تلقائي إلى وسط المدينة إذا لم أحصل على عمل في قاعة النقابة. كانت الأجواء مريحة هناك. لطالما كان لديّ كأس من النبيذ الأحمر في يدي. لقد بدأت بالبقاء في الخارج إلى وقت متأخر أكثر فأكثر، وأحياناً لا أعود إلى المنزل على الإطلاق. في ليالي الأحد، كنت أذهب إلى الكازينو اللاتيني، وهو نادٍ ليلي فاخر في شيري هيل، وهي مدينة ملاهٍ تقع في نيو

جيرسي، حيث سألتقي كل من كان يتسكع وسط المدينة خلال الأسبوع. كان فرانك سيناترا يغني هناك، وكل النجوم الكبار. كنت أصرح ماري من حين إلى آخر، ولكنها لم تكن تستسيغ هذا النوع من التجمعات، وكان المجيء بجليسة أطفال ترفاً لا يمكننا تحمله في كثير من الأحيان كوني تركت العمل. كانت ماري تصلي وتوقد الشموع من أجل أن أحصل على عمل ثابت. بدأت أنام إلى وقت متأخر في أيام الأحد بعد أن أقضي ليلة السبت في قاعة نيكسون مع داستي، وكانت ماري تذهب بمفردها إلى القديس ويذهب الأطفال معها.

اعتاد راسل أن يتصل بي من حين لآخر من المنطقة الشمالية ويطلب مني أن أقود سيارته وأصرحبه إلى مكان ما. كان لديه أعمال في كل مكان، تمتد من مدينة أنديكوت إلى بوفالو في نيويورك. ومن سكرانتون إلى بيتسبرغ في بنسلفانيا، وكذلك في شمال جيرسي ونيويورك سيتي. بدا أنه يعرف أين كنت خلال النهار عندما كان يتصل بي لأحضر عنده وأصرحبه. لقد استمتعت بصحبته، ولم أطلب منه قط شيئاً واحداً. كان يعلم أن في رؤية الناس لي وأنا معه فائدة لي. لم أكن أعرف مدى تلك الفائدة إلى أن جاء في أحد الأيام في نوفمبر 1957. طلب مني يومها توصيله إلى بلدة صغيرة عبر الحدود في شمال ولاية نيويورك تسمى أبالاتشين. أخبرني بأنه عندما ينتهي من عمله في أبالاتشين سوف يذهب إلى مدينة إيرلي، في ولاية بنسلفانيا، ثم إلى مدينة بوفالو، ثم أقوم بتوصيله إلى إيرلي وبافالو وأعود به مرة أخرى إلى منزله في كينغستون. فأخذته إلى ذلك المنزل

في أبالاتشين ونزل هناك. لم أر أي شيء غير عادي.

في اليوم التالي، كان هذا الاجتماع الذي عقد في أبالاتشين هو أكبر حدث على الإطلاق في تاريخ المافيا الإيطالية في أمريكا. على حين غرة تم اعتقال قرابة الخمسين من رجال العصابات من جميع أنحاء البلاد، وكان أحدهم صديقي الجديد راسل بوفالينو. كان الحدث يملأ الصفحات الأولى من الصحف يوميًا وعلى مدى عدة أيام. وكان أهم ما يعرض على شاشة التلفزيون. كانت هناك حقًا مافيا، وكانت منتشرة في البلد بأكمله. كان كل أفراد العصابات هؤلاء لديهم مناطقهم الخاصة. الآن فهمت لماذا كان راسل يطلب مني أن أوصله إلى أماكن مختلفة وأنتظره في السيارة في أثناء قيامه بأعمال صغيرة في منزل شخص ما أو في حانة أو مطعم. لقد قاموا بكل أعمالهم شخصيًا ونقدًا، وليس عبر الهاتف أو من خلال البنوك. كان راسل بوفالينو زعيمًا كبيرًا مثل آل كابوني، وربما أكبر. لم أستطع تجاوز الأمر.

قرأت كل مقال نُشر عن الموضوع. ارتدى بعض هؤلاء الرجال بذلات من الحرير، والبعض الآخر كان يرتدي ملابس عادية مثل راسل. لكنهم كانوا جميعًا رجالًا أقوياء لديهم سجلات إجرامية عديدة يمكنك التباهي بها، لم تكن تشبه القتال مع رجال الشرطة بعد شجار بدأ في عربة، ولا سرقة القليل من اللحم من متجر الأغذية. لقد تورط هذان الشريكان راسل بوفالينو وأنجيلو برونو في كل أنواع الجرائم، بدءًا من القتل والدعارة وانتهاء بالمخدرات وعمليات الاختطاف. كانت عمليات منح القروض بفوائد فاحشة والمقامرة تشكل أعمالًا تجارية كبيرة لهؤلاء الرجال. إضافة

إلى أعمال الابتزاز. لم يكن راسل يأتي إلى فيلاديلفيا لمجرد الحصول على خبز البورشيلو والحلويات والسجق الساخن من متاجر روسيلي، ولا حتى السجق الحار جدًا. كانت لديه مصالح تجارية مع أنجيلو برونو، كانت لديهم أعمالهم الخاصة.

كان راسل بوفالينو أحد أكبر الرؤساء في تلك الأعمال، وكنت صديقه، وشاهدني الناس معه، وشربت الخمر معه. عرفت زوجته، وكان يعرف زوجتي. كان يسأل دائمًا عن أطفالي. تحدثت معه بالإيطالية. وأحضرت له خبز البورشيلو والسجق. أعطاني غالونات من النبيذ الأحمر بيتي الصنع. كنا نغمس خبز البورشيلو في النبيذ. كنت أوصله إلى الأماكن التي يريد الذهاب إليها. حتى أنني أوصلته إلى ذلك الاجتماع في أبالاتشين.

ولكن بعد كل ذلك الذي نشر في الصحف لم أره وسط المدينة لفترة من الوقت ولم يتصل بي لأوصله إلى أي مكان. تصورت أنه كان يتجنب الأضواء، ثم قرأت أين كانوا يحاولون ترحيله لأن عمره كان أربعين يومًا عندما وصل إلى أمريكا من صقلية. ستستمر إجراءات الترحيل والاستئناف لمدة خمسة عشر عامًا، لكنها كانت دائمًا تهدد راسل. في النهاية، عندما خسر الاستئناف الأخير وحزم حقائبه وحصل على تذاكره، اقترحت على محاميه أن يتصل بالحكومة الإيطالية، ويقوم بتوزيع بعض الأموال، ونجح في مساعيه، ولذا فقد رفضت الحكومة الإيطالية استلام راسل، وهذا ما حدث. كان على أمريكا الاحتفاظ به. كان راسل ممتًا جدًا لتوصيتي بشأن أمر الترحيل هذا، ولكن عندما قرأت ذلك لأول مرة في الصحيفة، لم أكن أتخيل أنني كنت سأحرز كل

ذلك النجاح في المساعي التي بذلتها للمساعدة في إنقاذ راسل بوفالينو من الترحيل.

شيء آخر هو أن الناس في وسط المدينة كانوا يقولون أنه يبدو أن راسل كان هو الزعيم الذي دعا إلى عقد اجتماع أبالاتشين، لمنع وقوع حرب بين العصابات في أعقاب مقتل زعيم مافيا الواجهة البحرية في نيويورك ألبرت أناستاسيا وهو على كرسي الحلاقة في الشهر السابق للاجتماع. كان راسل بوفالينو، الميكانيكي الذي قام بتصليح شاحنتي التي كانت مركونة في محطة وقوف الشاحنات في أنديكوت في نيويورك، يكبر أكثر فأكثر كل يوم في نظري. ويجب أن أقول: إنك إذا قابلت نجمًا سينمائيًا أو شخصًا مشهورًا، فستجد أن هناك أشياء من راسل فيه. على الرغم من كرهه للأضواء، فإن راسل كان مشهورًا جدًا، وأيًا كان الشخص الذي شُهد معه في وسط المدينة أو في أي مكان فإنه لا بد أنه تأثر به.

ذات يوم، جاء ذلك الشخص الذي يدعى ويسبرز ديتوليو إلى طاولتي في نادي بوكسي، واشترى لي كأسًا من النبيذ. كنت قد رأيته في الجوار، لكنني لم أكن أعرفه جيدًا. كان لديه نفس الاسم الأخير مثل سكيبي رازور، لكنهم لم يكونوا أقارب. كنت أعلم أنه يدفع أموالًا إلى سكيبي رازور، ولكنها كانت أكبر مما كنت أدفعه أنا وأصدقائي. كان يدفع المال إلى المطاعم والشركات المشروعة، وليس فقط إلى النادلات في مطعم وايت تاور. أخبرني ويسبرز بأن أقالبه في مطعم ميلروز داينر. لذلك ذهبت هناك. لا يمكن أن تتوقع أنك ستري أيًا من الناس الموجودين في وسط المدينة

في مطعم ميلروز داير. فمن يرتاده بشكل أكبر هم جماهير المشجعين الذين يأكلون قطعاً صغيرة من الطعام على عجل قبل أن يذهبوا لحضور مباراة بيسبول يخوضها نادي فيليز. يمكنك أن تحصل فيه على قطعاً جميلة من فطيرة التفاح وقد وضع فوقها شراب الفانيليا الساخن. عندما جلسنا سألني ويسبرز ما إذا كنت أريد الحصول على عشرة آلاف دولار. طلبت منه أن يستمر في الحديث.

## الفصل العاشر

### الطريق إلى وسط المدينة

كان ويسبرزز واحدًا من أولئك الرجال الإيطاليين قصار القامة في أوائل الثلاثينيات من العمر الذي كنت تراهم في جميع أنحاء جنوب فيلاديلفيا، وهو يحاول أن ينجح في حيلة تلو الأخرى. لم يكن هو نفسه ويسبرزز الذي استشاط غضبًا عندما فجروا سيارته في نفس الوقت تقريبًا. كان هذا الذي أراه شخصًا آخر. لم أكن أعرف الشخص الذي جنّ جنونه؛ لقد سمعت عنه للتو.

لم أكن أعرف شيئًا عن «الرجال المصطنعين»<sup>(12)</sup> في ذلك الوقت. إنه وضع خاص لدى المافيا حيث يستلزم أن تحضر طقوسًا خاصة وبعدها لا يمكن لأحد أن يتعرض لك. ولا أحد يستطيع أن يعتدي عليك بالضرب من دون إذن. وتحصل على احترام إضافي أينما ذهبت. وتصبح جزءًا من المجموعة «المهمة»، أي الحلقة المقربة. ينطبق ذلك فقط على الإيطاليين. في وقت لاحق اقتربت من راسل لدرجة أنني أصبحت أعلى رتبة من الرجل المصطنع. حتى إن راسل أخبرني بذلك، فقد قال لي: «لا أحد يستطيع أن يمسكك بسوء لأنك معي». ما زلت أشعر أنه يمسك خدي بقبضته القوية تلك ويخبرني: «كان يجب أن تكون إيطاليًا».

لو كنت أعرف من هم الرجال المصطنعون، فغندئذ كنت سأعرف أن من المستبعد أن يكون ويسبرزز رجلًا مصطنعًا. كان

---

(12) الرجل المصطنع هو عضو مبتدئ في المافيا. وليصبح «مصطنع»، يجب أن يكون الشريك الأول له إيطاليًا أو من أصل إيطالي. (المترجم).

يتجول في وسط المدينة وبفعل كل ما عليه فعله. كان يعرف الجميع، وكانت لديه خبرة في التعامل مع سكان وسط المدينة أكثر من تلك التي كانت عندي. كان يجلس ليلة الأحد مع سكييني رازور وزوجته في الكازينو اللاتيني. أما الآن، وبعد اجتماع أبالاتشين، فكنت أعلم فعلاً أن سكييني رازور كان مساعد أنجيلو. وهذا يعني أن سكييني رازور مالك مطعم فريندلي لونج كان الرجل الثاني في مافيا فيلاديلفيا.

ولكونه يحمل نفس الاسم الأخير مع رازور، كنت متأكداً تماماً من أن ويسبرز أراد أن يعتقد الناس أنه في نفس منزلة جون ديتوليو «سكييني رازور». أراد أن يزيد من مكانته ويبدو وكأنه رجل مصطنع. الشيء الوحيد هو أن رائحة فم ويسبرز كانت كريهة جداً، لدرجة لم يعرفها إنسان ولا حيوان. كان يعاني من رائحة الفم الكريهة لدرجة تجعلك تعتقد أن هناك ثوماً ينمو في بطنه. لم تنفع معه أي كمية من العلكة أو النعناع كان يستخدمها. لذلك لم يكن يُسمح له إلا بالهمس عندما يتحدث إلى الناس. لا أحد يريد أن يتلقى جرعة كاملة من أنفاس ويسبرز عندما يفتح فمه. بالطبع، ومن باب الاحترام ومعرفة مكانته، ما كان ليتحدث كثيراً على أي حال عندما يجلس مع سكييني رازور وزوجته في الكازينو اللاتيني. بعد أن أكلنا قليلاً، وهو أمر لم يكن من السهل القيام به وأنت تجلس بالقرب منه، تركت أنا وويسبيرز مبنى الميلروز وسرنا في جولة حوله. أوضح لي ويسبيرز أنه استثمر الكثير من المال في متجر لفسيل الشراشف والأغطية، أكثر من المال الذي كان قد اقترضه. كانت مجازفة كبيرة، وبدأت تتحول إلى خطأ كبير.

كان غسيل الشراشف والأغطية يجلب عادةً أرباحًا جيدة. كانوا يقومون بتوريدها إلى المطاعم والفنادق. كان عملهم أشبه بمغسلة ثياب كبيرة. كانوا يستلمون الشراشف والأغطية ويقومون بغسلها وكيها ويسلمونها وكأنها جديدة. إنها طريقة لربح الأموال بسهولة. لكن متجر الغسيل هذا كان يمر بوقت عصيب. بدأت تنافسه شركة خدمات غسيل تدعى كاديلاك تقع في ولاية ديلاوير، الأمر الذي أدى إلى حرمانه من الحصول على الكثير من عقود العمل. وإذا استمر الأمر بهذه الطريقة فإن ويسبرز سيفقد الأمل إلى الأبد في استعادة المبالغ الكبيرة التي جازف بها. كانت المبالغ الوحيدة التي استطاع المتجر دفعها هي الفوائد، وأحيانًا كان يتأخر في ذلك أيضًا. وكان ما يقلق ويسبرز أكثر من غيره أنه قد يفقد كل رأس المال الذي اقترضه.

لم أكن أعرف ما الذي يريدني أن أفعل، لكنني كنت أصغي لما يقول. هل أراد مني أن أذهب إلى ديلاوير وأشهر عليهم مسدسًا وأجمع أمواله؟ ليس من العدل أن تدفع عشرة آلاف دولار مقابل هذه الخدمة. تقع ولاية ديلاوير على بعد ثلاثين ميلًا تقريبًا جنوب فيلاديلفيا. عشرة آلاف دولار في ذلك الحين تساوي خمسين ألفًا اليوم أو أكثر.

حينها قام بإخراج ألفي دولار من جيبه وأعطاني إياها.  
«ما هذا؟» سألته.

«أريدك أن تفجر أو تحرق أو تشعل النيران في هذه الشركة اللعينة، أو تفعل أي شيء تختاره للقيام بتعطيل عملها. احرم هؤلاء السفلة من العمل، وبهذه الطريقة سيستعيد أصحابي

نشاطهم ويمكنني استعادة نقودي من هذا المتجر اللعين. أريد تعطيل أعمال شركة كاديلاك بشكل دائم. لا أريد إطارات مثقوبة أو خدش في الطلاء، أريد أن تمحيهم من الوجود، أن تتوقف أعمالهم، أن يصبحوا شيئاً من الماضي. أريد أن تكون الشرافش والأغطية التي يقومون بغسلها مجمدة بشكل دائم لا ينفع معها الكي، لا أريد أن تبقى عندهم بودة نشا يضعونها لكي القمصان.. ليذهبوا إلى الجحيم، ودعهم يحصلون على مبالغ تأمينهم إذا تمكنوا من الحصول على أي شيء من شركة التأمين -وكونهم يهوداً أنت تعلم أنهم يفعلون ذلك- واجعل هؤلاء السفلة يتعلمون أن يتركوا زبائني وشأنهم.

«لكنك قلت عشرة آلاف».

«لا تقلق. ستحصل على ثمانية أخرى عندما تحقق النجاح في إغلاقهم إلى الأبد. لا أريدكم أن يبدؤوا مرة أخرى في غضون أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، كما أن الأمر سيكلفني عشرة آلاف أخرى».

«متى أحصل على ثمانية الآلاف؟»

«هذا يعتمد عليك يا تشيك. كلما زاد الضرر الذي ستتسبب به عجلت في وقف أعمالهم بشكل دائم. أريدك أن تمحي عاملات الغسيل اليهوديات العاهرات عن وجه الأرض. لقد اشتركت في الحرب. وتعرف ماذا عليك أن تفعل».

«حسناً، ولا تنسَ بقية المال. سألقي نظرة على المكان. سوف أرى ماذا يمكنني أن أفعل».

«لقد كنت في الحرب يا تشيك. اسمع، لقد جئت بك إلى هنا بجانب مبنى ميلروز لنتحدث بعيداً عن الحي لأن الأمر يجب أن يكون بينك وبينني فقط. هل تفهم ما أحاول أن أخبرك به؟»  
«بالتأكيد».

«أنا لا أريدك أن تستخدم أحداً آخر لمساعدتك. سمعت أنه يمكنك إبقاء فمك مغلقاً. وسمعت أنك تعمل بمفردك. وسمعت أشياء جيدة عن عملك. وهذا ما أدفع المال الكثير من أجله. عشرة آلاف دولار هو مبلغ كبير مقابل هذا الأمر. يمكنني القيام بذلك بألف دولار أو ألفين، لذا لا تقل شيئاً لسكيني رازور ولا لأي شخص آخر. أبداً. هل تسمع؟ إذا فتحت فمك وتحدثت حول ما تفعله سينعكس ذلك سلباً عليك. هل تسمع؟»

«تبدو متوترًا قليلاً يا ويسبرز. إذا كنت لا تعتقد أنه يمكنك الوثوق بي، يمكنك أن تجد شخصاً آخر».

«لا، لا يا تشيك. كل ما في الأمر أنني لم أتعامل معك من قبل، هذا كل شيء. يجب أن يكون الأمر بيني وبينك فقط. إذا كان علينا التحدث مرة أخرى، فسنأتي هنا للحديث. أما وسط المدينة فنتبادل التحية فقط، ولا شيء غير ذلك، مثل كل الأشخاص العاديين».

في تلك الليلة ذهبت مباشرة إلى المنزل. أخذت الألفي دولار وسلمت 1500 دولار على الفور إلى ماري لتغطية مصاريف الأطفال. أخبرتها بأنني ربحت رهاناً بقيمة 4 دولارات. كان وكلاء المراهنات يدفعون 600 دولار عن كل دولار واحد، لكن عليك دائماً أن تعطي وكيل المراهنة بقشيشاً بمبلغ 100 دولار عن كل دولار راهنت به.

كان معظم وكلاء المراهنات يأخذون المبلغ من دون استئذان. كانت ماري ممتنة جداً، وكانت تعلم أنني أحتفظ بـ 500 دولار لنفسى. اعتادت ماري على الحصول على النقود بمبالغ مختلفة وفي أوقات مختلفة كلما جاءتني فرصة وحصلت عليها.

في صباح اليوم التالي توجهت إلى شركة كاديلاك ورحبت ألقى نظرة على المبنى. قادت السيارة حول المبنى عدة مرات، ثم ركنت سيارتي في الشارع وذهبت لألقي نظرة خاطفة سريعة داخل المصنع. بدا من السهل الدخول إلى المكان. لم يكن مكاناً كهذا يحتوي في تلك الأيام على جهاز إنذار ضد السرقة أو أي نوع من وسائل الحماية الحقيقية. لم يكن هناك شيء يستحق سرقة ولم يكن هناك مشردون بلا مأوى أو مدمنو مخدرات يمكن الخشية عليه منهم لأن يقتحموه. بدا الأمر وكأنه مهمة ضخمة، لكن المبلغ الذي سأحصل عليه كان ضخماً أيضاً. وليس مثني دولار تذهب من أجلها إلى ولاية نيو جيرسي البعيدة لتشهر مسدساً في وجه شخص ما.

ثم عدت ليلاً لأرى كيف يبدو المكان بعد حلول الظلام. عندما عدت إلى المنزل، فكرت في الأمر وبدأت أفكر في العمل على صياغة خطة، وفي اليوم التالي عدت لإلقاء نظرة أخرى، وتجولت في المكان عدة مرات. ظننت أنني سوف أحرقه وأمحوه بالكامل. بهذه الطريقة سأحصل على ثمانية الآلاف دولار المتبقية على الفور. كان يجب أن تشتعل النيران فيه بسرعة قبل أن يتمكن رجال الإطفاء من إخماد الحريق، لذلك خططت أن أغرق المكان كله جيداً بالكبروسين.

في اليوم التالي ذهبت إلى مطعم فريندلي لونج، وحين رأني سكينى رازور قال لي أن هناك شخصاً في القاعة الخلفية يريد التحدث معي. توجهت إلى القاعة الخلفية وسكينى يسير ورائي. دخلت القاعة ولم يكن هناك أحد فيها. فاستدرت لأغادر فاعترض سكينى طريقي. وأغلق الباب وطوى ذراعيه.

سألني:

« ما الذي كنت تفعله عند مبنى شركة كاديلاك بحق الجحيم؟ ».

«أحاول كسب القليل من المال، هذا كل شيء».

«ماذا تريد أن تفعل؟»

«مهمة كلفني بها أحدهم».

«من هو؟»

«ما الذي يجري هنا؟»

«أنا أحبك يا تشيك. وأنجيلو كذلك، ولكن عليك أن تفسر ما تفعله. لقد رأوا سيارة فورد زرقاء مثل سيارتك تحمل أرقام ولاية بنسلفانيا، وشاهدوا وغداً ضخم الجسم يخرج منها. هذا الوغد هو أنت؛ هل ترى سهولة ذلك؟ هذا كل ما أريد قوله لك. افعل الصواب ولا تحاول الإنكار. يريد أنجيلو رؤيتك الآن حالاً».

كنت حينها أمشي وأفكر، ما الذي يحدث بحق الجحيم؟ أي نوع من القذارة أوقعني فيه ويسبرز؟

توجهت إلى مطعم فيلا دي روما، وكان أنجيلو جالساً على طاولته في الزاوية ومن المؤكد أن من يجلس معه لم يكن سوى راسل. حينها بدأت أفكر بجد.. ما الذي ورطت نفسي فيه، وهل يمكنني الخروج من هذه الورطة؟ هؤلاء هم نفس الرجال الأقوياء

الذين كتب عنهم كل تلك الأشياء بعد حادثة أبالاتشين، لكن هؤلاء الرجال لا يجلسون الآن هنا بصفتهم أصدقاءني. كما قلت، لقد نشأت في كنف أبي، كنت أعرف عندما يكون هناك شيء خاطئ. كان هناك خطأ كبير، وكنت في مأزق حقيقي. بدا الأمر وكأنه محكمة عسكرية. ولكن محكمة عسكرية للفرار من مواجهة العدو، وليس ذلك الهراء بترك وحدتي العسكرية من دون إذن من أجل إرضاء نزوتي في الشرب.

ربما لم أكن حينها أعرف الكثير عندما بدأت أتسكع في وسط المدينة مع أصدقائي الإيطاليين في متجر الأغذية، ولكن بحلول ذلك الوقت، بعد حادثة أبالاتشين وبعد جلسات الاستماع التي أجراها مجلس الشيوخ التي كان ينقلها التلفزيون، كنت أعرف أن هؤلاء ليسوا من عينة الأشخاص الذين يخيبون أملك.

ثم اتضح لي أن المطعم كان فارغاً باستثناء وجود نادل في الغرفة الأمامية، كنت قد سمعت النادل وهو يقوم ببعض الحركات للخروج من خلف الحانة. كان كل صوت أسمعته يطن في أذني عالياً كما لو كنت على متن سفينة إنزال متجهة لاحتلال أحد الشواطئ. في مثل هذا الموقف يتم شحذ كل حواسك. سمعت وقع خطاه بشكل واضح جداً وهو يسير في الحانة، وسمعته يقفل الباب ويضع لافتة مكتوب عليها «مغلق». أصدر قفل الباب فرقعة عالية تردد صداها.

طلب مني أنجيلو أن أجلس.

جلست على الكرسي الذي أشار إليه. ثم قال:

«حسنًا، هات ما عندك».

«كنت أريد حرق شركة كاديلاك».

«لصالح من؟»

«ويسبرز. ويسبرز الآخر».

« ويسبرز؟ كان يجب ألا يرتكب حماقة كهذه، هذا اللعين».

«كنت أحاول فقط كسب بعض المال». نظرت إلى راسل ولم

يكن هناك أي تعبير عن وجهه.

«هل تعرف من يملك كاديلاك؟»

«نعم. بعض اليهود العاملين في مجال غسيل الملابس».

«هل تعرف من لديه حصة في كاديلاك؟»

«لا».

«أنا».

«أنت تعرف من هو؟»

«لا. ولكنه أنا. أنا من يملك حصة فيها. ولا أعرف من يملك

باقي الحصص».

كدت أبلل نفسي.

«لم أكن أعرف ذلك يا سيد برونو. لم أكن أعرف هذا الشيء».

«ألا تتحقق من هذه الأشياء قبل أن تتوي القيام بأعمال في

هذا الجزء من البلاد؟»

«كنت أتصور أن ويسبرز قد تحقق من الأمر».

«ألم يخبرك بأن الشركة تعود لمافيا اليهود؟»

«لم يخبرني بذلك. قال لي إنهم بعض اليهود. لقد تصورت

أنهم كانوا بعض اليهود الذين يعملون في مجال غسيل الملابس».

«ماذا قال لك؟»

قال لي أن أحتفظ بالسِر مع نفسي. وأنتي يجب أن أعمل وحدي. هذا كل ما قاله».

«سأراهن على وجبتي التالية أنه قال لك أن تحتفظ بالسِر لنفسك. وبهذه الطريقة ستكون الشخص الوحيد الذي يبدو شيئاً هنا عندما يراك البعض وأنت تحوم حول ديلاوير».

«هل أعيد له ماله؟»

«لا تقلق، لن يحتاج إليه».

«أنا آسف حقاً لأنني لم أتحقق من الأمر. لن يحدث ذلك مرة أخرى».

«لقد ارتكبت خطأ. فلا ترتكب واحداً آخر. واشكر صديقك الموجود هنا. لولا روس لما كنت أضيع وقتي معك. كنت سأدع اليهود يتصرفون معك. هل كنت تعتقد أنهم سذج؟ إنهم ليسوا أغبياء. لن يدعوا أحدهم يقود سيارته حول المبنى من دون أن يتحققوا منه».

«أنا أعتذر حقاً. شكراً لك يا راسل. لن يحدث ذلك مرة أخرى».

لم أكن أعلم إن كان عليّ أن أدعوه السيد بوفالينو، لكنني كنت معتاداً على مناداته براسل في تلك اللحظة ولو قلت «السيد بوفالينو» حينها لبدا الأمر مصطنعاً جداً. وكان من غير المناسب أن أنادي أنجيلو بـ «السيد برونو».

أوماً راسل برأسه وقال بهدوء:

«لا تقلق بشأن ذلك. إن ويسبرز هذا لديه تطلعات. أعرف هؤلاء الأشخاص الذين يكونون طموحين جداً. يريدون الفطيرة

كلها لهم. يشعرون بالغيرة من الآخرين الذين يتقدمون. رآك تجلس معي وتشرب وتأكل معي ونجلس بصحبة زوجاتنا، ولا أعتقد أنه أحب ذلك. لم يعجبه ذلك على الإطلاق. عليك الآن تسوية هذا الأمر هنا والآن وأن تفعل الشيء الصحيح. استمع إلى أنجيلو هنا، فهو يعرف ما يجب فعله».

نهض راسل وترك الطاولة، ثم سمعت النادل يفتح الباب له وذهب.

قال لي أنجيلو:

«من هو الشخص الآخر المتورط في هذا الأمر بالإضافة إليك أنت وويسبرز؟»

«لا أعرف أحدًا آخر. لم أخبر أحدًا بالأمر».

«جيد. ذلك جيد. لقد وضعك ويسبرز اللعين هذا في موقف سخيف يا زميلي الشاب، الآن أصبح من مسؤوليتك تصحيح هذا الأمر».

أومأت برأسي وقلت:

«سأفعل كل ما يلزم».

همس أنجيلو قائلاً:

«من مسؤوليتك أن تنتهي هذه المسألة بحلول صباح الغد. هذه هي الفرصة التي أمامك هل فهمت؟»

أومأت برأسي وقلت:

«نعم فهمت».

يجب أن تفعل ما وجب عليك فعله».

لم يكن ملزمًا عليك النزول إلى الشارع والتسجيل في بعض الدورات في جامعة بنسلفانيا لمعرفة ما كان يعنيه. كان الأمر أشبه

بما قاله لك أحد الضباط بأن تأخذ اثنين من الأسرى الألمان إلى الخطوط الخلفية وأن «تعود بسرعة». وقد فعلت ما عليك فعله. التقيت ويسبرز وأخبرته بمكان مقابلي لاحقاً في تلك الليلة لتحدث بشأن الموضوع.

في صباح اليوم التالي كان خبره منشوراً في الصفحة الأولى لإحدى الصحف، فقد عثر عليه ملقى على جانب الطريق. تم إطلاق النار عليه من مسافة قريبة بمسدس عيار 32، وهو نوع من المسدسات اعتاد رجال الشرطة على تسميته «مسدس النساء»، لأن استعماله كان سهلاً وكان معدل ارتداده أقل حتى من المسدس عيار 38. ولكون قطر ماسورته أصغر فإنه لا يسبب الضرر الذي يسببه المسدس عيار 38، ولكن كل ما تحتاج إليه هو أن تحدث ثقباً صغيراً إذا ما استخدمته بصورة صحيحة. الميزة الجيدة هي أنه يصدر ضوضاء أقل قليلاً من المسدس عيار 38 وضوضاء أقل بكثير من المسدس عيار 45. في بعض الأحيان تكون راغباً في إحداث الكثير من الضجيج، كما هو الحال في منتصف النهار لتشتيت المارة، وفي بعض الأحيان لا ترغب في الكثير من الضجيج، إذا كنت في منتصف الليل. ما الذي ستستفيدة من إزعاج الناس وهم نائمون؟

ذكرت الصحيفة إن شخصاً مجهولاً هاجمه وأنه لم يكن هناك شهود. لذلك وضعه هناك على الرصيف لأنه لم يكن بحاجة إلى أمواله. لم أتمكن قط من العثور على مسدسي من عيار 32 بعد ذلك، والذي أعطاني إياه إيدي ريسي لإشهاره بوجهه روميو في ولاية جيرسي. لا بد أن المطاف قد انتهى به في مكان ما.

جلست في ذلك الصباح وأنا أحرق في الصحيفة. لا بد أنني جلست هناك لأكثر من ساعة. ظللت أفكر: «كان يمكن أن أكون مكانه».

وكان من الممكن أن أكون كذلك لولا راسل. كان ويسبرز يعرف ما يفعل. لم أكن أعلم حتى أن رجال مافيا اليهود هم الذين يملكون شركة كاديلاك. كنت أعتقد أنهم كانوا بعض اليهود. كان ويسبرز ينوي أن يتركني أواجه مصيري بنفسي، وكان سيتركني وحدي هناك. كنت الشخص الذي كان رجال مافيا اليهود سيشاهدونه يتلصص في الأرجاء، وكنت الشخص الذي كانوا سيتخلصون منه بعد حدوث ذلك الشيء. وكان ويسبرز سيجني من ذلك احتراق المكان وبعد أن يتخلص اليهود مني، فلن يدفع لي ثمانية الآلاف دولار المتبقية.

لن تُطرح أية أسئلة بطريقة أو بأخرى، سواء قبل أو بعد تنفيذ المهمة، لأنني كنت سأذهب إلى حتفي. ولولا ما فعله راسل لما طُرحت أية أسئلة لأنني حينها سأكون قد انتهيت، ولن أكون هنا أتحدث عن كل هذه الأشياء. أنا مدين لذلك الرجل بحياتي. وكانت تلك المرة الأولى فحسب.

كان ويسبرز يعرف قواعد العمل. وقد خرق تلك القواعد، هذا كل شيء.

بعد أن انتهيت من الأمر وذهبت إلى مطعم فريندلي، كان بإمكانني القول إن كل من كان يجلس مع سكينى رازور بات ينظر لي باحترام أكبر. ابتاع لي سكينى رازور مجموعة من المشروبات. ذهبت إلى مطعم فيلا دي روما وتواصلت مع أنجيلو وقدمت له

تقريرًا. كان راضيًا. اشترى لي عشاء على حساب المطعم، وقال لي أن أكون حذرًا حين اشترك في عمل ما في المرة القادمة. وقال إن ويسبرز كان يعرف ما يفعله وأنه كان جشعًا.

ثم دخل رجلان وجلسا معنا. قدمني أنجيلو إلى كابي هوفمان وودي وايزمان. كانا هما رجلي المافيا اليهوديين اللذين يمتلكان شركة كاديلاك مع أنجيلو. لقد كانا ودودين جدًا معي، ومهذبين جدًا وذوي شخصيتين لطيفتين. عندما غادر أنجيلو معهما، بقيت في الحانة في الغرفة الأمامية. لم يأخذ النادل نفسه الذي أغلق الباب ورأني بالأمس نقودًا مقابل كؤوس النبيذ التي شربتها. حتى النادلات لاحظن مدى الاحترام الذي حظيت به وبدأن بمغازلتني. وقد وزعت على الجميع بقشيشًا جيدًا.

بعد تلك الأربع والعشرين ساعة التي فصلت ما بين الوقت الذي التقيته وأنجيلو وراسل والوقت الذي التقيته وأنجيلو مرة أخرى، بعد ما جرى مع ويسبرز على الرصيف، باتت عدم العودة إلى المنزل شيئًا عاديًا وسهلاً يومًا بعد يوم. وفي نفس الوقت، فإن العودة إلى المنزل أصبحت تزداد صعوبة بمرور الأيام. في كلتا الحالتين، توقفت عن الذهاب إلى المنزل.

بمجرد دخولي إلى هذه الأجواء الجديدة، لم أعد أقوم باعترافات يوم السبت، ولم أعد أذهب كثيرًا إلى الكنيسة مع ماري يوم الأحد. أصبح كل شيء مختلفًا. كنت أنجرف إلى وسط المدينة وأصبحت أقضي معظم وقتي هناك. لقد كان وقتًا سيئًا لإهمال الفتيات. لقد كان أسوأ خطأ ارتكبته في حياتي. ولكن ليس هناك وقت مناسب لترك زوجتك وأطفالك.

حصلت على غرفة بالقرب من سكاني رازور ووضعت ملابسني فيها. وبقيت أذهب إلى قاعة نقابة سائقي الشاحنات، وبقيت أملك وظيفتي في قاعة الرقص، لكنني واصلت الحصول على المزيد والمزيد من المهمات من وسط المدينة. كنت حينها أشق طريقي. وأصبحت جزءاً من ذلك المجتمع.

## الفصل الحادي عشر

### جيمي

مما لا شك فيه أنه من الصعب على بعض الناس اليوم تقدير درجة الشهرة التي وصل إليها جيمي هوفاً أو مقدار التشهير الذي تعرض له خلال المرحلة التي كان فيها في أوج عظمته وقبل وفاته، وهي الفترة التي امتدت على مدى عقدين تقريباً من منتصف الخمسينيات إلى منتصف السبعينيات.

حين كان هوفاً في أوج عظمته كان أقوى زعيم عمالي في البلاد، كيف يمكن أن يحصل ذلك في تلك الأوقات التي كان فيها قادة العمال غير معروفين للجمهور؟ وعندما اشتد الصراع النقابي؟ واندلعت حروب العمال الدامية؟ إنَّ أشبه شيء بنشوب حرب عمالية اليوم هو إضراب لاعبي البيسبول والنقاش حول ما إذا كان موسم دوري البيسبول الرئيس سيتم تقصيره، وما إذا كانت هناك بطولة دولية. ومع ذلك، في العامين الأولين اللذين أعقبا الحرب العالمية الثانية، وهي السنوات التي كان يبحث فيها فرانك شيران عن عمل ثابت بعد أن تزوج، كان هناك ما مجموعه 8000 إضراب في 48 ولاية. وكان هناك أكثر من 160 إنذاراً منفرداً سنوياً في كل ولاية، وقد تحولت العديد من الإضرابات الفردية إلى إضرابات على الصعيد الوطني.

واليوم، أصبح جيمي هوفاً مشهوراً، وذلك عائد في الغالب إلى أنه كان ضحية لأخطر قضية اختفاء في التاريخ الأمريكي. ولكن خلال فترة العشرين عاماً تلك، لم يكن هناك أمريكي على

قيد الحياة لا يعرف جيمي هوبا على الفور بنفس الطريقة التي يعرف بها الناس اليوم توني سوبرانو<sup>(13)</sup>. كانت الغالبية العظمى من الأمريكيين تعرفه من نبرة صوته. في الفترة من عام 1955 حتى عام 1965 كان جيمي هوبا مشهوراً مثل المغني إلفيس بريسلي. ومن عام 1965 حتى عام 1975 كان جيمي هوبا مشهوراً مثل فريق البيتلز الغنائي.

كانت أول سمعة لجيمي هوبا في العمل النقابي كقائد لإضراب ناجح نظمته مجموعة من العمال عرفت باسم صبيان الفراولة «Strawberry Boys» والذي أصبح لقباً لهم. في عام 1932، كان جيمي هوبا البالغ من العمر تسعة عشر عاماً يعمل عامل تحميل وتفريغ شاحنات الفواكه والخضراوات الطازجة في رصيف التحميل التابع لشركة كروغر للأغذية في ديترويت مقابل 32 سنتاً في الساعة الواحدة. كانت العشرون سنتاً من هذا الأجر قابلة للاسترداد في محلات البقالة في متاجر كروغر للأغذية، لكن الرجال كانوا يحصلون على اثنين وثلاثين سنتاً فقط عندما يتوافر هناك عمل يقومون به. كان عليهم تقديم تقرير العمل في الساعة 4:30 مساءً. عن نوبة عمل لمدة اثني عشرة ساعة لا يتم السماح لهم فيها بمغادرة المنصة. عندما لم تكن هناك شاحنات للتحميل أو التفريغ، كان العمال يجلسون هناك من دون أن يحصلوا على أجر. بعد ظهر أحد أيام الربيع الحار الخالدة، وصلت حمولة من الفراولة الطازجة من فلوريدا، وبدأت مسيرة أشهر زعيم عمالي في تاريخ أمريكا.

---

(13) رجل المافيا الأمريكي ذو الأصول الإيطالية، في المسلسل التلفزيوني آل سوبرانو. (المترجم).

أعطى هوبا الإشارة، ورفض الرجال الذين سيعرفون باسم صبيان الفراولة نقل الفراولة القادمة من فلوريدا إلى السيارات المبردة حتى يتم الاعتراف باتحادهم وتلبية مطالبهم بظروف عمل أفضل. تضمنت مطالبهم ضماناً بدفع أجور أربع ساعات في اليوم لكل مناوبة عمل تستغرق 12 ساعة لعمال المنصة. وخوفاً من تلف صناديق الفراولة بسبب حرارة ذلك اليوم، استسلمت شركة كروغر ووافقت على مطالب الشاب جيمي هوبا ووقعت مع النقابة الجديدة للشركة عقداً لمدة عام واحد.

كان جيمي هوبا -الذي وُلد في عيد القديس فالنتين عام 1913- أكبر من فرانك شيران بسبع سنوات. ومع ذلك، بلغ كلاهما مبلغ الرجولة في نفس فترة الكساد الكبير، في الوقت الذي كانت فيه للإدارة عادة اليد العليا وكان الناس يكافحون لمجرد وضع الطعام على الطاولة. توفي والد جيمي هوبا، عامل مناجم الفحم، عندما كان جيمي في السابعة من عمره. عملت والدته في مصنع للسيارات لإعالة أطفالها. ترك جيمي هوبا المدرسة في سن الرابعة عشرة كي يعمل ويساعد والدته.

كان انتصار هوبا ومجموعته من صبيان الفراولة عام 1932 انتصاراً عمالياً نادراً في تلك الأيام. في تلك السنة نفسها، تحركت مجموعة من المحاربين القدماء في الحرب العالمية الأولى الذين أصبحت محنتهم رمزاً لبؤس العمال في فترة الكساد. في عام 1932، سافر آلاف المحاربين القدامى الذين سئموا الوعود الكاذبة، إلى واشنطن ورفضوا مغادرة المركز التجاري إلى أن يتم منحهم مكافآتهم الموعودة، والتي لم تكن لتصرف لهم إلا بحلول

عام 1945، والتي قرر الكونغرس صرفها لهم في ذلك الحين لأنهم كانوا في أمس الحاجة إليها. أمر الرئيس هيربرت هوفر الجنرال دوغلاس ماك آرثر<sup>(14)</sup> بتفريق مسيرتهم بالقوة، وقاد ماك آرثر، وهو يمتطي صهوة حصان أبيض، هجومًا بالجنود والدبابات والغاز المسيل للدموع ضد المحاربين القدامى دون منحهم فرصة للمغادرة بهدوء. فتح الجيش الأمريكي النار على جنوده السابقين غير المسلحين؛ ما أسفر عن مقتل اثنين وإصابة عدة آخرين، وكانوا جميعهم من قدامى المحاربين في حرب عالمية دموية انتهت قبل أربعة عشر عامًا، والتي كانت تسمى حرب إنقاذ الديمقراطية.

في العام التالي، رفضت شركة كروغر التفاوض على عقد جديد، ولم يدم انتصار هوبا طويلاً. ولكن بفضل صلابته موقفه وموقف زملائه قرر فرع نقابة سائقي الشاحنات المحلي رقم 299 في ديترويت جعل جيمي هوبا مسؤولاً تنظيمياً. كانت مهمة هوبا تشجيع الرجال على الانضمام إلى النقابة وأن يعملوا من خلال التضامن والتنظيم على تحسين حياتهم وحياة أسرهم. كانت ديترويت موطنًا لصناعة السيارات الأمريكية، وكان هنري فورد قطب تلك الصناعة والمتحدث الرسمي الرئيس باسم صناعة السيارات، قد اتخذ موقفًا من الحركة العمالية بشكل عام عبر عنه بعبارة الشهيرة «النقابات العمالية هي أسوأ شيء عرفه الكون على الإطلاق».

---

(14) قائد جيش الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم).

كانت الشركات تؤمن خلال محاربتها هذا الغول المتوحش الذي تمثله الاتحادات العمالية، أن كل الوسائل مبررة. لم تشعر الشركات الكبيرة والصغيرة على حد سواء بأدنى وخزة ضمير بشأن استئجار السفاحين والبلطجية كمفسدين للاضرابات لتحطيم رؤوس وإرادة المضربين وقادة النقابات.

بمجرد تأسيس النقابة، كان سلاح التفاوض الوحيد لديها هو الإضراب، ولا يمكن أن ينجح الإضراب إذا ظهر عدد كاف من الأشخاص في موقع العمل وقاموا بأداء وظائفهم. لأن الوظائف كانت شحيحة خلال فترة صعود هوبا، لم تكن الإدارات تجد صعوبة تذكر في توظيف العمال «كاسري الإضراب» غير النقابيين ليحلوا محل العمال النقابيين المضربين. عندما رفض المضربون النقابيون الواقفون في طابور العمال المضربين السماح لكاسري الإضراب غير النقابيين بعبور الطابور والذهاب إلى العمل، هاجم السفاحون والبلطجية الذين استأجرتهم الإدارة الطابور من أجل فتح الطريق. جلب سانتو بيروني، أحد رجال عصابات صقلية الموجودين، رجالاً مفتولي العضلات لتستأجرهم إدارات المصانع في ديترويت. أرسل بيروني البلطجية الصقليين ليكسروا الإضرابات في ديترويت وهم يحملون الهراوات، في حين كان رد فعل رجال الشرطة إما النظر في الاتجاه الآخر وإما مساعدة المهاجمين.

وكما قال هوبا: «لا أحد يستطيع أن يصف الإضرابات عن العمل، وأعمال الشغب، والمعارك التي وقعت في ولاية ميشيغان، وخاصة هنا في ديترويت، ما لم يكن جزءاً منها». وفي مناسبة

أخرى قال: «لقد تم فتح فروة رأسي بما يكفي لتتحمل خياطات لا تقل عن ست مرات خلال السنة الأولى من إدارتي شؤون فرع النقابة العمالية المحلي رقم 299 لقد ضربت على أيدي رجال الشرطة أو كاسري الإضراب 24 مرة على الأقل في تلك السنة». وعلى الجانب الآخر، غالبًا ما كانت النقابات مثل نقابة سائقي الشاحنات تستخدم رجالها المفتولي العضلات، وأساليبها الخاصة لإثارة الرعب، بما في ذلك التفجيرات والحرق العمد والضرب والقتل. لم تكن المصادمات وأعمال العنف تحدث بين العمال والإدارة فقط. غالبًا ما كانت تجري بين النقابات المتنافسة التي كانت تتنافس على العضوية نفسها. للأسف، غالبًا ما كان العنف يوجه إلى أعضاء نقابة العاملين الذين كانوا يحثون على الإصلاح الديمقراطي لنقاباتهم.

أصبحت التحالفات التي عقدها هوبا مع العصابات في جميع أنحاء البلاد في أثناء فترة صعود اتحاده الآن من ذكريات الماضي. ولكن في الخمسينيات من القرن الماضي، كان الرأي العام قد بدأ لتوه يسلط الضوء عليه.

في مايو 1956 استضاف تور تورزل، وهو صحفي استقصائي في صحيفة نيويورك جورنال الأمريكية، عددًا من معارضي هوبا في نقابة سائقي الشاحنات في برنامج الإذاعي اليومي. كان ريزل يشن هجومًا على العناصر الإجرامية في النقابات العمالية. في ليلة بث البرنامج، خرج ريزل من مطعم ليندي الشهير في شارع برودواي بالقرب من تايمز سكوير، فاقترب منه عند الرصيف أحد البلطجية ورمى كأسًا من الحامض الحارق على

وجهه. أصيب ريزل بالعمى بسبب تأثير الحامض على عينيه. سرعان ما أصبح واضحاً أن الهجوم قد أمر به حليف هوفاً ورجل العصابات في النقابة جون ديوغواردي، المعروف أيضاً باسم جوني ديو. تم اتهام ديو بتدبير هذه الجريمة الشنيعة، ولكن عندما تم العثور على الشخص الذي رمى الحامض ميّتا، وفهم شهود آخرون مغزى تلك الرسالة رفضوا التعاون، وتم إسقاط التهم بحقه.

ظلت صورة فيكتور ريزل الكفيف وهو يرتدي نظارات داكنة ويظهر على شاشة التلفزيون تحت بشجاعة على إصلاح النقابات العمالية؛ ما أثار غضب الأمة، لدرجة أن مجلس الشيوخ الأمريكي استجاب للأمر من خلال إجراء جلسات استماع متلفزة مباشرة تناولت تأثير المبتزين في الحركة العمالية. باتت هذه الجلسات تُعرف باسم جلسات استماع لجنة ماكيلان، التي سُميت على اسم سيناتور أركنساس، جون ل. ماكيلان، الذي كان يترأسها. وكان المرشحان المقبلان للرئاسة، وهما السناتور باري غولدووتر من أريزونا والسيناتور جون إف. كينيدي من ماساتشوستس، عضوين في اللجنة. كان المستشار الرئيسي للجنة والمحقق الرئيسي فيها هو الأخ الأصغر للرئيس القادم والمدعي العام القادم للبلاد، بوبي كينيدي. نتيجة لنشاطه العدائي لهوفاً في اللجنة، أصبح بوبي كينيدي عدو جيمي هوفاً القاتل.

استعان جوني ديو بالتعديل الخامس للدستور بعد كل سؤال طرح عليه، بما في ذلك السؤال الذي وجه إليه فيما إذا كان قد قابل جيمي هوفاً. بسبب موقعه النقابي، لم يتمكن جيمي هوفاً

من الاستعانة بالتعديل الخامس دون أن يفقد وظيفته. أجاب عن الأسئلة الواحد تلو الآخر بالتلاعب بالكلمات والتحجج بالنسيان. عندما تمت مواجهته بتسجيلات صوتية للأحاديث التي أجراها مع جوني ديو حيث تم التتصت عليها، لم يتذكر هوبا قط أنه طلب من جوني ديو أن يقدم له أي خدمة. في إحدى المرات تحدث هوبا مع بوبي كينيدي عن الأشرطة وقال: «أتذكر ذلك إلى حد ما، يجب أن أستجمع ذاكرتي... لا، لا أتذكر».

من المؤكد أن غضبًا عارمًا سيجتاح الناس لو كانوا قد علموا بما قاله هوبا لموظفيه عندما سمع عن فقدان ريزل بصره: «إنه ابن العاهرة فيكتور ريزل. لقد تم رمي قليل من الحمض عليه للتو. من المؤسف أنه لم يُرمَ على يديه اللعنتين اللتين كان يكتب بهما». عندما سأل هوبا بوبي كينيدي عن المصدر الذي حصل منه على 20000 دولار نقدًا ليستثمرها في مشروع تجاري، رد هوبا: «من عدد من الأفراد». وعندما طُلب منه تسميتهم قال هوبا: «لا أستطيع الآن، لا أعرف في هذه اللحظة بالذات أسماء من أقرضني هذا المبلغ من المال، لكن سجل قروضي مدرجة فيه جميع الأموال التي اقترضتها خلال هذه الفترة الزمنية واستثمرتها في هذه المشاريع».

حسنًا، هكذا تم توضيح الأمر.

وصف بوبي كينيدي جيمي هوبا بأنه «أقوى رجل في البلاد بعد الرئيس».

كان جزء من غموض هوبا عندما أصبح مشهورًا في الخمسينيات نابعًا من صورة الرجل القوي المتمرد التي كانت

تظهر على شاشات التلفزيون. كان متمرّداً على المؤسسة الحكومية «antiestablishment» قبل أن يستخدم الناس هذه الكلمة. قد يكون أقرب شيء اليوم إلى ما كانت عليه صورة هوبا لدى العامة هو بعض فرق الهيفي ميتال الموسيقية. ببساطة، لا توجد شخصيات عامة اليوم تتحدّى النخبة من رجال الأعمال والمؤسسات الحكومية، تدافع بقوة عن مصالح الطبقة العاملة كما كان يفعل جيمي هوبا يومياً وبكل اعتداد بالنفس.

كان التلفزيون في بداياته عندما أصبح جيمي هوبا رئيساً لنقابة سائقي الشاحنات الدولية في 14 أكتوبر 1957، قبل شهر من حادثة أبالاتشين. كان هوبا ضيفاً مشهوراً يظهر بشكل متكرر في البرامج الحوارية الإخبارية في تلك الأيام، مثل برنامج واجه الصحافة «Meet the Press» كانت الميكروفونات ملتصقة بوجهه أينما ذهب، وحين يعقد جيمي هوبا مؤتمراً صحفياً، يتسابق لحضوره مراسلو الصحافة العالمية.

كان لدى جيمي هوبا فلسفتان وجّهتا أفعاله. كان يعبر عنهما يومياً بطريقة أو بأخرى وغالباً عن طريق الكلمة أو الفعل. كانت الأولى «الغايات»، والثانية كانت «الوسيلة». كانت «الغايات» فلسفة عمله. غالباً ما كان هوبا يقول إن فلسفته في العمل بسيطة: «إن أجر العامل الأمريكي يتقلص بشكل يومي في أمريكا». كانت «الوسيلة» فلسفته الثانية ويمكن تلخيصها بملاحظة أدلى بها لبوبي كينيدي في حفلة خاصة حين وجدا نفسيهما معاً: «أنا أفعل للآخرين ما يفعلونه بي، ولكن بشكل أسوأ». ببساطة، يعتقد جيمي هوبا أن «غاياته» هي تحسين ظروف عمل الأمريكيين بشكل كبير

بقيادة اتحاده، بهذه الطريقة برر للأمريكيين مشروعية استخدام كل «الوسائل» لتحقيق ذلك.

تجلت شعبيته بين أعضاء نقابته لرغبتهم في جني المكافآت الملموسة التي حصل عليها لهم، والتي شملت الأجور والإجازات المدفوعة الأجر والمعاشات التقاعدية والضمان الصحي والرعاية الاجتماعية. وكما أخبر جيمي هوفاً زميله ديو في إحدى تلك المحادثات التي تم التتصت عليها والتي لم يستطع تذكرها: «... نعاملهم بشكل صحيح ولا داعي للقلق».

على الرغم من أن الآخرين قد شاركوا بحماسة لتحسين حياة الرجال والنساء الأمريكيين العاملين وأسرههم، فإن جيمي هوفاً كان يمتلك القوة لفعل شيء حيال ذلك. قال عنه مؤيده المتحمس فرانك شيران: «جيمي هوفاً كان سابقاً لعصره عندما يتعلق الأمر بحقوق العمال. كان هناك شيئان مهمان في حياته: الاتحاد وعائلته. صدق أو لا تصدق، وبقدر ما كان يمثل اتحاد نقابات العمال من أهمية قصوى عنده، إلا أن زوجته وابنته وابنه كانوا يأتون أولاً. لم تكن النقابة بالنسبة إليه تنظيمًا يساعد الرجال فقط، بل ويساعد عوائلهم أيضًا. يتحدث الجميع هذه الأيام عن القيم العائلية. كان جيمي سابقاً لعصره في هذا الأمر أيضًا. كان هذان الشيئان يمثلان حياته كلها».

ذات مرة قال جيمي هوفاً لفرانك شيران بحماسة: «إذا نجحت في الأمر، أيها الأيرلندي، سينضم إليك سائقو الشاحنات. لا تتس ذلك أبدًا. هذا هو سر ما نقوم به». كان جزء من عبارة «إذا نجحت في الأمر» يشمل شاحنات نقل الأغذية والملابس

والأدوية ومواد البناء والوقود للمنازل والصناعة، كل شيء تقريباً. لأن إضراب سائقي الشاحنات على الصعيد الوطني سيؤدي حرفياً إلى تجويع الشعب وتعطيل اقتصاد البلاد، وصف بوبي كينيدي أعضاء نقابة سائقي الشاحنات التي كان يرأسها جيمي هوبا: «بالطريقة التي يديرها بها السيد هوبا، فإنهم أعضاء المؤسسة الأقوى في البلاد إلى جانب حكومة الولايات المتحدة». أما السناتور جون ل. ماكليان فقد ذهب أبعد من ذلك حين وصفها بأنها «مصدر المؤامرات الشريرة» وصف ماكليان «نقابة سائقي الشاحنات تحت قيادة السيد هوبا» بأنها «قوة عظمى في هذا البلد، أعظم من الشعب وأعظم من الحكومة».

ابتداءً من الوقت الذي قام سلفه ومعلمه ديف بيك بالتنازل عن رئاسة النقابة في عام 1957 وذهب إلى السجن بتهمة اختلاس 370,000 دولار من المؤتمر الغربي لنقابة سائقي الشاحنات لتمويل عدة مشاريع كان من بينها بناء منزل لابنه. أحكم الرئيس الجديد جيمي هوبا قبضته على النقابة بشكل مطلق، ربما يكون صحيحاً القول إن السلطة تفسد من يملكها، وأن السلطة المطلقة تفسده تماماً. إذا كان الأمر كذلك، فإن جيمي هوبا لم يكن يشعر بالندم عند تحالفه مع أشخاص كانت لديهم سجلات إجرامية من أجل تحقيق أهدافه.

في إحدى المرات خاطب هوبا الناس من خلال شاشات التلفزيون قائلاً: «عندما نتحدثون الآن عن قضية المجرمين ورجال العصابات، فإن أول الأشخاص الذين يستأجرون المجرمين ورجال العصابات هم أصحاب العمل. إذا كانت هناك أية قوة غير

قانونية في المجتمع، فإنهم سيستخدمونها، لتكون ذراعاً قوية لهم ولأغراض أخرى. لذا إذا كنت ستبقى مشغولاً بتنظيم الأشياء غير المنظمة، والحفاظ على ديمومة عمل نقابتك، فمن الأفضل أن يكون لديك عناصر للمقاومة».

تشكلت «مقاومة» هوبا من تحالفات وثيقة مع أقوى العرابين ذوي النفوذ لشبكة العصابات المتشابكة السرية المكتشفة حديثاً لرجال العصابات الذين تجمعوا في أبالا تشين، والذين قسّموا أمريكا على أربعة وعشرين منطقة للجريمة المنظمة، والذين أداروا منظماتهم (والتي تسمى العائلات) بهيكل تنظيمي عسكري. كان «الرؤساء»، أو «العرابون»، بمثابة الجنرالات في الجيش. وكان هناك «الكونسيليرز» consiglieres أو المساعدون، والذين كانوا بمثابة كبار الضباط، و«الكابوس» capos الذين كانوا يعادلون رتبة النقيب. وهناك أيضاً «الجنود» الذين يتلقون الأوامر من الجهات العليا باعتبارهم جنوداً. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك شركاء مثل فرانك شيران الذين لم يكن مسموحاً لهم -بغض النظر عن الوضع الذي حصلوا عليه- تولي رتبة رسمية في الهيكل العسكري للعائلات الإيطالية.

طبقاً لهذا السياق التاريخي يمكن أن يكون هناك القليل من الشك في أن هوبا كان يعرف جيداً أن الغالبية العظمى من أفراد العصابات الذين شكلوا «مقاومته» لم يكن لديهم أي اعتبار لأفكاره وقيمه. كان جوني ديو نفسه يمتلك ويدير متجرًا لصناعة الملابس، لم ينضم إلى أي نقابة. كانت العديد من هذه الشخصيات الشريرة تنظر إلى النقابات باعتبارها مجرد وسيلة

أخرى لمساعدتها في ارتكاب المزيد من الجرائم، والحصول على المزيد من الثروة والنفوذ.

وفي الوقت نفسه، كان هوفّا يشدد في خطاب تلو الآخر يوجهه إلى أعضاء النقابة على «أن كل هذا التركيز على المبتزين والمحاليين هو ستار لإعادتكُم إلى الأيام التي كان يمكنهم فيها أن يرمونكم إلى كومة من الخردة مثلما يفعلون مع شاحنة مهترئة». من ناحية أخرى، أشار بوبي كينيدي في كتابه «العدو في الداخل» إلى تجاربه وملاحظاته باعتباره المستشار الرئيسي في جلسات لجنة ماكيلان حول الجريمة المنظمة والنقابات العمالية قائلاً: «قابلنا واستجوبنا بعضاً من أكثر رجال العصابات شهرة في البلاد والمبتزين، ولكن لم تكن هناك مجموعة تشبه النموذج الأولي لاتحاد آل كابوني القديم أفضل من جيمي هوفّا وبعض كبار مساعديه داخل وخارج اتحاد العمال».

كلفت شركة الإنتاج السينمائي «أفلام فوكس للقرن العشرين» الكاتب الشهير بود شولبرغ الذي ساعد في تأليف كتاب «بوبي كينيدي»، والذي كتب سيناريو الفيلم الشهير «على الواجهة البحرية»، بكتابة سيناريو لفيلم مأخوذ عن الكتاب. ولكن تم التخلي عن المشروع من قبل الاستوديو. ثم أعربت شركة «كولومبيا بيكتشرز» عن اهتمامها بتنفيذ المشروع لكنها تخلت عنه أيضاً. في مقدمته لكتاب صدر عام 1972 عن هوفّا قام بتأليفه والتر شيريدان كبير مساعدي بوبي كينيدي، شرح بود شولبرغ لماذا تخلت كلتا الشركتين عن المشروع: «دخل أحد العمال إلى مكتب الرئيس الجديد لشركة أفلام فوكس للقرن

العشرين وحذّره من أنه إذا صنع الفيلم في أي وقت، فإن سائقي الشاحنات سيرفضون نقل أشرطةه إلى صالات السينما. وإذا وصلت الأشرطة إلى هناك بأي وسيلة أخرى، فإن قنابل الرائحة النتنة ستجعل الناس يخرجون من صالات السينما».

دُعِم هذا التهديد الذي وُجّه إلى شركة أفلام فوكس للقرن العشرين برسالة تحذير إلى شركة كولومبيا بيكتشرز، أرسلها بيل بوفالينو محامي نقابة سائقي الشاحنات، الذي كان في ذلك الوقت أيضًا محامي هوبا. كتب بود شولبرغ عن رسالة بوفالينو: «لقد ذكر بشكل قاطع أن شركة أفلام فوكس للقرن العشرين قد تخلت عن المشروع بحكمة بمجرد الإشارة لهم إلى جميع الاحتمالات الممكنة، وأنه يشعر بالثقة في أن شركة كولومبيا ستكون ذكية بما يكفي للقيام بالمثل».

## الفصل الثاني عشر

### «سمعت أنك تطلي المنازل»

لم تفارقني قط حالة القلق والضجر. ويبدو أنني طوال حياتي منذ تلك الأيام التي كنت فيها أستطيع الانتقال بخفة ورشاقة كنت أحمل في داخلي الكثير من طباع الفجر.

لقد منحني العمل في مقر اتحاد العمال على أساس يومي دون أي التزامات حرية الوجود في أي مكان كنت بحاجة إلى أن أذهب إليه في أي يوم أشاء. في الأيام التي كنت أحصل فيها على مهمة معينة في وسط المدينة، لم أكن أكلف نفسي عناء النزول إلى قاعة النقابات للحصول على شاحنة. شيئاً فشيئاً مع زيادة مكانتي، بدأت أقوم بمهام أكثر فأكثر في وسط المدينة. بدأت أنفق على نفسي، وأزور لمدة قصيرة ماري والفتيات، وأقدم لهن النقود اعتماداً على مقدار ما أكسبه في ذلك الأسبوع. كل ما كنت أفعله في وسط المدينة كان مرتبطاً بالنقود.. حتى قاعة الرقص كانت تدفع لي نقوداً.

إذا كانت لديك مهمة في أحد الأيام، وعلى الرغم من ذلك، لم تكن هناك نقود مرتبطة بها، فلا يمكنك أن تقوم بأي عملية سرقة أو سلب إلى جانب المهمة التي ليس لديك وقت لإنجازها سوى يوم واحد. أنت بحاجة إلى أكثر من يوم هنا وهناك لتنظيم العملية، مثل عملية الذبائح في متجر الأغذية. لذلك كان الذهاب إلى وسط المدينة والتسكع في الحانة بمثابة طريقة للحصول على أموال إضافية.

تعلمت تنفيذ الكثير من المهام من سكينى رازور والكثير من أصدقائه. كان الأمر كما لو كانوا هم المحاربين القدامى في هذا النوع من العمل وكنت أنا المجند الجديد الذي انضم للتو إلى مجموعتهم. كنت في نظر الناس، أقرب إلى أنجيلو وصحبه مما كنت عليه مع راسل. ولكن ولائي كان لراسل. كنت ألتقي أكثر أنجيلو وصحبه، لأنه كان في وسط المدينة وكان راسل في الغالب خارج الولاية. كان أنجيلو يقول أنه أقرضني لراسل، لكن الأمر كان مختلفًا حقًا. فراسل هو من أقرضني إلى أنجيلو. اعتقد راسل أنه سيكون من الجيد بالنسبة إلي أن أتعلم وأكسب المال في وسط المدينة مع مجموعة أنجيلو. ذات يوم ناداني راسل بـ«صديقي الأيرلندي»، ثم بدأ الجميع في وسط المدينة ينادوني بـ«الأيرلندي» أو «الرجل الأيرلندي» بدلًا من تشيك.

بعد حادثة ويسبرز حصلت على قطعة سلاح تكون جاهزة لأي مهمة أكلف بها في أي وقت. إذا كنت أقود السيارة، كنت أضعها في درج السيارة. في إحدى الليالي، وبينما كنت عائدًا إلى المنزل نحو الساعة الثانية صباحًا من قاعة نيكسون، توقفت عند الضوء الأحمر في زاوية مظلمة في شارع سبرينغ غاردن حيث كان الشارع مظلمًا. كنت وحدي وكانت نافذة سيارتي معطلة. جاءني شاب أسود وبدأ يلوح بمسدسه تحت أنفي. ظننت أن ذلك الشخص لا بد أن يكون هو من أظلم الشارع في ذلك الركن من خلال كسر المصباح. كان ذلك هو ركنه. كان لديه شريك يقف خلفه لدعمه دون أن يكون واضحًا عليه أنه يحمل سلاحًا. أخبرني الشخص الذي يحمل المسدس بأنه يريد محفظتي. فقلت له: «بالتأكيد،

لكنها في درج السيارة». أخبرته بأن «يهدأ» و«لا تتسرع وتقوم بأي حماقة، أيها الشاب». مددت يدي نحو الدرج وفتحته وتناولت مسدسي من عيار 38، والذي لم يستطع قاضع الطريق رؤيته على الإطلاق لأن كتفيّ العريضتين كانتا تحجبانه عنه. وعندما استدرت نحوه، لم يستطع رؤيته بسبب يدي الكبيرة وتحركت بسرعة ذيل الكنغر. أخرج يده الفارغة ليأخذ بها ما كان يظنه ستكون محفظتي. حينها أطلقت النار على إحدى ركبتيه، وعندما بدأ يزيد عنادًا، أطلقت النار على ركبته الأخرى. في أثناء تركي المكان، استطعت رؤيته بمرآتي الخلفية وهو يتمايل في وسط الشارع، وأمكنني رؤية زميله وهو يعدو راکضًا في شارع سبرينغ غاردن. أخبرني هاجس ما بأن صديقه لم يكن يركض طلبًا للمساعدة أو لمزيد من الدعم. وأخبرني هاجس ما بأن الشخص الذي يتدحرج على الأرض لم يعد بإمكانه أن يسيطر على نفسه. من الآن فصاعدًا وفي كل مرة يخطو فيها خطوة عندما يمشي، سيشعر بالأثر الذي سببته له في ركبتيه، وسيتذكرني.

تخلصت من ذلك المسدس فقط لأكون بأمان. وفكرت في أنني إذا أردت الاحتفاظ بمسدس في السيارة أو المنزل، فإنه من الأفضل أن يكون مسدسًا جديدًا تمامًا، لم يسبق أن تم إطلاق النار منه قط. بهذه الطريقة لا يمكن ربطه بأي حادثة. فأنت لن تستطيع أن تعرف أبدًا إذا استخدمت قطعة سلاح قديمة ما إذا كان شخص آخر استخدمها لغرض لن تعرفه أبدًا، لذا أوصيت على قطعة جديدة كانت قد خرجت لتوها من العلبة.

أصبحت متشددًا نوعًا ما في دفع المال، وبدأت الحصول على مبالغ أكبر. عرف الناس أين يجدونني وكانوا يأتون إليّ من أجل ذلك. لم أعد بحاجة إلى قيادة الشاحنات بعد الآن. ولّت تلك الأيام التي كنت أدفع فيها قروضًا بمبلغ عشرة دولارات إلى نادلات مطعم وايت تاور للهمبرغر.

كنت أبحث عن ذلك الشخص الذي أقرضته والذي كنت أعتقد أنه يتجنبني. لم أجده في أي مكان. لم يكن يدفع الفوائد، ولا أي شيء آخر. ذات ليلة جاء أحد الرجال إلى مطعم فريندلي وأخبرني بأنهم رأوا هذا الرجل الذي كنت أبحث عنه في حانة ريكوبن التي يديرها هاري «الأحذب» في صالة تسمى يستريير. عندما وجدته وكان يلعب الورق في حانة هاري، أخبرني بأن والدته قد توفيت وقد أنفق الأموال التي كان يوفرها ليعطيها لي على الجنازة. تعاطفت مع الرجل، وذهبت إلى مطعم فريندلي وأخبرت سكينى رازور بأنني وجدت الرجل في حانة هاري. سألتني سكينى: «هل حصلت على أي من أموالك؟» فقلت: «ليس بعد»، وقال سكينى: «لا تخبرني. دعني أخمن. وفاة والدته؟». فقلت، «نعم، يا له من مسكين. أعتقد أنك سمعت بالأمر». قال سكينى رازور: «لقد ماتت والدته أكثر من مرة خلال السنوات العشر الماضية».

شعرت بأنه قد تم استغلالى أكثر من اللازم لأنني دخلت حديثًا إلى ذلك الوسط. تخيل رجلًا يستغل اسم والدته على هذا النحو. لذلك عدت أدراجي إلى حانة هاري وأخبرت ذلك النذل بأن يترك طاولة اللعب وينهض. كان بنفس طولي ولكن أضخم مني قليلًا. نهض عن الطاولة وتأهب ليسدد نحوي لكمة، فضربته

قبل أن يسدد تلك اللكمة وطرحته أرضاً، فنزل عن طاولة اللعب، وارتفعت الكراسي في الهواء. نهض وهو يمسك بكرسي في يده، فانتزعته منه ورمى به نحوه، وشرعت في ضربه إلى أن بدأ ينزف فتركته على الأرض فاقدًا الوعي.

فجأة، جاء هاري ونظر حوله وجنّ جنونه.. كانت لديه حذبة، لكنه كان لا يزال قويًا وكان لا يزال رجلًا مصطنعًا وتربطه علاقة وثيقة جدًا مع أنجيلو. بدأ يصرخ في وجهي لتحطيمي حانته، وجعل دم الرجل يملأ أرضية القاعة. قلت له إنني سأدفع ثمن الضرر. فقال إن هذا ليس مهمًا «ما نوع الاحترام الذي أظهرته لي في تحطيمك حانتي؟ كان بإمكانك أن تأخذ الرجل إلى الخارج وتضربه في الشارع. ليس صحيحًا أن تفعل ذلك في الحانة». لم أكن أعرف هاري جيدًا، لكنني أخبرته بأن الرجل ضربني في وجهي. وأخبرته بأن الرجل يدين لي بالمال وأنه لا يدفع حتى الفوائد. قال هاري: «هذا المتشرد لديه الجرأة للخروج إلى الشارع واقتراض المزيد من المال؟ إنه مدين للجميع بالفعل». قلت له: «لم أكن أعلم ذلك عندما أقرضته المال». ثم توجه هاري «الأحدب» نحو الرجل الملقى على الأرض وسحبه من شعره وبدأ يضربه في وجهه ليشفي غليله منه.

في هذه الأثناء، عندما توجهت إلى مطعم سكينى رازور شرع يلقي تعليقات لي مفادها أنه لا يجب أن لا يقتصر عملي على قيادة الشاحنات فقط. قال سكينى: «كيف تبقى بلا عمل يا أمي؟ يجب أن تفعل شيئًا». ثم قال: عليهم أن يفعلوا شيئًا من أجلي. يجب أن لا أبقى مجرد شخص يناور في طريقه. يجب أن أبدأ

العمل على أن أكون شخصاً ذا نفوذ. يجب أن أصاحب الأشخاص ذوي النفوذ والسلطة. واصل تكرار هذه العبارات على مسمعي عدة مرات مختلفة. في إحدى المرات أخبرته بأنني أحببت فيلم «على الواجهة البحرية» وقلت إنني لا أمانع في البدء بالمشاركة في نوع من العمل النقابي. لقد أحببت الطريقة التي تصرف بها المنظمون مثل جوي ماكفريل ووكلاء الأعمال من أجل تحسين أوضاع الرجال في نقابتي، نقابة سائقي الشاحنات. لا بد أن يكون سكينى رازور قد تحدث إلى أنجيلو، ولا بد أن يكون أنجيلو قد تحدث إلى راسل بعد ذلك بقليل، بدأت أتلقي تلميحات من راسل عندما كنا نجلس ونغمس خبز البورتشيلو في النبيذ. بدأ راسل يقول أشياء مثل: «لا يمكن أن تبقى سائق شاحنة إلى الأبد، يا عزيزي الأيرلندي».

ثم حدث ذات مرة أن حصل ذلك الرجل على الكثير من المجوهرات المسروقة ولم يأتِ بالمال قط. عندما تفعل شيئاً من هذا القبيل، فأنت تعلم أن الأمر سيتفاقم. لكن الكثير من هؤلاء الناس لا يعرفون كيف يقولون الحقيقة أو كيف يتعاملون مع الناس وأن يعيشوا على قدر إمكانياتهم. يصبح خداع الآخرين مثل العادة بالنسبة إليهم، مثل مضغ العلكة. يعاني البعض منهم مشكلات الشرب أو المقامرة التي تؤثر في تقييمهم للأمور. لا أعرف ما إذا كانت لديه مثل هذه المشكلات أم لا. لا أعرف ما مشكلته. الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أن لديه مشكلة.

لقد أرسلت لإيصال رسالة إلى ذلك المتهرب من دفع ديونه. كنت أعرف بعض الأشخاص الآخرين حاولوا إخباره بفجواها.

لكنه كان يروي لكل شخص قصة مختلفة. أخبروني في وسط المدينة بأن أبقى بالقرب منه. بدأت التسكع معه قليلاً. ذات ليلة كنت معه في مطعم هافرفورد في الشارع الثالث والستين في منطقة هاريسون. تركته هناك عند الساعة 8:30 لأنه سيبقى لينتظر رجلاً آخر يعرفه.

في وقت لاحق من تلك الليلة تم إطلاق النار على ذلك المتبطل في قبو منزله، وتُرك إلى جانبه مسدس من طراز ماغنوم عيار 357. كنت أعيش حينذاك في جادة سيتي لاين، وجاء رجال الشرطة وأخذوني للاستجواب. كان بإمكانهم فعل ذلك في ذلك الوقت، قبل أن تغير المحكمة العليا القوانين. حينها كان بمقدورهم اعتقال أي شخص يشكون فيه، أما الذين قتلوا زوجاتهم أو صديقاتهم فلا يمكن لأي شخص أن يعتقلهم أو حتى يسألهم عن أسمائهم. لقد كانوا يعتقلوننا متى ما أعجبهم ذلك. كانوا يحشروننا الواحد فوق الآخر ويوجهون إلينا أسئلة من جميع أنحاء غرفة الاستجواب. وكنا نتعرض لشتى أنواع التعذيب.

لقد عثروا على مسدس ماغنوم عيار 357 في شقتي، مسدس لم يُستعمل مطلقاً، وهذا ما كان في صالحني. كان لديهم شاهد في مطعم هافرفورد قال إنني سألت النادلة بصوت عالٍ عن الوقت عدة مرات، حين كنت برفقة المتوفى. وقال آخرون إنني سألتها عن الوقت مرة أخرى عندما نهضت لأغادر المكان في الساعة 8:30.

ووفقاً لاعتقاد رجال الشرطة، فإنني كنت أحاول إثبات وجودي في مكان آخر من خلال سؤالي النادلة، بحيث لا يمكن لأحد

أن يقول إنني كنت مع الرجل في وقت لاحق من الليل عندما تم إطلاق النار عليه. ثم أخبروني بأنهم عثروا على بصماتي على السلم الذي يؤدي إلى قبو منزله. أخبرتهم بأنني في اليوم السابق أعدت له سرير طفل كنت استعرتة منه ويمكنهم العثور على بصماتي في جميع أنحاء قبو منزله لأن السرير كان في قبو منزله. إنه لأمر جيد أن أكون قريباً من الرجل وإلا فإن بصماتي ستصبح دليلاً ضدي. سألوني إذا كان لدي أي شيء أريد أن أبوح به لهم فقلت لهم: «ليس لدي شيء لأبوح به لأنني لم أفعل أي شيء». طلبوا مني إجراء اختبار كشف الكذب، وذكّرتهم بأنني لست ساذجاً، وقلت لهم بكل احترام إنني اعتقدت أن عليهم إجراء اختبار كشف الكذب لأنفسهم لأنهم بحاجة إليه ليكشفوا مصير المسروقات التي استردّدت، كانت حوادث السرقة تحدث كثيراً في تلك الأيام.

من واقع خبرتي، تعلمت أن رؤساء المافيا والقادة فيها يرسلون لقتلك رجلاً كان صديقك لأسباب معقولة ومنطقية. كان السبب الواضح هو أن مطلق النار يمكنه أن يصطحبك إلى مكان منعزل. السبب الأقل وضوحاً هو أنه إذا عُثر على أي دليل ضد مطلق النار، إذا كان صديقك، فهناك العديد من التفسيرات المختلفة حول كيفية وصوله إلى منزلك أو سيارتك أو إليك.

خذ على سبيل المثال الشعرات الساقطة من رأس جيمي هوبا التي وجدوها في السيارة. كان جيمي قريباً من توني جياكالون وعائلته. يمكن أن تسقط شعرات من رأس جيمي بسهولة على ملابس أحد أفراد عائلة جياكالون. يمكن بعد ذلك أن تنتقل

الشعرات من ملابس أحد أفراد عائلة جياكالون إلى سيارة ابن جياكالون. أو يمكن أن يكون جيمي نفسه في تلك السيارة في مناسبة سابقة. أو يمكن أن تأتي من ملابس تشوكي أوبراين مساعد هوبا إلى السيارة. كان هناك مليون احتمال يخص تلك السيارة المستخدمة في ذلك اليوم، والتي صعد فيها جيمي هوبا وأخذته إلى مكان ما.

على أي حال، كنت في منزل الرجل في اليوم السابق أحمل سريراً. ظن رجال الشرطة أنني موجود هناك لأتفحص المكان إذا جاز التعبير، وللتعرف على القبو حيث وجدت جثته، وربما لترك نافذة أو باب مفتوحين أو أي شيء آخر في الطابق السفلي. لكنهم لم يتهموا أي شخص في هذه القضية، على الرغم من أنهم حاولوا بذل أقصى جهودهم لإلصاقها بي.

إذا كان ذلك الرجل قد أفلت بكمية كبيرة من المجوهرات المسروقة، فلن يتوقع أحد ما يمكنه أن يفعل. ولن يتوقع أحد ماذا يمكن أن يبوح به إذا سُلطت عليه الضغوط. إنه واشٍ في طور التكوين. إذا كنت تريد أن يكون لديك مجموعة منظمة، فإن القيام بهذا النوع من الأشياء يشبه الخيانة. حتى الحكومة تعدمك بتهمة الخيانة. هذا النوع من الأخطاء «قاتل»، خاصة إذا أعطوك الكثير من الفرص لتصحيح ذلك، كما فعلوا مع ذلك الرجل. هناك بعض القواعد التي تتبعها، وهكذا كانت تسير الأمور.

بحلول ذلك الوقت أصبحت عضواً مهماً في مجتمع المافيا، وكصديق لكل من راسل وأنجيلو، كنت أحظى بقدر كبير من الاحترام. أعلم أن بعضاً من ذلك جعلني فخوراً بنفسني. ولأنني

وماري كنا كاثوليكيين، فلم تنفصل بالطلاق، لكننا انفصلنا عن بعضنا وعشت بالطريقة التي رغبت في أن أعيش بها. كان غولدن لانتيرن مطعمًا يقع في الجهة المقابلة من الشارع الذي تقع فيه قاعة نيكسون للرقص. في أحد فصول الصيف وفي الفترة الواقعة بين يوم الذكرى<sup>(15)</sup> إلى يوم عيد العمال<sup>(16)</sup>، كانت تعمل في ذلك المكان أربع وأربعون نادلة، وكنت مشهورًا جدًا بين النساء. لا بد أن القصة انتشرت فيما بينهن وكانت كل واحدة منهن تريد أن تشترك في جولة معي. لقد وجدتني النساء شخصًا جذابًا وأعجبني ذلك الشعور. لقد كنت أعزب. ولكن ماذا كان الدافع وراء كل ذلك؟ إنه الشعور بالفرور، هذا كل شيء. لم تكن تربطني بأي منهن مشاعر حب. لم يكن سوى الكثير من الشرب والكثير من الفرور. وكلاهما سيقتلك.

أعطوني وظيفة في ناد ليلي اسمه دانتي أنفيرنو. كان مملوكًا لرجل يدعى جاك لوبنسون، لكن لوبنسون كان يدين بالكثير من المال بسبب ذلك المطعم لمرابي جشع يدعى جوزيف مالىتو الذي كان يتسكع هناك. كانت وظيفتي هي مراقبة تحصيل أموال لوبنسون ومالىتو، كنت الشخص المسؤول عن الشؤون المالية في ذلك المكان، وكانت مهمتي التأكد من أن المال يودع في الحساب النقدي وليس في جيوب السقاة، وإعادة الزبائن إلى النظام في حالة إذا خرج أحد منهم عنه.

---

(15) يوم عطلة فدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية يحتفل به في آخر يوم اثنين من شهر مايو. (المترجم).

(16) يتم الاحتفال به في أول يوم اثنين في شهر سبتمبر. (المترجم).

كان منظم نقابة سائقي الشاحنات في الفرع المحلي 107 شخصًا ثرثارًا اسمه جاي فالين، وهو أحد رجال جوي مكفريل، اعتاد أن يأتي إلى الملهى ويسكر، وكان من واجبي أن أخبر السقاة عندما يفرط في شرب الكحول بأن يتوقفوا عن خدمته. في إحدى الليالي، سحب فالن مسدسًا على زبون آخر فتوجهت نحوه وطرحته أرضًا. ثم رفعته عن الأرض ورمىته في الشارع وقلت له ألا يعود هناك مرة أخرى. مُنع من الدخول مدى الحياة، وكان يظل في الخارج ما دمت أنا موجودًا هناك.

كلما فكرت في ما قاله ليسكيني رازور عن أنهم يجب أن يفعلوا شيئًا من أجلي، كنت أتعب أكثر فأكثر بسبب أشخاص مثل فالن ووظائف مثل تلك التي حصلت عليها في ذلك النادي الليلي. بطريقة ما، كان من المفيد أنني لم أعتد على العيش طوال الوقت في روتين يومي ممل، ولكن الكثير من وقتي كان مثل حياة الجيش، فترات من القتال، تفصل بينها فترات من السكون تتسم بالكثير من الضجر. في كثير من الأحيان، كنت أفكر في ما سيكون عليه الحال في العمل النقابي، عند الحصول على راتب ثابت، والتقدم في المناصب في تلك المنظمة. فلا شك أنه سيكون لدي بهذه الطريقة المزيد من المال لإعطائه لماري كل أسبوع، أو على الأقل سيكون مبلغًا محددًا كل أسبوع بدلًا من التقلب ما بين حالتي الرخاء والفقر، وسأقضي وقتي في مكان آخر بدلًا من أن أكون في الحانات طوال الوقت وربما سأستطيع بهذه الطريقة أن أقلل من كمية الكحول التي كنت أتناولها.

كلما كرر راسل قوله إنني لا يجب أن أظل سائق شاحنة إلى الأبد، كنت أخبره صراحةً بأنني أود الانضمام إلى النقابة. كان يقول: «وما الذي يمنعك أيها الأيرلندي؟»

كنت أقول له: «لقد ناقشت الأمر بالفعل، مع جوي ماكفرييل، الشخص الذي أبيع تذاكر يانصيب كرة القدم لصالحه. إنه منظم الفرع المحلي 107. كان ماكفرييل يخبرني بأنه ليس لديهم أية وظائف شاغرة. أخبرته بأن هناك منظمًا كنت قد طردته من النادي الليلي يجب أن يتخلصوا منه. أخبرني مكفرييل بأن ذلك لن يفيد، لأن لديهم رجالاً آخرين ينتظرون دورهم ليحلوا محله. أخبرني بأنه يجب أن أعرف شخصًا ذا نفوذ في النقابة. أنت بحاجة إلى زعيم كبير لمساعدتك ودعمك. كان الشخص الوحيد الذي أعرفه إلى جانب ماكفرييل هو مسؤولي النقابي وهو لا يملك أي صلات بأصحاب النفوذ تجعله يساعدني في مساعي. وأيا كانت تلك الصلات التي يمتلكها فإنه يحتاج إليها ليحاول تطوير نفسه. إنه يريد أن يكون منظمًا أيضًا».

قال راسل شيئاً باللهجة الصقلية حول الأحوال الجوية العاصفة، يمكن أن تترجم تقريباً إلى عبارة «لا يمكنك أبداً أن تحدثنا كيف ستسير الأمور. الطقس بيد الله».

توجّهت إلى مطعم فريندلي بعد ظهر أحد الأيام قبل الذهاب إلى نادي دانتي للعمل. قال لي سكينى رازور: «راسل سيأتي الليلة ويريدك هنا قبل الساعة الثامنة، سوف يتلقى مكالمة من أحد الأشخاص. يريدك أن تتحدث مع شخص ما». لم أكن أعرف ما الذي يريده راسل أو من يريد أن أتحدث إليه، لكنني كنت أعرف ما يكفي لكي أكون مستعداً.

عدت إلى الحانة نحو الساعة السابعة والنصف، كان راسل في الخارج يتحدث مع بعض الناس. طلب مني أن أذهب إلى الداخل وأن أخرج وأتوجه إليه عندما يتلقى المكالمة. في الساعة الثامنة بالضبط رن هاتف الحانة وأجاب عليه سكينى رازور. نهضت من طاولتي وتوجهت نحو روس، لكن روس جاء يمشي، لا بد أنه سمع رنين الهاتف من الخارج. كنت قد اخترت للجلوس طاولة بالقرب من الهاتف. قال سكينى للمتحدث على الجانب الآخر، «كيف حالك؟ جيد. والأسرة؟ نعم، كلنا بخير. أمسك الخشب. أوه نعم، أنجيلو بخير. فحصه الطبيب الأسبوع الماضي. صحته ممتازة. أمسك الخشب مرة أخرى. اسمح لي أن أعطي الهاتف لماكفى. اعتنِ بنفسك، هل تسمع؟». سلم سكينى الهاتف لروس. أخذ روس الهاتف، لكنه لم يتحدث. أحضر الهاتف إلى طاولتي وجلس. وضع مظهرًا على الطاولة.

«لقد وجدت الصديق الذي حدثتكَ عنه. إنه يجلس هنا معي. إنه رجل نقابي جيد. أريده أن يلتقي رئيسه. ولنرَ ما رأيك به». أدار راسل رأسه وقال لي: «قل مرحبًا لجيمي هوبا». ثم أعطاني روس الهاتف. أخذت الهاتف وفكرت: هل يمكنك تخيل ذلك؟ جيمي هوبا يريد الحديث معي؟ قلت: «مرحبًا، أنا سعيد لمقابلتك».

لم يقل جيمي هوبا حتى «مرحبًا». دخل في الموضوع مباشرة. الشيء التالي الذي سمعته هو الكلمات الأولى التي خاطبني بها جيمي هوبا.

قال جيمي:

«سمعت أنك تطلي المنازل».

«نننعم، وأقوم بعمل النجارة بنفسي أيضاً». شعرت بالحرج لأنني كنت أتلعثم.

«هذا ما أردت سماعه. سمعت أنك زميل لي».

«هذا صحيح». كنت حريصاً على أن تكون جملي قصيرة وكلماتي قليلة. «في الفرع رقم 107. منذ عام 1947».

«صديقنا يثني عليك كثيراً».

«أشكرك».

«ليس من السهل إرضاء هذا الرجل».

«إنني أبذل قصارى جهدي».

«إن أفضل شيء، وأهم شيء لا يمكن للحركة العمالية أن تستغني عنه، ويجب أن تمتلكه وتكافح من أجله، هو التضامن. الشركات الكبرى تقوم بالهجوم والاعتداء علينا. إنهم يمولون الجماعات المنشقة التي تهدف إلى تمزيق الاتحاد. الآن، وبينما نحن نتحدث، تقوم الشركات الكبرى بدعم بعض التكتيكات العدوانية التي يقوم بها الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية<sup>(17)</sup> اللذان يحاولان سرقة جهود أعضاء فروعنا وخلق انقسامات فيها وخلق المتاعب لنا هنا في المكان الذي أعيش فيه في ديترويت، وفي أماكن أخرى. تعمل الشركات الكبرى مع الحكومة الآن على عدم السماح لنا بعمل أي شيء وإحراجنا أمام الجمهور وأعضاء اتحادنا، وبهذه الطريقة تزرع بذور الفرقة في وقت نحتاج فيه إلى الوحدة. نحن بحاجة إلى التضامن أكثر من

---

(17) هو أكبر اتحاد للنقابات في الولايات المتحدة. ويتألف من خمس وخمسين نقابة وطنية. (المترجم).

أي وقت مضى في تاريخنا، ليس فقط تاريخنا ولكن تاريخ نضال العمال في أمريكا. هل تريد أن تكون جزءًا من هذه المعركة؟»  
«أجل، بالطبع». مكتبة سُرْمَن قرأ  
«هل تريد أن تكون جزءًا من هذا التاريخ؟»  
«أجل، بالطبع».  
«هل يمكنك البدء غدًا في ديترويت؟»  
«بالتأكيد».

«تعال إلى الفرع المحلي 299 واتصل ببيل إيزابيل وسام بورتوين. إنهما مسؤولان عن العلاقات العامة للنقابة الدولية». انتهت المكالمة، وفكرت: يا فتى، لقد كان هو من يتحدث. في إحدى اللحظات، تصورت أنه الجنرال باتون.  
قلت: «روس، كانت هذه مفاجأة كبيرة. لم أكن أعتقد أن عيد الميلاد قريبًا هكذا، وأنا أعرف أن اليوم ليس عيد ميلادي». «لا تقلق، يحتاج إليك بقدر ما تريد أن تكون معه. أنا أكره أن أخسرك. أمل ألا يبقيك في ديترويت لفترة طويلة». «نعم هذا صحيح. أخبرته بأنني سأكون في ديترويت غدًا. من الأفضل أن أبدأ بالتوجه إليه الآن».

قال روس: «لا تكن متسرعًا هكذا»، وسلمني الظرف الذي وضعه على الطاولة عندما جلس. «هيا، افتحه». كانت فيه تذكرة طائرة إلى ديترويت ومئة دولار. فجأة بدأت أضحك. جلست هناك وضحكت.  
قلت: «ماذا يمكنني أن أقول، لم يفعل أحد شيئًا كهذا في حياتي. لن أنسى هذا أبدًا».

«لقد حصلت على هذا بمجهودك أيها الأيرلندي. لم يمنحك أحد شيئاً من عنده. أنت تستحق ذلك. لنذهب لنأكل ونلتقي في أنجيلو».

سألته: «ماذا عن نادي دانتي؟ من المفترض أن أعمل هناك الليلة».

«سبق لسكيني رازور أن اهتم بهذا الأمر. لقد حصلوا على شخص يشغل مكانك حتى تعود من ديترويت. ولا تزعج نفسك في البحث عن سيارة أجرة تقلك إلى المطار. سيرسل أنجيلو شخصاً يوصلك في الصباح. لا نريدك أن تتأخر عن جيمي هوف. إنه أسوأ مني في مسألة ضبط المواعيد».

بدأت أضحك مرة أخرى. كنت أخشى أن روس ربما اعتقد أنني لن أتصرف بالشكل المناسب. لكن هذا كان مضحكاً جداً بالنسبة إلي. لا أعرف لماذا. أعتقد أنني كنت محرجاً من مدى اهتمام الرجل العجوز بي.

## الفصل الثالث عشر

### لم يصنعوا مظلة كبيرة بما فيه الكفاية

في الوقت الذي أجرى فيه فرانك مقابلة العمل عن طريق مكالمة هاتفية بعيدة، كان جيمي هوفاً يعيش نهاية فترة كانت مليئة بالإنجازات والشهرة. كان جيمي هوفاً في الفترة التي امتدت من منتصف إلى أواخر الخمسينيات، قد تملص بالخداع والاحتيال من استجوابات جلسات لجنة ماكليان. وقد أصبح رئيساً لنقابة سائقي الشاحنات الدولية. ونجا من عدة لوائح اتهام جنائية.

الأهم من ذلك بالنسبة إلى مستقبله ومستقبل أعضاء نقابته، أنه أنشأ في عام 1955، صندوقاً للمعاشات التقاعدية حيث كانت الإدارة تقدم مساهمات منتظمة للصندوق لتأمين معاش تقاعدي للعاملين المنظمين إلى نقابته. قبل إنشاء صندوق تقاعد الولايات المركزي، كان العديد من سائقي الشاحنات لا يمتلكون سوى مبالغ استقطاعات الضمان الاجتماعي التي تعاد لهم عندما يتقاعدون. كان جيمي يعرف كيف يوظف غضبه. لم أكن معه عندما أسّس صندوق التقاعد هذا، ولكن حدثني بيل إيزابيل كيف انفجر غاضباً في وجه شركات النقل بالشاحنات في الاجتماع الذي عقده معهم. فقد هددهم بكل شيء. أراد تأسيس الصندوق، وأراد أن يتم ذلك بطريقة معينة، وأراد أن تكون له السيطرة على الصندوق. لقد أراد أن يخرج الصندوق إلى حيز الوجود حتى يتمكن بعض الأشخاص المقربين منه من اقتراض الأموال من

الصندوق. أما الآن، وأرجو ألا تفهموني خطأً، فقد فرض مديرو الصناديق فائدة على القروض، مثل القروض التي كانت استثماراً لأموال الصندوق. كان يتم تأمين مبالغ القروض بكل الأحوال. لكن جيمي حصل عليها بالطريقة التي يريدها. حتى يتمكن من إقراض المال لبعض الناس. وعلى الفور سرعان ما بدأ حجم الصندوق يكبر ويكبر، لأن الرجال الذين شملهم لم يتقاعدوا بعد، واستمرت الشركات في إيداع الكثير من الأموال لكل ساعة عمل يقوم بها كل عامل مشترك في الصندوق. في الوقت الذي بدأت فيه عملي هذا كان هناك قرابة 200 مليون دولار في الصندوق. وحين تقاعدت كان فيه مبلغ مليار دولار. ليس هناك من داع لأخبرك بمبلغ الفوائد التي يمكن أن يدرّها هذا الحجم من الأموال.

أصبح صندوق تقاعد نقابة سائقي الشاحنات الذي نظمه هوفاً مصدرًا للقروض للمنظمة الإجرامية المعروفة للناس باسم كوزا نوسترا. مع امتلاكها مصرفها الخاص، نمت أعمال هذه المنظمة الإجرامية وازدهرت.

كانت المشاريع الممولة من نقابة سائقي الشاحنات، وخاصة بناء الكازينوهات في هافانا ولاس فيجاس، أحلاماً كانت تراود رؤساء العصابات من رواد الأعمال وقد تحققت على أرض الواقع. لم تكن لتلك القروض حدود وكانت أكثر من المتوقع. في وقت اختفاء جيمي هوفاً في عام 1975 كانت مدينة أتلانتيك سيتي على وشك الدخول إلى عالم القمار القانوني.

كان جيمي يستقطع من القروض عمولات لا تدرج في السجلات

الحسابية؛ فقد كان يستلم مبالغ مالية بشكل سري لقاء إعطاء موافقته على منح القروض. كان جيمي يساعد أصدقاء معينين مثل راسل بوفالينو، أو كارلوس مارسيلو رئيس عائلة نيو أورليانز، أو زعيم عائلة فلوريدا سانتو ترافيكانتى، أو سام جيانكانا «مومو» من عائلة شيكاغو، أو توني بروفينزانو من عائلة نيو جيرسي، أو صديق جيمي القديم جوني ديو من نيويورك. كانوا هم من يجلب الزبائن. كان الرؤساء يأخذون عمولة من الزبائن مقدارها 10% من مبلغ القرض ويتقاسمون هذه النسبة مع جيمي. قام جيمي بالكثير من الأعمال مع أصدقائنا، لكنه كان يفعل ذلك دائماً وفقاً لشروط جيمي هوبا. كان صندوق المعاشات بمثابة الدجاجة التي تبيض ذهباً. كان جيمي مقرباً من ريد دورفمان الذي انطلق من مافيا شيكاغو. تولى ريد رئاسة نقابة عمال النظافة في شيكاغو عام 1939، عندما اغتيل رئيس النقابة. يقال إن ريد كان يعمل معه جاك روبي باعتباره المسؤول الثاني للنقابة. وهذا هو نفس جاك روبي الذي أطلق النار على لي هارفي أوزوالد<sup>(18)</sup> وتسبب في مصرعه. كانت تربط ريد علاقة وثيقة مع رئيس روبي وهو سام جيانكانا «مومو» ومع جوي جليمكو وبقية الشخصيات الإيطالية في مافيا شيكاغو بأكملها. إضافة إلى ذلك كان لريد علاقات واسعة في مدن الساحل الشرقي مع أشخاص مثل جوني ديو.

كان لدى ريد ربيب يُدعى أليين دورفمان. قام جيمي بتعيين ريد وأليين مسؤولين عن سياسات التأمين في اتحاد النقابات،

---

(18) الشخص الذي اتهمته السلطات الأمريكية باغتيال الرئيس الأمريكى الأسبق جون كيندي، فى نوفمبر 1963. (المترجم).

وبعدها جعل ألين مسؤولاً عن مراقبة قروض صندوق المعاشات التقاعدية. كان ألين بطلاً حربيًا في معارك المحيط الهادئ. كان يهوديًا صارمًا، وجنديًا بحريًا. وكان مخلصًا أيضًا. احتفى ألين وريد بالتعديل الخامس للدستور بما مجموعه 135 مرة خلال واحدة من جلسات الاستماع في الكونغرس التي حضراها. كان مظهر ألين دورفمان كثير الهيبة. وكان يجمع العملات ثم يتقاسمها مع جيمي، لم تكن مبالغ كبيرة، كانت عملات بسيطة. لم يكن جيمي دائمًا، شخصًا فقيرًا، ولكنه كان متواضعًا. بالمقارنة مع ديفيك بيك رئيس الاتحاد السابق والشخص الذي رأس الاتحاد بعده، يمكنك القول أيضًا إن جيمي كان يأخذ معه إلى البيت أختام الشركة.

ومع ذلك، كان لدى جيمي هوفًا على الأقل اثنان من المشاريع السرية الصغيرة، كانا يشكلان مصدر قلق بالنسبة إليه. في كل من هذين المشروعين السريين، كان شريك هوفًا هو حليفه الوثيق في نقابة سائقي الشاحنات أوين بيرت برينان. كان برينان رئيسًا للفرع المحلي للنقابة في ديترويت، وكان لديه سجل اعتقال لقيامه بأعمال عنف تضمنت أربع حوادث تفجير لشاحنات ومباني الشركة. كان برينان لا يشير إلى جيمي إلا بكلمة «داهية».

أسس هوفًا وبرينان شركة نقل بالشاحنات تسمى «تيس ت فلييت». سجل «الداهية» وشريكه تلك الشركة باسم أولاد زوجاتهم. كان لدى تلك الشركة عقد واحد فقط. وكان مع شركة كاديلاك لنقل السيارات التي كانت تعاني من مشكلات نقابية مع النقابة المستقلة لسائقي الشاحنات التي تنقل السيارات والذين

يعملون لحسابهم الخاص. قامت هذه المجموعة من نقابة سائقي الشاحنات بتنظيم إضراب مفاجئ غير مرخص. شعر جيمي هوبا بالغضب من هذا الانهيار للتضامن النقابي، وأمرهم بالعودة إلى العمل. وبفضل جهود هوبا، أنهت شركة كاديلاك لنقل السيارات عقدها مع النقابة المستقلة لسائقي الشاحنات، وطردت الكثير منهم من العمل، وسلمت أعمال النقل لشركة تيسست فلييت. وبفضل هذه الخطوة تمكنت جوزفين بوسزيواك -المعروفة أيضاً بالسيدة هوبا- وأليس جونسون -المعروفة بالسيدة برينان- من جني أرباح بقيمة 155000 دولار على مدى عشر سنوات، دون أن تعمل دقيقة واحدة في شركة تيسست فلييت.

استثمر هوبا وبرينان أموالاً أيضاً في مشاريع تطوير أراضي فلوريدا، وقد سميت تلك الصفقة بمشروع سان فالي «Sun Valley» وتعهدا بدفع مبلغ 400 ألف دولار من أموال النقابات كقرض من دون فوائد كضمانات لتعزيز استثماراتهم. عندما اشترك جيمي هوبا في هذه الصفقات، لم يكن هناك ما يدعو للاعتقاد أنه سيكون قريباً شخصية عالمية، وأن يتم إخضاعها للتدقيق العام وسيضطر إلى الرد على خطايا الماضي، مهما بدت صغيرة بالنسبة إليه.

وبسبب القلق من أن لجنة ماكليلان ستكشف قريباً العديد من أسرارهِ الصغيرة، بما في ذلك صندوق التقاعد الذي كان يبيض ذهباً، أصبح جيمي هوبا مهوَّساً بصرف انتباه اللجنة عن نفسه. عندما شكَّلت اللجنة في أوائل عام 1957، كان هدفها آنذاك رئيس نقابة سائقي الشاحنات ديف بيك. وفقاً لوالتر شيريدان

مساعد بوبي كينيدي وذراعه اليمنى، فإن هوبا زود كينيدي سرًا بتفاصيل الأعمال المخالفة للقانون التي ارتكبتها بيك. كتب شيريدان في كتابه الصادر عام 1972، «صعود وسقوط جيمي هوبا»: «لقد قام بهذا الأمر من خلال التخطيط ليقوم أحد محامي بيك بتزويد كينيدي بالمعلومات عن بيك».

كانت هذه الجملة البسيطة شجاعة من قبل السيد شيريدان. على الرغم من أن هوبا كان لا يزال على قيد الحياة عندما صدر الكتاب وكان قد خرج للتو من السجن، كان بوبي كينيدي قد مات منذ أربع سنوات. لو كان كينيدي على قيد الحياة، وكان أي شخص قد فهم تبعات هذه الجملة، لكان هناك ما يبرر القيام بالتحقيق في انتهاك أخلاقيات المهنة. استنادًا إلى تلك الحقائق، كان من الممكن أن يشطب كينيدي من جدول المحامين لتواطئه في السماح لمحامي بيك بانتهاك واجبه الأخلاقي تجاه موكله و «الوشاية» سرًا نيابة عن هوبا.

ذهب شيريدان إلى أبعد من ذلك ليقول إن هوبا «جعل نفس المحامي يقوم بترتيب لقاء بينه وبين كينيدي ليعرض عليه التعاون مع اللجنة».

هل يمكن أن يكون هناك أي شك في أن أصدقاء العراب هوبا قد لاحظوا هاتين الجملتين عندما صدر كتاب شيريدان في عام 1972؟ بالنسبة إلى رجال لا يرحمون وأقوياء مثل بوفالينو، وترافيكانتي ومارسيلو وبروفينزانو، فإن الوشاية عيب خطر في الشخصية، والوشاية بحليفك خطأ فادح، ومثل هذا الشخص لا يمكن الوثوق به مرة أخرى، وأقل ما يقال عن فعلته أنها جريمة لا

تغتفر. نزل هوبا إلى شوارع ديترويت بعد أن خرج من السجن في نفس الوقت تقريباً الذي صدر فيه كتاب شيريدان. وصف الكتاب هوبا بـ «الواشي»، وقد منح هوبا هذا اللقب مصداقية حين قام في أثناء سعيه لرئاسة نقابة سائقي الشاحنات الدولية بالتهديد علناً بكشف نفوذ رجال المافيا في صندوق تقاعد منتسبي نقابة سائقي الشاحنات حينما كان يرأسها فيتز سيمونز. ولكن كل ذلك حدث بعد سنوات عديدة. في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، كانت استراتيجية هوبا الميكافيلية القائمة على رمي زميله النقابي ديف بيك إلى الذئاب استراتيجية مربحة للجميع من خلال تركيز جهودها على بيك. وضعت اللجنة جانباً التحقيق في قضية شركة تيسست فلييت التي يملكها هوبا وصفقات سان فالي، وهكذا أزاح هوبا عن طريقه ديف بيك.

أحب جيمي السيطرة على محيطه. لم يكن يشرب، لذلك لم يسمح لأحد أن يشرب في حضوره. لم يكن يدخن، لذلك لم يشعل أحد سيجارة في حضوره. كان في بعض الأحيان يستشيط غضباً. ويفقد صبره ويفعل أشياء من شأنها أن تذكر بطفل مصاب بجذري الماء يحك جسمه. وأنت لا تستطيع أن تخبره أن ذلك الأمر سيؤدي في نهاية المطاف إلى انتشار البثور في جسمه. لا يمكنك قول كلمة واحدة. أنت تستمع فقط.

فقد جيمي هوبا صبره وأصبح مهوَّساً بمعرفة أكبر قدر ممكن حول ما يجري داخل أروقة لجنة ماكليلان.

في فبراير 1957، اتصل هوبا بمحام في نيويورك يدعى جون ساي شيسستي. كان شيسستي قد خدم في البحرية والمخابرات.

كان التخصص الفرعي لممارسته القانونية هو إجراء التحقيقات. قال هوبا لشيستي إن اللجنة توظف محققين. إذا تولى شيستي وظيفة في اللجنة وأبلغ هوبا عن أنشطتها، فإنه سيعقد صفقة معه يدفع له بموجبها مبلغ 24000 دولار نقدًا بمعدل 2000 دولار شهريًا لمدة عام. أعطى هوبا لشيستي مبلغ 1000 دولار كدفعة أولى لغرض نفقاته كي يحصل على الوظيفة. ومع ذلك، وبسبب نفاذ صبره، لم يتحرّر هوبا عن شخصية شيستي بشكل كافٍ؛ فقد كان محققًا نزيها في نيويورك ووطنياً. أبلغ شيستي عن مخطط الرشوة من فوره.

منح بوبي كينيدي وظيفة لشيستي في اللجنة براتب قدره 5000 دولار في السنة. قام مكتب التحقيقات الفدرالي بزرع الميكروفونات ووضع الكاميرات. أبلغ شيستي هوبا أن لديه مغلفاً يحتوي على وثائق حساسة تخص اللجنة، وأنه يريد قسطاً نقدياً آخر مقابل المغلف. التقى الرجلان بالقرب من حي دوبونت سيركل في واشنطن العاصمة، سلّم شيستي الظرف إلى جيمي هوبا. سلّم هوبا شيستي مبلغ 2000 دولار نقدًا. تم تصوير العملية. توجه مكتب التحقيقات الفدرالي للقبض على جيمي هوبا متلبساً ومعه الوثائق. واعتقلوا جيمي هوبا من فورهم.

عندما سأل أحد المراسلين بوبي كينيدي عما سيفعله إذا تمت تبرئة هوبا، قال بوبي كينيدي، الذي سبق له أن أشار إلى أنه «لم يفكر في هذا الاحتمال مطلقاً» في مثل هذه «القضية ذات الأدلة القاطعة»: «سأقفز من مبنى الكابيتول».

في يونيو 1957، جرت محاكمة هوبا في واشنطن العاصمة

بتهمة دفع رشوة إلى محقق في لجنة ماكليلان للحصول على معلومات عن أنشطة اللجنة الداخلية.

تألفت هيئة المحلفين من ثمانية سود وأربعة من البيض. لم يعترض هوفاً ومحاميه الأسطوري إدوارد بينيت وويليامز سوى على المحلفين البيض في أثناء عملية الاختيار. كان لدى هوفاً محامية سوداء وصلت بالطائرة من كاليفورنيا للجلوس إلى طاولة الهيئة الاستشارية. اتفق هوفاً مع صحيفة «ذا أفرو أمريكانز» لنشر إعلان يمدح هوفاً بصفته أحد أبطال «العرق الزنجي». عرض الإعلان صورة لفريق محامي هوفاً من البيض والسود. ثم قام هوفاً بتوزيع الصحيفة على منزل كل محلف أسود. أخيراً، قام ريد دورفمان صديق هوفاً في عالم الإجرام في شيكاغو بدعوة بطل الملاكمة الأسطوري جو لويس الذي وصل بالطائرة قادماً من منزله في ديترويت. تعانق جيمي هوفاً مع جو لويس أمام هيئة المحلفين كما لو أنهما صديقان قديمان. بقي جو لويس ينتظر ويراقب ليومين ليدلي بشهادة تحت القسم.

عندما أدلى جون ساي شيستي بشهادته، سأله إدوارد بينيت وويليامز عما إذا كان قد أجرى تحقيقات رسمية في نشاطات الجمعية الوطنية للنهوض بالملونين<sup>(19)</sup>. نفى شيستي أن يكون قد قام بذلك، ولكن في تلك اللحظة بدأت عملية زرع فكرة معينة في أذهان الحاضرين.

تمت تبرئة هوفاً.

---

(19) منظمة حقوق مدنية للأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية في الولايات المتحدة. (المترجم).

أرسل إدوارد بينيت ويليامز صندوقًا ملفوفًا بشريط حوله إلى بوبي كينيدي. كان في داخله لعبة المظلة ليقفز بها كينيدي من مبنى الكابيتول.

لم يلتق جيمي قط جو لويس قبل تلك المحاكمة، لم يكن هناك من لا يعرف بذلك سوى هيئة المحلفين. لكن جيمي كان ناشطًا في الدفاع عن الحقوق المدنية. هذا الجزء صحيح. الشيء الوحيد هو أنه في كل مرة يفوز فيها بمحاكمة يعتقد أنه لن يخسر أبدًا، وبلا شك: لقد كره بوبي كينيدي كثيرًا. سمعته ينادي بوبي «الطفل المدلل» وجهًا لوجه في المصعد ويحاول اللحاق به. لم أسمح له بذلك وأمسكته. في كثير من الأحيان قال لي جيمي إنهم ذهبوا إلى الأخ السيئ. لكنه كان يكره أخاه جاك أيضًا. كان جيمي يقول عنهم إنهم من أصحاب الملايين الشباب الذين لم يقوموا بعمل ليوم واحد.

أكد بوبي كينيدي في كتابه «العدو في الداخل»، أنه بعد المحاكمة، تم منح جو لويس، الذي كان عاطلًا عن العمل وغارقًا في ديون كثيرة في ذلك الوقت، على الفور وظيفة ذات أجر جيد في شركة تسجيلات موسيقية والتي حصلت على قرض من صندوق تقاعد نقابة سائقي الشاحنات بقيمة 2 مليون دولار. ثم تزوج جو لويس بعدها من المحامية السوداء من كاليفورنيا التي قابلها في المحاكمة. عندما حاول بوبي كينيدي وكبير المحققين، والمؤلف مستقبلاً والتر شيريدان، مقابلة جو لويس في لجنة ماركيلان للاستفسار منه حول وظيفته في شركة التسجيلات، رفض البطل السابق التعاون وقال عن بوبي كينيدي: «أخبروه أن يذهب ليقفز من أعلى مبنى أمباير ستيت».

ومع ذلك، توقع بوبي كينيدي أن يكون هو من يضحك أخيراً بحلول نهاية عام 1957.

أدت حاجة هوبا إلى السيطرة على محيطه إلى توجيه لائحة اتهام اتحادي بحقه لتعيينه صديقاً لجوني ديو للتصت على هواتف مكاتب نقابة سائقي الشاحنات بشكل غير قانوني والتأكد من عدم قيام أي من ضباطه بتزويد لجنة ماكيلان بمعلومات ضده، كما فعل ضد بيك. كان شريك هوبا في جريمة التصت هو أوين بيرت برينان، شريكه في شركة تيسست فلييت ومشروع سان فالي، وهذا الرجل كان يمتلك حافزاً قوياً للقيام بذلك نظراً للمشكلات القانونية المحتملة التي كان ينطوي عليها هذان المشروعان.

بالإضافة إلى لائحة التصت التي كانت قيد الانتظار، قدم بوبي كينيدي لائحة اتهام منفصلة في واشنطن تتعلق بالحنث باليمين لأن هوبا كذب بشأن حوادث التصت في شهادته أمام لجنة ماكيلان.

في الوقت الذي كان فيه هوبا يواجه هذين الاتهامين اللذين كانا يقضّان مضجعه، كان اتحاد نقابات سائقي الشاحنات، منتسباً ولعدة عقود إلى الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية، أكبر منظمة عمالية في العالم. في سبتمبر 1957، اتهمت لجنة أخلاقيات المهنة في الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية، كلاً من ديف بيك وجيمي هوبا باستخدام «المناصب النقابية الرسمية لتحقيق أرباح شخصية». واتهم الاتحاد هوبا كذلك بوجود روابط له مع رجال المافيا سيئي السمعة في داخل النقابة ورعاية ودعم مصالحهم.

كان رد أعضاء نقابة سائقي الشاحنات الدولية على ذلك هو انتخاب جيمي هوبا، الصادرة بحقه لائحة اتهام فدراليتين، رئيسًا لها في ولايته الأولى.

في تلك الأيام التي كانت فيها القيود مشددة، لم يكن يتم انتخاب الرئيس من أعضاء النقابة، ولكن من قبل مندوبي المؤتمر الوطني الذين يختارونهم بأنفسهم والذي يعقد كل خمس سنوات. ولتجنب حدوث أشياء غير مرغوب فيها، لم يكن هناك اقتراع سري. وحينها دعا جيمي هوبا في خطاب القبول إلى: «دفن خلافاتنا».

ما عدد المعارضين الذين دفنهم جيمي هوبا ورجال عصاباته بالفعل؟ ما عدد المنازل التي ستُطلى في المستقبل؟ نحن نعلم أنه نتيجة هيمنة جيمي هوبا على منصب الرئاسة، تمكن من دعم حلفائه من رجال المافيا. على الرغم من أن الوضع تغير بحلول السبعينيات، فقد كان أنتوني بروفينزانو «توني برو» في عام 1957 رجلًا شديد الإخلاص لهوبا، في الوقت الذي كان يشغل فيه منصب رئيس الفرع المحلي 560 للنقابة في مدينة يونيون سيتي، في ولاية نيو جيرسي، وهو واحد من أكبر الفروع المحلية في البلاد. منح هوبا على الفور بروفينزانو راتبًا ثانيًا من خلال تعيينه رئيسًا للمجلس الاستشاري المشترك 73 في ولاية نيو جيرسي، والذي يضم مئة ألف عضو. بحلول عام 1959، قامت الحكومة بتأسيس مجلس مراقبين للإشراف على نقابة سائقي الشاحنات. أمر مجلس المراقبين هوبا بإبعاد بروفينزانو من النقابة. وبدلاً من أن يفعل ذلك، قام هوبا في عام 1961 بمنح

حليفه راتبًا ثالثًا وقوة هائلة بجعله نائبًا لرئيس النقابة الوطنية. في ذلك العام نفسه «دفن بروفينزانو خلافاته» مع عضو الفرع المحلي 560 ذي العقلية الإصلاحية أنتوني كاستيليتو «ذي الأصابع الثلاثة» بعد أن خُنق حتى الموت ودُفن في مزرعة في شمال ولاية نيويورك، قام بذلك ك. أو. كونيفسبرغ، وسلفاتورى سينو، وسالفاتور بريغوغليو الملقب بـ «سالي باغز».

بعد عشرة أيام من قسم هوبا اليمين في عام 1957، طرد الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية نقابة سائقي الشاحنات من صفوفه، قائلاً إنه لا يمكنهم العودة إلا إذا تخلّصوا من «هذه الزمرة الفاسدة» بقيادة جيمي هوبا المسيطرة على النقابة ومسؤولي نقابتهم من رجال العصابات.

في 15 نوفمبر 1957 رحب الرأي العام بأخبار مؤتمر أبالاتشين. على الرغم من احتجاجات ج. إدغار هوفر، ظهر أن هناك نقابة إجرامية وطنية تعمل كدولة منفصلة وتبدو عاصمتها مدينة نيويورك.

بعد عشرة أيام، أُجبرت هيئة محلفين فدرالية في مدينة نيويورك على محاكمة هوبا وبرينان بتهم التنصت. علقت هيئة المحلفين عملها بتصويت بنسبة 11 إلى 1. وعلى الفور تم اختراق هيئة المحلفين الجديدة. خلال المحاكمة الثانية تقدم أحد أعضاء هيئة المحلفين للإبلاغ عن محاولة رشوة. تم إعفاؤه واستبدال آخر به. وجدت هيئة المحلفين أن جيمي هوبا غير مذنب.

كان لا يزال لدى بوبي كينيدي المهزوم تهمة الحنث باليمين كورقة رابحة ضد هوبا. ولكن ليس لفترة طويلة. اعتمدت لائحة

الاتهام بالحنث باليمين على محادثات تم التتصت عليها بين جوني ديو وجيمي هوفاً . تم السماح بالتتصت بموجب قانون ولاية نيويورك، كان هناك بحث واستيلاء صحيحان للمحادثة الهاتفية بموجب قانون ولاية نيويورك الساري. لسوء حظ بوبي، كانت هذه بداية عصر توسع محكمة وارن<sup>(20)</sup> في سيطرتها على إجراءات الشرطة الاتحادية والمحلية. وقضت المحكمة العليا للولايات المتحدة بأن هذا التتصت على المكالمات الهاتفية الذي أقرته الولاية كان غير دستوري، وأن أي أدلة تم الحصول عليها بواسطة التتصت على المكالمات الهاتفية أو المستمدة منها كانت «ثمرة الشجرة السامة»، وهي استعارة قانونية تُستخدم لوصف الأدلة التي يتم الحصول عليها بطريقة غير قانونية. ونتيجة لذلك، لم يكن هناك أي دليل مقبول لإدانة جيمي هوفاً، ورُفضت لائحة اتهام الحنث باليمين.

ذهبت للعمل في الاتحاد في الوقت الذي كان يحدث فيه كل هذا، ومباشرة بعد أن حصل جيمي على منصب الرئيس. بعد محاكمة التتصت على المكالمات الصوتية، كان الجميع يقولون أنهم لم يصنعوا مظلة كبيرة بما يكفي لإنقاذ مؤخرة بوبي كينيدي عندما يقرر أن يقفز من مبنى الكابيتول.

---

(20) محكمة وارن فترة مهمة في تاريخ المحكمة العليا للولايات المتحدة، حيث شغل إيرل وارن منصب رئيس المحكمة العليا. (المترجم).

## الفصل الرابع عشر

### لم يكن المسلح يرتدي قناعاً

سافرت جواً إلى ديترويت وأبلغت فرع النقابة المحلي 299 الواقع في شارع ترمبل. كان هذا هو الفرع المحلي الرئيسي بالنسبة إلى جيمي. كان يقع في آخر الشارع القادم من ملعب تايفر الرياضي. كان الفرع 299 يقيم حملة تنظيمية لإنشاء نقابة لسائقي سيارات الأجرة في ديترويت. كان يوجد في الجهة المقابلة من الشارع القادم من قاعة الاتحاد مرأب سيارات أجرة كبير، وعندما وصلت سيارة الأجرة التي أقلتني إلى الفرع 299، كان بإمكانني رؤية الوقفة الاحتجاجية التي كان يقيمها أعضاء نقابة سائقي الشاحنات عبر الشارع، والتي سوف أقوم بالإشراف عليها، كنت أعلم أنني في الموقع الصحيح. كنت سعيداً جداً لأن أكون منظمًا تابعًا للفرع 299، وإذا نجحت في هذه المهمة، فإنهم سيجعلونني منظمًا للفرع 107 في فيلاديلفيا، حتى لو اضطروا إلى إنشاء منصب إضافي بالنسبة إلي. لقد جاءتني الفرصة ليكون كبير الزعماء هو رئيسي.

كنت أخطط بالفعل لأن أصبح منظمًا على مستوى البلاد بأكملها في يوم من الأيام. فهو منصب من أعلى المناصب. وسيجعلك تعمل خارج النطاق المحلي. وتسافر في جميع أنحاء البلاد، أينما احتاجوا إليك. يمكنك أن تفعل الكثير من الأعمال التي كانت مشروعة، والتي تساعدك ماديًا. إذا لم يحدث شيء لجيمي فإنني سأكون في النهاية منظمًا على مستوى البلاد.

عملت في ديترويت مع بيل إيزابيل وسام بورتوين. كانا يعملان كفريق واحد، يديران العلاقات العامة، ولكن في الواقع كان سام يعتبر بيل مدير الفريق. كان طول بيل نحو 176 سنتيمتراً وكان معروفًا بقدرته على صنع الحلوى، ولكن ليس من النوع الذي تأكله، بل النوع الذي تستخدمه لتفجير الأشياء، الديناميت. كان بيل بارعاً في صنع المتفجرات، وكان يجهزها دائماً. وُلد بيل في أيرلندا، ولكنه بدا أمريكياً. تدرج في الوظائف منذ أن كان سائق شاحنة، وكان متمركزاً في عمله في سانت لويس ثم أدرج كمنظم لأحد فروع مدينة سانت لويس وكمنظم للمجلس المشترك في سانت لويس الذي كان يرأسه نقابي جيد يُدعى هارولد جيبونز، كان هارولد جيبونز هو الشخص الذي كان يجب أن يعينه جيمي ليحل مكانه بدلاً من فرانك فيتزسيمون عندما ذهب جيمي إلى السجن في عام 1967.

جاء سام من خارج واشنطن العاصمة، وكان أطول وأثقل وزناً بقليل من بيل وأقصر قليلاً منه، كان أكبر مني. كان عمري حينها سبعة وثلاثين عاماً. أعتقد أن سام تخرج من الكلية وذهب مباشرة للعمل في النقابة. كانا شديدين جداً مع جيمي هوف. كان هناك قرابة ثمانية منظمين مكلفين بقيادة نقابة سائقي سيارة الأجرة. كنا نجتمع كل صباح، ثم نذهب إلى مكان معين لنقوم بوقف احتجاجية ونوزع المنشورات التي جمعها بيل وسام معاً باعتبارهما مسؤولي العلاقات العامة. في بعض الأحيان كنا نختار مرأب سيارات الأجرة الواقع في الجهة المقابلة من قاعة الاتحاد. وفي أوقات أخرى، كنا نضع ملصقات تحوي معلومات

عن الاحتجاجات في مواقف سيارات الأجرة حول المدينة، كما هو الحال في مركز المؤتمرات الكبير كوبو هول أو في فندق وارنر.

يمكنك أن تأخذ سائقي سيارات الأجرة جانبًا وتشرح لهم فوائد انتسابهم إلى النقابة، وتطلب منهم التوقيع على البطاقة النقابية. إذا حصلت على توقيع 30 في المئة من العمال، فإن قانون العمل يخولك تنظيم انتخابات لمعرفة ما إذا كان العمال يريدون النقابة أم لا. لكن بيل علمني ألا أطلب أبدًا إجراء الانتخابات إلى أن أحصل على توقيع أكثر من 50 في المئة، لأنه بأقل من ذلك ستكون خسارتك مؤكدة. شرح لي بيل أيضًا أنك إذا حصلت على الحق في إجراء انتخابات، فيمكن أن يأتي اتحاد آخر ويحاول أخذها منك. إذا حصلوا على 10 في المئة من البطاقات، يمكنهم التدخل في الانتخابات وربما هزموا نقابتك بعد قيامك بكل العمل. بمجرد طردنا من الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية كنا نشعر بالقلق دائمًا من دخول إحدى نقاباتهم إلى أحد انتخاباتنا والتدخل فيها، يسرقون الانتخابات أو يستولون على ما يكفي من أصواتنا حتى لا يفوز أحد. كانت تتدلع منافسة شرسة لفترة من الوقت. لم تكن تعرف من تثق به، لكنك كنت تواصل أخذ سائقي سيارات الأجرة جانبًا وإقناعهم بالتوقيع على البطاقة. لسبب ما كان هناك الكثير من الشباب اللائي كنَّ يعملن سائقات لسيارات الأجرة في ذلك الوقت في ديترويت. لقد أحبين أن يعاملن مثل الرجال، وكان عليك أن تحترم ذلك وإلا لن تحصل على توقيعهن.

إن التوقيع على البطاقة لا يعني أن من قام بذلك سيكون ملزماً بالتصويت للنقابة في وقت لاحق في الانتخابات، لأن تلك الانتخابات كانت خاضعة للإشراف، وكانت تجري بالاقتراع السري، لذلك يمكن لسائقي سيارات الأجرة التوقيع فقط للتخلص من إلحاحك ثم التصويت لمن يشاؤون، ولا يمكنك فعل أي شيء حيال ذلك.

كنت أقيم في فندق هوليداي إن، وكان الاتحاد يتحمل فاتورة إقامتي في الفندق ويمنحني ثمن وجبات الطعام ومالاً للنفقات اليومية، كما حصلت على راتب إلى جانب ذلك. يمكن أن يكون لديك أكثر من وظيفة نقابية بدوام كامل في تلك الأيام، والحصول على العديد من رواتب ووظيفة بدوام كامل مثل جيمي أو أي شخص يكون رئيسك. كان عندي راتب واحد، لكنني كنت أعرف أن بيل وسام حصلوا على أموال من عدة حسابات مختلفة. بدا أنه يمكن الحصول على هذه النقود بسهولة، وكانت ديترويت تشبه فيلاديلفيا كثيرًا. كان هناك أشياء كثيرة يمكن القيام بها ولم تكن هناك لحظة واحدة مملة. كنا نذهب إلى نزالات الملاكمة أو مباريات كرة القدم أو أي شيء كان يجري في المدينة. كان بيل وسام على حد سواء يشربان الخمر بشراهة، ولذلك قمنا بالكثير من ذلك معًا.

علموني أن كلمة «اتحاد» تعني شيئاً واحداً. على الجميع أن يتحدوا ويسيروا في نفس الاتجاه وإلا فلن تتقدم قضية العمال. إن الاتحاد يستمد قوته من أضعف أعضائه. بمجرد حدوث الخلاف بينهم، سيشعر به صاحب العمل ويستفيد منه. بمجرد

أن تسمح بوجود فصائل متمردة ومنشقة فستكون في طريقك لفقدان اتحادك. يمكنك الحصول على رئيس واحد فقط. يمكنك الحصول على مساعدين، ولكن لا يمكن أن يكون لديك تسعة رجال يحاولون إدارة فرع محلي. إذا فعلت ذلك، فسيقوم صاحب العمل بإجراء صفقات جانبية وينجح في تقسيم النقابة. كان صاحب العمل يطرد بشكل غير قانوني أقوى الرجال النقابيين ولا يحاسبه أحد حين يتم تقسيم النقابة على نصفين.

أخبرني بيل إيزابيل أن «الفصائل المتمردة تشبه المتعاونين مع النازيين خلال الحرب، في النرويج وفرنسا. لن يتسامح جيمي هوفاً مع الفصائل المتمردة. لقد عمل بجد لبناء ما لدينا. إنه أول شخص يستيقظ في الصباح وآخر شخص يذهب إلى السرير ليلاً. انظر إلى مدى تحسن حالنا جميعاً اليوم. لم يقدم لنا المتمردون أي شيء. لكن جيمي قام بكل شيء. مثل صرف المعاش التقاعدي وجعل العلاج في المستشفى يشمل جميع أفراد أسرته في كل مرة تمرض فيها. وهو يقاتل من أجل تغيير صيغة عقود عمل سائقي الشاحنات بحيث يحصل كل سائق شاحنة على نفس الأجر في جميع أنحاء البلاد. وكلما يفعل جيمي شيئاً لنا يقوم المحسنون في الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية بمنح أعضاء اتحادهم نفس الشيء، ثم يشتكون من أن أساليب جيمي قاسية جداً. لقد خدمت في الحرب وأنت تعرف ما عليك فعله للانتقال من موضع إلى آخر. ما أقصد قوله أنه إذا انسكبت بعض قطرات من شراب الجن عليك في أثناء الطريق، فسوف تبدأ تسب وتلعن أيها الجندي الطيب».

ذات ليلة خرجنا نحن الثلاثة إلى البلدة. اصطحبنا بيل بسيارته إلى مطعم إيطالي. لم يكن قد مضى على عملي الجديد سوى بضعة أسابيع فقط. كنت جالساً في المقعد الخلفي وكان بيل يراقبني في مرآة الرؤية الخلفية. قال لي بيل: «سمعنا من جيمي أنك تطلي المنازل».

لم أقل أي شيء. أومأت برأسي «نعم». حسناً، فكرت مع نفسي، هنا سيتضح الأمر. لم أكن مهتماً كثيراً بالابتعاد عن أجواء وسط المدينة والدخول في نمط عمل جديد. «لدينا شيء في شيكاغو بحاجة إلى أن نتعامل معه. لدينا صديق اسمه جوي جليمكو. يدير الفرع المحلي 777 لنقابة سيارات الأجرة هناك، ولديه شاحنات على رصيف الميناء أيضاً. هل سمعت عنه من قبل؟»

كنت ما زلت لا أقول أي شيء. فقط هزرت رأسي «لا». بعد أسبوعين أخبرني راسل بأن جوي جليمكو كان جوزيبي بريمافيراً. لقد كان يعمل مع آل كابوني ولديه منصب كبير جداً في عائلة شيكاغو. كان لديه سجل ضخم، وقبض عليه مرتين بتهمة القتل. كان يلجأ إلى التعديل الخامس في كل سؤال يوجه له خلال جلسات لجنة ماكيلان، بما في ذلك ما إذا كان يعرف جيمي هوفاً.

قال بيل: «هناك شخص بحاجة إلى أن تنتهي أمره. نريدك أن تسافر إلى شيكاغو صباح الغد. سوف يقابلك شخص معين في المطار».

وهكذا جرى الأمر. لا تسألني من أو ماذا لأنني لا أعرف. لا أريد التحدث عنه بأي حال. لقد كانت مشكلة تحتاج إلى حل

وخلصتهم منها. كان الأمر يبدو حينها وكأنه شيء كنت أفعله طوال حياتي. إذا أحصيت عدد المرات التي كان والدي يرسلني فيها لضرب الأولاد الآخرين حتى يتمكن من كسب رهانات البيرة، ربما سيكون ذلك صحيحًا.

من الواضح أنهم كانوا بحاجة إلى شخص لا يعرفه الرجل، لأن كل شخص يعرفه الرجل في الشارع كان شخصًا يرتاب بأمره وكان سينتبه له. لن يكون الرجل قلقًا من زميل ذي سحنات أيرلندية يسير إلى جانبه في الشارع، وأرادوا أن تُترك جثة الرجل هناك على الرصيف كرسالة لأولئك الذين يحتاجون إلى معرفة أن الرجل لم يفلت من العقاب على كل ما فعله.

في أي وقت تقرأ في الصحيفة عن مسلح ملثم، تأكد من أن المسلح ليس لديه قناع. إذا كان هناك أي شهود عيان في الشارع، سيقولون دائمًا أن المسلح كان يرتدي قناعًا، لذلك يعرف جميع ممن هم في جانب مطلق النار أن شهود العيان لم يروا شيئًا ولا يتعيّن على شهود العيان القلق بشأن شيء ما.

كنت معتادًا على ركوب زورق إنزال، وها أنا ذا الآن أغير موقعي في العالم، وأتوجه إلى غزو شيكاغو على متن طائرة. وصلت شيكاغو بعد قرابة ساعة. زودوني بالسلاح وكان لديهم رجل قريب من الموقع سيأخذه مني بعد إنجاز المهمة ويحمله معه في سيارة يتوجه بها بعيدًا. كانت وظيفته الوحيدة هي تحطيم السلاح والتخلص منه. كان لديهم رجال آخرون يجلسون في سيارات مخصصة للتصادم، لتقف أمام سيارات رجال الشرطة الذين قد يلاحقون السيارة التي ركبها. كان من المفترض أن تعيدني السيارة التي سأستقلها إلى المطار.

شعرت بالراحة عندما رأيت أن المطار أصبح قريباً. كنت أعلم أنهم يستخدمون بعض «المغامرين» أحياناً ثم يتخلصون منهم عندما يتم الانتهاء من الموضوع. كانوا يضحون بهم. أخبرني راسل كيف كان كارلوس مارسيلو يحب أن يرسل إلى صقلية ليعيش مع أيتام الحرب الذين كانوا بلا عائلات. كان يتم تهريبهم من كندا، من مناطق مثل وندسور، وينقلون عبر النهر من ديترويت. كان أيتام الحرب القادمين من صقلية يعتقدون أنهم يجب أن يعتنوا بأمر ما، وبعد ذلك يمكنهم البقاء في أمريكا وربما سيحصلون على مطعم لبيع البيتزا أو شيء من هذا القبيل. كانوا يذهبون لـ «طلاء منزل» ما ثم يصعدون في سيارة تأخذهم إلى مكان ما ويتم بعدها قتلهم، لن يفقدهم أحد في صقلية. ولأنهم يتامى وليس لديهم عائلة لن يكون هناك من يثأر لهم، تلك أمور شائعة جداً في صقلية.

خطر على بالي كارلوس مارسيلو وأيتام الحرب وأنا في السيارة، لقد جلست طوال الطريق أنظر إلى السائق.. كان رجلاً عادياً، وحين يرفع يده عن عجلة القيادة، كنت أوبخه بشده. طرت عائداً إلى ديترويت، وكان بيل وسام ينتظرانني في المطار. ذهبنا لتناول العشاء. سلمني بيل مغلفاً. فأعدته له وقلت: «لقد قمت بخدمة صديق لي». لقد علمني راسل بشكل جيد. لا ترخص نفسك. قال راسل: «إذا قدمت خدمة لصديق، فسوف يقدم لك معروفاً في يوم من الأيام».

حصل بيل وسام على فرصة لتقييم عملي وأوصيا جيمي هوفاً بإبقائي معهما. بهذه الطريقة كان لديّ فرصة أفضل للتعلم.

طرنا إلى شيكاغو، ونزلنا في فندق إيدجووتر بيتش. كانت النقابة تحتفظ بجناح في الطابق الثامن عشر يحتوي على غرفتي نوم وسريرين في كل غرفة. أخذ سام وبيل واحدة وأنا نمت في الأخرى. في الليلة الثانية لي في شيكاغو، تعرفت على جوي غليمكو. أخبرني بيل بأن جوي عالج مشكلات مهمة لجميع الفروع المحلية في شيكاغو، وليس فقط مشكلاته الخاصة، وأنه ربما سأرسل إليه في المستقبل.

في الليلة التالية جاء جيمي هوبا إلى شيكاغو والتقيته في مطعم جو شتاين الذي يقع في الشارع المقابل لفندق إيدجووتر بيتش. كان جيمي هوبا أنيقاً جداً. لقد كان رجلاً ساحراً وكان مستمعاً جيداً لكل ما قلت. سألني كثيراً عن بناتي. وأخبرني أن سبب طرد النقابة من الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية هو أن قاداته كانوا خائفين إذا ما أزعجوا ذلك «الفتى المدلل» بوبي كينيدي سينتهي بهم الأمر إلى أن يحقق معهم، وسينتهي بهم الأمر إلى أن يواجهوا نفس المتاعب القانونية التي كان يواجهها جيمي. على الرغم من كل تلك الضغوط المسلطة عليه فقد بدا الرجل مطمئناً جداً، كان رجلاً تودّ أن يكون معك في خندق القتال.

عندما جاء النادل طلبت كأساً من نبيذ الكيانتلي، ركلني بيل تحت الطاولة وهز رأسه وقال «لا». تمسكت برأبي وشربت نبيذي، لكنني علمت عندها أنه سيكون هناك القليل من التوتر في وجه بيل ونحن على الطاولة في كل مرة أترك فيها كأسي. تمسك بيل وسام بتناول شراب مزر الزنجبيل. أخبرني بيل في وقت لاحق

بأنه قام قبل العشاء بمدحي أمام جيمي، وأراد مني أن أترك انطباعاً جيداً.

في أثناء العشاء قال بيل شيئاً لجيمي لن أنساه أبداً: «لم يسبق لي أن رأيت رجلاً يمشي بشكل مستقيم عبر حشد من الناس مثلما يفعل الأيرلندي ولا يلمس شخصاً واحداً أبداً. كان كل شخص يحيد تلقائياً عن الطريق. إنه مثل موسى حينما شق بعضاه البحر».

نظر جيمي إليّ وقال: «أعتقد أن عليك البقاء في شيكاغو بعض الوقت».

ويا لها من مدينة باتت تتحول إلى شكل جديد. إذا لم تتمكن من كسب المال في شيكاغو، فلا يمكنك كسب المال في أي مكان. كانوا يتركون الجثث ممددة على الرصيف. إذا كان كلبك معك، فإن كلبك سيموت أيضاً.

أرسلوني إلى بلدة سيسيرو لمقابلة جوي جليمكو بشأن مشكلة كان يعاني منها، ولكنني تهت وذهبت إلى إحدى الحانات. كانت سيسيرو هي البلدة التي كان يملكها آل كابوني. وحالما دخلت إلى الحانة لأسأل من يدلني على المكان، كنت محاطاً بنحو عشرين رجلاً ذوي ملامح قاسية، كان كل واحد منهم يحمل سلاحاً بيده. أخبرني هاجس ما بأنني قد وصلت إلى المكان الذي أريده. قلت لهم إنني أبحث عن صديق لي فطلبوا مني أن أجلس حتى يجروا بعض المكالمات. جاء جوي جليمكو نفسه إلى الحانة ليأخذني إلى الحانة الأخرى التي كان من المفترض أن أقابله فيها.

كانت شركة جليمكو تواجه مشكلة مع شركة للنقل تقاوم

قرارات النقابة ولا تقبل بإرجاع مندوب نقابي قامت بفصله . هذا الأمر وضع جوي جليمكو في موقف محرج أمام رجاله، وأراد مني أن أتولى الأمر. قلت له لا يحتاج الأمر إلى طلاء منزل أي شخص. قلت له أن يعطيني صندوق كوكا كولا من النوع الذي كان يحوي تلك الزجاجات القديمة. ثم قلت له أرسل لي أحد رجالك وسنتولى الأمر. صعدت على جسر يقع فوق الشارع القادم من شركة الشحن. عندما تتحرك أي شاحنة من الشركة وتتجه إلى الجسر، كنت أقوم أنا والرجل برمي زجاجات الكوكاكولا على الشاحنة. بدا الأمر وكأن هناك قتابل تتفجر، وكانت الشاحنات تصطدم بدعامة الجسر دون معرفة ما كان يحدث. في النهاية، رفض السائقون قيادة وإخراج الشاحنات من الفناء، وبالتالي تعطل نقل البضائع. رضخت الشركة للأمر الواقع وأعادت تعيين المندوب النقابي، لكنه لم يحصل على أجره. ربما كان عليّ استخدام صندوقين من فحم الكوك.

قضيت عدة ليال في فندق إيدجووتر بيتش، كان يسكن فيها معي في معظمها جيمي هوفنا الذي قَدِم من منزله في ديترويت. كنت أقوم أنا وسام وبيل بصنع فتحة في بطيخة نملؤها بمشروب الروم، ثم نأكل البطيخ حتى لا يعلم جيمي أننا نتناول الكحول. وكان جيمي يقول: «إيه أيها الأولاد، من المؤكد أن رجلكم يحب البطيخ الذي تجلبونه». ذات ليلة، كان من المفترض فيها أن لا يأتي فيها جيمي من المنزل وكنت أحتفظ بغالون من النبيذ وضعته عند النافذة ليبرد. دخل جيمي بينما كنت نائمًا وأيقظتني ضوضاء دخوله. عندما توجه لينام سألتني: «ما هذا الذي في النافذة؟»

فقلت: «أعتقد أنه القمر يا جيمي». قال سام وبيل إنني صنعت مقالب لجيمي أكثر من أي شخص آخر.

كان جيمي أول شخص يستيقظ كل صباح. كان موعد وجبة الفطور في تمام الساعة السابعة وكان من الأفضل أن تكون جاهزاً وإلا فلن تحصل على وجبة الفطور. كان ابنه الشاب يأتي أحياناً إلى فندق إيدجووتر بيتش. كان ابناً صالحاً ويحترم والده. كان جيمي فخوراً جداً بأن ابنه سيذهب إلى كلية الحقوق، وهو ما فعله. وهو الآن رئيس نقابة سائقي الشاحنات.

لقد قابلت الكثير من الأشخاص المهمين. كان سام جيانكانا «مومو» يأتي أحياناً إلى الفندق. في البداية كنت أتركهم يناقشون شؤونهم وحدهم، ولكنني كنت أكون هناك لتحيته عند وصوله إلى جناح جيمي. كان جيانكانا يظهر في الصحف كثيراً في تلك الأيام، وكان يواعد المشاهير. لقد كان على العكس تماماً من راسل فيما يتعلق بموضوع حب الظهور.

في وقت لاحق، عندما تعرّف جيمي على عملي بنفسه، كنت أبقى في الغرفة كلما حدث شيء. كان جيانكانا يصطحب معه من حين لآخر رجلاً يدعى جاك روبي من دالاس. قابلت جاك روبي عدة مرات. وكنت أعلم أن ابن جيمي قابله أيضاً في فندق إيدجووتر. كان روبي مع جيانكانا الذي كان مع ريد دورفمان. ذات مرة خرجنا جميعاً لتناول الطعام وكانت برفقة روبي امرأة شقراء جلبها معه من دالاس إلى جيانكانا. ليس هناك شك على الإطلاق في أن جيمي هوفاً لم يلتق جاك روبي من قبل، فقد تعرف على جاك روبي، ليس فقط من جيانكانا، ولكن من ريد دورمان أيضاً.

في سبتمبر 1978 قام دان إي. مولديا، مؤلف كتاب «حروب هوفّا»، بتسجيل محادثة هاتفية أجراها مع جيمس بي. هوفّا، ابن جيمي. كتب مولديا في حاشية كتابه الذي تم البحث فيه بدقة ومنطق عن حياة جيمي هوفّا وحروبه العديدة: «عندما ذكرت [الشاب جيمي] هوفّا أنه أخبرني بعلاقة والده مع جاك روبي، أكد هوفّا [ذلك]. لم يكن معروفًا لهوفّا أنني سجلت سرًا هذه المحادثة الهاتفية حماية لنفسى».

كان أحد الموضوعات الساخنة جدًا بين جيمي وسام جيانكانا هو «حملة السناتور جون إف كينيدي القادمة للرئاسة». كان هذا موضوعًا مثيرًا للجدل بينهما. كان والد كينيدي قد وعد جيانكانا بأنه يستطيع السيطرة على بوبي ولا يجب أن يقلق أحد بشأن بوبي إذا فاز جاك. لقد كسب والد كينيدي أمواله حين عمل إلى جانب الإيطاليين في تهريب الكحول في أثناء فترة حظره. كان يجلب الويسكي عبر كندا ويوزعه على الإيطاليين. حافظ الرجل العجوز على اتصالاته مع الإيطاليين على مر السنين حيث تفرعت أعماله إلى أشياء أكثر شرعية، مثل تمويل نجوم السينما مثل غلوريا سوانسون التي كان على علاقة بها.

قرر سام جيانكانا أن يدعم جون فيتزجيرالد كينيدي ضد نيكسون، وكذلك فعل صديقه فرانك سيناترا ومعهم عمليًا جميع نجوم هوليوود. وقال جيانكانا إنه سيحضر للانتخابات في ولاية إلينوي حتى يفوز كينيدي بهذه الولاية. لم يصدق جيمي أذنيه. حاول جيمي التحدث معه لإقناعه بالعدول عن نيته هذه. أخبره جيمي أنه لا يمكن لأحد السيطرة على بوبي لأنه شخص مجنون.

وأضاف جيمي أن بعض الأشخاص ذهبوا إلى والدهما خلال جلسات لجنة ماكليان ولم يتمكن من فعل أي شيء حيال أي من أبنائه المليونيرات.

أخبر جيانكانا جيمي بأن كينيدي سيساعدهم على إخراج كاسترو من كوبا حتى يتمكنوا من استعادة الكازينوهات الخاصة بهم. قال جيمي إنهم سيكونون مجانيين إذا وثقوا بأولاد كينيدي بعد ما فعلوه في جلسات مكليان. وأضاف جيمي أن نيكسون ما زال على وشك هزيمة كينيدي وأن نيكسون سيساعدهم في كوبا. قال جيانكانا إن الأمر برمته حدث في كوبا تحت حكم أيزنهاور ونيكسون، فما الفائدة من الجمهوريين؟ لم تكن هناك فائدة من الاستماع إلى هذا. لم تمر سوى بضع سنوات فقط حتى أعلن لقاء أباتشين للجميع أن هناك شيئاً اسمه كوزا نوسترا. وحينها كانوا يتحدثون حول إن كان على منظمة مافيا شيكاغو إصلاح الانتخابات الرئاسية أم لا. أينما ستكون، ستعرف أن الانتخابات المحلية أصلحت. كنت تعرف انتخابات فيلاديلفيا المحلية أو أي شيء تم إصلاحه، لكن الانتخابات الرئاسية كانت شيئاً آخر، وكان هذا الحديث رفيع المستوى يدور أمامي.

تبين حينها أن نقابة سائقي الشاحنات هي النقابة الوحيدة التي ستدعم نيكسون في انتخابات عام 1960. ولكن الآن فإن القنوات التلفزيونية المهتمة بالتاريخ لم تدع مجالاً للشك في كل ذلك، كان أحد أسباب فوز كينيدي في تلك الانتخابات هو أن سام جيانكانا قد زوّر انتخابات إلينوي لصالحه بجلبه أصواتاً زائفة لأشخاص ماتوا، وأخذ تلك الأسماء من شواهد القبور.

كنت أعرف مدى أهمية كوبا لأصدقائي في الساحل الشرقي وجميع أصدقائهم في البلاد. لم يأخذني راسل معه إلى كوبا إلا عندما بدأ كاسترو بطرد الجميع ومصادرة كازينوهاتهم وحلبات السباق والمنازل والحسابات المصرفية وكل شيء آخر يمتلكونه في كوبا. لم أرَ راسل أكثر جنونًا إلا في تلك الرحلة إلى كوبا، ولم يكن كذلك حتى في الرحلة الأخيرة التي قام بها، فقد كان أكثر جنونًا لأن صديقه سانتو ترافيكانتني من مافيا فلوريدا، اعتقله الشيوعيون وتم احتجازه في السجن. سمعت شائعة بأن سام جيانكانا كان عليه أن يرسل جاك روبي إلى كوبا لدفع بعض المال لإخراج سانتو. في ذلك الوقت، كنت أتقدم أكثر في العمل النقابي، وكنت أنتقل ذهابًا وإيابًا بين الفرع المحلي 107 في فيلادلفيا والمحلي 777 في شيكاغو لأكون مع بيل وسام وجوي جليمكو. كنت لا أشارك في الوقفات الاحتجاجية فقط أو أجعل العمال يوقعون على بطاقة النقابة، بل أصبحت مسؤولاً عن التأكد من وجود العمال في الإضرابات. أطلق عليّ لقب «حارس» الإضرابات، كنت أتأكد من أن طابور الإضراب منظم. إذا لم يوجد العامل وقلص مدة وجوده فلن يحصل على نقود مقابل المشاركة في الإضراب. كنت أتأكد من أنه لن يحصل على أجر المشاركة في الإضراب في ذلك اليوم.

كان الفرع المحلي 107 في فيلادلفيا رابع أكبر فرع محلي في البلاد وكان يعاني دائمًا من الكثير من المشكلات. لقد كان كبيرًا جدًا بحيث كان من الصعوبة إدارته. تم التحقيق مع مسؤوليه بخصوص تهمة بالفساد من قبل مجلس الشيوخ الأمريكي، وكان

رئيس الفرع، ريمون كوهين، في موقف لا يحسد عليه دائماً. كانت تحدث انشغاقات بشكل دائم في الفرع المحلي 107. كان لدى جوي ماكغريل طاقم بلطجيته، وكان يتطلع دائماً إلى زرع بذور الخلاف حتى يتمكن من تولي الرئاسة. لم أستطع تحمل ريمون كوهين. حاول أن يحكم بيد من حديد. لم يكن يحترم الناس. كنت أقوم في كل شهر بتصرف معين تجاهه مثل إخفاء سيارته أو حساب نفقاته أو شيء ما لمضايقته. كان كوهين مؤيداً كبيراً لجيمي هوبا في العلن، لذا اشتكى كوهين مني إلى جيمي. ولكن ما لم يكن يعرفه كوهين هو أن بيل وسام كانا يشجعانني على ذلك بناء على أوامر من هوبا. كان كوهين شخصية مهمة في النقابة الوطنية. كان أحد أمنائها الثلاثة. لكن كوهين كان من النوع الذي يدعم جيمي في العلن لكنه يخالفه في السر عندما يريد إنجاز شيء ما. على سبيل المثال: كان يقف ضد أكبر حلم لجيمي بتوحيد عقود عمل سائقي الشاحنات على النطاق الوطني، والتي عرفت بـ «اتفاقية النقل الكبرى». كان كوهين محرّجاً، وانتهى به الأمر بتوجيه تهمة الاختلاس له، وتخلصوا منه في النهاية. كان لجيمي مؤيد مخلص في بورتوريكو يدعى فرانك تشافيز. ولكنه كان مثيراً للمشكلات بشكل واضح. وكان متهوراً جداً. وهو الشخص الذي بعث رسالة إلى بوبي كينيدي من فرعه المحلي في بورتوريكو في اليوم الذي اغتيل فيه جون كينيدي. أخبر بوبي أنه تكريماً لجميع الأشياء السيئة التي فعلها بوبي كينيدي لجيمي هوبا، فإن مواطنه البورتوريكي سيضع باقة من الزهور على قبر لي هارفي أوزوالد ويحافظ عليها منتعشة. ومثل هذا التصرف

يجعلك محرّجًا قليلًا. علينا أن ندع الأموات يرقدون بسلام. عليك أن تكرم الموتى، وخاصة ذلك الرجل. لقد كان بطل حرب أنقذ رجاله في حادثة أحد القوارب<sup>(21)</sup>. كان بوبي ابن عاهرة، لكن الرجل فقد أخوه للتو ويجب أن يعرف أن الأمر كله كان مرتبطًا به وأن ذلك كان خطأه الخاص.

كان فرانك تشافيز قد دخل في نزاع قضائي مع بول هول رئيس الاتحاد الدولي للبحارة في بورتوريكو. كان بول هول عضوًا في الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية، وكان يريد تمثيل السائقين الذين يعملون في المرفأ ويقومون بنقل شحنات السفن لأنهم كانوا يوجدون في رصيف الميناء. لكن لأنهم سائقون، أراد فرانك تشافيز ضمهم إلى نقابة سائقي الشاحنات. كان هوفًا وهول يكرهان بعضهما. كان بول هول أحد أولئك الناشطين في الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية الذين ساهموا في طرد نقابة سائقي الشاحنات من الاتحاد، وكان جيمي هوفًا يعتقد حينها أن هول كان يحاول القيام بكل ما في وسعه لتدميره وتدمير نقابة سائقي الشاحنات. لقد كانت حربًا دموية. كان لدى كلا الجانبين فرق قتالية خاصة بهم. في إحدى الليالي، تلقيت مكالمة في فيلادلفيا من جيمي للانطلاق في رحلة جوية في صباح اليوم التالي إلى بورتوريكو لتصحيح بعض الأمور، ثم السفر إلى شيكاغو وتصويب مسألة ما، ثم مقابلة جيمي في فندق فيرمونت في سان فرانسيسكو الساعة الثامنة مساءً.

---

(21) قاد الملازم أول جون كينيدي قاربًا في المحيط الهادئ خلال الحرب العالمية الثانية. وقام بإنقاذ طاقمه بعد غرق القارب؛ ما جعل منه بطل حرب. (المترجم).

يحدث في الأفلام أو الكتب المصورة فقط أن يقول لك الناس أنهم يريدونك أن تذهب وتقتل شخصاً ما . كل ما كانوا يقولونه دائماً هو أنهم يريدونك أن تسوي الأمر . يقولون أنهم يريدونك أن تفعل كل ما عليك فعله لتصحيح مسألة ما . عندما تصل إلى هناك يكون الناس هناك قد أعدوا كل شيء ، وتفعل كل ما عليك فعله ، ثم تعود إلى من أرسلك لتقدم تقريرك وتستفسر منه في حالة وجود أي شيء آخر يتعين عليك القيام به . كان الأمر بمثابة تقرير تقوم به في أثناء القتال في الحرب بعد عودتك من دورية ليلية . ثم تعود إلى المنزل .

في يوم واحد سافرت إلى بورتوريكو واهتممت بمسألتين ، ثم طرت إلى شيكاغو وتوليت أمراً واحداً . ثم سافرت إلى سان فرانسيسكو وتوقفت في حانة لشرب كأسين من النبيذ ، لأنني كنت أعرف أنني لن أشرب أي شيء عندما أصل إلى فيرمونت للقاء جيمي وتقديم التقرير له . دخلت إلى غرفة جيمي في الفندق في تمام الساعة الثامنة مساءً . وصاح في وجهي لأنني جعلته ينتظر .

قلت : «أنا جئت في الوقت المحدد يا جيمي ، إنها الثامنة» .

صاح جيمي قائلاً : «ألم يكن بالإمكان أن تأتي مبكراً؟»

في وقت لاحق من نفس العام ، تم انتخاب جون إف . كينيدي رئيساً بهامش ضئيل . أول شيء فعله هو تعيين شقيقه في منصب المدعي العام للولايات المتحدة . وهذا جعل بوبي مسؤولاً عن وزارة العدل ، وجميع محامي الادعاء في الولايات المتحدة ، ومكتب التحقيقات الفدرالي ومدير مكتب التحقيقات الفدرالي ،

جي. إدغار هوفر. وكان أول شيء فعله بوبي كينيدي هو الانقلاب ضد الرجال الذين ساعدوا في انتخاب أخيه. وللمرة الأولى في التاريخ الأمريكي، ألزم النائب العام مكتبه بالقضاء على الجريمة المنظمة.

تحقيقًا لهذه الغاية، شكل بوبي كينيدي مجموعة عمل من المحامين والمحققين داخل وزارة العدل، وتولى مسؤولية تلك المجموعة والتر شيريدان ذراعه اليمنى القديم خلال جلسات لجنة ماكليان. اختار بوبي كينيدي أعضاء المجموعة بنفسه. أعطى الفريق مهمة محدودة جدًا للقيام بها ومنح المجموعة اسمًا خفيًا جدًا «مجموعة التخلص من هوبا» «The Get Hoffa Squad»

كل شيء حدث بعد ذلك، وأنا أعني «كل شيء» حرفيًا، جاء نتيجة لهذه الخطوة.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

## الفصل الخامس عشر

### إظهار الاحترام وتقديم المغلف

عندما كنت أعود إلى المنزل لأبتعد عن عملي في الفرع المحلي 107 من حين لآخر، كنت أزور بلدتي القديمة ديربي ومنزل والديّ. كانت تلك هي المرة الوحيدة التي أتحت لي فيها الفرصة لأضحك قليلاً مع الأيرلنديين الكاثوليك لأن كينيدي سيؤدي اليمين رئيساً للولايات المتحدة. عندما أعود إلى الحي الذي كنت أسكن فيه في الماضي في ديربي، كنت أزور أصدقائي القدامى مثل يانك كوين وتبادل العناق، كان مجيء هذا الرئيس الجديد الأيرلندي الأصل لا يشفي الغليل إلا قليلاً. كان أول كاثوليكي أيرلندي على الإطلاق يصبح رئيساً للولايات المتحدة. ناهيك بأنه قضى وقتاً في الحرب مثلنا تماماً. عندما كنت طفلاً كان هناك سياسي كاثوليكي أيرلندي آخر يدعى آل سميث، حاول أن يصبح رئيساً. كان من خارج نيويورك. وهو صاحب القول الشهير: «أفضل أن أكون هنا بدلاً من الرئيس». في ذلك الوقت كانت هناك قطاعات من المجتمع قلقة من أن كونه كاثوليكيًا، فهذا يعني أنه سيأخذ أوامره من البابا. يُقال إن هذا هو السبب الذي جعله يخسر الانتخابات.

وغني عن القول أنه عندما كنت مع جيمي هوفّا، كنت لا أجرؤ أن أقول كلمة جيدة بحق كينيدي. ولم أكن أجرؤ حتى على ذكر اسم الرجل بعد أن أعلن كينيدي أنه سيجعل بوبي المدعي العام. كان جيمي يعرف حتى قبل هذا الإعلان أن انتخاب كينيدي

سيكون سيئاً بالنسبة إليه، لكن جيمي وراسل والجميع نظروا إلى هذا الإعلان على أنه إهانة من الرجل العجوز جو كينيدي إلى أصدقائه القدامى. كان جيمي يعلم أنها كانت مجرد مسألة وقت قبل أن تتخذ الإجراءات القانونية ضده اتجاهًا أكثر سوءًا.

كان جيمي يقول أشياء مثل: «كان ذلك المراوغ بوبي يعرف جيداً السبب الوحيد الذي جعله يعمل بمنصب المدعي وهو إنه شقيق الرئيس. فهو من دون شقيقه لا يساوي شيئاً. كان بوبي يتربص على أحر من الجمر عندما كان يتم فرز الأصوات لصالحهم. إنهم أسوأ أنواع المنافقين. لقد تصرف أصدقاؤنا في شيكاغو بغباء شديد عندما قرروا أن يسيروا خلف نجوم هوليوود وذاك التافه فرانك سيناترا. حاولت أن أخبر جيانكانا.. إن الاسم الذي يليق بهم أنهم مجموعة من الوشاة. مجموعة من الوشاة السيئين».

لم يكن راسل نفسه يتوقع فائدة كبيرة من فرانك سيناترا. كنت أعلم أن راسل لم يكن يركض خلف بريق هوليوود. ولم يكن يتحمل طريقة سيناترا الثرثار في تصوير نفسه رجلاً حكيماً. كان فرانك سيناترا يتصرف بلياقة مع راسل بوفالينو. في إحدى الليالي في نادي 500 في مدينة أتلانتيك سيتي، سمعت راسل يقول لسيناترا: «اجلس وألا سأقطع لسانك وألصقه بمؤخرتك». حينما كان يتناول الشراب معه كان سيناترا يبدو أحمق. كان يصبح عنيفاً عندما يشمل. ويذهب لمقاتلة شخص يعرف أنه سيوقفه عند حده. كان شارباً سيئاً. فأنا مثلاً حين أشرب، تتولد عندي رغبة في أن أغني وأرقص. أتصور أنه كان يعتقد أنه كان بالفعل مغنياً وراقصاً.

أخبرني بيل إيزابيل بأن جيمي تغير كثيرًا بعد أن قرر بوبي كينيدي مواجهته. إنها مثل تلك القصة القديمة عن الرجل الذي يواصل مطاردة الحوت الأبيض. كان بوبي وجيمي يمثلان الرجل الذي يطارد الحوت الأبيض. وفي نفس الوقت كان كلاهما يمثل الحوت الأبيض الذي تتم مطاردته. في الواقع، هناك شيء واحد أحب جيمي القيام به، كان جيمي عادة يحب الذهاب لصيد الأسماك في أعماق البحار. كان لدى النقابة قارب صيد طوله 40 قدمًا في ميامي بيتش مخصص لجيمي. كان يعمل فيه قبطان بدوام كامل وغرف نوم يمكن لستة أشخاص النوم فيها. طلب مني جيمي ذات مرة أن أذهب معه لصيد الأسماك في أعماق البحار فقلت له: «أنا لا أذهب إلى أي مكان لا أعرف كيف سأعود منه». ذات ليلة في عام 1961 عندما كنت في فيلاديلفيا تناولت العشاء مع راسل. أنا متأكد من أن ذلك حدث قبل عيد الفصح لأنه جرى العرف أنك تقابل في كل عيد فصح وكل عيد ميلاد رئيسًا معينًا في حفلة، وتقدم احترامك له مصحوبًا بمغلف. قام راسل بعمل أشياء كثيرة لي في ذلك العام، وقد قدمت له مغلف عيد الميلاد في حفلة ذلك العيد، ولم أكن قد قدمت له مغلف عيد الفصح حتى ذلك الحين. في الواقع، ربما لم تمر أكثر من بضعة أسابيع على حفلة عيد الميلاد. في العام التالي توقف روس عن أخذ أية مغلفات مني. وبدلاً من ذلك، بدأ هوفي تقديم الهدايا، مثل المجوهرات.

في هذه الليلة بالذات كنت أتناول العشاء مع راسل بمفردنا في مطعم إيطالي يدعى كوسا ليتا، وأخبرني راسل بأن الرئيس

كينيدي كان من المفترض أن يفعل شيئاً بشأن كوبا . لقد سبق لي أن اشتبهت في أن هناك ملاحظات -رسائل شفوية- كان يتبادلها جيمي وسام جيانكانا من أن هناك شيئاً ما يدبر لكوبا .

أخبرني راسل بأن كينيدي الأب كان يقوم خلال فترة حظر استيراد الكحول بأخذ دولار واحد على كل زجاجة ويسكي تدخل البلاد . وأخبرني بأن هذا الرجل العجوز يسيطر على الرئيس، وكان من المفترض أن يجعل الرئيس يقوم بمساعدتهم في كوبا، والمساعدة في إيقاف جلسات مكليان وإبعاد الحكومة عن الجميع .

إذا نظرنا إلى الوراثة الآن، أستطيع الجزم في أن الرجل العجوز أخبر الرئيس كينيدي بالمضي قدماً في المسألة الكوبية لدفع سام جيانكانا لمساعدته في الانتخابات . ستكون كوبا وسيلة لإظهار الاحترام لما بذله زعماء المافيا من جهود من أجل فوزه، وإعطائهم المغلف . كان يبدو أن كينيدي كان يريد أن يساعد هؤلاء الأشخاص على استعادة الكازينوهات وحلقات السباق وغيرها من الأعمال التجارية التي كانت لديهم هناك . فقد كان لديهم كل شيء، قوارب صيد الروبيان والشركات المشروعة .

كان راسل يعاني من مشكلة إعتام عدسة العين ولم يكن يحب القيادة . إذا وجب عليه الذهاب إلى مكان بعيد وكنت أنا في الساحل الشرقي، كنت أصطحبه بالسيارة إلى الأماكن التي يريد الذهاب إليها لأنه كان لدي قدر كبير من وقت الفراغ . لم يكن لدي دائماً شيء أفعله في الفرع المحلي 107 في فيلاديلفيا . وإذا كان لديهم شيء ما ، لم يكن ريمون كوهين يثق بي ويكلفني للقيام

بذلك. كانت مهمتي في الفرع 107 في ذلك الوقت أشبه برجل إطفاء ينتظر حدوث الحريق. عندما كنت في شيكاغو وديترويت كان يبدو لي دائماً أنه كان هناك حريق. أصبح الفرع 107 مزدحمًا بالعمل بعد مرور شهرين.

صعد راسل إلى سيارتي من طراز لينكولن وبدأ يغفو على الفور. كان روس ينام جيداً. وكانت مواعيد نومه منضبطة. كان مثل الدواء بالنسبة إليه. وكان يواظب على أخذ قيلولة بعد الظهر. حاول أن يعودني على القيام بذلك، لكنني لم أستطع فعل ذلك قط. فلم أعد بعد الحرب قادراً على النوم أكثر من ثلاث أو أربع ساعات في كل ليلة. كانت الحرب مرتبطة عندي بالنوم القليل. كان عليك أن تتعلم كيف تفعل ذلك هناك، لأنه كان عليك دائماً أن تستيقظ وتقفز من سريرك. حين كان راسل يقضي الليل في شقتي التي تقع بالقرب من مضمار السباق في فيلادلفيا، كنا نشاهد السباقات التي تجري فيه، وفي الساعة الحادية عشرة كان يذهب إلى غرفته ويتجه مباشرة نحو السرير. كنت أبقى مستيقظاً أستمع إلى الراديو، وأشرب النبيذ، وأقرأ حتى الساعة الثانية صباحاً.

ذات ليلة طلب مني راسل أن أوصله إلى ديترويت. صعد إلى السيارة وغطّ فوراً في النوم قبل أن أخرج من ممر السيارات. كان عندي جهاز راديو من نوع CB، أستخدمه لتبهيي لوجود نقاط التفتيش أو شرطة الولاية. لقد كانت ليلة هادئة، لذلك كنت أسير بسرعة من 90 إلى 100 ميل في الساعة طوال الطريق. عندما استيقظ راسل فتح عينيه وكان في ديترويت. نظر إلى ساعته وقال: «في المرة القادمة، سأركب طائرة».

طوال الفترة التي عرفت فيها راسل كان يحب أن آخذه إلى منطقة بيتسبرغ في الغرب لزيارة صديقه المقرب جداً كيلى مانارينو في مدينة نيو كنسينغتون. كانا يطبخان معاً صلصة الطماطم، لكنهما كانا يسميانها المرق، وكانا يطبخان طوال النهار وأحياناً طوال الليل. في العشاء كان عليك أن تأكل ما قام راسل بطهيه وما قام كيلى بطهيه. لا يمكنك تناول ما طبخه الأول دون أن تتناول ما طبخه الثاني.. ثم في النهاية لن تشبع على الإطلاق فتبدأ تغمس خبزك في المرق الموجود في طبقك. كان راسل يصنع طبق برورشيتو لذيذاً. وكان كيلى يبذل كل جهده في الطبخ كذلك. كان الأمر مثل المسابقة، لكن الفائز كان دائماً النبيذ بيتي الصنع والاسترخاء. كان لديهما حس فكاهي رائع وكانا يمزحان حول ما يقوم الآخر بطهيه. كان راسل يعاملني كابن له. لم يكن لديه هو وكاري زوجته أطفال. لا أعرف إن كنت ابناً له أم لا. كنت أعلم أنه كان يحب أن يصطحبني معه وإلا لما كنت أجلس هنا الآن. كنت قد رحلت منذ زمن طويل.

المرّة الوحيدة التي رأيت فيها روس يعبر عن مشاعره كانت عندما أصيب كيلى بالسرطان في عام 1980، قبل محاكمتي الأولى في فيلادلفيا. انخفض وزن كيلى خلال ستة شهور إلى 100 باوند، وكان راسل يبكي بمجرد النظر إليه.

كان لدى كيلى شركة لصنع الحلوى. وكانت تصنع بيض عيد الفصح العملاق المغطى بالشوكولاتة، مملوءاً بنوجا جوز الهند أو نوجا زبدة الفول السوداني. لطالما أرسلت ذلك البيض إلى زوجات المحامين الذين ترافعوا عني عندما كنت في السجن.

كان كيلي وشقيقه شريكين مع ماير لانسكي في كازينو سان سوسي في هافانا. عندما يفكر الناس في رجال العصابات يخطر على بالهم رجال المافيا أو الإيطاليون، لكن الإيطاليين هم جزء واحد فقط من الشيء الأكبر. هناك يهود وأنواع أخرى مختلفة من رجال العصابات. لكنهم جميعاً جزء من نفس الشيء. كانت تربط كيلي وراسل علاقة وثيقة جداً مع ماير لانسكي، وكان لانسكي يحظى بالكثير من الاحترام.

كان فينسنت «جيمي بلو آيز»، الذي راهن راسل على أنه لا يستطيع ترك السجائر في ذلك القارب حين كانوا في طريقهم للخروج من كوبا، يعمل مع ماير لينسكي. كان جيمي بلو آيز إيطالياً، وكان أفضل صديق لماير لانسكي. كانا مثل كيلي وراسل. تعرفت على ماير لينسكي ذات مرة في حانة غولد كوست التي يملكها جو سونكن في مدينة هوليوود في فلوريدا، كنت متوجهاً لمقابلة راسل، وكان ماير لانسكي يغادر الطاولة. لم أتحدث معه إلى أن قابلته، ولكن عندما كنت في السجن وكان أخي يحتضر بسبب إصابته بالسرطان ولم يعطه طبيب المستشفى الخاص برعاية المحاربين القدامى دواء المورفين المسكن للألم، اتصل راسل وهو في السجن بماير لانسكي، وكان يعرف طبيباً يعمل هناك وقدم المساعدة في تخفيف الألم عن أخي. تمت مصادرة الكثير من ممتلكات ماير لانسكي وكيلي وشقيقه في كوبا كما فعلوا مع راسل.

كان لدى راسل الكثير من الأعمال التجارية مع كيلي وكان كلاهما يرفض تعاظمي أو المتاجرة بالمخدرات، تماماً مثل أنجيلو.

لم تكن هناك مخدرات في مكان وجودهم. كان كيلي يمتلك قلباً طيباً مثل راسل وأنجيلو. اعتنى راسل بالفقراء في منطقته، وبفضله كانوا يحصلون على الطعام في عيد الشكر وعيد الميلاد، وكلما احتاجوا إليه، وكانوا يحصلون جميعاً على الفحم في الشتاء. وكان كيلي يعمل بنفس الطريقة.

تعودت أن أقود سيارتي إلى مدينة هوليوود في فلوريدا لأصطحب راسل لحضور الاجتماعات التي كانت تُعقد كثيراً في مطعم غولد كوست الذي يملكه جو سونكن. كنا نستقل الطائرة من حين لآخر إذا كانت هناك بعض حالات الطوارئ، ولكن في معظم الأحيان كنت آخذه بسيارتي. كان جو سونكن عضواً في عائلة راسل، وكان الجميع يذهب إلى مطعم غولد كوست لحضور الاجتماعات. اجتمع أشخاص مختلفون من جميع أنحاء البلاد في مطعم غولد كوست. كان ذلك المطعم يقدم أفضل طبق سلطعون حجري في فلوريدا. كان راسل يجتمع هناك مع سانتو ترافيكانتى زعيم عائلة فلوريدا وكارلوس مارسيلو زعيم عائلة نيو أورليانز عدة مرات على مدار العام. لقد قابلت فرانك راغانو محامي ترافيكانتى هناك. وكانوا قد أرسلوا فرانك راغانو إلى جيمي لمساعدته في المحاكمة التي وجب عليه حضورها بسبب التحقيقات التي قام بها بوبي كينيدي وأعضاء لجنته المعروفة باسم «غيت هوبا».

قابلت هناك أيضاً طيار كارلوس مارسيلو، وكان يدعى ديف فيري. قيل لي لاحقاً إنه كان مثلياً. كن لا يزال يحتفظ بشعره عندما التقيته. وكانوا يقولون أنه أصبح مختلاً نوعاً ما في وقت

لاحق وبدأ يحمل معه حقيبة ماكياج. يمكنك أن تقول أنه كان يكره كاسترو بقوة، وكان قريباً جداً من الكوبيين المناهضين لكاسترو في فلوريدا.

في صباح أحد الأيام بعد أسبوعين من الاجتماع في مطعم غولد كوست حيث قابلت ديف فيري، عدت إلى فيلاديلفيا وتوجهت إلى الفرع المحلي للنقابة وتلقيت مكالمة من جيمي هوفما الذي طلب مني أن أتحقق من ذلك الشخص الذي تحدثنا عنه.. هذا يعني أنني يجب أن أذهب إلى الهاتف العمومي الذي كنت أستخدمه وأبقى عنده بانتظار ورود مكالمة هاتفية. وصلت إلى الهاتف العمومي وعندما سمعت صوت جيمي يقول: «هل هذا أنت؟» قلت له: «نعم». ثم قال: «تحدثت مع صديقك وقال لي أن أخبرك. جهز لك شاحنة أمينة غداً وتوجه إلى مصنع الخرسانة «هاري كامبل» الواقع في الطريق السريع خارج بالتيمور. يجب أن تجده. خذ معك شخصاً ليساعدك في القيادة. لا تنس وأنت في الطريق أن تتصل بصديقك».

بعد أن انتهت المكالمة اتصلت براسل من الهاتف العمومي وقلت لراسل ما سمعت من ذلك الرجل، فقال راسل حسناً، وأنهينا المكالمة.

ذهبت إلى فيلاديلفيا لرؤية فيل ميلستون في شركة ميلستون. كان يدين بمبلغ كبير من المال لم يتمكن من تسديده، لذلك كان يقدم خدماته بدلاً من ذلك، مثل أن يدرجني في جدول الرواتب دون أن يكون لديّ عمل. لقد كان مهرباً قديماً للكحول. كان من الناس الطيبين. وكان شخصاً أميناً لذلك كنت أتعامل معه. لم

يكن وأشيأ. انتهى به الأمر في السجن لمحاولته رشوة وكيل مصلحة الضرائب.

أعطاني فيل شاحنة واصطحبت معي شاباً اسمه جاك فلين ليقودها معي. (توفي جاك وهو جالس في سيارته بنوبة قلبية عندما عدت إلى السجن بتهمة انتهاك الإفراج المشروط في عام 1995. قمت باتصالاتي وحصلت لصديقتة على مبلغ تعويض الوفاة الذي تدفعه النقابة). قدنا شاحنة شركة ميلستون هولنغ إلى بالتيامور وتوقفنا عند مصنع كامبل. كنت قد ذهبت إلى هناك مؤخراً لأجد أنه حصل على اسم جديد: «بونسال». اتسع البناء في تلك المنطقة، ولكن لم يكن فيها سوى عدد قليل من العمارات، لكن المباني الحجرية القديمة لا تزال موجودة. عندما دخلناها في عام 1961 كان هناك مدرج هبوط صغير. وكانت طائرة صغيرة جاثمة على المدرج، وخرج ديف فيري طيار كارلوس مارسيلو الذي كنت قد التقيته في مطعم غولد كوست من الطائرة وجاء إلى شاحنتي وأمرنا بالعودة وركنها بجانب بعض الشاحنات العسكرية. قمنا بركنها وفجأة خرجت مجموعة من جنود المافيا من أحد المباني وبدؤوا بتفريغ الشاحنات العسكرية من البدلات العسكرية والأسلحة والذخيرة وتحميلها كلها في شاحنتنا.

أخبرني ديف فيري بأن الأغراض العسكرية التي يتم تحميلها كانت من الحرس الوطني في ماريلاند. أعطاني الأوراق المتعلقة بالحمولة لإظهارها في حال تم إيقافنا. قال لي أن آخذها إلى مضمار سباق الكلاب في منطقة أورانج غروف في فلوريدا خارج مدينة جاكسونفيل.. قال إنني سأقابل هناك رجلاً ذا أذنين كبيرتين يدعى هانت.

قدنا الشاحنة مباشرة على الطريق القديم 13. كنت معتاداً على نقل صناديق القهوة إلى فلوريدا لصالح متجر الأغذية الذي كنت أعمل فيه، وأعود محملاً بصناديق البرتقال. اعتدت أن أتوقف عند مطعم لامس الذي يقدم السجق الحار، والذي لا يوجد مثيل له في الشمال. استغرقنا قرابة واحد وعشرين ساعة للوصول إلى هناك، وقمنا بتحويل الحمولة إلى هانت وبعض الكوبيين المناهضين لكاسترو. بقي جاك فلين في فلوريدا ليعيد الشاحنة وعدت أنا بالطائرة إلى فيلاديلفيا. ظهر هانت لاحقاً على شاشة التلفزيون باعتباره المسؤول عن عمليات السطو في فضيحة ووترغيت، تحت اسم إيفريت هوارد هانت، ولكنه في ذلك الوقت كان على اتصال مع وكالة المخابرات المركزية بطريقة أو بأخرى. أجرى هانت أيضاً نوعاً من عمليات التجميل لأذنيه، لأنه في المرة التالية التي رأيته فيها كانت أذناه أقرب إلى رأسه. قدت سيارتي إلى مدينة كينغستون لتقديم تقرير لراسل عن العملية، وأخبرني بأن شيئاً ما سيحدث في كوبا، ولهذا السبب اتصل بي جيمي كي أذهب بالشاحنة إلى فلوريدا. وأخبرني بأن جيمي هوفما كان منفتحاً تجاه كينيدي. كان جيمي يتعاون في هذا الموضوع احتراماً لسام جيانكانا وراسل، ولأنه سيكون من المفيد للجميع استعادة كوبا من الشيوعيين. حتى لو اتضح أن ذلك سيصب في مصلحة كينيدي.

ثم كان الشيء التالي الذي سمعته من شاشة التلفزيون في أبريل هو أن الرئيس كينيدي قد قام بغزو خليج الخنازير للإطاحة بنظام كاسترو. في اللحظة الأخيرة قرر كينيدي عدم

إرسال غطاء جوي أمريكي للمشاة الذين قاموا بإنزال برمائي. كنت أعتقد أن جون كينيدي كان يعرف أفضل من ذلك كونه خاض الحرب. لا يمكنك امتلاك قوة غزو دون دعم جوي. لم يكن لدى الكوبيين المناهضين لكاسترو الذين قاموا بالغزو سفنٌ قبالة البحر لقصف الأرض عند رأس الشاطئ. كانت قوات الغزو هدفًا سهلًا عند ذلك الشاطئ. والذين لم يقتلوا بشكل مباشر تم القبض عليهم من قبل الشيوعيين، ومن يدري ماذا حدث للكثير من هؤلاء الرجال.

بدأت أعتقد حينها أن آل كينيدي هؤلاء لا يتمتعون بمهارات تنظيمية على الإطلاق.

سافرت بالطائرة إلى مطعم غولد كوست بصحبة راسل للقاء سانتو ترافيكانتي وبعض الأشخاص. لم أسمع قط أي شيء قاله أي شخص، بما في ذلك راسل، عن اشتراكهم في أي مؤامرة مع حكومة كينيدي لاغتيال كاسترو بالسم أو بالرصاص، لكن بعض الحديث ظهر عن تلك المؤامرة بعد نحو عشر سنوات في الصحف. كانوا يقولون أن رجال المافيا هم من قاموا بالعملية بأنفسهم. ربما اعتقدوا أن كاسترو كان يشبههم كثيرًا. فكان أسلوبه يشبه أسلوب زعماء المافيا. كانت لدى كاسترو مجموعة من الرجال المخلصين ومساحة واسعة من الأراضي يستطيع التحرك فيها، وانتهك حرمة أراضيهم ودخلها واستولى على ممتلكاتهم القيمة وطردهم منها. لم يكن من المتوقع أن يسمحوا له أن يفلت من ذلك.

يمكنني أن أخبرك بأن عددًا من الأشخاص الذين جاؤوا من أماكن مختلفة واجتمعوا في مطعم جو سونكن كانوا يعتبرون العجوز كينيدي واحدًا منهم. وبطريقة ما كانوا ينظرون بلا شك إلى ابنه جاك وبوبي كجزء من طاقمه.

في صيف عام 1975 عقد مجلس الشيوخ الأمريكي جلسات استماع خلف أبواب مغلقة حول تورط المافيا في كل من غزو خليج الخنازير ومؤامرة اغتيال فيدل كاسترو بالسهم في المقام الأول. رأس اللجنة التي اختارها مجلس الشيوخ السيناتور فرانك تشيرش من ولاية أيداهو وأصبحت تعرف باسم لجنة تشيرش. واستمعت اللجنة إلى شهادات عدة وجمعت أدلة تتعلق بعلاقة رجال المافيا المشتبه فيهم بعملية غزو خليج الخنازير في أبريل 1961 وإلى مؤامرة يشتبه في اشتراك رجال المافيا ووكالة المخابرات المركزية فيها لاغتيال فيدل كاسترو. في بداية جلسات الاستماع عام 1975، وفي خطوة صادمة، اعترفت وكالة المخابرات المركزية للجنة تشيرش بتورط رجال المافيا ومساعدتهم لها في غزو خليج الخنازير ووجود مؤامرة مشتركة بين رجال المافيا ووكالة المخابرات المركزية لقتل كاسترو. حملت هذه المؤامرة الاسم المشفر «عملية النمس».

قبل أيام قليلة من شهادته المقررة أمام لجنة تشيرش، اغتيل سام جيانكانا «مومو». ولم يشهد قط. لكن الرجل الوسيم والأنيق جوني روسيلي مساعد جيانكانا أدلى بشهادته. وأدلى تحت القسم بشهادته بالتفصيل خلف الأبواب المغلقة. بعد أشهر قليلة من شهادته، اغتيل جوني روسيلي وحُشِر جسده في برميل للنفض.

بينما كانت لجنة تشيرش تجري جلسات استماع مغلقة، ذكرت مجلة تايم في عددها الصادر في 9 يونيو 1975، أن راسل بوفالينو وسام جيانكانا «مومو» كانا العقل المدبر وراء اشتراك رجال المافيا مع وكالة المخابرات المركزية في عملية الفوز المناهض لكاسترو ومؤامرة اغتيال كاسترو.

نتيجة لاستنتاجاتها المستقلة واعترافات وكالة المخابرات المركزية، صاغت لجنة تشيرش تشريعات تقيد تدخل وكالة المخابرات المركزية في شؤون دولة ذات سيادة. تم تمرير هذا التشريع. وأصبح عمل لجنة تشيرش، ونتائجها، وإصلاحاتها التشريعية لوكالة المخابرات المركزية مثاراً للكثير من الجدل بعد مأساة 11 سبتمبر، عندما اعتقد بعض معلقى الصحف أن لجنة تشيرش قد ذهبت بعيداً في تقييد أنشطة وكالة المخابرات المركزية.

سواء انتهت قضية كوبا أم لا، لا يزال هناك اتحاد يجب إدارته. في مكان ما في أحد أيام شهر يوليو 1961، عيّني جيمي رقيباً على المؤتمر الذي عقد في فندق دوفيل في ميامي بيتش، في فلوريدا. كان المؤتمر يعقد كل خمس سنوات لانتخاب أعضاء المكتب التنفيذي ومناقشة مسائل أخرى. أحد الأمور الأخرى التي أحببتها على الفور عندما سمعت أنها تناقش، وربما كانت أفضل شيء أسفر عنه هذا المؤتمر هو الزيادة الكبيرة في حساب المصاريف.. كوني رجلاً عاش من دون أن يملك الكثير، اعتقدت بالفعل أن تلك الزيادة كانت أفضل ما حدث لي منذ أن انخرطت في هذا العمل.

كان مؤتمر عام 1961 هذا هو أول مؤتمر حضرته على الإطلاق. لم يكن رايموند كوهين يريدني أن أذهب، لكنها كانت رغبة جيمي، ولم يكن لكوهين رأي في هذا الأمر. وباعتباري رقيباً كانت مهمتي أيضاً التحقق من صحة أوراق أي شخص يحاول الدخول إلى قاعة المؤتمر. حاول الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية إرسال بعض الجواسيس، وبطبيعة الحال، حاول مكتب التحقيقات الفدرالي الدخول أيضاً. لكنهم لم يجعلوني أبذل جهداً كبيراً. لقد حاولوا ذلك، وعندما تم إبعادهم ظلوا بعيداً في محيط مكان عقد المؤتمر، وحاولوا الاستماع إلى ما يدور فيه والقاء نظرة خاطفة من مسافة بعيدة. إذا أعدنا الآن التفكير في الأمر، فمن المحتمل جداً أن يكون كل من الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية ومكتب التحقيقات الفدرالي قد زرعوا بالفعل أجهزة تنصت في غرفة الاجتماعات. وبمحاولتهم الدخول من الباب الأمامي، أرادوا منا أن نعتقد أننا أبعدناهم.

كانت المشكلة الكبرى بالنسبة إلي هي التعامل مع مصوري الصحف. كنت أدفعهم بعيداً عن باب الدخول، وكانوا يحاولون التسلل مرة أخرى وقد أضأوا فلاشات كاميراتهم. كان أحدهم يزعجني بشكل خاص.

التفت إلى الشرطي الذي كُلف بالوقوف عند الباب وقلت له: «أعتقد أنني سأحتاج إلى جراح. هل يمكنك الاتصال بجهازى اللاسلكي لتطلب لنا جراحاً؟»

«جراح؟» سألني الشرطي. «ولماذا تحتاج إلى طبيب؟»

قلت: «ليس طبيباً، أنا بحاجة إلى جراح لإجراء عملية جراحية لإخراج كاميرا المصور من مؤخرته، حيث سيكون مكانها في المرة القادمة التي يشعل فيها الفلاش». ضحك الشرطي مدهوشاً.

أعتقد أنه قبل شهر من مؤتمر عام 1961 فقد جيمي صديقه الطبيب أوين بيرت برينان بعد إصابته بنوبة قلبية. اعتقد بعض الأشخاص أن تلك النوبة أصابته بسبب قلقه بسبب تعاملاته التجارية مع جيمي التي كان بوبي يحقق فيها.

بسبب وفاة صديقه برينان، اضطر جيمي إلى استبدال برينان كونه كان أحد نواب رئيس النقابة الوطنية، وانتهى به الأمر إلى اختيار فرانك فيتزسيمونز بدلاً من صبي قديم من «صبيان الفراولة» -وهي التسمية التي كانت تطلق على المشاركين في إضراب شركة كروغر- يُدعى بوبي هولمز. قام جيمي باختياره بعد أن رمى عملة معدنية في الهواء. في وقت لاحق، تبين أن وجه العملة هذا هو ما وضع فيتز في موقع يخلف به جيمي عندما ذهب جيمي إلى السجن. كان بوبي هولمز رجلاً مخلصاً جداً لهوفاً. كان في الأصل عاملاً في مناجم الفحم في إنجلترا. كان من المشاركين في أول إضراب قام به جيمي برفض تحميل الفراولة من فوق رصيف شركة كروغر. كان من المستحيل أن يقوم بوبي هولمز بخيانة جيمي ويفعل مع جيمي ما فعله فيتز به. أعتقد أن جيمي لو كان قد مشى وراء حدسه بدلاً من رمي العملة في الهواء لاستفاد الجميع من كل ما حدث، وكنت سأعتزل يوماً ما وأنا منظم دولي.

كان لدى جيمي في المؤتمر مفتاح للميكروفون، وكان يفلقه إذا لم يعجبه ما كان يسمعه. قال جيمي أشياء مثل: «أنت خارج النظام يا أخي، اخرس». وكان هذا هو المؤتمر الذي قال فيه جيمي عبارته: «قد تكون لدي عيوب، لكن لم يكن أحدها أن أكون مخطئاً».

رشح جيمي فيتز، وانتخب فيتز نائباً للرئيس في مؤتمر عام 1961. أخذ فيتز الميكروفون وبدأ يمدح جيمي هوفاً كثيراً. عملياً قام فيتز بـ «التعهد بالولاء» لجيمي هوفاً، لكننا نعرف كيف سارت الأمور.

كان جيمي هوفاً يشغل منصب نائب الرئيس الآخر. رشح له أنتوني بروفينزانو «توني برو» من شمال جيرسي وانتخبه المندوبون، وهو من كان يحمل لقب «الرجل القصير». ونحن نعلم كيف سارت الأمور.

## الفصل السادس عشر

### ابعث لهم رسالة صغيرة

قبل المؤتمر أرسلني جيمي إلى شيكاغو، وأعادني مرة أخرى فور انتهاء المؤتمر إلى شيكاغو للعمل باتصال مباشر مع جوي جليمكو. أرادت مجموعة من المتمردين الاستيلاء على نقابة محلية لسائقي سيارات الأجرة تابعة لجوي جليمكو وجعلها مستقلة. عرف الجميع أن اتحاد البحارة وزعيمه بول هول بالاشتراك مع الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية هم من كان وراء المتمردين، وأن بول هول سيتولى مسؤولية النقابة المحلية بمجرد أن تصبح مستقلة. وجرى ذلك في الفرع المحلي 777. كان زعيم المتمردين هو دومينيك أباتا. وقد حصل على ما يكفي من البطاقات التي وقعها المنشقون لإحالة الأمر إلى الانتخابات. أنا متأكد من أن المتمردين لديهم أسباب تجعلهم راغبين في رحيل جوي جليمكو. لكن جوي كان لديه خمسة عشر سائقاً من سائقي سيارات الأجرة المحليين في شيكاغو بكاملها، بالإضافة إلى جميع فروع نقابة سائقي الشاحنات الأخرى التي كانت في الشركات الأخرى وجميع النقابات الأخرى التي كان يسيطر عليها خلف الكواليس. لذلك -مع كون مصير هذه الفروع الأخرى أصبح على المحك- لم يكن جوي جليمكو رجلاً يمكنه تحمل أن يكون مثلاً سيئاً من خلال السماح لمتمردي الفرع المحلي 777 بالابتعاد ومغادرة نقابة سائقي الشاحنات. قد يفقدون في النهاية، لكن كان عليه أن يجعل رحيلهم درساً قاسياً. وسيبعث

الثلث الذي دفعوه من أجل حريتهم رسالة إلى بقية فروع بآن تلتزم بقوانينه.

كان جوي جليمكو أقصر حتى من جيمي. كان ممتلئ الجسم وقويًا جدًا. زعموا أن طوله كان 164 سنتيمترًا، وربما كان ذلك في صباه، لكن الناس يفقدون طولهم مع تقدمهم في السن. كان طولي 195 سم. وأنا أكره اليوم قياس طولي. كان لدى جليمكو أنف وعين صقر. كان قد ارتكب جريمتي قتل قبل سنوات. حين يتحدث كنت تتخيل أن أحد أفراد آل كابوني يتحدث.

كان جوي يحب الطعام، وكان ماهرًا في لعب الورق؛ فقد كان يسحق جيمي هوفًا بلا رحمة في لعب الورق.. كان بإمكانه أن يخلط ست شدات من أوراق اللعب في وقت واحد. اشترى جوي ذات مرة يانصيب كرة القدم مني، ثم بدأ الجميع يقبل عليها. كان هناك الكثير من الناس اللطفاء في شيكاغو، وكان هو واحدًا من أفضلهم. لقد كان يحظى باحترام كبير. كان من الصعب دائمًا معرفة من هو الرئيس في مافيا شيكاغو لأنه بدا أنهم جميعًا يستأنسون ببعضهم ويعرفون بعضهم منذ مدة طويلة. عاد بعض من المخضرمين بالحديث إلى الأيام الخوالي في بروكلين، قبل أن يظهروا إلى العلن في شيكاغو.

كانوا جميعًا يحبون تناول الطعام في شيكاغو، وليس فقط جوي. أحب رجال مافيا شيكاغو الأكل أكثر حتى من راسل وكيلي وأنجيلو. وكان لذلك تأثير كبير. وكما كانوا يجتمعون جميعًا لتناول الطعام في شيكاغو كان الأمر نفسه يحدث في حمامات البخار. كانت حمامات البخار التي يمتلكونها أماكن شهيرة جدًا لتناول

الطعام، ولم يكن يوجد بينهم غرباء. كانوا يفلقون الحمامات أمام العامة ويجلبون الطعام والنبيد والخمر ويضعون كل شيء على طاولات كبيرة في صالة كبيرة. كانت المأدبة تحوي أطباقاً رئيسة من لحم العجل والدجاج وسمك القد والسجق وكرات اللحم وأطباق المعكرونة المختلفة والخضراوات والسلطة وأنواع مختلفة عدة من الحساء والفواكه الطازجة والجبن وجميع أنواع المعجنات الإيطالية، ناهيك بالحلوى. كلوا يجلسون وهم يرتدون أرواب الحمام كما لو أنهم على الشاطئ. كانوا يأكلون ويشربون ويدخنون السجائر الطويلة. وقد يحصلون في الفترات التي تفصل بين جولات ألعاب الورق على شيء مز التديك. ثم يأكلون مرة أخرى. كانوا طوال الوقت يتبادلون النكات الجنسية ويروون قصصاً مضحكة مختلفة، وأحياناً ما ينزوي اثنان منهم جانباً ويتحدثان عن بعض الأعمال. والشيء التالي الذي تعرفه أن النعاس يبدأ يغالبهم فيذهبون إلى حمام البخار ويتخلصون بالعرق والحرارة من كل الطعام والكحول الذي ملؤوا به بطونهم. ثم يعودون من الاستحمام متوردي الخدود، ويبدوون تاول الطعام مرة أخرى. كان شيئاً باهراً جداً. يجعلك تتذكر حمامات إمبراطورية روما التي تظهر في الأفلام.

دعنا نواجه الأمر، من الصعب البدء مع تنظيم سائقي سيارات الأجرة، ناهيك بأولئك المتمردين الذين سبق لهم أن وقّعوا أكثر من بطاقة كانت كافية لمغادرتك. لقد خسرنا أول حملة تنظيمية للسائقين حين كنت في ديترويت، وله تكن هناك نقابة أخرى في مواجهتنا. تغلبت علينا سائقات سيارات الأجرة الشابات في

ديترويت. عادة ما يكون لسائقات سيارات الأجرة عملاً آخر يقمن به إلى جانب القيادة. تسهيل مواعدة فتيات أو توصيل بضاعة وغالباً ما تكون مخدرات، وخداع الزبائن في الحانات أو في بعض المطاعم في أوقات ما بعد ساعات العمل. وكان بعضهن يقمن حتى بسرقة المجوهرات في تلك الأيام. لم يكن يردن إزعاج رؤسائهن لأنهم كانوا يفضون النظر عن الكثير من الأشياء التي يفعلنها. فالكثير منها كانت مؤقتة على أي حال.

لكن جيمي أراد هزيمة بول هول في شيكاغو ومن أجل هذا ذهبنا.

في صباح أحد الأيام، أفاد أحد مخبري جليمكو عن وجود دومينك أباتا في موقع معين مع اثنين من رجاله. كان ذلك قبل أن يمنحوه حماية من الشرطة على مدار الساعة. قال جوي جليمكو لي: «اذهب إلى هناك وابعث إليهم رسالة تحذير». وهذا يعني أنك لن تأخذ معك سلاحاً، أنت تريد أن توصل رسالة فحسب. كانت مهمة بدنية. فأخذت معي رجلين مفتولي العضلات من فيلاديلفيا أرسلهما جيمي إلى شيكاغو، وتوجهنا إلى حيث كان من المفترض أن يكون أباتا. سرنا من أمام سياج مشبك يرتفع بموازة مبنى مشيد من كتل أسمنتية. وفجأة، خرج علينا خمسون رجلاً من المبنى. استدار الاثنان اللذان كانا معي وهربا. أما أنا فوقفت في مكاني. جاؤوا إليّ. فقلت: «أعرف من أنتم جميعاً. إذا طاردموني فمن الأفضل قتلي. إذا لم تفعلوا ذلك فسأعود وسأقتلكم».

تبادلت وأباتا النظرات، قال: «نحن نعرف من أنت».

قلت: «واجهني بأفضل رجلين عندك وسأصرعهما الآن. وربما ثلاثة، لكنني أشك في قدرتك على ذلك».

قال أباتا: «لا بأس. يمكنك الذهاب. أنت شجاع جداً، ولكن أقترح عليك اختيار شركائك بشكل أفضل قليلاً في المرة القادمة».

عندما عدت إلى الفندق ورأيت جيمي، كنت غاضباً جداً، قلت: «من الأفضل أن تضع هذين الوغدين الآسيويين على متن طائرة وتعيدهما إلى فيلاديلفيا قبل أن أجدهما بنفسني». لم أر هذين الاثنين مرة أخرى.

عندما أخبرته بما حدث لي في تلك الليلة، قال لي: «أنت أيرلندي وغد. يمكنك أن تسقط في دلو من الغائط وتخرج منه مرتدياً بذلة بنية».

في صباح اليوم التالي، واصلت عملي مع جليمكو أيضاً لأحصل منه على معلومات. وقد كان الأمر مشابهاً لما كان يحدث خلال الحرب. إذا خرجت دورية للاستطلاع وعادت وقالت إن هناك مجموعة من الألمان تتقدم نحونا، فمن الأفضل ألا تذهب إلى هناك وتواجه فوجاً كاملاً. لأن مؤخرة قواتك ستتخلخل.

قلت لجوي: «في المرة القادمة التي ترسلني فيها لأحذر رجلاً معيناً، من الأفضل أن أعرف عدد الأشخاص الذين تتوقع مني أن أضربهم في وقت واحد».

كان النشاط الأبرز في ذلك الصيف هو اختطاف سيارات الأجرة التي تحمل لافتات المتمردين أو اتحاد البحارة. إذا ركن سائق تاكسي سيارته وذهب لتناول فنجان قهوة، فإنه حين

سيخرج سيجد سيارته قد اختفت. كان يتم تشغيلها بربط أسلاك التشغيل دون حاجة إلى مفتاح التشغيل، أو ربما يكون السائق قد ترك المفاتيح داخلها. يتم بعدها دفع سيارة الأجرة إلى بحيرة ميتشغان مباشرة بجانب سيارة الشرطة المتوقفة بجوار البحيرة. يمكنك الخروج من السيارة وتدعها تتجه إلى البحيرة وتغرق في الماء وبذلك لن يستطيع سائقها قيادتها. بهذه الطريقة ستخفض إيرادات المتمردين وتكلفهم أموالاً. ثم ستوصلك السيارة المخصصة لك إلى الشرطي، وستسلم الشرطي كيساً ورقياً فيه مال. ولم يكن الغرض من الكيس سوى ألا يتمكن أحد من رؤية الأوراق النقدية الخمسة من فئة العشرين دولاراً، أو أي فئة أخرى. كنت ستقول للشرطي أن مكابح سيارة الأجرة قد تعطلت أو أن الوقود نفذ منها، وكان يضحك وستقود سيارتك بحثاً عن سيارة أخرى لتغرقها في البحيرة.

لم يكن ثمة خلاف مع الإدارة، كان هناك اتحادان يتصارعان فيما بينهما. في النهاية فاز متمرّدو أباتا بتلك الانتخابات في شيكاغو في صيف عام 1961.

ويبدو أن ذلك لم يكن سيئاً بما فيه الكفاية، فبعد أن استحوذ أباتا على الفرع المحلي لنقابة سائقي سيارات الأجرة، تم عقد مؤتمر للاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية، وأخذ بول هول الميكروفون ووصف جيمي هوبا بأنه «واش». ثم قدم الزعيم بول هول إلى أباتا المتمرّد ميثاق نادي البحارة وضمّ نقابته إلى الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية. كان بول هول شجاعاً، يمكنك أن تقول من خلال النظر إليه أنه

مقاتل. كان أحد هؤلاء الرجال الذين يمكن أن تهزمهم، لكن عليك أن تأخذ راحة لبضعة أيام قبل أن تفكر في قتاله مرة أخرى. أعلن جيمي حربًا مفتوحة بعد ذلك. أو يجب أن أقول: إن الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية هو من أعلن هذه الحرب وليس جيمي، لأنك تعلم أن بول هول لم يقم بخطوته في شيكاغو دون دعم المجلس التنفيذي للاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية، والذي كان بول هول سيعلمها على أي حال. وكما تعلم أن الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية يعرف أن تكتيكات بول هول كانت تشبه تكتيكات جيمي. تحولت قضية سائقي التاكسي في شيكاغو هذه إلى أن يتعامل الطرفان بطريقة العين بالعين والسن بالسن.

أرسلني جيمي لأفعل ما عليّ فعله في قضيتين؛ كانت إحداهما في مدينة فلينت بولاية ميشيغان، وكانت الأخرى في مدينة كالامازو بولاية ميشيغان، ولكن على الرغم من أن المهمتين كانتا في ميشيغان فإنني شعرت بطريقة ما أن الأمرين كليهما يتعلقان بسائقي سيارات الأجرة في شيكاغو أو بول هول. كنت أعلم أن نادي البحارة كانت لديه وحدته الضاربة أيضًا.

فور إعطاء بول هول المتمردين الميثاق، راح يحتفل مع دومينيك أباتا في صالة المشروبات في فندق هاميلتون في شيكاغو. أقام جوي جليمكو طابور احتجاج إعلامي خارج الفندق وبدأ بضع عشرات من أعضاء نقابة سائقي الشاحنات يرددون عبارة «قرار ظالم». توجه أحدهم إلى الداخل وراح يصرخ في القاعة في وجه كل من هول وأباتا، موجهاً إليهما كل أنواع الشتائم. أمره رجال

الشرطة الذين كانوا يحرسون أباتا بالمغادرة، فقام بضرب أحد رجال الشرطة. ألقى رجال الشرطة القبض عليه وأخرجوه إلى الخارج، وتبعهم أباتا وهول. وهذا ما كان يخطط له جوي جليمكو طوال الوقت. لقد نصب لهم فخاً ليخرجوا من الفندق. هاجم المحتجين مع جليمكو رجال الشرطة وهال وأباتا، وفي الدقائق التي سبقت وصول سيارات الشرطة انفتحت أبواب جهنم على مصراعها في تلك الليلة.

خلال حادثة شيكاغو، عدت إلى فيلاديلفيا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع وتوجهت إلى حانة دانتي أنفيرنو. لم يكن يجلس فيها سوى جاي فالين، الشخص الذي أعرفه من حادثة توجيهه مسدسه إلى أحد الزبائن. سألت النادل عن الأمر. هز كتفيه وقال إن جاك لوينسون، الذي كان يملك المكان، عاد وسمح لفالين بالدخول مرة أخرى. لا بد أن المالك الذي يسمح له من جديد بدخول الحانة بعد منعه من الدخول إليها مدى الحياة لسحبه مسدسًا على أحد الزبائن يخفي أمرًا ما. بنظرة واحدة إلى فالين عرفت أن شيئاً ما لم يكن صحيحاً. يمكن أن نسميها الغريزة. أو نسميها أنني علمت أن فالين كان مع مكفريل، الذي قمت ببيع يانصيب كرة القدم من أجله، وأن مكفريل لم يبق فالين معه لمهارته في الحديث.

قلت له «ليلة سعيدة»، وعدت أدراجي إلى الغرفة المستأجرة التي كنت أنزل فيها في عطلة نهاية الأسبوع. في الساعة الثانية من صباح ذلك اليوم سمعت في الراديو خبراً عن جريمة قتل مزدوجة وقعت في حانة دانتي أنفيرنو. قُلت زوجة جاك

لوبنسون، جوديث و «محاسبه» جون ماليتو بإطلاق النار عليهما، وأصيب لوبينسون في ذراعه على يد مهاجم مجهول. قمت بارتداء بنطالي.

فكرت: «يا يسوع ومريم ويوسف» بدأت أخمن أي واحدة من بناتي الثلاثة على وشك أن يطرق بابها محقق في جرائم القتل. غمرني شعور بأني سأقضي الليلة تحت الأضواء الساخنة في غرفة الاستجواب، لذلك اتخذت خطوة حكيمة بالانتقال إلى فندق لقضاء ليلة فيه، وفي صباح يوم الاثنين عدت إلى شيكاغو. اتصلت تلفونيًا بأحد مصادري الخاصة في مكتب محامي المقاطعة فلم يرد، ثم عاود الاتصال بي ليخبرني بأن المرأة الساكنة في الطابق الأرضي أفادت بأنها سمعت شخصًا اعتقدته أنا قد أتى نحو الساعة العاشرة، وسمعت شخصًا ينزل الدرج ويخرج نحو الساعة الثانية. وأخبرت المحقق بأن شخصًا ما أكل طبق السباغيتي وكرات اللحم التي تركتها لي خارج باب غرفتي لأتاولها، وكان ذلك قرابة الساعة التاسعة في تلك الليلة. عندما استيقظت كان الطبق فارغًا وموضوعًا خارج باب غرفتها. لم يكن المحقق مبتهجًا جدًا بإفادة هذه المالكة لأنهم اعتقدوا بالتأكيد أنهم قد أمسكوني أخيرًا بالجرم المشهود. قاموا بتحذيري أنه سيتم استدعائي للعودة إلى الاستجواب من قبل الطبيب الشرعي، وأن المحقق ما زال يعمل على بناء قضية ضدي.

ولكن قبل الاستجواب، أحضر المحققون عددًا من الشهود، كان من بينهم جاي فالين وجاك لوبنسون، ووضعوهم جميعًا في غرفة كبيرة لفرزهم وإجراء المقابلات معهم. لقد أحضروا جميع

من كان في الحانة في تلك الليلة ولا يزال موجوداً في منطقة فيلاديلفيا. كان جاي فالين جالساً هناك وكان لا يعتقد أنه يحظى باهتمام كاف. ظل يسمع المحققين يسألون الجميع عني. أخيراً، قفز وقال: «لماذا تسألون باستمرار عن فرانك شيران؟ أنا من فعل ذلك».

اتضح أن جاك لوبنسون قد استأجر فالين لقتل زوجته جوديث، حتى يخلو له الجو مع عشيقته الشقراء، بالإضافة إلى قتل جون مالىتو المرابي الجشع الذي اقترض منه، حتى يستطيع التصرف في المال دون الحاجة إلى أن يعيده إلى المرابي. عندما يصعد فالين الدرج، سيطلق لوبنسون النار عليه ويدّعي أن فالين حاول سرقة الحانة وقتل زوجته وصديقه. ولكن على الرغم من حماقته وجنونه فإن فالين كان يفوق جاك لوبنسون دهاءً. كان فالين لديه حدس بأن لوبنسون كان في الطابق العلوي وهو ينتظره. لذا، قبل أن يصعد الدرج، قام فالين بإطفاء جميع الأضواء في الحانة وجرح لوبنسون في ذراعه وهو في طريقه للخروج.

كانت جوديث لوبنسون امرأة جميلة وأنيقة المظهر. كل ما كان على لوبنسون فعله هو تطليقها. لم أكن أعرف جون مالىتو جيداً، لكنه كان يبدو إنساناً طيباً. كنت متأكداً من أنه كان سيقرض المزيد من المال للوبنسون لو طلب منه ذلك بدلاً من أن يجعل فالين يقتله.

كان كل من هذين الحشرتين قد أنقذ الآخر. لم يتصل بي المحقق مطلقاً ليطلب مني العودة لأحضر استجواب الطبيب الشرعي.

في تلك الفترة بدأت بمواعدة إيرين، المرأة التي ستصبح زوجتي الثانية، في كل مرة أكون فيها في فيلاديلفيا. كانت أصغر مني ووقعنا في الحب. أرادت أن يكون لها عائلة. قابلت ماري وشرحت الأمر لها ووافقت على الطلاق. تزوجت أنا وإيرين على الفور، وفي العام التالي أنجبنا ابنتنا، كوني. كانت الأمور مختلفة مع إيرين فقد انتهت أيام الشقاء. تركت بيع يانصيب كرة القدم. وكنت قد تعرضت لبعض الخسائر فيه، ودفعت بضعة غرامات، وتعبت من العمل مع أشخاص من أمثال جوي ماكغريل صديق فالين. لم أعد بحاجة إلى هذا الجانب من حياتي وما يرافقه من صخب وسط المدينة بعد الآن. حتى نقابة سائقي الشاحنات التي انضمت إليها قررت أن أقلص من نشاطاتي فيها. توقفت عن التنقل ما بين ديترويت ومدينة وندسور في كندا، مع بيل إيزابيل وسام بورتوين. كانت الأمور في بلدة وندسور تسير على ما يرام في تلك الأيام قبل أن تبدأ بإقامة صلات مع أمريكا في الستينيات. كانت وندسور مكانًا صاخبًا جدًا، فيه الكثير من الإثارة. ولكن منذ ذلك الحين فصاعدًا ولأنني كنت متزوجًا حديثًا فقد اكتفيت بدور المتفرج. ربما كنت أتبع المثال الذي سار عليه جيمي هوبا. خلال زواجي من إيرين، كنت أحصل على أموال جيدة بشكل ثابت حيث كانت لدي أكثر من وظيفة في نقابة سائقي الشاحنات. كان يحدث ذلك قبل حظر هذه الممارسة. كنت أمتلك المال في الفترة التي عاشت فيها ابنتي الصغرى كوني، ولكن ليس بقدر ما كنت أكسبه في أثناء عيشي مع بناتي الأكبر سنًا.

كانت ماري امرأة طيبة جدًا ومتدينة مخلصه. وقد شعرت بالانزعاج من طلب الطلاق، لكنها قالت إنه لم يعد بالإمكان أن نعيش معًا. كانت من نوع النساء التي لا يمكنك أن تقول لها بعض النكات المملة. واليوم أشعر بالحزن الشديد عندما تتخبط إحدى بناتي في البكاء بعد أن تعود من زيارة ماري في دار رعاية المسنين في الولاية حيث يتعين عليهن إبقاؤها هناك بسبب إصابتها بمرض الزهايمر.

في نفس العام كانت لدينا عدة مشكلات في شيكاغو مع آباتا، وبدأت الأحداث تزداد سخونة في الفرع المحلي 107 في فيلاديلفيا. تم تشكيل فصيل متمرد وسمي نفسه «ذا فويس»، الذي كان اختصارًا لتسمية صوت الفرع المحلي 107 لنقابة سائقي الشاحنات. كانوا يحاولون تقليد ما فعله آباتا في شيكاغو، وكان جيمي يشتهه في أن بول هول والاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية كانوا وراء هؤلاء أيضًا.

أحضر بول هول مجموعة من الرجال مفتولي العضلات إلى فيلادلفيا وجعلهم ينامون في قاعة اتحاد البحارة الدولي في جادة أوريفون عند الشارع الرابع. أعادني جيمي إلى فيلاديلفيا مع عدد قليل من طاقم مافيا شيكاغو. ذهبت إلى القاعة لمعرفة كيف يمكننا الدخول. كانوا قد أغلقوا الباب الأمامي بقفل محكم جدًا. جثمت خلف السياج النباتي الذي كان لديهم على الرصيف الذي يحد الشارع، وبدأت أختلس النظر إلى الداخل مثل بطل فيلم

«بيينغ توم»<sup>(22)</sup>. كان الجدار الموجود في الشارع الرابع زجاجياً ويمكنك أن ترى من خلاله صفوفاً من الأسرّة بطابقين مثبتة في الداخل فيما كان من المحتمل أن تكون الصالة الخاصة بهم.

غادرت المكان واستعرت شاحنة صغيرة لتوصيل البضائع وكان الفرع المحلي 107 يمتلك الكثير منها، قمت بملئها بثمانية أو تسعة رجال. أعطيت كل واحد منهم قبعة بيضاء وقلت لهم: «لا تنزعوا قبعاتكم، وإلا لن أستطيع تمييزكم». أخبرت أحد الرجال بأن وظيفته هي أن يقود الشاحنة بعيداً وأن البقية سيهربون سيراً على الأقدام. في الساعة 6:30 صباحاً، تحركت بشاحنتي في الشارع الرابع، واستدردت يميناً نحو السياج النباتي الموجود على الرصيف الذي يحد الشارع. قفزت بها إلى أعلى الرصيف حتى صعدت فوق السياج النباتي ثم انحرفت يميناً لأقودها ما بين الشجرتين اللتين لا تزالان منتصبتين حتى اليوم، واصطدمت بنافذة باب زجاجي. تطاير الزجاج في الهواء. كان الرجال مفتولو العضلات الذين جلبهم هول لا يزالون نائمين، وشرعنا بمهاجمتهم عندما بدؤوا ينزلون من أسرتهم. لم نستخدم سوى قبضاتنا. فوجئوا بنا، وكانوا يترنحون فقد كانوا شبه نائمين ولم تكن لديهم فرصة الرد. جاء رجال الشرطة من كل مكان. وساعدتني الشاحنة أن أخرج من هناك بسلام، وانطلق الباقيون بسرعة وابتعدوا عن المكان.

---

(22) فلم رعب وإثارة بريطاني نفساني عُرض عام 1960. يدور الفيلم حول قاتل متسلسل يقتل النساء في أثناء تلصصه عليهن باستخدام كاميرا فيلم محمولة. (المترجم).

كان ما فعلناه مع نادي البحارة مجرد توصيل رسالة. لم نحاول إيذاء أي شخص بجدية. جعلنا القاضي الحاكم<sup>(23)</sup> على أهبة الاستعداد لدفع الكفالة إذا تم القبض علينا، ولكن لم يتم القبض على أي شخص شارك في تلك العملية. والشيء بالشيء يذكر؛ تم اعتقاله في أحد الأيام التي كنا نقاتل فيها متمردي مجموعة «ذا فويس» ستاً وعشرين مرة خلال أربع وعشرين ساعة. كان يتم نقله إلى السجن، ويتم إرسال الكفالة، وأعود إلى طابور الاعتصام وأدخل في شجار جديد مع متمردي تلك النقابة وتُعاد الكرة من جديد.

كان لا يزال لدينا في الفرع المحلي 107 نشاطات مثل تنظيم السائقين ومعالجة الشكاوي وغيرها من الأعمال النقابية العادية. ذات مرة حاولت تنظيمعاملات في سلسلة مطاعم هورن وهاردارت في فيلاديلفيا. لقد نجحنا بالفعل بتنظيمعاملات في مطاعم لينتون، ولكن يشتكين من أنهن يتعرضن للضرر بسبب أن المطعم المنافس، سلسلة مطاعم هورن وهاردارت، لم يكن يدفع لعمالتهن أجورهن ومزاياهن النقابية. لذا، وصلنا محاولتنا في جعل عاملات مطاعم هورن وهاردارت يوقعن البطاقات، لكننا لم نتمكن من الوصول إلى أي اتفاق معهن. كان الكثير منهن ربات بيوت من الضواحي وكن يعارضن الانضمام إلى النقابات. في أحد الأيام، دخلت إلى أحد فروع مطاعم هورن وهاردارت وكنت أخفي شيئاً في سوار بنطالي من الجهتين، ربطتهما بخيط طويل.

---

(23) موظف مدني توكل إليه مهمة القضاء. (المترجم).

أمسكت نهايات الخيط بيدي وبدأت أسير داخل المطعم. وصلت إلى منتصف الطريق تقريبًا وسحبت الخيوط وأطلقت قطيعًا من الفئران البيضاء من كل ساق من ساقي البنطلون. كتبت حفيدتي بريتاني التي كانت في المدرسة الإعدادية في مذكراتها تصف هذه الحادثة على هذا النحو: «ركضت الفئران نحو المرأة التي كانت تتناول السباغيتي، والتي بدأت تصرخ ثم صعدت على أرجل النادلة التي صرخت هي أيضًا وأوقعت الصينية التي كانت تحملها. كان جدي يضحك بشدة لدرجة أنه نسي الهرب وتم القبض عليه». نعم، أخبرت بريتاني وشقيقتها الصغير جيك بأنه قد تم القبض عليّ وأنني أخبرت الناس في مطعم هورن وهاردارت بأنني آسف جدًا لما قمت به وأنني لن أفعل ذلك مرة أخرى.

كان جيمي هوفًا قلق كثيرًا بشأن الوضع في فيلاديلفيا. وبدأ بيقيني هناك فترات أطول وأطول. نشأت مجموعتان متمردتان أخريان. لم يتمكن المتمرّدون حتى من الاتفاق فيما بينهم. أسس جوي مكفريل نقابة متمرّدة، لكنها لم تكن شرعية. لم يكن لها اسم، أو حتى إذا كان لها اسم لم أكن أعرف ما هو. كان بعض من بلطجيته يحاولون التخلص من ريمون كوهين حتى يتمكنوا من القيام بنفس أعمال السرقة التي كان يقوم بها. كان الحصول على المال من خلال أعمال البلطجة أمرًا سهلاً إذا كنت تدير فرعًا محليًا. تحصل على راتبك في السر من قبل صاحب العمل، يكون عادة مبلغًا كبيرًا كل شهر، ليتأكد صاحب العمل من أن لا مشكلات ستحدث. إذا لم تحصل على المال، ستبدأ المشكلات

تظهر لصاحب العمل واحدة تلو الأخرى. أما العامل النقابي المسكين فهو مجرد بيدق في كل هذا. أراد مكفريل هذا العمل لنفسه. عندما أعطاني جيمي هوفاً فرعاً محلياً خاصاً بي في عام 1966 في مدينة ويلمينغتون، في ولاية ديلاوير، كان أصحاب العمل يحترمونني جميعاً لأنني لم أبتز أحدهم قط. كانت لجنة بيترمينت فصيلاً آخر من المتمردين. لقد كانت مجموعة أقل راديكالية من مجموعة «ذا فويس»، ولم يكونوا رجالاً مفتولي العضلات. كانت موجات الغضب في مدينة الحب الأخوي مشتعلة بيننا وبين بول هول وبلطجيته ومجموعات المتمردين المختلفة وكان ريموند كوهين على رأس القائمة.

أجبرت مجموعة «ذا فويس» على إجراء انتخابات للفرع المحلي 107. لذلك نظمنا تجمعاً من أجل الحصول على الدعم في قاعة كبيرة استأجرناها وجئنا بجيمي هوفاً للتحدث إلى الأعضاء وإعطائهم فكرة عن كل الأشياء الجيدة التي كان يفعلها من أجلهم. عندما وصل جيمي إلى هناك، أراد رجال الشرطة إدخاله من الباب الخلفي حتى يتمكن من الذهاب مباشرة على خشبة المسرح وحتى يتجنب السير في الممرات وسط أعضاء مجموعة «ذا فويس» الموجودين في التجمع والذين كانوا يحملون لافتات موضوعة على أعمدة خشبية كان بإمكانهم استخدامها كعراوات.

لم يكن جيمي مقتنعاً بذلك الهراء ليدخل من الباب الخلفي. قال للشرطة: «هوفاً لا يستخدم الباب الخلفي. ولا أريد رجال شرطة يرافقونني في الممر وسط أعضاء نقابتي. كل ما أحتاج

إليه هو الأيرلندي». مشيت في الممر مع جيمي ولم أسمع صوتاً واحداً يرتفع على طول جانبي الممر. كانت هناك صيحات استهجان تصدر من المحتشدين، ولكن لم يكن هناك عمل عدواني واضح على طول الممر. كان جيمي خطيباً مفوهاً. إلى جانب مهارته في التحدث، فإن جيمي كان يقول لهم الحقيقة؛ كان صادقاً معهم وفعل الكثير من الأشياء الجيدة من أجلهم، وكان بحاجة إلى تضامنهم لتحقيق تلك الأهداف ومن ثم سيكون الجميع في وضع أفضل. لم يوافق الجميع على مواقفه، لكن الكثير من الذين شاركوا في هذا التجمع كانوا يحترمونه على الرغم من أنهم ضده. لقد فزنا بهذه الانتخابات، ليس بأغلبية كبيرة، ربما ببضع مئات من الأصوات، لكننا فزنا. لم تختفِ مجموعة «ذا فويس»، لكنها أصبحت أقل فعالية. بعد تلك التجربة المتواضعة لريموند كوهين في الخسارة واحتياجه جيمي لإنقاذه، بات التعامل معه أسهل قليلاً، وأصبح أكثر كرمًا قليلاً.

الشيء الذي كان أكثر إثارة للإعجاب في خطاب جيمي في ذلك اليوم هو أنه كان بالفعل قيد الاتهام في مدينة ناشفيل، في ولاية تينيسي، لانتهاكه قانون تافت هارتلي الجنائي<sup>(24)</sup>. بسبب قضية شركة شحن السيارات تيست فلييت التي سجلها جيمي وبرت برينان بأسماء زوجاتهم. وقد اتهم مع الراحل بيرت برينان بالاستيلاء على «اثين زائد اثين»، وهو مصطلح عامي يعني 200 ألف دولار. ولكن جيمي عندما تحدث إلى أعضاء فرعنا

---

(24) قانون علاقات إدارة العمل لعام 1947 وهو قانون اتحادي للولايات المتحدة يقيد أنشطة نقابات العمال وسلطتها. (المترجم).

المحلي 107 في فيلاديلفيا لم يكن يبدو أنه كان يهتم بأي شيء في العالم. كان جيمي هوفاً يمتلك أعصاباً من الفولاذ وشجاعة نادرة. لكن على الرغم من كل ما كان يبذله من محاولات لم يعد يستطيع القيام بمهام متعددة في نفس الوقت.

كان جيمي شخصاً يجذب الأنظار في تلك الحقبة الزمنية. شارك في حل مشكلات نقابة سائقي الشاحنات في جميع أنحاء البلاد، وكان معظمها مع المتمردين. وكان يحاول في الوقت نفسه إبرام أول اتفاقية شاملة مع شركات النقل كان أعضاء نقابة سائقي الشاحنات يحاولون أن يجعلوا مدتها خمسة وعشرين عاماً، وكان يرى أن شركات النقل تلك تستغل حالات الانشقاق لمحاربة الاتفاقية. كان بوبي كينيدي -في نفس الوقت- يعقد اجتماعاً لهيئات المحلفين الكبرى في ثلاث عشرة ولاية تحاول إقامة دعاوى جنائية ضد هوفاً. ومع ذلك، كان طوال الفترة التي عرفته فيها يذهب للنوم بمجرد انتهاء يوم عمله، سواء أكان ذلك في الحادية عشرة مساءً أو عند الساعة الواحدة صباحاً. وفي تمام الساعة الثانية كان جيمي هوفاً يضع رأسه على الوسادة ويغط في النوم كما لو أن أحدهم ضربه على رأسه. كان في مسألة النوم أفضل حتى من راسل. كان يستيقظ في الخامسة من دون منبه. وعندما تكون مع جيمي هوفاً لن تتاح لك الفرصة لأن تستريح لتستعيد قوتك.

## الفصل السابع عشر

### لم تكن أكثر من مزحة

في إحدى الليالي في صيف 1962، سأل جيمي هوف -وهو يستعر غضبًا- مسؤولاً في نقابة سائقي الشاحنات قوي البنية ما إذا كان يعرف أي شيء عن المتفجرات البلاستيكية. كان الرجلان وحدهما في مكتب هوف في «القصر الرخامي»، مقر نقابة سائقي الشاحنات في واشنطن العاصمة، ينظران من النافذة. ثم أخبر هوف المسؤول أنه يعرف مكان الحصول على كاتم للصوت. وفقا للرجل، قال هوف: «يجب أن أفعل شيئاً حيال ابن العاهرة بوبي كينيدي. يجب أن يرحل». ثم وصف هوف كيف سيكون من السهل قتل بوبي كينيدي، لأنه لا يتخذ احتياطات السلامة الشخصية، وليس لديه تفاصيل أمنية، ولا حتى في منزله، وغالباً ما يتنقل وحده في سيارة مكشوفة.

كان المسؤول الذي كان يتحدث إليه هوف هو إدوارد غراي باريتين. كان رئيس الفرع المحلي 5 لنقابة سائقي الشاحنات في مدينة باتون روج، في ولاية لويزيانا. وقد خرج من السجن بكفالة بعد أن وجهت له تهمة اختطاف ناجمة عن مشاجرة في قضية حضانة أسرية تورط فيها سائق شاحنة في فرع. كما تم توجيه اتهام لباريتين بتحويل 1659 دولاراً من أموال النقابة إلى استخدامه الشخصي. كان باريتين رجلاً قوي المظهر ذا سجل إجرامي واسع النطاق في شبابه. أساء هوف الحكم على الرجل واعتقد أن كونه كان ضخماً وصارماً ولديه سجل إجرامي وخرج بكفالة وكان من

ولاية لويزيانا، موطن كارلوس مارسيلو، فإنه لا بد أن يكون رجلاً يطلي المنازل. لكن هوبا لم يسأله قط هذا السؤال قبل أن يدلي بتعليقاته التي كان جزءاً منها على شكل تهديد والجزء الآخر دعوة جزئية لبارتين للقيام بهذه المهمة. أوضح بارتين الأمر قائلاً: «لقد كان هوبا يفترض دائماً أنه ما دمت أنا من لويزيانا، فإنني تابع صغير لمارسيلو».

قام بارتين بالتبليغ عن ما دار بينهما إلى لجنة التحقيقات «غيت هوبا» Get Hoffa التي كان يرأسها والتر شيريدان. وقد وصفها في كتابه بأنها كانت «قصة لا تصدق». بعد استجوابه، طلب شيريدان من مكتب التحقيقات الفدرالي إجراء اختبار لكشف الكذب لبارتين، وقد اجتازه بارتين بشكل قاطع. قام شيريدان بإبلاغ بوبي كينيدي بهذه التهديدات لحياة المدعي العام. بعد ذلك بوقت قصير وفي حفل عشاء خاص في واشنطن، سرب الرئيس جون كينيدي للصحفي بن برادلي خبر أن جيمي هوبا كان يخطط لقتل شقيقه بوبي. من المرجح أن الرئيس كينيدي اعتقد أن تسريب القصة إلى ابن برادلي الشخصية المحترمة والمؤثرة، ونشرها، قد يكون رادعاً عن تنفيذ هوبا فعلياً للتهديد. اكتسب ابن برادلي شهرة من كونه محرراً واشنطن بوست الذي ساعد في إسقاط الرئيس ريتشارد نيكسون خلال فضيحة ووترغيت بمساعدة «الحنجرة العميقة»<sup>(25)</sup>. كتب برادلي في مذكرته الشخصية تلك الليلة أن «الرئيس كان جاداً بشكل

---

(25) هو الاسم الذي اختاره الصحفي بوب ودورد في واشنطن بوست لمصدره، في أثناء تحقيقه الأشهر في الصحافة بخصوص فضيحة «ووترغيت». (المترجم).

واضح». في سيرته الذاتية، قال برادلي إنه عندما اتصل مع بوبي كينيدي لتأكيد تهديد الاغتيال، طلب منه بوبي عدم نشر القصة لأنها ستخيف الشهود المحتملين في محاكمات الجريمة المنظمة التي كان بوبي يشرف عليها. في ذلك الوقت، كان بوبي كينيدي يقود أكبر حملة ضد الجريمة المنظمة عرفتها الأمة على الإطلاق. فأخفى برادلي القصة.

كان من المقرر محاكمة جيمي هوبا في قضية شركة تيسست فلييت لانتهاكه قانون تافت هارتلي وابتزاز العمال في 22 أكتوبر 1962. أنكرت لجنة التحقيقات «غيت هوبا» لاحقاً انتهاك حقوق هوبا الدستورية من خلال تشجيع إدوارد غراي بارتين على الذهاب إلى تلك المحاكمة ليصبح عضواً في حاشية جيمي هوبا. مهما كان دافعه، ذهب بارتين إلى ناشفيل وعمل كحارس عند باب جناح هوبا في الفندق. ومع ذلك، اعترف والتر شيريدان أنهم زودوا بارتين بجهاز تسجيل ليقوم بتسجيل أية مكالمات أجراها مع هوبا. اعترف شيريدان أنه أصدر تعليمات لبارتين أن عليه عند وصوله إلى ناشفيل أن يبحث عن أدلة عن محاولات هوبا رشوة أي من المحلفين.

سبق لبوبي كينيدي أن قام بالفعل بتنظيم ثلاث محاكمات أمام هيئة محلفين سابقة ضد جيمي هوبا ولم يستطع إدانته بأي شيء. اشتبه في تلاعب هيئة المحلفين في تلك المحاكمات. واعتُبرت التهمة الموجهة إلى هوبا في قضية شركة تيسست فلييت جنحة. وكان التلاعب بهيئة المحلفين أن وجد يرفع التهمة إلى جناية.

شملت التهم المتعلقة بشركة تيسست فلييت وضع شركة نقل سيارات بأسماء زوجات جيمي هوفـا والراحـل أوين بيرت برينان. وقد اشتملت على نشاط انتهى قبل خمس سنوات. وتضمن النشاط الذي تم التحقيق فيه بدقة من قبل لجنة مـاكيلان ووزارة العدل. في بيانه الافتتاحي أمام هيئة المحلفين، قال المدعي العام تشارلي شافر إن تأسيس شركة تيسست فلييت تم إعداده كجزء من «خطة طويلة المدى، حيث سيتم دفع مستحقات مالية إلى هوفـا بشكل مستمر من قبل صاحب العمل». تعتمد فكرة الحكومة على حقيقة أن شركة تيسست فلييت قد أنشئت بعد إضراب عمالي حسمه هوفـا بشكل إيجابي لصالح صاحب العمل الذي كان من المقرر أن يكون لشركة تيسست فلييت علاقة عمل معه في ذلك الوقت.

كان دفاع هوفـا أن محاميه قد نصحوا برينان وهوفـا وزوجاتهم بأن امتلاك زوجتيهما الشركة لا يخالف القانون، وبمجرد أن طعنت لجنة مـاكيلان في شرعية الخطوة، انسحبت زوجته وريـان من شركة تيسست فلييت. كان محامو جيمي هوفـا على استعداد للإدلاء بشهادتهم نيابة عنه وتأكيد روايته لمشورتهم القانونية المقدمة أصلاً في عام 1948.

أسست شركة تيسست فلييت بعد عشرة أيام من إصدار قانون تافت هارتلي، وكان المحامون يفسرون قانوناً لم يكن لديه سوابق قضائية يمكن أن يبنى عليها رأي قانوني. إضافة إلى ذلك، كان هوفـا على استعداد لإثبات أن الإضراب الذي قام بتسويته كان إضراباً غير قانوني قام به المتمردون، وأنه قام بتسويته مع

صاحب العمل لتجنب ما وصفه هوفاً نية صاحب العمل إقامة «دعوى خِطْرة جدًّا» ضد نقابة سائقي الشاحنات.

بالنسبة إلى هوفاً، كانت هذه القضية نتاج رغبة بوبي كينيدي في الثأر منه، وأثبتت نوعية المعلومات مدى بأس لجنة التحقيقات «غيت هوفاً» التي يرأسها كينيدي. وبالفعل، فشلت اللجنة في الحصول على لائحة اتهام ضده في أي من هيئات المحلفين الثلاث عشرة الأخرى التي عقدت في جميع أنحاء البلاد لهذا الغرض.

جمع جيمي هوفاً أفضل المواهب القانونية التي يمكن أن يجدها. وسيكون محاميه الرئيسي هو الأفضل في مدينة ناشفيل، وهو تومي أوزبورن، وهو محام شاب دافع بنجاح عن قضية إعادة توزيع المقاعد الانتخابية الشهيرة والمعقدة جدًّا أمام المحكمة العليا الأمريكية التي أسفرت عن قاعدة «رجل واحد، صوت واحد». وكان من بين المحامين الآخرين الذين ساعدوا في قضية ناشفيل محامي نقابة سائقي الشاحنات، بيل بوفالينو، وسانتو ترافيكانتي، ومحامي كارلوس مارسيلو، فرانك راجانو.

كان قاضي المحاكمة، وليام إي. ميللر، رجلاً يحظى باحترام كبير بسبب أحكامه العادلة، ولم يكن من المرجح أن يؤيد أيًا من الجانبين.

نزل جيمي هوفاً في فندق أندرو جاكسون الفاخر، الواقع في نفس الشارع الذي تقع فيه المحكمة الفدرالية. كان لديه محامون في المحكمة ومحامون في الفندق كجزء من فريق قانوني كبير. عمل المحامون في الفندق كمستشارين وباحثين.

بالإضافة إلى ذلك كان لديه العديد من الحلفاء النقابيين وغير ذلك من الأصدقاء في المحكمة والفندق لخدمة القضية، بما في ذلك شخص كان معروفًا عنه أنه ابن هوبا بالتبني، وهو تشاكي أوبراين، ورجل هوبا في صندوق التقاعد، مارين ألن دورمان رجل المارينز السابق. كان هناك عدد من حاشيته من غير المختصين بالقانون من ناشفيل نفسها، مهمتهم توفير معلومات استخباراتية حول المحلفين وإلقاء نظرة ثاقبة عليهم في أثناء عملية الاختيار. كان ذلك في الأيام التي سبقت اختيار مستشاري المحلفين المحترفين.

ربما يكون من الأكثر دقة أن نقول إن العديد من مؤيدي هوبا كانوا موجودين في منطقة أندرو جاكسون في ناشفيل لمتابعة قضايا أخرى، ولم تكن قضية هوبا هي الوحيدة.

سيكون هناك حدثان مثيران ينكشفان في قاعة المحكمة في نفس الوقت على مدى الشهرين المقبلين. الأول سيكون المحاكمة نفسها: استدعاء الشهود، واستجوابهم، وحجج المحامي، والاعتراضات، والالتماسات، وقرارات المحكمة، والتوقف للاستراحة، والمشاورات الجانبية، وأداء اليمين. لكن اتضح أن المحاكمة كانت هي الحدث المثير «الثاني». أما الإثارة الحقيقية فقد كانت في الحدث الأول. وهو محاولات رشوة هيئة المحلفين والتأثير على قراراتها بشكل صارخ طوال فترة المحاكمة إلى حد قيام الجاسوس المسمى إدوارد غراي بارتين بإعطاء لجنة التحقيقات «غيت هوبا» كل التفاصيل. وهذه الألاعيب التي قام بها جيمي هوبا مع هيئة المحلفين هي التي ستدفع به في النهاية إلى دخول السجن.

مع كل الدفاع اللائق، ومع التحضير لدفاعه بشكل جيد، ومع طاقم محاميه بقيادة الشخصية المحترمة والموهوبة تومي أوزبورن ودعم بيل بوفالينو، وفرانك راجانو، ومع كل أولئك الأشخاص ذوي المواهب القانونية الفذة الذين كانوا موجودين في المحكمة وغيرهم ممن كانوا على أتم الاستعداد للدفاع عنه، ومع وجود قاض عادل، لماذا لجأ جيمي هوبا إلى الغش؟ لماذا حوّل الجنحة إلى جنابة؟

إنها أنانية جيمي. بخلاف ذلك الاعتداء وهذه القضية، لم يكن لدى جيمي أية إدانات في سجله الجنائي لعدم قيامه بأي فعل خاطئ فعلاً، لكنه لم يكن يريد أن تسجل عليه حتى جنحة. أرادته سجلاً نظيفاً. لم يكن ليسمح لبوبي كينيدي أن يضيف إلى سجله جريمة حقيقية.

كما تعلم، عليك أن تضع في اعتبارك أنه عندما جاء بوبي كينيدي كمدع عام، كان مكتب التحقيقات الفدرالي لا يزال يتجاهل بشكل أساسي ما يُسمى الجريمة المنظمة. لا تتسّ، عندما انخرطت لأول مرة مع هؤلاء الناس في وسط المدينة قبل اجتماع أبالاتشين، لم أكن أعرف حتى مدى ما كنت أشارك فيه. لسنوات وسنوات منذ أن انتهى الحظر على الكحول، كان الشيء الوحيد الذي وجب على ما يسمى رجال العصابات أن يتعاملوا معه هو رجال الشرطة المحليون، وكان الكثير منهم يستلمون حصتهم من الكسب غير المشروع من رجال المافيا. لم أكن أفكر قط في مكتب التحقيقات الفدرالي عندما كنت أتسكع مع سكيبي رازور. ثم عُقدت جلسات استماع لجنتي أبالاتشين وماكلينان، وبدأت

الحكومة الفدرالية تحصل على معلومات من عدد من الأشخاص. ثم وصل بوبي كينيدي وتحول الحلم المفزع إلى أسوأ كابوس للجميع فجأة، وأصبح كل من لا يهتم إلا بشأنه الخاص معرضاً للاتهام. كان هؤلاء الناس في الواقع يذهبون إلى السجن. وكان يتم ترحيلهم. لقد كان الوضع متوترًا.

أما الآن في محاكمة ناشفيل المتعلقة بقضية شركة تيسست فلييت في نهاية عام 1962، اتخذ جيمي موقفاً ضد بوبي في ما كان يشكل وقائع أكبر حرب منذ أن شغل بوبي منصب المدعي العام.

في 22 فبراير 1961، بعد يومين من أداء اليمين القانونية كمدعٍ عام، أقتع بوبي كينيدي جميع الوكالات السبع والعشرين التابعة للحكومة الفدرالية، بما في ذلك مصلحة الضرائب، بيد تجميع كل ما لديها من معلومات حول رجال العصابات والجرائم المنظمة في البلاد.

خلال الأشهر التي سبقت محاكمة تيسست فلييت، كتب مفوض مصلحة الضرائب يقول: «طلب المدعي العام من الدائرة إعطاء أولوية قصوى للتحقيق في الشؤون الضريبية لأهالي رجال العصابات». تمّ تحديد هؤلاء وسيُعرضون إلى «تحقيقات شاملة». وأوضح المفوض أنه سيتم استخدام كل الوسائل المتاحة: «ستتم الاستفادة الكاملة من المعدات الإلكترونية المتاحة والمساعدات التقنية الأخرى».

كان جوني روسيلي أحد الأهداف الأولى لمصلحة الضرائب. فقد عاش حياة باهرة في هوليوود ولاس فيغاس، ومع ذلك لم

يكن لديه عمل ولا أي مصدر دخل واضح. في ظل المدعين  
العامين السابقين، لم يخطر على باله قط أنه سيكون عرضة  
لتحقيقات الحكومة. أخبر روسيلي شقيق عمدة لوس أنجلوس  
السابق: «إنهم يستقصون عن أعمالي طوال الوقت، ويهددون  
الناس ويبحثون عن أعدائي وعن أصدقائي». ما جعل روسيلي  
أكثر غضباً هو أنه اشتبه في أن بوبي كينيدي كان يعلم أنه كان  
متحالفاً مع وكالة المخابرات المركزية في عملياتها ضد كاسترو.  
ونقل عن روسيلي في وقت لاحق قوله: «ها أنا ذا أساعد الحكومة  
وأساعد البلد، فيما يقوم ابن العاهرة الصغير هذا بتبديد كل  
جهودي».

في نفس الوقت تقريباً، أعلنت مصلحة الضرائب أن قيمة  
الضرائب والعقوبات المتأخرة على كارلوس مارسيلو تبلغ  
835.000 دولار. في ذلك الوقت كان مارسيلو لا يزال يتصدى  
لأمر الترحيل وكان تحت لائحة الاتهام بالحنث باليمين وتزوير  
شهادة ميلاده. وكان راسل بوفالينو يواجه أيضاً الترحيل.

في الفترة التي سبقت محاكمة ناشفيل، كان بوبي كينيدي  
يتجول شخصياً في جميع أنحاء البلاد، مثل الجنرال الذي  
يذهب إلى قواته، ويحث الادعاء العام على التركيز على الجريمة  
المنظمة. وقد وضع قائمة بأهداف الجريمة المنظمة لكي  
يركز عليها مكتب التحقيقات الفدرالي ووزارة العدل. كان يعمل  
على توسيع هذه القائمة باستمرار. توجه إلى الكونغرس لكي  
يتم تمرير القوانين التي تسهل على مكتب التحقيقات الفدرالي  
التصت على هذه الأهداف واستخدام التسجيلات الناجمة عن

التصت في المحكمة. وحصل على قوانين تسمح له بحرية أكبر في منح الحصانة للشهود المتعاونين.

بدأ اختيار هيئة المحلفين في قضية شركة تيسست فلييت في اليوم الثاني من أزمة الصواريخ الكوبية. لم يكن بوبي كينيدي في ناشفيل. كان بحاجة إلى أن يكون بجانب شقيقه، حيث وقف جاك كينيدي بوجه رئيس الوزراء السوفيتي نيكيتا خروتشوف، وأمر بإعادة جميع الأسلحة النووية الهجومية التي كانت على السفن السوفيتية في طريقها إلى كوبا إلى الاتحاد السوفيتي وإلا فإن البحرية الأمريكية ستفتح النار عليها. كان العالم على شفا حرب نووية.

وكما كتب والتر شيريدان: «لقد نمت في ساعات الصباح الأولى وأنا أفكر في التهديد الحقيقي للحرب النووية وإمكانية أن ينتهي بنا الأمر أنا وجيمي هوبا إلى الموت في ناشفيل».

وبدلاً من ذلك، استيقظ والتر شيريدان في اليوم التالي على أول قضية رشوة لهيئة المحلفين. أبلغ سمسار تأمين عضو في هيئة المحلفين القاضي ميللر أن أحد جيرانه التقاه خلال عطلة نهاية الأسبوع وعرض عليه 10 آلاف دولار على شكل فواتير قيمة الواحدة منها مئة دولار للتصويت على البراءة إذا تم قبوله في هيئة المحلفين. كان اختيار شركة هوبا لسمسار التأمين منطقياً، لأن رجال التأمين -كون عملهم يجعلهم فوق الشبهات في أن يتعرضوا للخداع والوقوع ضحية الاحتيال الإجرامي- وعادة لا يأخذهم محامي الدفاع الجنائي في الاعتبار. فعادة يتم طردهم قبل أن يحصلوا على المنصب. وبالتأكيد، لن تطرد الحكومة رجل

التأمين من هيئة المحلفين إذا اختير من مستشاري الهيئة.  
تم إعفاء المحلف المرتقب من قبل القاضي ميللر بعد أن  
أجبر القاضي سمسار وسيط التأمين على الكشف عن اسم جاره.  
حينها كشف عدد من المحلفين المحتملين أن رجلاً عرّف  
نفسه كمراسل لصحيفة ناشفيل بانر يدعى ألين قد اتصل بهم  
لمعرفة وجهات نظرهم حول جيمي هوبا. لم يكن هناك مراسل  
في صحيفة ناشفيل بانر يدعى ألين. شخص ما كان يتطفل بشكل  
غير قانوني ليتعرف على آراء المحلفين بحثاً عن المحلفين الذين  
قد يفضلون الوقوف إلى جانب هوبا في القضية. تم فصل جميع  
المحلفين المشتبه بتورطهم في الأمر.

بعد أن اختيرت هيئة المحلفين وبدأت المحاكمة، أبلغ إدوارد  
غراي بارتين المحقق والتر شيريدان عن محاولة قام بها رئيس  
الفرع المحلي لنقابة سائقي الشاحنات في ناشفيل لرشوة زوجة  
أحد رجال شرطة دوريات الطريق السريع في ولاية تينيسي.  
كانت الزوجة أحد أعضاء هيئة المحلفين. تفحص شيريدان  
بيانات المحلفين ووجد بينهم زوجة شرطي. قام عملاء التحقيق  
بتتبع مسؤول النقابة إلى طريق مهجور حيث كان شرطي الولاية  
ينتظر في سيارة الدورية. شاهد العملاء الرجلين يجلسان في  
سيارة الدورية ويتحدثان.

بهذه المعلومات التي حصلوا عليها، ولكن دون الكشف عن  
مصدرها، طلب المدّعون الحكوميون من القاضي طرد زوجة  
الشرطي من هيئة المحلفين، وعقد القاضي ميللر جلسة استماع  
بناء على طلب الادعاء. اتصلت الحكومة بالعملاء الذين تابعوا

رئيس فرع النقابة في ناشفيل إلى مواعده مع الشرطي. استجوب القاضي العملاء. استدعت الحكومة رئيس فرع النقابة، وجلب الرجل من غرفة جانبية. وفقاً لوالتر شيريدان أشار جيمي هوف للرجل بعلامة الأصابع الخمسة، وبناء على ذلك لجأ مسؤول النقابة إلى التعديل الخامس للدستور. بعد ذلك، تم إحضار شرطي دورية الطريق السريع للولاية إلى قاعة المحكمة. بعد إنكاره كل شيء في المرة الأولى، اعترف الشرطي في أثناء استجوابه من قبل القاضي ميللر، بأن مسؤول النقابة عرض عليه صفقة ترقية في دورية طريق الولاية السريع مقابل خدمة لم يكشفها. ادعى الشرطي أن مسؤول النقابة لم يشرح له قط ما قد تكون عليه هذه الخدمة في المستقبل.

أعفى القاضي ميللر زوجة الشرطي واستبدل بها شخصاً آخر. أخبرت المرأة الصحفيين في منزلها في تلك الليلة وهي تبكي أنها لا تعرف سبب إعفائها.

وقال المحامي بيل بوفالينو متحدثاً باسم تومي أوزبورن وفرانك راجانو وبقية أعضاء الفريق: «لم يكن هناك حل. وإذا كان هناك، فقد خرج مباشرة من مكتب بوبي كينيدي».

كان المحامي الشاب تومي أوزبورن يعمل في قضية مختلفة عن القضية التي ترفع فيها حول إعادة توزيع أصوات الناخبين أمام المحكمة العليا الأمريكية. وقد مهدت له هذه القضية بالفعل الطريق ليكون الرئيس القادم لنقابة المحامين في ناشفيل وساعدته على العمل في قضية هوف. يمكن لقضية هوف أن تمنحه وظيفة على مستوى البلاد على أفضل وجه إذا نجح في

الإطاحة بجيمي، وفي نفس الوقت كان من الممكن أن تدمر حياته المهنية إذا انخرط في علاقة ما معه وكشف أمره.

أخبر ضابط شرطة في ناشفيل، الذي كان يعمل في وظيفة ثانية لصالح تومي أوزبورن محققًا خاصًا يقوم بأبحاث مشروعة في هيئة المحلفين، لجنة التحقيقات «غيت هوبا» أن أوزبورن أخبره بأنه يعمل على أن يشرك أحد المحلفين في صفقة تطوير الأراضي. وجد فريق لجنة التحقيقات صعوبة في تصديقه خصوصًا وإنهم كانوا مشغولين جدًا. احتفظوا بتلك المعلومات لمراجعتها في يوم لاحق.

كان الشخص الثالث محلفًا أسود، اتصل وكيل أعمال أسود من الفرع المحلي لنقابة هوبا المحلي في ديترويت بابنه وعرض عليه رشوة بقيمة 10000 دولار. ووفقًا لإفادة لخطية مشفوعة في القسم قُدمت للحكومة بتوقيع بارتين، سُلِّمت دفعة مقدمة بقيمة 5000 دولار أمريكي للرشوة، وأُبرمت الصفقة قبل بدء المحاكمة واختيار المحلف. وكشف بارتين في الإفادة الخطية أن جيمي هوبا قال له ذات يوم: «لقد جعلت المحلف الملون في جيبي الصغير. فقد جاء أحد وكلاء أعمال، لاري كامبل، إلى ناشفيل قبل المحاكمة وتولى أمره». قُرئت الإفادة الخطية الموقعة من قبل القاضي ميللر، الذي رفض بعد ذلك الاستماع إلى الدفاع، وأعفى المحلف، الذي استُبدل به آخر كان بديلًا له. ومنذ ذلك الوقت، وعلى الرغم من أن محامي الدفاع لم يكن يعرف بعدُ بانشقاق بارتين، فإنه كان على يقين من أن الحكومة كانت تتنصت عليه وتراقبه حتى من قبل بدء المحاكمة.

تلقيت مكالمة من بيل إيزابيل تفيد بأنهم بحاجة إليّ في ناشفيل، لذا ذهبت بسيارتي. وقال لي عبر الهاتف إنهم كانوا يتوقعون وجود بعض المحتجين وأرادوا مني أن أساعدهم إذا تصرف أي منهم بشكل غير لائق مع جيمي. حينها كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقوله عبر الهاتف، لأنه بحلول ذلك الوقت كان الجميع على يقين من أن كل شيء تم التتصت عليه. كان ما يحدث مثل فيلم من أفلام الخيال العلمي. ما كانوا يريدونني حقًا من أجله هو الجلوس في قاعة المحكمة وجعل حضوري محسوسًا من قبل هيئة المحلفين في حال خطر على بال أي من الآخرين الذين تواصلوا معهم من هيئة المحلفين فكرة إفشاء السر. حينها لم يخبرني أحد بذلك مباشرة، لكنني كنت أعرف ما المطلوب مني عندما أخبروني بألا أبعد نظري عن المحلفين من حين إلى آخر.

مكثت في فندق أندرو جاكسون، لكنني لم أتدخل في شيء. كان لديهم الكثير من الطهارة يفسدون المرق بالفعل. أتذكر أن الدجاج المقلي على طريقة الجنوب في مطعم الفندق كان رائعًا جدًا. كان من الجيد دائمًا رؤية سام وبيل مرة أخرى. أتذكر أنني رأيت أد بارتين في المطعم ولكنني لم أعره أي اهتمام. كان يجلس مع فرانك راغانو، ولم يكن لدى راغانو فكرة أنه كان يجلس مع مخبر. تخيلوا أن الحكومة تضع اليوم أشياء مزروعة داخل مكاتب محاميك. كانت غرفة الفندق التي يقيمون فيها هي مكاتب محاميهم وكان بارتين يقيم هناك معهم.

بالطبع، لم يحضر أي محتجين. كان المكان مليئاً برجال مكتب التحقيقات الفدرالي على أي حال. ثم في أحد الأيام، وعلى الأغلب لجعل السبب الذي دعاني فيه بيل إيزابيل إلى المجيء يصبح حقيقة، دخل شخص مختل عقلياً إلى قاعة المحكمة بينما كنت أقف في الخلف أتحدث إلى بيل وسام. حدث ذلك في فترة الاستراحة وكان هذا الشاب المختل عقلياً يرتدي معطفاً واقياً من المطر وبدأ يتجه إلى الجزء الأمامي من قاعة المحكمة ووقف خلف جيمي وسحب مسدساً. ما إن سمعت صوت سحب هذا المسدس حتى كان أول شيء رأيته هو أن جميع المحامين من الجانبين يبذلون قصارى جهدهم من أجل الحصول على ملاذ فيما كانوا يفوضون تحت المكاتب كما لو كانوا في الخنادق. وكان هناك جيمي هوفاً يطلب من الشاب ترك المسدس. اتضح أن الشاب كان يحمل مسدساً يعمل بضغط الهواء لكنه بدا حقيقياً. كان هذا النوع من الأسلحة يستخدم لقتل السناجب والأرانب. أطلق النار منه وأصاب جيمي بضع مرات في الظهر، لكن جيمي كان يرتدي بدلة سميكة. اندفع جيمي نحو الشاب وتولاه ضرباً. قفز تشاكي أوبراين على الشاب وطرحه أرضاً. كان تشاكي رجلاً ضخماً وعالج الأمر بمهارة. وصل ضباط الشرطة أخيراً إلى المكان، وقام أحدهم بضرب الرجل بعقب مسدسه، لكن تشاكي استمر في مهاجمته. كان على الضابط وجيمي أن يزيحوه، وإلا فإنه قد يقتل الرجل.

أخبرت بيل إيزابيل أن يكون حذراً مما يقوله في المرة القادمة عن بعض المحتجين الذين لا يمكن السيطرة عليهم. اتضح أن

ذلك الرجل ادعى أن الله قال له أن يقتل جيمي هوبا. اعتقد أن الجميع على ما يبدو لديهم رئيس.

لم تكن هيئة المحلفين حاضرة في قاعة المحكمة حينما دخل راعي البقر هذا بمسدسه الهوائي، ولكن الدفاع قدم طلباً لإنهاء المحاكمة. زعموا أن الشاب ذا المعطف المطري كان مثلاً على كيفية إثارة غضب سكان ناشفيل ضد جيمي هوبا من قبل جميع وسائل الدعاية الحكومية المناهضة لهوبا التي كانت تحيط بالقضية، والتي أثارها بوبي كينيدي وحاشيته. بدا الأمر جيداً بالنسبة إلي، لكن القاضي رفض ذلك.

أخبرني بيل إيزابيل أن جيمي قال: «عليك أن تبتعد دائماً عن الرجل الذي يحمل سكيناً وتتجه إلى الرجل الذي يحمل المسدس». لم أسمع منه ذلك. ولكن عليك أن تعرف الظروف. إنه محق إذا استطعت أن تفزع الرجل الذي يحمل سلاحاً، لأنه لا يتوقع منك أن تأتي إليه. فعل جيمي الشيء الصحيح في هذه الظروف. ولكن إذا ذهبت نحو الرجل الذي يحمل مسدساً لا يمكن أن يرتبك، إذ كلما اقتربت منه صوّب نحو هدفه بشكل ممتاز. في معظم الأوقات أنت لا ترى السكين إلى أن تواجهه. وأفضل شيء أن تكون فاعل خير.

قال جيمي «لقد فُتّش الجميع» من قبل الحراس. هذا الجزء كان صحيحاً. وقد تحققت من الأمر. فتش الضابط كل من دخل قاعة المحكمة. قال جيمي إنه ليس من قبيل المصادفة أن يكون هذا الرجل قادراً على السير خلفه مباشرة. كانت الفكرة هي أن الحكومة استخدمته لضربه. لم تكن هناك مشكلة سوى أن ذلك

الشخص كان غريب الأطوار جداً بحيث لا يستطيع الحصول على قطعة سلاح حقيقية. علم جيمي أن مثل هؤلاء الأشخاص كان يتم استخدامهم من وقت لآخر من قبل أشخاص معينين لمسائل معينة. في نفس العام من محاكمته في ناشفيل، كان صديق سام جيانكانا المغني فرانك سيناترا يُعرض له فيلم «المرشح المنشوري» في جميع دور السينما. كان فيلماً كبيراً عن كيف يستخدم الشيوعيون شخصاً مختلاً عقلياً لقتل شخص يرشح نفسه للرئاسة.

ولكن في الحياة الواقعية عندما يُستخدم هؤلاء المهوَّسون في أمريكا أو في صقلية، يتم التخلص منهم دائماً على الفور، في موقع الحدث حتى. مثلما حدث في سنوات لاحقة عندما استخدم جوي غالو -هذا المجنون الأسود- لقتل جو كولومبو، رئيس عائلة كولومبو في بروكلين. أطلق هذا المجنون ثلاث رصاصات على جسد جو كولومبو في تجمع لرابطة الحقوق المدنية الإيطالية الأمريكية في كولومبوس سيركل بالقرب من سنترال بارك. لا شك أن كل شيء قد تم العمل عليه بالتفصيل، وتم التدريب عليه مع هذا المجنون. وقد ظهر ذلك عندما نُقل بسرعة إلى السيارة التي تأخذه إلى بر الأمان. وبطبيعة الحال، قتل أحد الأشخاص المجنون وترك جثته ممددة على الرصيف بعد أن قام بعمله؛ أطلق النار على كولومبو.

لم يغفر راسل قط ذلك العمل الذي قام به المجنون جوي غالو، واستخدام هذا المجنون بهذه الطريقة لقتل جو كولومبو. لطالما اعتقدت أن المجنون جوي كان طفلاً ساذجاً على أي حال.

عاش جو كولومبو المسكين في غيبوبة لفترة طويلة قبل وفاته. هذه هي مشكلة استخدام المختلين عقلياً. فهم ليسوا دقيقين بما يكفي. يمكن أن يسببوا الكثير من المعاناة. مثل ذلك الذي أطلق النار على جورج والاس وترك الرجل مشلولاً. أو ذاك الذي أطلق النار على ريفان وسكرتيه الصحفي برادي.

استمرت محاكمة ناشفيل اثنين وأربعين يوماً. بدأت هيئة المحلفين جلسات التداول قبل أربعة أيام فقط من عيد الميلاد. بينما كانت هيئة المحلفين تقوم بالتداول، ظل والتر شيريدان قلقاً من أن الحكومة لم تستبعد جميع المحلفين الذين تمت رشوتهم. ربما كان هناك محلف أو اثنان تمت رشوتهم لم يتم الحديث عنهما في حضور إدوارد غراي بارتين.

تم حجز هيئة المحلفين، وفي اليوم الثالث من المداولات عزلهم القاضي ميللر بعد أن أبلغوا مراراً وتكراراً أنهم وصلوا إلى طريق مسدود ميئوس منه. ومع ذلك، قبل السماح لهم بالخروج من هيئة المحلفين، التفت نحوهم وهم يجلسون في مقاعدهم ويتحدثون في قاعة المحكمة. من بين البيانات الأخرى، يكشف السجل التعليقات التالية للقاضي ميللر.

«منذ البداية، عندما اختيرت هيئة المحلفين من قائمة أولئك الذين تم استدعاؤهم لخدمة هيئة المحلفين، كانت هناك مؤشرات على أن هناك اتصالات غير لائقة أُجريت مع محلفين محتملين. لقد وقعت أوامر بتشكيل هيئة محلفين كبرى أخرى بعد التي تشكلت في الشهر الأول من العام بوقت قصير للتحقيق الكامل في جميع الحوادث المرتبطة بهذه المحاكمة التي تشير

إلى محاولات غير قانونية للتأثير على المحلفين والمحلفين المحتملين من قبل أي شخص أو مجموعة أشخاص أو أيًا كان، وإعادة لوائح الاتهام حيثما كان ذلك ممكنًا. إن نظام المحاكمة أمام هيئة محلفين لا يصبح أكثر من مزحة إذا سمح للأشخاص عديمي الضمير بتقويضه بوسائل غير مشروعة وغير قانونية. أنا لا أعتزم أن أسمح لمثل هذه الأفعال المخزية لإفساد نظام هيئة المحلفين لدينا أن تمر من قبل هذه المحكمة».

من ناحية أخرى، قال جيمي هوف في برنامج تلفزيوني في ليلة عيد الميلاد إنه: «عار على أي شخص أن يدلي ببيان يقول فيه أنه تم التلاعب بهيئة المحلفين».

مكتبة  
t.me/soramnqraa

## الفصل الثامن عشر

### لم يعد سوى مجرد محام الآن

أخبرني جيمي هوفاً أنه عازم على الحصول على اتفاقية حقوق العاملين بحلول نهاية العام. كان هناك الكثير من المشكلات التي شغلت باله في عام 1963، ولكن بحلول نهاية العام كان قد انتهى منها. في عقد العمل الأول حصلنا على زيادة قدرها 45 سنتاً في الساعة. بالإضافة إلى ذلك، راحت رواتبنا التقاعدية ترتفع. بات العامل الذي يتقاعد من منتسبي النقابة يحصل على مبلغ 3400 دولار في الشهر. أضف إلى هذا الضمان الاجتماعي والذي يمكنك العيش به. كل ذلك جاء بفضل جهود جيمي هوفاً في ذلك العام، على الرغم من كل المشكلات التي واجهته. بمجرد التوقيع على الاتفاقية، عيّني جيمي في لجنة التفاوض الوطنية في النقابة.

يعود حلم اتفاقية عقود العمل الموحدة إلى فترة الكساد. من خلال اتفاقية واحدة تغطي جميع أعضاء نقابة سائقي الشاحنات في البلد، سيحصل كل شخص على الأجر نفسه لكل الساعة، وعلى المزايا نفسها، وعلى المعاش نفسه. لكن أفضل ما في الأمر هو أنه لن يكون هناك سوى عقد واحد للتفاوض. بدلاً من أن تتفاوض كل شركة نقل بالشاحنات على عقود فردية في جميع أنحاء البلاد، ستكون هناك لجنة مفاوضات إدارية تتفاوض على عقد واحد مع لجنة التفاوض الوطنية النقابية. إذا اضطررنا إلى الإضراب لأننا لم نتمكن من التوصل إلى اتفاق فسيكون هناك

إضراب على الصعيد الوطني، لكننا لم نضطر قط إلى السير في هذا الطريق. لم يكن لدى جيمي فكرة القيام بأي إضراب على الصعيد الوطني. ومع ذلك، ومع الخوف الذي كان ينتاب إدارات الشركات ومسؤولي الحكومة من هكذا اتفاقيات، يمكنك أن تتخيل مدى صعوبة تحقيقها من قبل جيمي. كان عليه أن يجعل جميع شركات النقل بالشاحنات توافق ويحصل على موافقة جميع الفروع المحلية في النقابة. بوجود عقد واحد، لم تعد شركات النقل بالشاحنات قادرة على إحداث انشقاق أو السيطرة على أي نقابة بعد الآن، ولم يتمكن اللصوص مثل ريمون كوهين من الحصول على أموال من تحت الطاولة مقابل عقود محاباة. كان كوهين يعمل بهذه الطريقة.

لهذا السبب جعلنا جيمي نقاتل بشدة المتمردين، ونقوم أحياناً بما علينا القيام به. كان جيمي بحاجة إلى اتحاد متين. كانت فيلادلفيا تشكل أصعب أنواع المواجهة بالنسبة إلى جيمي. أولاً، لأن كوهين كان يرفض التخلي عن السلطة. ثانياً، كان صوت ومجموعات المتمردين الأخرى نشطة جداً وفعالة. استغل سائقو الشاحنات في فيلادلفيا الوضع في الفرع المحلي 107 ولم يتعاونوا حتى من أجل عقد اتفاقية واسعة النطاق. كانوا يعرفون أن كوهين لن يقوم بإضراب. جعلهم جيمي يخضعون من خلال التهديد بوقف أعمالهم من خلال القيام بإضرابات في أرصفة التحميل خارج فيلادلفيا.

في فبراير 1963، بينما كانت هيئة المحلفين الكبرى في ناشفيل تجمع أدلة على رشوة هيئة المحلفين، تحدث جيمي هوبا

عن شركات النقل بالشاحنات في فيلادلفيا: «إما أن يقبلوا العيش معنا هنا أو نقاتلهم في كل مكان».

تناول هوبا مشكلة مجموعة «ذا فويس» المتمردة، الذي يعتقد أنها دُعمت وشُجعت بعد ذلك من قبل الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية وبوبي كيندي «علينا أن نقنعهم بالتحول إلى صفنا».

وتحدث هوبا عن الإجراءات القانونية في ناشفيل: «شيء ما يحدث في هذا البلد باسم بوبي كينيدي. قام أحد الرجال بتكليف مجموعة من النخبة مكونة من ثلاثة وعشرين نائباً للمدعي العام لفرض إملائه علي».

تم استدعاء إد بارتين إلى هيئة المحلفين الكبرى في ناشفيل جنباً إلى جنب مع أي شخص آخر كان جزءاً من حاشية هوبا من فرع ناشفيل الموجودين في فندق أندرو جاكسون، وتماشياً مع موقف فريق هوبا استند إلى التعديل الخامس. كتب بيل بوفالينو ما سيقوله بالضبط على بطاقة ليأخذها إلى غرفة المحلفين الكبرى. كانت الحكومة مصممة على إبقاء انشقاق بارتين سراً. في هذه الأثناء، بدأ أشخاص مثل شرطي دورية الطرق السريعة في الولاية بالاعتراف بالحقيقة، وبدأ أن لائحة الاتهام برشوة هيئة المحلفين كانت واعدة بالنسبة إلى الحكومة.

قضى جيمي هوبا أربعة عشر أسبوعاً في فيلادلفيا في فندق وارويك ليشن حملة ضد مجموعة «ذا فويس» المنشقة في انتخابات أبريل المقبلة. في الانتخابات التي أجريت قبل بضعة أشهر، خسرت «ذا فويس» بـ 600 صوت فقط في الفرع المحلي

بحضور 11000 عضو. أُلغيت هذه الانتخابات بسبب العنف الذي مُورس في أثنائها وهيمن عليها. لم يلجأ هوبا إلى العنف هذه المرة، وقام بحملة قوية وشرح الفوائد في الأجور والمعاشات التقاعدية التي ستأتي من الخطط التي كانت لديه لاتحاد نقابة سائقي الشاحنات في انتخابات أبريل 1963، هزم فريق نقابة سائقي الشاحنات بقيادة هوبا مجموعة «ذا فويس» مرة أخرى، وبذلك عاد أكبر الفروع المحلية لنقابة سائقي الشاحنات إلى الصدارة وعد هوبا أن يعمل بمبدأ «عفا الله عما سلف». بنفس القدر من الأهمية لهوبا مثل هزيمة مجموعة «ذا فويس»، أصبح كوهين يدين حينها لجيمي هوبا بولائه الكامل في مسألة اتفاقية عقود العمل الموحدة.

في 9 مايو 1963، اتُهم جيمي هوبا في ناشفيل بتهمة رشوة هيئة المحلفين. عند تقديمه طلب اعتباره غير مذنب، عقد هوبا مؤتمرًا صحفيًا وقال إن بوبي كينيدي «لديه ثأر شخصي ضدي ويحاول إدانتني بقصص ملفقة في الصحافة... بالطبع لست مذنبًا. نتحدث لائحة الاتهام هذه عن عشرة أشخاص وأنا أعرف ثلاثة منهم فقط».

في 4 يونيو 1963، أدين كوهين باختلاس أموال النقابات. لن يكون هناك شك بعد الآن في تحقيق حلم اتفاقية عقود العمل الموحدة. سيُعزل كوهين عن منصبه كرئيس الفرع المحلي 107 وسوف يذهب إلى السجن. لن يكون كوهين في وضع يسمح له بالعمل سرًا ضد مفاوضات هوبا مع شركات النقل بالشاحنات في فيلادلفيا.

في نفس عصر يوم إدانة كوهين، وجهت هيئة محلفين كبرى في شيكاغو إلى جيمي هوفاً تهمة إساءة الاستخدام الاحتيالية لصندوق معاشات الولايات المركزية لتحقيق أرباح شخصية. تعاملت التهمة الرئيسية ضد هوفاً مع التعهد بتقديم 400.000 دولار من أموال النقابات دون أي فائدة لتأمين قرض شخصي لصفقة مشروع تطوير الأراضي المعروف بسان فالي في فلوريدا. وزُعم أن جيمس ر. هوفاً كان يملك حصة ملكية سرية تبلغ 22 في المئة من أرباح ذلك المشروع. نفى هوفاً أن تكون لديه أي حصة سرية من هذا القبيل.

بعد ذهاب كوهين إلى السجن مباشرة، ذهبت مع جيمي لحضور جلسة تفاوض مع إدارة الشركات، في فندق في أرلينغتون، فيرجينيا، خارج واشنطن. أمسكتُ بعض فتيان الجامعات وأعطيتهم مبلغ 50 دولاراً عن كل مرة يستخدمون فيها المراحيض العامة وإبقاء مصاعد الفندق مشغولة. بعدها وضعت حبوباً ملينة للأعضاء في أحد أباريق القهوة. شرب أعضاء فريقنا التفاوضي القهوة من أحد الأباريق السليمة وتقاسم أعضاء الوفد الآخر الأباريق الأخرى. تناول نصف الأعضاء القهوة من الإبريق الذي تم التلاعب به. سرعان ما ركض أحد الأعضاء إلى الحمام في غرفة المفاوضات ولم يخرج بعدها. خرج الرجال الآخرون وهم غير قادرين على السيطرة على أنفسهم وهم يركضون حول الفندق بحثاً عن مرحاض لم يُستخدم. وظلوا جميعهم خارج مكان المفاوضات بعد ذلك ليرتاحوا ويغيروا ملابسهم. لقد خفضت عددهم. كان من الأسهل التفاوض مع مجموعة أصغر.

على الرغم من كل الضغط الذي كان مسلطاً على جيمي، لكننا حين عدنا إلى غرفتنا كان يضحك بشدة لم أرها من قبل على الإطلاق.

خلال ذلك الصيف والخريف، لم ألتق جيمي كثيراً. كان جيمي يقضي أغلب أوقاته مع محاميه لمناقشة لوائح الاتهام الجديدة. كانت المحاكمة الأولى هي المتعلقة بما يسمى إغواء هيئة المحلفين. والتي تقرر عقدها في ناشفيل في أكتوبر. كنت أخطط للذهاب والنزول في فندق غراند أولي أوبري. تقرر عقد المحاكمة الخاصة بقضية صندوق التقاعد في شيكاغو التي تتضمن موضوع سان فالي في ربيع عام 1964. بحثت بالتأكيد عن أي عذر للذهاب إلى شيكاغو.

يزعم المحامي فرانك راغانو في أحد الكتب، وفي أثناء ظهوره على شاشة قناة «التاريخ»، أن جيمي هوفاً أعطاه رسالة لتوصيلها إلى سانتو ترافيكانتى وكارلوس مارسيلو لاستعطاف الرئيس جون كيندي. وقال إن ذلك حدث في مكتب جيمي في واشنطن في أثناء عملهم في التحضير للمحاكمة. أنا شخصياً لا أستطيع تصديق أن جيمي يبعث رسالة كهذه من خلال هذا الرسول بهذا المحتوى.

في عام 1994، كتب فرانك راغانو مذكرات تحت عنوان «محامي رجال العصابات»، يدعي فيها أنه سمع نقاشاً يدور بين جيمي هوفاً وجوي جليمكو وبيل بوفالينو في أوائل عام 1963 بينما كان المحلفون يجتمعون في ناشفيل وشيكاغو، ولكن قبل إصدار لوائح الاتهام. في أثناء لعب هوفاً الورق مع جليمكو،

سأل بوفالينو: «ماذا تعتقد أنه سيحصل إذا حدث شيء لبوبي؟»  
(لطالما أشار هوبا إلى عدوه اللدود باسم بوبي).  
كان الإجماع الذي تم التوصل إليه في المناقشة أنه إذا حدث شيء ما لبوبي، فإن جاك سوف يطلق العنان لغضبه. ولكن إذا حدث شيء ما لجاك، فإن نائب الرئيس ليندون جونسون سيصبح الرئيس، ولم يكن سرًا أن ليندون يكره بوبي. اتفق على أن ليندون سيتخلص بالتأكيد من بوبي كمُدع عام. وفقًا لمذكرات فرانك راغانو، قال جيمي هوبا: «اللغة، إنه على حق. إنه يكرهه بقدر ما أكرهه».

بعد بضعة أشهر، في يوم الثلاثاء 23 يوليو 1963، وقبل أربعة أشهر من اغتيال الرئيس كينيدي، يدعي راغانو أنه التقى هوبا بشأن لوائح الاتهام الجديدة التي صدرت مؤخرًا في مايو ويونيو. كان هوبا يجلس بجانبه غاضبًا. وفقًا لراغانو، أخبره جيمي هوبا: «يجب أن يكون هناك شيء ما يتم فعله. لقد حان الوقت لكي يتخلص صديقك وكارلوس منهما، ويقتلان الوغد جون كينيدي. يجب القيام بذلك. تأكد من إخبارهم بما قتلته. ليس هناك من داع للانتظار. الوقت ينفد، يجب فعل شيء».

حسنًا، يتبين من الطريقة التي أنظر بها إلى ما قاله فرانك راغانو هي أنهم لم يعرفوا شيئًا عن بارتين. كان جيمي متأكدًا تمامًا من وجود جاسوس في وسطهم خلال تلك المحاكمة في ناشفيل. أعلم أن كل شخص كان جزءًا من مشهد فندق أندرو جاكسون كان مشتبهًا فيه في ذهن جيمي. كان جيمي حينها قد تعرف لتوه على فرانك راغانو. إن الأمر لا يشبه معرفته ببيل

بوفالينو، حيث كانا يعرفان بعضهما منذ سنوات عديدة، وقد أبرما صفقات معاً، وكانا يتبادلان الاحترام. كان لدى جيمي طائفة خاصة تحت تصرفه في جميع الأوقات. إذا أراد إيصال رسالة خطيرة مثل تلك الرسالة، فإنه سيسافر إلى فلوريدا. احتفظ جيمي بمكان جميل هناك في ميامي بيتش. عرف جيمي بالتأكيد كيفية استخدام الهاتف للإعداد لاجتماع. هذه هي الطريقة التي التقيت بها جيمي، مكالمة هاتفية رتبها مسبقاً مع سكينى رازور. لكن لا تفهموني خطأً، يقولون إن فرانك راغانو شخص طيب، ويثق به كثيرًا كل من سانتو ترافيكانتي وكارلوس مارسيلو كونه محامياً. إذا قال فرانك راغانو أن هذه هي الطريقة التي يتذكر بها ذلك، أعتقد أنني يجب أن أوافقه على ذلك. لكنك تتحدث عن شيء لا يخطر على بال أحد؛ أن جيمي يتحدث عنه بالطريقة التي قالها بها. إذا قالها جيمي لراغانو، وقالها راغانو لهؤلاء الناس، عليهم أن يتساءلوا عمّا إذا كان جيمي يفكر بتعقل إذا كان يتحدث بصوت عالٍ في مثل هذا الأمر إلى فرانك راغانو، ناهيك بالموقف الذي تضع فيه الشخص الذي يسمع مثل هذا الكلام. اعتاد كارلوس أن يضع لافتة في مكتبه تقول إن ثلاثة أشخاص يمكنهم الاحتفاظ بالسر إذا مات اثنان منهم.

كما لو أن عام 1963 لم يشهد ما يكفي من الأحداث، فما لبثت أن انتشرت إشاعة تفيد أن مكتب التحقيقات الفدرالي تمكن من إقناع «جندي» في المافيا يدعى جوزيف فالانتشي لينقلب على رجاله. كان فالانتشي أول شخص يقدم خدماته. كان مجرد جندي من عائلة جينوفيزي في نيويورك. كانت هذه هي العائلة

التي انخرط فيها لاكي لوتشيانو عندما قام لوتشيانو وماير لانسكي وبقية الأشخاص بتأسيس تلك العائلة قبل سنوات. لم يكن فالاتشي مقرباً جداً من أي مسؤول كبير فيها. لم أسمع قط عن الرجل، ناهيك بأنني التقيت الرجل من خلال راسل. وإذا لم أكن مخطئاً، لم يسمع راسل عن الرجل أيضاً حتى انكشف ذلك الأمر. لكن فالاتشي هذا كان يعرف كل القصص القديمة، كان يعرف من قتل من ولماذا. فكان يروي كيف أن فيتو جينوفيز ألقى رجلاً من فوق السطح حتى يتمكن من الزواج من زوجته، وكان له ما أراد. كان يعرف جميع العائلات وكيف يُخطط لكل شيء في المنظمة ما بين الإيطاليين.

كان فالاتشي وأشيأاً بالفطرة ومروج مخدرات، وحاول رئيسه فيتو جينوفيز أن يقتله عندما كانا في السجن الفدرالي معاً للاشتباه في كونه وأشيأاً في السجن ومخبراً. إذا ساورتك الشكوك فلا بد أنك على حق.

انتهى الأمر بجو فالاتشي إلى قتل بعض السجناء الأبرياء الذين اعتقد أنهم سيقتلونه، وبعد ذلك أخبر الجميع بكل شيء يعرفه؛ فقد تحدث عن كيفية جعلهم رجالاً مصطنعين، وأفشى أسرار الإيطاليين التي لم أكن أعرف عنها شيئاً.. حتى أنه ذكر أشياء صغيرة مثل كيف لم يسمح كارلوس مارسيلو لأي شخص من أي من العائلات الأخرى بزيارة مدينة نيو أورليانز، ولا حتى كرنفال ماردي غرا<sup>(26)</sup>، دون الحصول على موافقته أولاً. كان

---

(26) كرنفال سنوي شهير يقام في عدة مدن، أشهرها الذي يقام في نيو أورليانز. (المترجم).

كارلوس مارسيلو من أولئك الرؤساء الذين لا يحب تعريض نفسه للخطر. كان يسيطر على كل شيء.

قبل أسبوعين من تحديد موعد محاكمة جيمي في قضية رشوة هيئة المحلفين، عرض بوبي كينيدي جو فالانتشي هذا على شاشة التلفزيون في بعض جلسات لجنة مكليان. كان الأمر شبيهاً لما كان يحدث في إعلانات التعبئة العامة للحرب، ومثل حملة الدعاية لبيع سندات الحرب. كان جو فالانتشي هو الوحيد الذي كان يتصرف مثل بوب هوب<sup>(27)</sup>. يمكنك أن ترى بعد ما تم كشفه خلال جلسة الاستماع لفالانتشي أن الحملة ضد ما يسمى الجريمة المنظمة ستتسع بشكل أكبر مما كانت عليه بالفعل. كان هناك الكثير من الناس المهتمين بها والمتسمرين أمام أجهزة التلفزيون في الحانات والأندية الإيطالية الخاصة في جميع أنحاء البلاد.

في سبتمبر 1963، قبل شهر تقريباً من محاكمة جيمي هوبا المقررة، ظهر جوزيف فالانتشي على شاشة التلفزيون أمام لجنة ماكليان وكشف للجمهور جميع تفاصيل ما وصفه بوبي كينيدي «أعظم اختراق استخباري في التاريخ للجريمة المنظمة في أمريكا».

بدأت رحلة جو فالانتشي الملحمية من كونه «رجل عصابة صغير» برتبة منخفضة وسجيناً تقليدياً إلى شخص أثار ضجة إعلامية تبناه بوبي كينيدي في صيف عام 1962 في سجن أتلانتا

---

(27) ممثل كوميدي. (المترجم).

الفدرالي. كان فالاتشي يقضي محكوميته بتهمة بيع المخدرات في نفس الوقت الذي كان فيه رئيسه فيتو جينوفيزي يقضي محكوميته. لإحراج فالاتشي وجعله يبدو كما لو كان يتعاون، كان محققو قسم المخدرات في مكتب التحقيقات الفدرالي يزورون فالاتشي بانتظام. كانت الفكرة هي دفع جينوفيزي إلى الجنون بسبب فالاتشي. وهذا من شأنه أن يجعل الخوف من الموت يسكن قلب فالاتشي وأن الضغط على فالاتشي سيؤدي إلى أن ينقلب على جينوفيزي. هذه الخدعة سيستخدمها مكتب التحقيقات الفدرالي لاحقًا في سجن ساندستون، بشكل كامل ضد فرانك شيران لجعله يتحدث عن اختفاء هوبا. وقد نجحت في حالة فالاتشي وجينوفيزي.

سار فيتو جينوفيزي إلى جنديه، جو فالاتشي، ووفقًا لشهادة فالاتشي، قال له جينوفيزي ببطء وبحذر: «أنت تعرف أحيانًا إذا كان لدي صندوق من التفاح، ولمس شخص إحدى هذه التفاحات... لم يتلفها تمامًا بل لمسها فحسب... يكون القرار أنه يجب التخلص منه حتى لا يلمس بقية التفاح».

أمسك جينوفيزي رأس جنديه بكلتا يديه ومنح جو فالاتشي «قبلة الموت» في فمه.

نجح فالاشي في أن يستخدم ماسورة حديدية ليواجه بها أول سجين اقترب منه وقتله. لتجنب عقوبة الإعدام ومقابل الحصول على حكم بالسجن المؤبد، أفشى جوزيف فالاشي ما لديه من أسرار، وأعطى جيمي هوبا وأصدقائه سببًا إضافيًا لكره بوبي كينيدي.

كان بوبي كينيدي الشاهد الأول الذي استدعاه السناتور ماكليان قبل أن يتحدث جوزيف فالاتشي في جلسات الاستماع في سبتمبر 1963. قال بوبي كينيدي للجنة ومشاهدي التلفزيون في جميع أنحاء البلاد «بسبب المعلومات الاستخبارية التي جمعت من جوزيف فالاتشي... نحن نعلم أن عصابات المافيا تديرها هيئة عليا، وأن زعماء المافيا في معظم المدن الكبرى مسؤولون أمام هذه الهيئة... وبتنا نعلم اليوم من هم الأعضاء النشطون في تلك الهيئة».

بعد جلسات الاستماع لفالاتشي مباشرة، طلب محامي جيمي تأجيل محاكمة قضية تقديم رشوة إلى أعضاء هيئة المحلفين حتى يناير 1964. وبعد ذلك لسبب أو لآخر قام القاضي بتغيير مكان انعقادها إلى مدينة تشاتانوغا لأن شيئاً ما كان يحدث في ناشفيل. وبتنا جميعاً نرقص على أنغام أغنية «تشاتانوغا تشو تشو» في العام الجديد.

في 8 نوفمبر 1963، قام نفس ضابط شرطة ناشفيل -الذي أبلغ عن تومي أوزبورن خلال قضية تيسست فلييت في ناشفيل- بالإبلاغ عن أوزبورن مرة أخرى إلى لجنة التحقيقات «غيت هوبا» مدعيًا محاولته رشوة أحد أعضاء لجنة محلفي ناشفيل في المحاكمة القادمة -محاكمة رشوة هيئة المحلفين- التي تقرّر عقدها في أوائل عام 1964. في هذه المرة حصلت لجنة التحقيقات «غيت هوبا» على الأدلة المسجلة وأوصلتها إلى القاضي ميللر، بصفته رئيس قضاة المحكمة.

استدعى القاضي ميللر تومي أوزبورن إلى غرفته وواجهه بادعاء من شرطة ناشفيل أن أوزبورن قد طلب من ضابط شرطة ناشفيل البحث عن محلف محتمل ورشوته بعرض بقيمة 10000 دولار ليصوّت بالبراءة. سيحصل المحلف المحتمل على 5000 دولار إذا اختير المحلف للمحاكمة و5000 دولار إضافية عندما يبلغ هيئة المحلفين في وقت لاحق أن طريق القضية مسدود بشكل ميئوس منه. منذ البداية، أنكر أوزبورن هذا الادعاء. فأخبر القاضي ميللر حينها أوزبورن بأن ضابط الشرطة الذي أبلغ لجنة التحقيقات عن ذلك الطلب الأخرق سجّل بشكل سري محادثة مؤكدة مع أوزبورن. أصبح لدى تومي أوزبورن سبباً قانونياً يمنعه من الاعتراض على منعه من مزاوله المحاماة. أبلغ أوزبورن الأمر إلى بيل بوفاالينو وفرانك راغانو. عاد أوزبورن إلى القاضي وليقر أن ذلك كان صوته، ولكنها كانت فكرة ضابط الشرطة وأن أوزبورن لم يكن ينوي متابعة الفكرة. بعبارة أخرى، كان أوزبورن ينتفخ غروراً ويتحدث بخشونة. في النهاية، سيُدان أوزبورن في محاكمة منفصلة ويقضي عقوبة سجن قصيرة. عند إطلاق سراحه من السجن كان يائساً تماماً، سيطلق النار على رأسه في عام 1970. ولكن في أواخر عام 1963، كان المحامي الرئيسي لجيمي هوبا للمحاكمة الخاصة برشوة هيئة المحلفين المقبلة ينتظر كلمة حول ما إذا كان سيتم منعه من مزاوله المحاماة لمزيد من قضايا رشوة هيئة المحلفين.

بالنظر إلى أن قضايا الرشوة كانت منتشرة في مدينة ناشفيل بشكل لا يمكن إصلاحه، وافق القاضي على طلب الدفاع لنقل المحاكمة إلى مدينة تشاتانوغا في يناير 1964.

ذات صباح، قبل بضعة أيام إلى أسبوع قبل 22 نوفمبر 1963، تلقيت مكالمة من جيمي للذهاب إلى الهاتف العمومي. عندما وصلت إلى هناك كان الشيء الوحيد الذي قاله لي جيمي هو «اذهب لترى صديقك».

قدت سيارتي إلى منزل راسل، وعندما فتح الباب، كان كل ما طلب مني فعله هو: «اذهب لرؤية أصدقائنا في بروكلين. لديهم شيء لك لتأخذه إلى باليتمور». لم يكن ذلك راسل الذي أعرفه. لم يفعل سوى أن يحدد لي مسار خطواتي تحسباً لأي شيء يحصل. استدرت وتوجهت إلى مطعم مونتي في بروكلين. كان ملتقى رجال جينوفيزي. إنه أقدم مطعم إيطالي في مدينة نيويورك. ويقع في جنوب بروكلين، ليس بعيداً عن قناة غوانوس. كان يقدم طعاماً ممتازاً. على يسار المطعم كان لديهم موقف السيارات الخاص بهم. ركنت سيارتي ودخلت ووقفت في الحانة. نهض توني برو من طاولته وذهب إلى الخلف وعاد بحقيبة من القماش. وسلمها لي وقال: «اذهب إلى شركة أسمنت كامبل في باليتمور حيث ذهبت في تلك المرة بالشاحنة. سيكون طيار صديقنا هناك. إنه ينتظر هذه».

لم يكن يتعين عليك قضاء كل هذا الوقت في القتال لمعرفة أن لديك حقيبة من القماش فيها ثلاث أو أربع بنادق. كنت أعلم أنها كانت بنادق، لكن لم يكن لدي أي فكرة ما نوعها. وتعلمت أن لا أنظر.

عندما وصلت إلى هناك، كان طيار كارلوس، ديف فيري، موجوداً مع شخص آخر أعرفه من مطعم مونتي والذي كان مع

جينوفيزي. لقد رحل الآن، ولكن لديه عائلة لطيفة. لا يوجد سبب لإدخال اسمه في الموضوع. قال لي: «كيف حال صديقك؟» قلت: «إنه بخير». قال: «لديك شيء لنا؟» وبحسب المسار الذي حدده راسل، لم أخرج حتى من سيارتي. أعطيته المفاتيح. فتح صندوق السيارة، وأخذ الحقيبة، وودعنا بعضنا، وذهبت بعيداً إلى المنزل. في وقت حدوث عملية التبادل هذه في منطقة مونتي، كان بروفينزانو يخطط لتقديم طلب استئناف عن قضية إدانته في 13 يونيو 1963، بتهمة ابتزاز عدد من أصحاب العمل. وأدين أيضاً الرجل الذي كان يجمع له الأموال وزميله المتهم مايكل كومونال، المدعي العام السابق في مقاطعة هدسون. وفي النهاية أدت الإدانة التي صدرت في يونيو 1963 إلى إرسال بروفينزانو إلى سجن لويسبورغ لمدة أربع سنوات ونصف، ولأنه انتهك قانون العمل، مُنع من النشاط النقابي لمدة خمس سنوات بعد إطلاق سراحه. خلال المحاكمة، اعتبر الكاتب في صحيفة نيويورك بوست موراي كيمبتون أن بروفينزانو هو «رئيس العمال الأعلى أجراً في أمريكا». في ذلك الوقت كان يكسب راتباً من وظائفه الثلاث في نقابة سائقي الشاحنات أكثر من جيمي هوف وأكثَر من رئيس الولايات المتحدة.

كان بوبي كينيدي القوة الدافعة الواضحة جداً وراء إدانة بروفينزانو بتهمة الابتزاز وأشاد بها بقوة في الصحافة. أدان بروفينزانو بدوره تكتيك المدعي العام في إرسال المحققين لاستجواب أصدقائه وجيرانه، وبشكل لا يمكن تقبله استجواب أطفاله. ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن بروفينزانو شجب

تصرفات كينيدي «بعبارات فاحشة جداً لدرجة أن الفيلم التلفزيوني كان غير قابل للاستخدام ولم يتمكن الصحفيون من العثور على اقتباس مناسب يمكنهم نشره».

منع القاضي ميللر في ناشفيل في 20 نوفمبر 1963 تومي أوزبورن من ممارسة المحاماة.

بعد ذلك بيومين، في 22 نوفمبر 1963، اغتيل الرئيس جون كينيدي في دالاس.

كانت واحدة من المكالمات الهاتفية التي أجراها بوبي كينيدي المفجوع بمقتل شقيقه حول أولئك الذين يشتبه في تورطهم في قتله، مع والتر شيريدان. طلب بوبي كينيدي من والتر شيريدان التحقق من التورط المحتمل لجيمي هوف.

كان مقر النقابة في مدينة ويلمنغتون، في ولاية ديلاوير، يقع بالقرب من محطة القطار في ذلك الوقت. كانت لا تزال جزءاً من الفرع المحلي 107 في فيلاديلفيا. كان لدي بعض الأعمال النقابية هناك واضطرت إلى التوقف عند محطتي استراحة للشاحنات وأنا في طريقي إليها. عندما دخلت إلى مقر النقابة، كان يُذاع في الراديو خبر إطلاق النار على كينيدي. عندما سمعت لأول مرة أخبار ما حدث في دالاس، أزعجتني كما أزعجت الجميع في العالم. لم يكن من بين الأشخاص المفضلين عندي، لكن لم يكن لدي أي شيء شخصي ضد هذا الرجل، كانت لديه عائلة لطيفة. حتى قبل أن يقتل روبي أوزوالد، فكرت فيما إن كان له أي علاقة بهذه المسألة وأنا في مطعم مونتي. لا يجب أن أخبرك بأنه لم يكن هناك أحد يمكنك أن تسأله عن شيء من هذا القبيل.

نُكِّست جميع الأعلام في واشنطن مع انتشار خبر الاغتيال، وأُرسل كل من كان يعمل داخل أو خارج مؤسسات الحكومة إلى بيته. عندما علم جيمي هوفّا أن نائب رئيس النقابة الوطنية هارولد جيبونز قد قام بتكيس العلم في مقر نقابة سائقي الشاحنات في مدينة سانت لويس وأغلق المبنى، استشاط غضبًا. لم يغفر جيمي أبدًا لهارولد جيبونز تكيسه العلم. قلت لجيمي: «ماذا تراه سيفعل؟ تم تكيس العلم على جميع المباني». لم يستمع جيمي إليّ. في وقت لاحق عندما ذهب جيمي إلى السجن، أخبرته أن يضع هارولد جيبونز مسؤولًا عن العمل اليومي بدلًا من فيتز. لم يكن هناك رجل نقابي متفانٍ أو أدق من هارولد جيبونز. كل ما قاله جيمي لي كان: «اللعة عليه».

في يوم إقامة مراسم جنازة الرئيس كينيدي، وبينما نعى العالم بأسره القائد الشاب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذي سقط قتيلاً، ظهر جيمي هوفّا على شاشة التلفزيون في ناشفيل ليهاجم الحكومة لتلفيقها تهمة لتومي أوزبورن ومنعه من ممارسة المحاماة. قال هوفّا: «أشعر أنها مجرد مهزلة للعدالة. لا بد أن يكون للحكومة والمسؤولين المحليين والقضاة يد في الموضوع وتوريطه فيه من أجل أن يحرموني من محام كفاء ليرافع عني». بعدها، تفاخر جيمي هوفّا أمام مشاهدي التلفزيون في ناشفيل وهو يشير بتلميح غامض ذي صلة بالجنازة الرسمية والحزينة التي جرت في ذلك اليوم وقال: «لم يعد بوبي كينيدي سوى مجرد محام الآن».

## الفصل التاسع عشر

### محاولة رشوة روح هذه الأمة

في وقت مبكر من يوم التاسع من ديسمبر 1963 -بعد سبعة عشر يومًا فقط من عملية اغتيال شقيقه- تحدث روبرت كينيدي لفترة وجيزة عن إمكانية تورط رجال المافيا في العملية مع آرثر م. شليزنجر. المؤرخ الحائز على جائزة بوليتزر والأستاذ السابق بجامعة هارفارد، والذي كان مساعدًا خاصًا للرئيس كينيدي. كتب شليزنجر في سيرته الذاتية المكونة من مجلدين «روبرت كينيدي وعصره» يقول إنه أمضى مساء يوم التاسع من ديسمبر مع روبرت كينيدي و«سألته، ربما بأسلوب غير لائق، عن أوزوالد. وقال إنه لا يمكن أن يكون هناك شك في أن أوزوالد مذنب، ولكن لا يزال هناك بعض الجدل إذا كان قد فعل ذلك بنفسه أو كجزء من مؤامرة أكبر، سواء نظمها كاسترو أو من قبل رجال المافيا». بعد عامين من إصدار لجنة وارن تقريرها عام 1964، أخبر بوبي كينيدي مساعد شقيقه جاك السابق في البيت الأبيض ريتشارد غودوين: «لم أكن أعتقد قط أن الكوبيين من فعل ذلك. إذا كان هناك أي شخص متورط في ذلك فإنهم رجال المافيا. ولكن لا يوجد شيء يمكنني القيام به حيال ذلك. ليس الآن». في الوقت الذي أدلى فيه بوبي كينيدي بهذه التصريحات لمسؤولي البيت الأبيض السابقين الذين كانوا أصدقاءه، كان يعرف الكثير عن كيفية إدارة الأمور داخل عصابات المافيا أكثر من أي «شخص غريب» في البلاد. من المؤكد أن بوبي كينيدي كان

يعلم أنه في غياب الحرب ما بين تلك العصابات، فإن الرؤساء لن يقضوا أبدًا على مساعد رئيس آخر. لأن ذلك سي جلب انتقامًا كبيرًا. لإحداث تغيير مرغوب فيه في السياسة، قام رؤساء المافيا بالتخلص التدريجي -ولا يزالون- من الزعماء، وليس مساعديهم. على الصعيد الدولي يطلق على هذا اسم «تغيير النظام». بالنسبة إلى رؤساء المافيا الإيطاليين، فإن الأمر يتعلق فقط باتباع الحكمة الصقلية القديمة: إن أردت قتل كلب لا تقطع ذيله، بل اقطع رأسه.

في اليوم الحزين الذي لقي فيه شقيقه مصرعه في دالاس، كان روبرت كينيدي في واشنطن يرأس اجتماعًا للمحامين الاتحاديين للتحقيق بخصوص الجريمة المنظمة استغرق يومين. وقد وصل محامو حكومة الولايات المتحدة من جميع أنحاء البلاد إلى وزارة العدل لهذا الاجتماع المهم. وكان الغرض من الاجتماع هو وضع تفاصيل المرحلة التالية من حملة المدعي العام ضد عصابات الجريمة المنظمة.

خلال استراحة الغداء في اليوم الثاني من الاجتماعات سمع روبرت كينيدي الأخبار الصادمة من دالاس.

وكان رئيس قسم الجريمة المنظمة في القسم الجنائي بوزارة العدل محامياً يدعى ويليام هوندلي. وقد عبّر عن ذلك الحدث بقوله: «في اللحظة التي أصابت فيها الرصاصة رأس جاك كينيدي، انتهى الأمر. حينها. توقف برنامج التحقيق في الجريمة المنظمة». كان هاجس بوبي كينيدي فضح عصابات الجريمة المنظمة وتخليص أمريكا منها. لقد كانت حملة شخصية جدًا بالنسبة

إليه، وجعلها حملة شخصية جدًا لموظفيه ولأعدائه في الجريمة المنظمة. أسبغ بوبي كينيدي على الحملة طبيعة تنافسية شرسة. خلال السنوات الثلاث الأولى من حملة طال أمدها لست سنوات ضد الجريمة المنظمة، كان بوبي المستشار الرئيسي للجنة ماكليلان. خلال تلك السنوات الثلاث، قام باستجواب العديد من الرجال الأكثر شراسةً وتعطشًا للانتقام في أمريكا بقسوة، وتوبيخهم بطريقة مهينة، والسخرية منهم. كان كينيدي يطرح أسئلة ملفومة السؤال تلو الآخر، وكانت تأتيه نفس الإجابة: «أرفض الإجابة على أساس أنها قد تؤدي إلى تجريمي». خلال إحدى هذه الاستجوابات، كان بوبي يحدّق إلى عيني سام جيانكانا «مومو» وقال له: «أنت المحارب الرئيسي في المجموعة التي خلفت عصابة كابوني». استجوب بوبي كينيدي صديق فرانك سيناترا وشريك الأعمال في كازينو كال نيفا حول ما إذا كان قد تخلص من أعدائه من خلال حشر أجسادهم في صندوق سيارته. عندما بدأ جيانكانو يضحك ولجأ حاليًا إلى التعديل الخامس، أشار كينيدي إلى ذلك بسخرية قائلاً: «كنت أظن أن الفتيات الصغيرات فقط يقهقهن، يا سيد جيانكانا».

عندما أدلى بوبي كينيدي بهذا التصريح كان يعرف بالتأكيد أن سام جيانكانا «مومو» كان معروفًا بسادية أساليب قتله. في ديسمبر 1958، أمر جيانكانا بقتل السيد والسيدة غوس غرينبوم - قتلاً وحشيًا - في منزلهما في مدينة فينيكس، أريزونا. بعد تعرضهما للتعذيب، شُقَّت حناجرهما. كان غوس غرينبوم أحد زملاء ماير لانسكي. جاء غرينبوم خلفًا لباغسي سيفيل كرئيس

لفندق فلامنغو وكازينو في لاس فيغاس بعد مقتل سيفيل. عندما قتل غرينباوم، كان يترأس فندق وكازينو الريفيرا في لاس فيغاس الذي يملكه سام جيانكانا. اشتبه جيانكانا في قيام غرينباوم بالسرقة. من خلال تعذيب غرينباوم وزوجته البريئة تمامًا وقتلها، كان جيانكانا يبعث برسالة إلى جميع أولئك الذين عملوا لصالحه بأن عليهم اتباع القواعد.

في عام 1961 كرر جيانكانا الرسالة لطاقمه. كان ويليام جاكسون «أكشن» مرابطًا جشعًا وكان بدينًا يزن 300 رطل ويعمل لصالح جيانكانا. كان يشتبه في جاكسون أنه مخبر حكومي. تم اقتياده إلى مصنع لتعليب اللحوم وعُلّق على خطاف لحوم فولاذي بقياس 6 بوصات وعُذّب لمدة يومين. تعرض جاكسون للضرب وأصيب بجروح وحروق بشكل منهجي، وأطلقت النار على ركبته، وصُعق بالكهرباء حتى مات. التُقّطت صور لجاكسون في أثناء تعذيبه. جميع الرجال الذين عملوا مع جيانكانا في إمبراطوريته الإجرامية الشاسعة، بدءًا من شيكاغو إلى لاس فيجاس إلى دالاس إلى هوليوود إلى فينيكس، كانوا مطالبين بمشاهدة تلك الصور. في ختام السنوات الثلاث التي قضاها في لجنة ماكيلان، أضاف بوبي كينيدي كتابًا كان الأكثر مبيعًا إلى حملته الشجاعة. كشف كينيدي في كتابه «عصابات الجريمة المنظمة» بتفصيل كبير، وذكر أسماء وكشف أفعال تلك العصابات للرأي العام على نطاق واسع. وصف بوبي كينيدي الجريمة المنظمة في كتابه المعنون «العدو في الداخل».

على مدار السنوات الثلاث التالية من حملته ضد الجريمة

المنظمة، كان كينيدي هو المدعي العام، وكبير موظفي تنفيذ القانون في البلاد، والرجل الذي كان مدير مكتب التحقيقات الفدرالي ج. إدغار هوفر يرسل له التقارير. وضع بوبي كينيدي قائمة بأسماء أفراد العصابات المطلوبين والذين يجب استهدافهم وسجنهم. وسّع بوبي كينيدي استخدام المعلومات وعمليات التنصت. كان يبلغ أمريكا والحكومة الفدرالية، وخاصة مدير مكتب التحقيقات الفدرالي هوفر بشكل يومي تقريبًا، بمعلومات حول وجود الجريمة المنظمة، وضرورة تخليص البلاد من أفراد عصابات الجريمة المنظمة، وكيفية استخدام القوة الهائلة لأجهزة الحكومة والتي كانت خاملة حينها للقيام بذلك.

ولم يكن هناك هدف شخصي أو خطر أكبر على الأمة في قلب وعقل بوبي كينيدي من جيمي هوبا. ولكن حتى ذلك الحين ظل هوبا قادرًا على التملّص.

ومع ذلك، كان مصدر طاقة بوبي كينيدي قد نضب بعد حادثة دالاس. فإن غامر جيمي هوبا وأصدقائه بالقيام بأعمال غير قانونية في المستقبل، لن يكون بوبي كينيدي في منصب المدعي العام القوي، التابع لأخيه وأفضل صديق له.

ومع ذلك، بالنسبة إلى خطايا هوبا الماضية، والتي جعلته وقتها متهمًا، استمر بوبي كينيدي في أداء عمله في منصب المدعي العام للولايات المتحدة بحماس.

بطريقة ما قام بوبي كينيدي وليندون جونسون بتسوية خلافاتهما لفترة كافية لإبقاء كينيدي في منصب المدعي العام حتى تنتهي محاكمات هوبا. بقيت لجنة التحقيقات «غيت هوبا»

فاعلة، وكان على المشرف عليها وكبير الاستراتيجيين فيها البقاء في منصب القيادة. كان من المقرر إجراء جلسات المحاكمة القادمة لجيمي هوبا أمام هيئة المحلفين في أوائل عام 1964. وأن تبدأ محاكمته في قضية محاولة رشوة هيئة المحلفين في تشاتانوغا في 20 يناير، وأن تبدأ محاكمة صندوق المعاشات التقاعدية المتعلقة بقضية سان فالي في شيكاغو في 27 أبريل 1964. وكان فريق التحقيقات مع هوبا يعوّل على أن المحاكمات المتتالية ستدفع جيمي هوبا إلى دخول السجن.

نحو منتصف شهر يناير، كنت في شيكاغو مع جيمي للتوقيع النهائي على اتفاقية عقود العمل الموحدة. كنت أعمل لدى النقابة الوطنية وكانت ممثلة بشكل جيد في شيكاغو في ذلك اليوم. كانت هناك أربع مقاطعات أو مؤتمرات في ذلك الوقت، وكان لكل منها نائب رئيس وكانوا جميعاً هناك. لقد كان حدثاً مهماً في تاريخ بناء الحركة العمالية. لقد كان شيئاً عبقرياً جداً. كان لا يزال يتعين على الفروع المحلية الموافقة عليها، لكنها كانت في الأساس صفقة منتهية في شيكاغو. كان لا يزال كل فرع محلي يتمتع بالاستقلالية فيما يتعلق بالمسائل المحلية ويمكن لمؤتمرهم التفاوض على ملحق للعقد الوطني من أجل احتياجاتهم الخاصة أو لإدارتهم الخاصة. كان يمكن للفروع المحلية التفاوض على شروط أفضل لها بشأن شيء ما، ولكن لا يمكن لأحد أن يتفاوض بأقل مما منحه اتفاقية عقود العمل الموحدة للعمال. لسوء الحظ، كان لا يزال هناك تحايل على الاتفاقية. اشتهرت نيويورك بإعطائها عمالها أجراً أقل. كان الأمر يعود إليك في

الانضمام إلى الاتفاقية الوطنية، لكن الأمر كان يعود إلى قيادتك فيما ستحصل عليه من أجلك. لم يحصل توني برو على حفل تكريم من نقابته. كان الكثير من أعضائها يعملون وقتًا أقل أو لم يعملوا قط، وكانت إدارات الشركات تدفع لبرو من تحت الطاولة. بعد أربعة أيام من توقيعه على اتفاقية عقود العمل الموحدة، عاد جيمي إلى خندق القتال في مدينة تشاتانوغا في قضية اختيار هيئة المحلفين. بعد بدء المحاكمة ذهبت إلى تشاتانوغا لأحضر جلساتها مع بيل إيزابيل وسام بورتوين. كان لديهم محام جديد للفرع المحلي ليحل محل المحامي الذي تقرر حرمانه من ممارسة المحاماة. كان بيل بوفالينو وفرانك راغانو هناك مرة أخرى. كان لديهم محامون لجميع المتهمين الآخرين. كان ألين دورمان -الذي أدار صندوق التقاعد- أحد أولئك الذين اتهموا بمساعدة جيمي في رشوة هيئة المحلفين. كان تشاكي أوبراين هناك مع جيمي، ولا شك أنه كان يراقب إذا كان هناك أي من المختلين عقليًا وسط حشد الحاضرين يحمل مسدسًا.

وآه يا رجل، توافدت حشود من الناس إلى تشاتانوغا. كانت قاعة المحكمة مكتظة. بعد أن وجدت هناك لمدة يومين أُبلغت أن ليس هناك حاجة لوجودي في قاعة المحكمة، وغادرت تشاتانوغا وعدت إلى العمل. عندما غادرت ولاية تينيسي، اعتقد الجميع أن لدى الحكومة بعض القضايا ضد بعض الأشخاص، ولكن لم يكن لدى الحكومة شهود تجعلهم يتهمون جيمي بالأمر. بدوا وكأنهم يستعدون لإرسال المزيد من المظلات إلى بوبي كينيدي، دلالة على الاستهزاء به. لم يعرفوا بأمر بارتين بعد. ادخرت الحكومة

بارتين إلى آخر جلسة. لقد كان شاهدهم المفاجئ.

لم يكن هناك شرط قضائي بضرورة تحديد هوية الشهود الحكوميين مقدماً. أبقى إدوارد غراي بارتين بعيداً عن الأنظار في كوخ في جبل لوكاوت، في ولاية تينيسي.

سارت محاكمة تشاتانوغا بخصوص قضية رشوة هيئة المحلفين جنباً إلى جنب مع استدعاء المدعي الحاكم جيمس نيل للشهود لتوجيه قضية بعد أخرى ضد شركاء هوبا، أي ضد جميع أولئك الذين قاموا بالعمل القذر خلال محاكمة ناشفيل. كان هوبا يبتسم بحرارة ويظهر الثقة.

ثم في اليوم الأخير، بعد ثلاثة أشهر من المحاكمة، عندما بدا النصر مضموناً لهوبا، استدعت الحكومة شاهدها الأخير. دخل إدوارد غراي بارتين، وضجت قاعة المحكمة. على الفور، صرخ محامو الدفاع معترضين. قُدِّم طلب لاستبعاد أي شهادة قد يقدمها بارتين خلال المحاكمة. اتُّهمت الحكومة بزرع جاسوس داخل معسكر الدفاع في انتهاك لحق هوبا الدستوري في الاستشارة. إذا ثبت أن الأمر كذلك، فسيتعين استبعاد شهادة بارتين من قبل هيئة المحلفين، وسيخرج جيمي هوبا من المحكمة منتصراً مرة أخرى.

كان ادعاء الحكومة أن إدوارد غراي بارتين لم يزرعه الادعاء العام، بل تطوع لحضور المحاكمة من تلقاء نفسه. لم يبلغ بارتين المدعي العام. وأبلغ وكيل مكتب التحقيقات الفدرالي سابقاً -الذي لم يعد محامياً- والتر شيريدان. لم يطلب شيريدان من بارتين سوى البحث عن أدلة على الجريمة المستمرة المتمثلة في

رشوة هيئة المحلفين. أبلغ بارتين والتر شيريدان عن مثل هذه الأدلة، الذي أبلغها بدوره إلى المدعي العام، والذي أبلغ القاضي بها. لم يناقش بارتين قط مع والتر شيريدان أي شيء كان قد سمعه في ناشفيل يتعلق بقضية شركة تيسست فلييت نفسها أو بأي جانب من جوانب دفاع هوبا في تلك القضية.

استغرقت جلسة الاستماع للدفاع أربع ساعات. قبل القاضي توصيف الحكومة للأحداث، وسمح لإدوارد غراي بارتين بالإدلاء بشهادته أمام هيئة المحلفين، والتي استُدعيت مرة أخرى إلى الغرفة. جلس جيمي هوبا على كرسيه ورمق بارتين بنظرات غاضبة. لم يتأثر بارتين بتلك النظرات ولم يشعر بالخوف. شرع بارتين بربط علاقة جيمي هوبا بحالات محددة لرشوة هيئة المحلفين من خلال تكراره أمام هيئة المحلفين تبجحات هوبا ومفاخرته أمام بارتين بقيامه بمحاولات معينة لرشوة المحلفين، إما قبل حدوثها وإما في أثناء حدوثها. مع كل جملة أصبح من الواضح أن جيمي هوبا كان محرّك الدمى الذي يمسك كل الخيوط في ناشفيل.

في الاستراحة التالية، تناول جيمي هوبا كرسيًا ثقيلًا في قاعة الدفاع في المحكمة ورمى به إلى وسط القاعة. شهد بارتين لصالح الحكومة، ثم بدأ الدفاع باستجواب بارتين. استمر الاستجواب ما يقرب من خمسة أيام، وبدلاً من الانهيار، أصبح بارتين أقوى مع مرور كل يوم. في إحدى المرات اتهم محامي الدفاع بارتين بأن أحداً ما لقّنه شهادته وتدريبه عليها، فرد بارتين: «لو كنت قد تدرّبت، لكنت سمعت أكثر بكثير مما

سمعت. لقد نسيت بعض الأشياء».

في إحدى الليالي في وقت مبكر من يوم إدلاء بارتين بشهادته، أطلقت النار على منزل باتون روج وكيل أعمال بارتين وصديقه المخلص.

في فترات الاستراحة التي تخللت شهادة بارتين، بدأ جيمي هوفاً بإلقاء الشتائم البذيئة بصوت عالٍ على والتر شيريدان كلما تصادف أن قابله في القاعة. في إحدى المرات، قام هوفاً بإبداء ملاحظة غريبة على شيريدان، بأنه سمع أن شيريدان مصاب بالسرطان (وهذا غير صحيح) وتساءل: «كم من الوقت سيعيش؟» في مناسبة أخرى قال هوفاً لشريدان: «ليس لديك ذرة من الشجاعة». ثم بدأ يصرخ في وجه محاميه علناً. أفاد الصحفيون الذين شاهدوا التوبيخ الذي تعرض له محامي الدفاع أنهم سمعوا تعليقات مثل: «أنا لا أهتم إذا كان عليك البقاء مستيقظاً طوال الليل». هذه المعاملة التي تعرض لها المحامون على يد هوفاً حرّضت محامي دفاع واحد على الأقل على أن يرفع صوته في كثير من الأحيان على قاضي المحاكمة، إلى حد أنه احتُجَزَ بتهمة ازدراء المحكمة. في إحدى فترات الاستراحة قال جيمي هوفاً للمدعي العام، جيمس نيل: «سألاحقك لبقية حياتك يا نيل. لن تبقى في الحكومة إلى الأبد». بعد أن أنهى بارتين الشهادة، اعتلى جيمي هوفاً المنصة وكان في هذه المرة خائفاً على غير عادته. لم يكن يعرف ما إذا كانت لدى الحكومة تسجيلات موثقة لأي شيء قاله لبارتين في ناشفيل. في الواقع، كان مقتنعاً بأن لدى الحكومة مثل هذه الأشرطة. نتيجة لقناعاته، لم يتمكن من إنكار

العديد من الأشياء التي قيلت ضده مباشرة. تهَرَّب من الإجابة وحاول شرح التعليقات بدلاً من إنكارها بشكل قاطع. لسوء حظ هوبا، كانت هذه التعليقات حول وقائع فعلية لرشوة هيئات المحلفين، والتي ثبت أنها تزامنت مع شهادة المحلفين الذين تمت رشوتهم. لا يمكن لأي قدر من التفسير أن يساعده. التفسير الوحيد الذي كان ليقدمه لإرضاء هيئة المحلفين كان إنكاراً لا لبس فيه في أن يكون قد أدلى بمثل هذه التعليقات إلى أشخاص من أمثال إدوارد غراي بارتين. لكن خوف هوبا من التتصت الإلكتروني أبعد هذا الخيار عنه. لم يكن أداء هوبا على منصة الشهود في شاتانوغا موفقاً، لم يكن ذلك في صالح جيمي هوبا.

كان باقي حجج الدفاع أضعف. كان واضحاً أن هوبا ومحاميه لم يكونا مستعدين لهذه القنبلة المفاجئة المتمثلة بظهور الشاهد. شهد فرانك فيتزسيمونز لصالح هوبا بأنه أرسل وكيل الأعمال الأسود لاري كامبل إلى ناشفيل للقيام ببعض التنظيمات النقابية. كانت هذه شهادة ضعيفة تشير إلى أن كامبل لم يكن هناك لغرض رشوة هيئة المحلفين. بطريقة ما كان الهدف منها دحض شهادة بارتين التي ذكر فيها أن هوبا قال: «لقد سيطرت على المحلف الملون وأصبح في جيبي الصغير. جاء أحد وكلاء أعمالي، لاري كامبل، إلى ناشفيل قبل المحاكمة واعتنى بالأمر».

تم استدعاء شاهد دفاع آخر ليقول إن إدوارد غراي بارتين كان مدمن مخدرات. على الرغم من ضعف تلك الأقوال للوهلة الأولى، فقد خدمت الادعاء كثيراً من خلال السماح للحكومة

بتفنيدها، وقد قام الادعاء بتقييم حالة بارتين من قبل اثنتين من خبراء المخدرات، وهم من الأطباء الذين يعالجون المدمنين، والذين قدموا إلى المحكمة ليشهدوا أنه لم يكن هناك أي دليل على أن بارتين كان آنذاك مدمناً على المخدرات أو أنه تعاطاها في حياته.

في حالة من اليأس، وفي حالة من الهيجان، قدم الدفاع طلباً للحكم ببطلان الدعوى، متهمًا الحكومة باستخدام عمليات التجسس الإلكترونية وغير الإلكترونية ضد فريق الدفاع. دُعم الطلب بشهادات خطية من خبراء في المراقبة الإلكترونية وصور فوتوغرافية للمراقبة المزعومة لمكتب التحقيقات الفدرالي. كانت هناك صورة واحدة فقط يظهر فيها عميل لمكتب التحقيقات الفدرالي، وحدث أنه كان ماراً بسيارته مصادفة. كانت جميع الصور الأخرى لمواطنين عاديين في تشاتانوغا يلتقطون صوراً للمدعى عليهم المشهورين. خلال النقاش حول الاقتراح، تحدى أحد محامي الدفاع، وهو جاك شيفر، المدعي العام جيمس نيل للدخول في مواجهة. قال شيفر: «لا تقل ذلك مرة أخرى ما لم تدعمه بالأدلة. سوف أقابلك في أي مكان مع أي دليل. سنرى من يتحول وجهه إلى اللون الأصفر أولاً». في نهاية المطاف، حكم القاضي بأن طلب بطلان الدعوى بناء على المراقبة المزعومة لفريق الدفاع من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي كان «من دون أي أساس».

بعد ذلك قدم الدفاع طلباً خطياً لإبطال الدعوى، مدعياً أن هيئة المحلفين قد سمعت عَرَضاً محامي الدفاع نفسه، جاك

شيفر، يجادل بصوت عالٍ في نقطة قانونية وأنه قد تم سماع بعض المحلفين عَرَضًا وهم ينتقدون تكتيكات شيفر الصاخبة والعدوانية. في وقت وقوع الحادث المزعوم، عُزلت هيئة المحلفين في غرفة هيئة المحلفين ولم يكن مسموحًا لها بالاستماع إلى الجدلّات القانونية الجارية في قاعة المحكمة. لكن بالنسبة إلى حجة صوت محامي الدفاع المرتفع، لم تكن هيئة المحلفين قد سمعت أي شيء قاله شيفر. دعمًا لطلبه، زعم الدفاع أن محامي الدفاع فرانك راغانو، في ذروة خطبة شيفر المدوية، غادر طاولة المحامين وعاد إلى باب غرفة المحلفين للاستماع وهو وسط هيئة المحلفين ليتأكد مما إذا كان بإمكانهم سماع الحجج التي قدمها شيفر. أشار القاضي وهو غير مصدق ما يُقال إلى راغانو بأن ما فعله هو انتهاك لحرمة غرفة المحلفين وأنه بدلاً من تليفيق أدلة على سوء المحاكمة كان عليه أن يطلب من مساعده أن يهدأ، كما طلب القاضي منه أن يفعل طوال المحاكمة.

ثم خاطب المدعي الحكومي جيمس نيل في كلمته الختامية هيئة المحلفين قائلاً إن ما حدث في ناشفيل كان «واحدة من أكبر الاعتداءات على نظام هيئة المحلفين عرفته البشرية». أما فيما يتعلق بصديق شاهده الشهير، فقد أخبر نيل بإيجاز هيئة المحلفين: «إن السبب الذي يجعل الحكومة تقول إن بارتين يقول الحقيقة هو أنها تحققت من الأمر واكتشفت أن كل ما قاله كان يحدث، وما قال إنه سيحدث قد حدث بالفعل».

وصف جيمس هاغرتي، المحامي الرئيسي لجيمي هوفّا، كل ذلك بأنه «مكيدة قذرة وبذيئة». ثم لعب هاغرتي ببطاقة بوبي.

من خلال ذكر بوبي كينيدي واختيار كلماته التي تعيد إلى الأذهان فترة العبودية في أمريكا، سعى هاغرتي إلى دفع الجنوبيين للتحامل ضد بوبي كينيدي لقيامه باستثناء وزارة العدل تمامًا من عملية اندماج السود فيها ودعم ثورة مارتن لوثر كينغ. اتهم هاغرتي الرجل الجالس في الجزء الخلفي من قاعة المحكمة، والتر شيريدان، وهو رجل لم يشهد في المحاكمة، بأنه: «مهندس المخطط الشيطاني» ضد جيمي هوفّا وبكونه «خادم سيده روبرت كينيدي».

هاجمت مذكرة الدفاع التالية روبرت كينيدي و «ذراعه اليمنى والتر شيريدان».

لم يتم إغواء هيئة المحلفين بعيداً عن الحقيقة. حُكم على ألن دورمان، مقاتل المارينز المخضرم في الحرب في المحيط الهادئ، الذي كان دوره في قضية رشوة هيئة المحلفين لا يكاد يذكر، بأنه غير مذنب. تمت إدانة جيمي هوفّا وثلاثة آخرين ممن قدموا عروض هوفّا. في محاكمتين منفصلتين، تم الحكم على رجلين آخرين تصرفاً نيابة عن هوفّا بأنهما مذنبان.

في الحكم الصادر في 12 مارس 1964، تم الحكم على محامي الدفاع جاك شيفر بالسجن سنتين يومًا بتهمة ازدراء المحكمة. تلقى المحامي فرانك راغانو توبيخًا علنيًا للوقوف خارج باب غرفة المحلفين ووضع أذنه على الباب للاستماع إلى ما يدور داخلها.

وحصل المتهمون الثلاثة المدانون مع هوفّا في محاكمته على حكم بالسجن لثلاث سنوات لكل واحد منهم. عند إصدار الحكم

في إحدى المحاكمات المنفصلة، حصل وسيط هوفبا مع هيئة المحلفين على حكم بالسجن لخمس سنوات. عند إصدار الحكم في المحاكمة المنفصلة الأخرى، حصل محامي ناشفيل، تومي أوزبورن -الذي تجاوز حدوده في قضية رشوة هيئة المحلفين التي اتهم فيها موكله جيمي هوفبا- على حكم بالسجن لثلاث سنوات ونصف.

حكم على جيمي هوفبا، مهندس كل شيء والشخص الوحيد الذي كان بإمكانه الاستفادة من كل ذلك، بالسجن مدة ثماني سنوات.

قال القاضي فرانك دبليو ويلسون، عند النطق بالحكم: «سيد هوفبا، قررت هذه المحكمة... أنك تصرفت في قضية رشوة هيئة المحلفين التي تمت إدانتك بها... عن سابق دراية، وتصرفت بشكل غير نزيه حتى بعد أن أبلغك قاضي المحاكمة بمعلوماته فيما يتعلق بمحاولة مزعومة لرشوة محلف، ولذا فإنه من الصعب على المحكمة أن تتخيل في ظل هذه الظروف أن يوجد انتهاك أكثر تعمدًا للقانون. معظم المتهمين الذين يمثلون أمام هذه المحكمة لإصدار الحكم... إما يكونون قد انتهكوا حقوق الملكية لأفراد آخرين وإما انتهكوا الحقوق الشخصية لأفراد آخرين.

أنت تقف هنا مدانًا بقيامك في الواقع، برشوة روح هذه الأمة».

## الفصل العشرون

### مجموعة جيمي هوبا الكوميدية

لم يكن قتل بارتين في مصلحتهم. كانوا بحاجة له حيًا. كان عليه أن يكون قادرًا على توقيع إفادة خطية. لقد كانوا بحاجة إليه ليقسم أن كل الأشياء التي قالها ضد جيمي في المحاكمة كانت أكاذيب حصل عليها من نص تم تزويده به من قبل رجال بوبي كينيدي في لجنة التحقيقات. كان على بارتين أن يقول إنه فعل كل هذا لأنه كانت عليه تهم بالاختطاف وليس لأن جيمي قد هدد بقتل بوبي. كانت تلك أفضل فرصة لجيمي للإفلات من قضية رشوة هيئة المحلفين. عرف بارتين أنه لن يقوم أحد بقتله ما دام أنهم بحاجة إليه. أعطى بارتين محامي جيمي إقرارات غير مجدية ولم تكن ذات فائدة. في النهاية، لم يتمكنوا قط من جعله يقول أنه افترى على جيمي هوبا. لم يستفد محامو هوبا منه شيئًا بخصوص ادعائه الافتراء؛ ما دعاهم إلى أن يخاطبوه قائلين: «بارتين، يا ولدنا العزيز، هل تريد الرقص في محكمة تشاتانوغا؟»

السبب الآخر لحاجة هوبا إلى أن يبقى بارتين على قيد الحياة لسنوات عديدة قادمة كان يتعلق بفرص هوبا للمثول في المستقبل أمام لجنة الإفراج المشروط أو للحصول على عفو رئاسي. كتب جيمي هوبا في سيرته الذاتية، أنه في 27 مارس 1971، أعطى بارتين محاميه إفادة تضمنت «اعترافًا من تسع وعشرين صفحة». من الواضح لأي شخص يفهم هذه الأشياء

وبناء على كتاب «هوبا» فحسب أن يدرك أنه لم يكن «اعترافاً» بأي افتراء من قبل بارتين والحكومة على هوبا. أضف إلى ذلك، أيًا كان الأمر، فقد قُدمت الشهادة مقابل تأمين محامي هوبا صفقة تجارية مربحة محتملة لبارتين مع أودي مورفي، الممثل السينمائي و«بطل الحرب العالمية الثانية».

ولكون مورفي كان لا يزال يعاني من كوابيس الحرب، فقد عاش أوقاتاً عصيبة. كان قد أشهر إفلاسه في عام 1968 وتمت تبرئته من اتهام بالاعتداء بنية القتل في عام 1970. ومع ذلك، بالنسبة إلى شخص جنوبي أسود مثل بارتين، كان ذلك الجندي وبطل الحرب من ولاية تينيسي نجماً لامعاً. كتب هوبا بوقاحة أنه من أجل التوصل إلى صفقة مربحة بين أودي ميرفي وبارتين كانت هناك حاجة إلى خدمة غير محددة من جيمي هوبا. كتب هوبا أنه بعد فترة وجيزة من تقديم تلك الإفادة: «أخذها السناتور جورج ميرفي [وهو عضو الحزب الجمهوري من كاليفورنيا والممثل السينمائي السابق] شخصياً إلى المدعي العام جون ميتشل، وقام أودي ميرفي بتقديمها إلى الرئيس نيكسون». لم أقابل قط أودي ميرفي، لا مع جيمي ولا في أيام القتال خارج البلاد. كنا في نفس مسرح العمليات هناك ولكن في فرقتين مختلفتين. لقد أصبح يشرب الكحول بشراهة بعد الحرب مثلي. سمعت أن لديه عملاً مع جيمي، لكنني لم أكن أعرف أي نوع من الأعمال. توفي في حادث تحطم طائرة صغيرة. كان جيمي يعمل في مجال صناعة الفحم لبعض الوقت، ولكن لا أعتقد أن أودي ميرفي كان يعمل في ذلك المجال.

وفي الوقت نفسه، في ربيع عام 1964 في فيلادلفيا، هدد المتمردون في مجموعة «ذا فويس» بمقاضاة النقابة الوطنية إذا تم إنفاق المزيد من الأموال على الرسوم القانونية لجيمي. وقد تم إنفاق أكثر من مليون دولار بالفعل على محاكمة تشاتانوغا الخاصة برشوة هيئة المحلفين. وحينها كانت محاكمة شيكاغو بخصوص قضية سان فالي على وشك أن تبدأ. سيكون هناك بالتأكيد الكثير من الرسوم والنفقات لتلك القضية حيث أن كل شيء فيها كان مهددًا بالضيااع. قام جيمي بحجز طابق كامل في فندق شيرمان هاوس في شيكاغو، وكان لديه طاهٍ بدوام كامل متأهب للطهي للجميع. كان من المقرر أن تستمر محاكمة شيكاغو لأشهر عدة. كان لديه نصف فصيل من المحامين. لم يكن أي من هذا مجانيًا. كل هذا كان لا بد من دفع ثمنه.

أخبر جيمي المجلس التنفيذي للنقابة الوطنية أن لا داعي للقلق من مجموعة «ذا فويس». وقال إن محامي النقابة، إدوارد بينيت ويليامز، أخبره أن تسديد فواتير الرسوم القانونية هي عملية حسائية خاصة بالنقابة وقانونية تمامًا. كان إدوارد بينيت ويليامز هو المحامي الذي استخدمه جيمي في المحاكمة في واشنطن بسبب محاولته رشوة محقق لجنة ماكليان، وهو الذي أحضر جو لويس إلى قاعة المحكمة وأرسل إلى بوبي كينيدي لعبة على شكل مظلة عندما كسبوا القضية. منح جيمي المحامي إدوارد بينيت ويليامز صفقة تجارية مع نقابة سائقي الشاحنات كمكافأة لما فعله في المحاكمة، وكان يتصور أن ويليامز سيقنتع بذلك. حقق مسؤولو النقابة الوطنية مع ويليامز، وأخبرهم أنه لم

يقل أي شيء من هذا القبيل إلى جيمي، وأن عملية دفع الفواتير التي جرت عندما أدين جيمي لم تكن قانونية بموجب دستور النقابة.

ما أعرفه هو أنني أتلقى تعويضاً عندما يوجه لي الاتهام في قضية ما، لكنني أدفع فواتيري عندما أخسرهما. أقول إن شخصاً ما سيحصل على اللب وسأحصل أنا على القشور. لقد جمعت مبلغاً لا بأس به من الأموال الخاصة للمساعدة في دفع الرسوم والنفقات القانونية المتعلقة بهاتين القضيتين اللتين خسرتهما. ولكن في النهاية تظل تشعر بأنك فقدت شيئاً ما عندما تخسر. بدأت المحاكمة في شيكاغو بعد نحو شهر من الحكم على جيمي بقضاء ثماني سنوات في السجن في محاكمة تشاتانوغا. تصادف أن أكون في شيكاغو وأحضر جزءاً من تلك المحاكمة، وتوقفت وانتظرت في الردهة في أثناء الاستراحة. تمنيت لو أن جيمي حالفه الحظ ورأى ذلك الحشد الكبير من الناس الذين حضروا، ومعظمهم من نقابة سائقي الشاحنات، ولا توجد بينهم شخصيات من المافيا، ولا حتى جوي جليمكو، والذي كان عضواً في نقابة سائقي الشاحنات أيضاً. لقد تحدثت مع بارني بيكر. الذي كان طوله يبلغ 201 سنتيمتر وكان يزن نحو 350 رطلاً. وكان يأكل بشراسة. صدق أو لا تصدق أنه كان يلعب الملاكمة في وزن المتوسط. كان من المفترض أن تكون له علاقة بإحضار جو لويس إلى تلك المحاكمة في واشنطن. وقد أحبه جيمي. وكان يتاجر بربطات العنق. كان لديه الكثير من ربطات العنق للبيع طوال الوقت. كان بارني ذكياً وماهراً جداً. وكان مستعداً لتقديم

المساعدة. كان يمتلك عضلات قوية. وقد تم التحقيق معه في لجنة تقرير وارن لأنهم تتبعوا بعضًا من المكالمات التي جرت بينه وبين جاك روبي قبل بضعة أيام من حادثة دالاس.

كان بيل بوفالينو يحضر المحاكمة كمتفرج، وكان فرانك راغانو هناك يمثل أحد المدعى عليهم. لم يكن جيمي يستمع عادة للمحامين. أخبرهم جيمي بما يريد القيام به. وكان لدى جيمي ذاكرة جيدة. كان بإمكانه إخبار المحامين بما قاله الشهود قبل أسبوعين أفضل مما يمكن للمحامين أن يذكروه اعتمادًا على دفاتر ملاحظاتهم. إذا أخبر المحامي جيمي بشيء لم يرغب في سماعه، فسيقول: «حسنًا، عليك أن تصحح الأمر». ولكن في الردهة بدا لي وكأنه يفعل أكثر من مجرد الاستماع.

طلب مني جيمي مقابلته مرة أخرى في مكتب النقابة. أخبرني جيمي بصراحة في مكتب شيكاغو أن أقول لأصدقائنا في مدن الساحل الشرقي مرة أخرى أنه لا ينبغي أن يحدث شيء لبارتين. أخبرني جيمي بأنه كان لديه محامو دفاع جيدون في قضية شيكاغو، وكانوا لا يزالون يعملون مع بارتين ليقدم إفادة خطية في قضية تشاتانوغا.

إلى جانب ذلك، كان لديهم عضو في الكونغرس في شيكاغو يدعى رولاند ليبونتي. لم أقابل الرجل قط، لكنني سمعت عنه. كان مع سام جيانكانا. في وقت لاحق ظهر في الصحف أن صهر جيكانكانا، أنتوني تيسي، كان مدرجًا في كشوفات رواتب ليبونتي في الكونغرس. طلبوا من ليبونتي تمرير قرار في الكونغرس يطلب إجراء تحقيقات مع بوبي كينيدي. كانت الفكرة أن بوبي

كينيدي انتهك الحقوق الدستورية لجيمي هوفّا عن طريق التتصّت والمراقبة غير القانونية، وزرع بارتين في غرفهم في فندق أندرو جاكسون في ناشفيل. كان جيمي يتطلّع إلى قلب الطاولة على بوبي وجعله يلجأ إلى التعديل الخامس في جلسة الاستماع. ادعى جيمي أن لديه أشرطة يظهر فيها بوبي كينيدي ومارلين مونرو في مشاهد قذرة. وضع جوني روسيلي وجيانكانا أجهزة تتصّت في منزل مارلين مونرو. لم يطلّني جيمي قط على الأشرطة، ولكنّ لديّ انطباع أنه كان يخطط لعرضها، ربما خلال جلسات الاستماع في الكونجرس إذا كان لديهم وقت.

غادرت شيكاغو وعدت إلى أجواء المرح والتسلية في فيلاديلفيا، وتبادل الأحاديث مع أصدقائنا حول بارتين. كانت لا تزال لدينا في الفرع المحلي 107 معارك مع المتمردين ومع الجماعات الأخرى من الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية. كان لدينا حانة في جادة ديلاوير حيث كنا نحفظ فيها بقمصاننا لنغيرها فيها إن احتجنا إلى ذلك. فحين كان رجال الشرطة يبحثون عن رجل يرتدي قميصاً أخضر، كنت أجلس في الحانة مرتدياً قميصاً أزرق. وحين يأتي الشرطي سأظهر له فاتورة مشروبات في الحانة. وهذا دليل على أنني كنت جالساً فيها طوال اليوم، مع أنه يمكنني شرب الكثير في ساعة واحدة. بدأت محاكمة شيكاغو لجيمي هوفّا وسبعة متهمين آخرين في 27 أبريل 1964، بعد خمسة أسابيع من حكم هوفّا بالسجن لمدة ثماني سنوات شاقة في محكمة تشاتانوفا. وكما حدث في تشاتانوفا، تم الاحتفاظ بهويات المحلفين المحتملين في

مجموعة هيئة المحلفين حتى لا يعرفهم كلا الجانبين حتى صباح اختيار هيئة المحلفين.

جرت عملية اختيار المحلفين دون وقوع حوادث، وشرعت الحكومة في تقديم ملف قضية الاحتيال على صندوق المعاشات التقاعدية، والذي نتج عن ثلاثة عشر أسبوعاً مضياً من الشهادات الحية وتقديم أكثر من 15000 وثيقة إلى هيئة المحلفين للنظر فيها. كانت قضية اتحادية بكل معنى العبارة.

تركزت قضية الاحتيال في صندوق المعاشات التقاعدية على عملية إصلاح عدد من الأراضي في ولاية فلوريدا كان من المفترض أن تتحول إلى مبانٍ سكنية يملكها أعضاء نقابة سائقي الشاحنات الراغبين في الاستثمار فيها شخصياً، عن طريق شراء الكثير من قطع الأراضي، وتشييد مبانٍ يسكن فيها المتقاعدون أو لتمضية العطلات. كان من المقرر أن تعرف تلك الأراضي باسم قرية سان فالي. وعلى الرغم من بيع الكثير من قطع الأراضي إلى أعضاء نقابة سائقي الشاحنات، بمن فيهم جيمي هوف، لم يتم إصلاح الأراضي من قبل المقاول الذي توفي بعد مدة. أعلن عن إفلاس المشروع، وأصبحت القطع غير المستصلحة عديمة القيمة.

لسوء حظ جيمي هوف، أنه قام قبل إفلاس شركة سان فالي في عام 1958، بإعطاء الإذن بإيداع مبلغ أربعمئة ألف دولار في حساب من دون فوائد في أحد بنوك فلوريدا كضمان للحصول على قرض لصالح مقاول مشروع سان فالي لغرض تشييد طرق معبدة وتوفير الخدمات. أخذ جيمي هوف مبلغ الأربعمئة ألف

دولار الذي تعهد به مباشرة من صندوق التقاعد في فرع نقابته المحلي في ديترويت. عندما أشهرت شركة سان فالي إفلاسها، احتفظ البنك بمبلغ الأربعمئة ألف دولار كضمان. لكي يسترد هوفاً مبلغ الأربعمئة ألف دولار، كان عليه أن يدفع ما مجموعه خمسمئة ألف دولار، والتي كان مقاول المشروع يدين بها للبنك عند وفاته.

من أجل جمع مبلغ نصف المليون دولار المطلوب منه، أسرف هوفاً وفقاً لأقوال للحكومة، في منح القروض من أموال صندوق التقاعد بين عامي 1958 و1960. بدأ هوفاً والمدعى عليهم السبعة بإقراض الأموال ذات اليمين وذات الشمال على مشاريع المضاربة، ومحطات الشحن ورسوم السمسرة، وتحويل جزء من تلك الأموال إلى هوفاً لتسديد قروض بنك فلوريدا. بحلول عام 1960، أنجزت المهمة ولم يدفع هوفاً إلى مصرف فلوريدا فقط، بل دفع للفرع المحلي 299 مبلغ 42000 دولار كفايدة ضائعة عندما سدد مبلغ 400000 دولار لصندوق التقاعد المحلي.

وقد ادعت الحكومة أن ما حوّل كل هذا إلى عملية احتيال هو حقيقة أن جيمي هوفاً سعى شخصياً إلى الربح في حين شجع نقابة سائقي الشاحنات على الاستثمار في قطع أراضي قرية سان فالي. وأنه سعى شخصياً إلى الربح بينما تعهد بأموال صندوق تقاعد الفرع المحلي 299. وأنه سعى شخصياً للربح بينما كان يندفع بقوة نحو صندوق تقاعد الولايات المركزي لاستخراج ما يكفي من المال لتسديد مبلغ الفرع المحلي 299. ادعت الحكومة أن دافع هوفاً الشخصي للربح كان وارداً في وثيقة وقعها. وادعت

الحكومة أن جيمي هوبا قد وقع اتفاقاً ائتمانياً سرّياً مع المقاول يحصل هوبا بموجبيه على 22 في المئة من جميع أرباح التطوير بمجرد الانتهاء من تطوير المشروع بالكامل.

كان دفاع جيمي هوبا بسيطاً: كان ينكر أن التوقيع هو توقيعه. مات المقاول ولم يتمكن من الشهادة بأن التوقيع الموجود في ذلك الاتفاق يعود إلى هوبا. كان أوين بيرت برينان شريك جيمي هوبا ميتاً، ولم يتمكن من الشهادة بأن التوقيع كان لهوبا. ربما وقع بيرت برينان باسم هوبا ليحتفظ بتلك الأرباح البالغة 22 في المئة الإضافية لنفسه. ربما وقع المقاول باسم هوبا لكسب المصداقية أمام المستثمرين الآخرين من خلال الزعم بأن هوبا، بقوة صندوق التقاعد الخاص به، كان وراء المشروع.

وكشفت الحكومة أن تحركات هوبا النشطة بين عامي 1958 و1960 للحصول على المال لدفعه للبنك شمل أشياء مثل دفع رشوة بقيمة 330 ألف دولار للحصول على قرض بقيمة 3.3 مليون دولار لبناء فندق إيفرغليدز في ميامي. وفي تحرك آخر، تم دفع مبلغ 650,000 دولار لشركة بلاك للإنشاءات. لم تكن هناك شركة إنشاءات بهذا الاسم. كان سيسيل بلاك عاملاً يستلم مبلغ 125 دولاراً في الأسبوع، ولم يَرَقْ قط سنتاً واحداً من ذلك المال. ما جعل قضية شيكاغو هذه تثير غضب جيمي هوبا على وجه الخصوص هو أن كل النشاط المزعوم أنه قام به بين عامي 1958 و1960 قد تم في إطار ما اعتبره دفاعاً عن النفس. كل هذا التحرك لسداد أموال فرع ديترويت المحلي كان نتيجة مباشرة للحماس الشديد الذي تعامل به بوبي كينيدي مع الموضوع خلال

جلسات استماع لجنة ماكيلان والانطباع السلبي الذي خلقه كينيدي على ذلك المبلغ الذي قدره أربعمئة ألف دولار، والذي لم تحتسب عليه فائدة. كان الشاهد الرئيسي في محاكمة شيكاغو ضد جيمي هوفاً خبيراً في خطوط اليد من مكتب التحقيقات الفدرالي وشهد أن توقيع «جي. آر. هوفاً» الموجود في الاتفاق الائتماني كان يتوافق مع نماذج معروفة لخط يد جيمي هوفاً.

انتهت الحكومة من عرض قضيتها وتوجه جيمي هوفاً إلى المنصة. كما هو متوقع، نفى هوفاً أن ذلك التوقيع في الاتفاق الائتماني كان توقيعاً. أما ما لم يكن متوقعاً ذهب هوفاً خطوة أخرى إلى الأمام ونفيه أن يكون قد وقع في حياته وثيقة قانونية تحت اسم «جي. آر. هوفاً»، أقسم جيمي هوفاً أنه كان يوقع دائماً على جميع الوثائق القانونية تحت اسم «جيمس آر. هوفاً».

على الرغم من أن الطرف الحكومي لم يكن لديه شاهد تستدعيه بشكل مفاجئ، بدأ ممثلوه ينقبون في أكوام من الوثائق الخاصة بهم علّهم يعثرون على وجه السرعة على وثيقة تتفهم. عند الاستجواب، سئل جيمي هوفاً عما إذا كان قد استأجر شقة في الطابق الأعلى في مبنى بليز هاوس في ميامي بيتش. أجاب هوفاً بالإيجاب واثقاً من أن ذلك الإيجار يمكن تبريره كنفقات نقابية مناسبة. عندما سئل عما إذا كان قد وقع شخصياً عقد الإيجار، قال هوفاً إنه فعل ذلك. حينها، طلب المدعي العام من هوفاً المصادقة على التوقيع وقام بتسليم عقد الإيجار إلى هوفاً. ما أثار ارتباك جيمي هوفاً بشكل كامل، هو أنه وقع عقد الإيجار تحت اسم «جي. آر. هوفاً».

وصف والتر شيريدان موضوع قضية شيكاغو ضد جيمي هوفاً بشكل مختصر ودقيق: «كان هوفاً يستخدم الأموال المخصصة لمعاشات تقاعد أعضاء نقابة سائقي الشاحنات ليتخلص من الوضع الذي وجد نفسه فيه حين أساء استخدام الأموال التي تعود إلى أعضاء نقابة سائقي الشاحنات لمصلحته الخاصة». استطاع جيمي هوفاً من خلال الأعباء الحسابية من سرقة أربع مئة ألف دولار من إخوته في النقابة، ولإعادتها قبل أن تصبح مشكلة قانونية، قام بسرقة خمسمئة ألف دولار أخرى من نفس الإخوة النقابيين.

في 26 يوليو 1964، وجدت هيئة المحلفين على الفور أن جيمي هوفاً وأتباعه السبعة مذنبون بتهمة الاحتيال على صندوق التقاعد. في 17 أغسطس 1964، حُكم على جيمي هوفاً بالسجن خمس سنوات إضافية يقضيها بشكل متواصل مع عقوبة ثماني السنوات التي قضاها في تشاتانوغا.

أصبح الحكم الإجمالي هو ثلاثة عشر عاماً تعيسة سيقضيها جيمي هوفاً في سجن فدرالي. تبعه بعد ذلك بأسبوع، في 25 أغسطس 1964، خبر استقالة بوبي كينيدي كمدعٍ عام وإعلانه أنه سيخوض انتخابات مجلس الشيوخ الأمريكي من نيويورك. استقال والتر شيريدان من وزارة العدل للمساعدة في إدارة حملة بوبي كينيدي.

لقد اعتدت على أن ترى جيمي منتصراً، كان من الصعب تصويره وهو يهزم مرة بعد أخرى على يد بوبي. كنت تعرف أنه لن يتقبل الأمر.

ومع ذلك، فإن الطريقة التي خاض بها المحاكمة الأولى في تينيسي تحولت من محاكمة ذات عقوبة خفيفة إلى حكم بقضاء وقت طويل في السجن. استمر في اللجوء إلى النقود لرشوة هيئة المحلفين على الرغم من القبض عليه. كان الأمر كما لو أن الكنغر استمر في ضرب مؤخرة رأسه ولم يمسك به واستمر في السير في طريقه.

شكك بعض أصدقائنا في الحكم الذي صدر بحق جيمي، وبدؤوا يصرخون مطلقين كلمات بذيئة نحو ذلك الرجل الذي كان بالكاد يعرفه، إد بارتين. في عالمنا، يجب أن تحتفظ بمشاعرك في داخلك إذا كنت تريد أن تكون موضع ثقة. ولا تريد أن تفقد احترام الناس لك.

سمعت لاحقًا من هارولد جيبونز أنه بعد الذي حدث في شيكاغو، كان جيمي حريصًا على توقيع كل شيء تحت اسم «جيمس ر. هوف».

في وقت إعلان ترشحه لمجلس الشيوخ الأمريكي، أمضى بوبي كينيدي ثلاث سنوات ونصف في استهداف هوف ونقابة سائقي الشاحنات. وقد أسفرت جهود بوبي كينيدي عن اتهام 201 من مسؤولي النقابة وإدانة 126 منهم.

بفضل بوبي كينيدي، أصبح رجال العصابات في كل مكان محط أنظار ورقابة الرأي العام، فلم يعد بإمكانهم التجمع معًا في مطعم عام من دون أن يتعرضوا لمداهمة. في 22 سبتمبر 1966، ألقت الشرطة القبض على مجموعة من رجال العصابات من جميع أنحاء البلاد وهم متجمعون حول طاولة ملؤها بالكامل

وهم يتناولون طعام الغداء في مطعم لا ستيل في حي فورست هيلز في مدينة كوينز في ولاية نيويورك. كان من ضمن المجموعة التي تم القبض عليها ومضايقتها وإطلاق سراحها دون اتهامات كارلوس مارسيلو، وسانتو ترافيكانتى، وجو كولومبو، وكارلو جامبينو. وبعد ذلك بشهر وفي لفترة تحدّ، عقدت نفس المجموعة اجتماعاً آخر في لا ستيل، ولكن هذه المرة أحضروا محاميهم، فرانك راغانو، معهم.

حددت حملة بوبي كينيدي ضد الجريمة المنظمة، وخاصة المنهجية التي ابتكرها، جمع المعلومات الاستخباراتية، والتركيز على الأهداف، وعقد الصفقات مع المخبرين، واستخدام المراقبة الإلكترونية المعقدة، والإصرار على تجميع المعلومات من قبل الوكالات الحكومية المتباينة والمتنافسة في الغالب، مرحلة لكل إجراء اتخذته الحكومة الفدرالية ضد الجريمة المنظمة منذ ذلك الحين. واليوم لم يعد أحد يشكك في وجود الجريمة المنظمة أو التزام الحكومة الفدرالية ومكتب التحقيقات الفدرالي بالقضاء عليها. واليوم أيضاً، وبفضل بوبي كينيدي، بات بالكاد يُنظر إلى الجريمة المنظمة على أنها مشكلة للشرطة المحلية فحسب. قد يكون الرأس مقطوعاً، لكن الكلب لم يمض قطّ. كان الضرر الذي ألحقه بوبي كينيدي بقوة الجريمة المنظمة ورجال العصابات في نقابة سائقي الشاحنات غير قابل للإصلاح.

لم يكن جيمي هوفما يهتم كثيراً بالمال. كان ينفقه بلا حساب. لكنه أحب السلطة. وسواء تم سجنه أو لا، فلم يكن على وشك التخلي عن تلك السلطة. في المقام الأول، كان سيفعل كل ما

بوسعه لأن يمنع ذهابه إلى السجن. إذا ذهب إلى السجن فيبقى يحكم من السجن بينما كان يفعل كل ما يلزم للخروج منه. بمجرد أن يخرج من السجن، سيعيد السيطرة على كل شيء. وكنت سأساعده.

في عام 1965 قام الدفاع بتقديم طلب لإجراء محاكمة جديدة في تشاتانوغا على أساس أن المحلفين في تلك المحاكمة كانوا يمارسون الجنس مع البغايا. زعم مقدمو الطلب أن البغايا تمت تهيئتهن وجلبهن من قبل رجال الشرطة الفدرالية كإغراء للمحلفين ليقفوا إلى جانب الحكومة. وقد أرفقت مع الطلب شهادات خطية لأربع عاهرات من تشاتانوغا. زعمت إحداهن، وكانت تدعى ماري مونداي، أن القاضي في محاكمة تشاتانوغا أخبرها بأنه كان مصممًا على «أن ينال من هوبا». يمكن للمرء أن يتخيل فقط كمية الضحك الذي أحدثته هذه «التحسينات» القانونية في قاعات العدالة المقدسة في تشاتانوغا. ضحك القاضي من الطلب بعد أن خرج من المحكمة. وقامت الحكومة بمحاكمة إحدى البغايا وأدانتها بشهادة زور. عندها، سحبت ماري مونداي على الفور إفادتها الخطية.

خلال مؤتمر نقابة سائقي الشاحنات الذي عقد في ميامي بيتش في يوليو 1966، قام جيمي هوبا بتعديل النظام الداخلي للنقابة لإنشاء منصب جديد هو منصب نائب الرئيس العام. كان من يتولى هذا المنصب يمتلك كل الصلاحيات اللازمة لإدارة النقابة في حال ذهاب الرئيس إلى السجن. قام هوبا بتصيب من كان يتصوره لعبة في يديه، وهو فرانك فيتزسيمونز، كنائب

رئيس جديد. ومنح لنفسه زيادة في الراتب من 75000 دولار سنوياً إلى 100000 دولار سنوياً، وهو نفس الراتب الذي كان يحصل عليه رئيس الولايات المتحدة. كان راتب هوفاً فقط يسري عليه البند الذي ينص على الاستمرار في دفع الراتب لرئيس النقابة في حالة دخوله إلى السجن.

وُضِّح للمندوبين السبب الذي يجعل هوفاً يستمر في تلقي أجره في أثناء وجوده في السجن وهو أن السجن هو ما يعادل السفر لفترة راحة للحفاظ على صحة هوفاً، وهو ما يشبه المصاريف التي تدفع في رحلات الصيد في أعماق البحار. نال هوفاً موافقة المندوبين على دفع جميع الرسوم والنفقات القانونية السابقة، بغض النظر عما إذا كان قد خسر القضية أم لا. وبلغت هذه المصروفات 1780677 دولاراً في وقت انعقاد المؤتمر. طلب هوفاً من المندوبين الموافقة على دفع جميع نفقاته القانونية المستقبلية، مهما كان حجم المبلغ الذي ستصل إليه.

في هذه الأثناء، قدم هوفاً طلب استئناف الحكم الذي أصدرته محكمة تشاتانوغا إلى المحكمة العليا الأمريكية. وافقت المحكمة العليا على قبول طلب الاستئناف لأنه عرض قضية جديدة تتعلق بحق هوفاً الدستوري في الحصول على محام وما إذا كان هذا الحق قد انتهك من خلال وجود بارتين في فندق أندرو جاكسون. تم قبول الاستئناف في ذروة «ثورة القانون الجنائي»، التي جرت في الفترة من 1961 إلى 1971 عندما أُنشئت الحقوق الجنائية التي لم تكن موجودة من قبل. تم التعامل مع طلب استئناف قضية هوفاً بكفاءة من قبل جوزيف أ. فانيلي، محامي الاستئناف

المخضرم الجديد في فريق محامي هوبا. كتب والتر شيريدان أنه بعد الجدل الشفوي الذي شهدته المحكمة العليا، لم يكن فريق الادعاء «على يقين كامل فيما يتعلق بنوعية الحكم الذي سيصدره القضاة».

قررت مجموعة محامي هوبا الكوميدي لمجرد أن تكون في الجانب الآمن، استخدام وسائل التهديد لقاضي المحكمة العليا الليبرالي وليام برينان. وصف والتر شيريدان هذا العمل الغريب من فريق محامي الاستئناف الذي كان أشبه بعرض كوميدي قائلاً: «اقترب مسؤول في نقابة سائقي الشاحنات من شقيق قاضي المحكمة العليا وليام برينان. وقال لشقيق القاضي، الذي كان يملك مصنع جعة، أنه إذا لم يصوت أخوه بشكل صحيح في قضية هوبا، فسيُغلق مصنع الجعة ولن يُعاد فتحه أبداً».

على الرغم من تكتيكات الذراع القوية تلك، حكمت المحكمة العليا ضد جيمي هوبا على أساس استئنافه. أيد القاضي برينان رأي الأغلبية الذي كتبه القاضي بوتر ستيوارت. كتب رئيس القضاة إيرل وارن رأي الأقلية وصوّت ضد إدانة هوبا. وصف وارن استخدام الحكومة السري لبارتين بأنه «إهانة لجودة ونزاهة تطبيق القانون الفدرالي».

بعد تسعة أيام من رأي القاضي بوتر ستيوارت، تلقى القاضي رسالة من صديق جامعي قديم نيابة عن جيمي هوبا. كانت الرسالة من ويليام لويب، مالك وناسر الصحيفة المؤثرة في نيو هامشير مانشستر يونيون ليدر. أبلغ لويب صديقه القاضي ستيوارت أن مسؤولاً حكومياً رفيعاً لم يذكر اسمه أكد له أن بوبي

كينيدي استخدم التنصت غير القانوني في خضم حماسه للنيل من هوبا. كانت إحدى الحقائق المهمة التي لم يذكرها لويب في الخطاب هي أنه حصل على قرض كبير من صندوق معاشات تقاعد نقابة سائقي الشاحنات، وهو قرض حصل عليه لاحقاً. لو أثبت أن محامي هوبا هم من جعلوا لويب يقوم بكتابة هذه الرسالة لكانوا قد واجهوا إجراءات ملاحقة لتهمة خرق أخلاقيات المهنة، لكن الأمر لم تتم متابعته.

قدم محامو هوبا طلباً لإعادة جلسة الاستماع لقرار القاضي ستيوارت. يتم تقديم مثل هذه الطلبات بشكل روتيني ولكن نادراً ما يتم الموافقة عليها، فهي توجه رسائل غير مناسبة من الرجال ذوي النفوذ.

بينما كان الطلب الخاص بإعادة جلسة الاستماع قيد النظر، رفعت مجموعة محامي هوبا طلباً جديداً إلى المحكمة العليا، وهو ما سموه «طلب الإغاثة بسبب التنصت الحكومي والتنصت الإلكتروني وعمليات الاقتحام الأخرى». تم دعم الطلب من خلال إفادة خطية من خبير تنصت إلكتروني مستقل يُدعى بنيامين «برود» نيكولز. ادعى نيكولز في شهادته الخطية أنه التقى والتر شيريدان في تشاتانوغا قبل بدء جلسات المحكمة. وزعم أن شيريدان قد دفع له مائلاً ليتنصت على الهاتف في غرف المحلفين، ثم زرع أجهزة تنصت في الهواتف في غرف المحلفين ليسمعه شيريدان. حدثت مشكلة بسيطة مع طلب مجموعة هوبا الجديد؛ لا توجد هواتف في غرف المحلفين في تشاتانوغا أو في أي مكان آخر في البلد.

تلاشت القهقهة في الساعة 3:30 مساءً يوم 7 مارس 1967، عندما دخل جيمي هوفّا إلى سجن لويسبرغ الفدرالي في بنسلفانيا، بعد ثلاث سنوات وثلاثة أيام من إدانته برشوة هيئة المحلفين. تضمن عدد 17 مارس 1967، من مجلة لايف مقالة مصورة بعنوان «السجين رقم: 33298، إن أي -جيمس ريدل هوفّا- رجل متبجح في نزهة باردة طويلة». صورت إحدى الصور قلب عيد الحب مع صورة جيمي هوفّا في المنتصف وحول القلب عبارة «أفكر دائماً فيك». ظلت صورة عيد الحب تزين باب مكتب والتر شيريدان في وزارة العدل لسنوات عدة. عيد الحب الذي يصادف 14 فبراير، هو يوم مذبحة عيد القديس فالنتين في شيكاغو التي يسيطر عليها آل كابوني، وهو عيد ميلاد جيمي هوفّا. أثار المقال السؤال التالي «ما إذا كان هذا يعني نهاية سلطة هوفّا في ذلك الاتحاد الضخم، أم أنه مجرد وقفة... منذ تلك اللحظة، لم يعد يراهن الكثير من رجال النقابات على عودة هوفّا إلى وضعه السابق».

## الفصل الحادي والعشرون

### كل ما فعله هو إنهاء المكالمة

هل كان دخول هوبا إلى السجن في 7 مارس 1967، يمثل بحسب وصف مجلة لايف «نهاية سلطة هوبا في تلك النقابة الضخمة، أم مجرد وقفة في منتصف الطريق؟» هل كان انتقال منصب القيادة إلى فيتزسيمونز تبديلاً في الأسماء فقط، أم كان تغييراً جوهرياً في سياسات النقابة؟ من واقع منظوره المستمد من مشاركته في الخطوط الأمامية للقتال النقابي وأحداث العنف التي شهدتها فيلادلفيا في عام 1967، كان فرانك شيران على الأرجح أول زعيم في نقابة سائقي الشاحنات، وأول فرد من «رجال هوبا» يشعر بهبوب رياح باردة جديدة.

في الليلة التي سبقت ذهاب جيمي إلى السجن، توجهت بسيارتي من ويلمنغتون إلى واشنطن لرؤيته. أعطاني جيمي 25000 دولار لأعطيهم لمحامي جوني سوليفان واثنين آخرين اتهموا بإطلاق النار على جون غوري وصديقه ريتا في مقر الفرع المحلي 107 في عام 1964. كان غوري يعمل مع مجموعة «ذا فويس»، وحاول مكتب التحقيقات الفدرالي القول إنه تعرض للقتل لأنه كان متمرداً. كانت الفتاة في المكان الخطأ في الوقت الخطأ مع الرجل الخطأ، هذا كل شيء. كانت تلك خسائر في صفوف «المدنيين».

نعم لقد كان غوري يعمل مع مجموعة «ذا فويس»، ولكن إذا كان هذا هو السبب، كان هناك أشخاص أكثر أهمية من غوري

يستحقون القتل. كان يجب أن يكون تشارلي مايرز هو أول من يموت، وليس غوري. كان مايرز رئيس مجموعة «ذا فويس». لم يكن غوري يشغل منصبًا كبيرًا في تلك النقابة. وما الفساد الذي كان يمكن له أن يكشفه؟ لم يكن هناك شيء مخفي ليكشف عنه. كان الجميع يعرف قضايا الفساد.

كان غوري مقامرًا. وفي كثير من الأحيان، إذا كان الرجل يدين له بالمال من اللعب، فسوف يتفاوض معه بدلاً من القيام بإجراء صارم تجاهه. لكن كل هذا يتوقف على الظروف. ربما تحداهم الرجل، ولم يظهر الاحترام. أو ربما كان يدين بالكثير من المال ولا يستطيع التفاوض بشأنه. أو ربما كانوا يتفاوضون ويتفاوضون مع الرجل ونفذ صبرهم. أو ربما أرادوا من ذلك العمل أن يبعثوا برسالة إلى العملاء الآخرين الذين بدؤوا يتلكؤون، متحججين بأن الوضع الاقتصادي سيئ أو شيء من هذا القبيل. كانوا على الأرجح سيقومون بضرب الرجل، إلا إذا بدؤوا بشيء ولم يتم بالشكل المناسب.

ولكن ما حدث غوري، سيخلق لهم مشكلات هم في غنى عنها. لم يزعج غوري أي شخص. كان يمكن القيام بذلك بتعنيفه قليلاً. كان ذلك ضياعاً له، وللفتاة أيضاً. سأقول شيئاً واحداً جيداً عنهم اليوم. كنت إذا لم تدفع يرفضون السماح لك بالرهان. سينشرون الخبر ولا أحد سيسمح لك بالرهان حتى تدفع ما عليك.

أعلم أنهم يحاولون أن يقولوا أن جيمي فعل ذلك. يمكنني أن أخبرك دون أن يساورني شك بأن جيمي هوفاً لن يقوم بشيء مثل إطلاق النار على رجل وصديقه في مقر النقابة. لماذا أعطاني

جيمي المال لمحامي الأشخاص الذين أطلقوا النار؟ كل ما أعرفه أنه أخبرني: «لقد قطعت وعداً». كان ذلك كافياً بالنسبة إلي. ليس من شأني أن أعطاني جيمي 25000 دولار للمحامين. لم يكن هذا النوع من المال شيئاً بالنسبة إلى جيمي إذا أراد تقديم خدمة. ربما طلب منه التبرع وكان هذا مبلغ تبرعه. ربما كان كل من طلب مساهمة جيمي في الأمر قد أخبره بعد الحادث أن غوري كان مثيراً للمشكلات في مجموعة «ذا فويس» على أي حال. أنا لا أعرف عن ذلك شيئاً، لكنه لم يتعرض للقتل بسبب جيمي. كان غوري رجلاً أيرلندياً بسيطاً لم يبرز بأي شكل من الأشكال. أنا متأكد من أن جيمي هوفاً لم يعرف حتى من هو ذلك الرجل. عرف الجميع في وسط المدينة أنني سأذهب إلى مقر نقابة سائقي الشاحنات في واشنطن لجمع المبلغ الذي قرر جيمي التبرع به لمحامي سوليفان وله. عندما عدت إلى فيلاديلفيا، سألتني بيغ بوبي مارينو عن المال. أخبرني بوبي أنه سيعطيه للمحامين نيابة عني. سألته إذا كان يعتقد أنني شخص ساذج. بعد ثلاثة عشر عاماً اتُّهمت بضرب بيغ بوبي، لكن هيئة المحلفين وجدتي غير مذنب.

الرجل التالي الذي جاءني «لمساعدتي» في الحصول على المال للمحامين كان هاري «الأحذب» مالك حانة ريكوبين. قلت: «مستحيل. الوحيدون الذين سيحصلون على هذا المال هم المحامون». كان أشخاص مثل هاري الأحذب وبيغ بوبي غير مهتمين بالرجال الذين سيحاكمون. أرادوا الحصول على المال لأنفسهم. كان هناك دائماً الكثير من حالات الغدر بين بعض الناس في وسط المدينة.

عندما اعتُقلت بتهمة قتل ديجيورجي في عام 1967، بعد فترة وجيزة من ذهاب جيمي إلى السجن، ذهب بيغ بوبي مارينو إلى واشنطن ليطلب من فرانك فيتزسيمونز أن يدفع لي مبلغ كفالتني. رفض فيتزسيمونز أن يدفع. لم يذهب مارينو إلى واشنطن ليرى فيتز من أجلي. لم يكن بيننا عمل. ولم نكن أصدقاء ونتقابل كثيرًا. كان بيغ بوبي هناك من أجل نفسه. كانوا يحاولون التقرب منه على حساب مأساتك، هذا هو النوع من البشر الذي كانوه. بقيت هناك في مركز الاعتقال في فيلادلفيا لمدة أربعة أشهر حتى سمح لي القاضي بتوقيع الكفالة الخاصة بي. عندما خرجت، بدأت بمطاردة بوبي. كان طوله نحو 200 سنتيمتر ووزنه 350 رطلاً. لكنه لم يكن يريد أن يدخل معي في أي مشكلة.

عندما خرجت من السجن طلبت من فيتز أن يصرف لي نفقاتي لكنه رفض. قلت لنفسني لن يتردد جيمي أبداً في إبعادك. اتصلت براسل، واتصل راسل به وأخذ لي أموال من فيتز. حصلت على خمسة وثلاثين ألف دولار من فيتز في واشنطن. تركوها لي في فندق صغير يدعى ماركت إن. كان ذلك المكان هو ما نسميه «بقعة جافة».

البقعة الجافة هي مكان يُخفى المال. إنه مثل المنزل الآمن الذي تسكن فيه لفترة ولا يعرف بك أحد. إنها مخصصة فقط من أجل إخفاء المال. المنزل الآمن هو مثل منزل حضري في شارع عادي لا يملكه شخص معين. يمكن أن تكون البقعة الجافة مؤقتة، حتى يتم جمع المال. كان فندق ماركت إن هو المكان المناسب لذلك. كان بقعة جافة وموقعاً لترك الأموال فيه. تضع حزمة

المال هناك مع المالك حتى يستلمها الطرف الثاني. لم يكن على المالك معرفة ما هو موجود في الحزمة. وتبقى محفوظة بأمان حتى يأتي شخص معين ليأخذها. أنا متأكد تمامًا من أن فندق ماركت إن لا يزال موجودًا في شارع «إي» في واشنطن، لكنني لا أعرف ما إذا كانوا يستخدمونه لهذا الأمر الآن.

كان أعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء الكونغرس وغيرهم من الأشخاص الذين يذهبون إلى هناك لأخذ رزم النقود الصغيرة المتبقية لهم. لن يترك مبلغًا كبيرًا هناك. لا نصف مليون دولار أو أي شيء من هذا القبيل، ولكن مبالغ أقل منه، على سبيل المثال: خمسون ألف دولار. كان فندق «ماركت إن» مكانًا مثاليًا في الأيام الخوالي. اضطررت إلى الذهاب إلى هناك للحصول على الخمسة وثلاثين ألف دولار وكان عليّ أن أذهب إلى نيويورك لأجل الخمسة عشر ألف دولار ليكتمل معي مبلغ الخمسين ألف دولار. حصلت على مبلغ الخمسة عشر ألفًا من مكتب المحامي جاك شيفر.

أقصى توصيف لقضية ديجورجي هو القتل غير العمد، ولكن أرلين سبيكتر، قبل أن يصبح عضوًا في مجلس الشيوخ الأمريكي، كان المدعي العام في فيلاديلفيا، وكان يحاول صنع اسم لنفسه. كان سبيكتر محامياً في لجنة وارن ولم تسلط عليه الكثير من الأضواء على أثر اختراعه نظرية الطلقة الواحدة لشرح جميع الجروح التي تسببت بها الرصاصة التي أطلقت في دالاس على الرئيس كينيدي والحاكم كونيلى.

الطريقة التي حدثت بها قضية ديجورجي تتلخص في أنني كنت رئيسًا للفرع المحلي في ولاية ديلاوير. قبل نحو عام من

ذهابه إلى السجن، قام جيمي بتقسيم الفرع المحلي 107 إلى ثلاثة فروع، وكان يتصور أنه سيقصص أعمال العنف بهذه الطريقة. منحني مسؤولية فرع محلي جديد في مدينة ويلمنغتون، في ولاية ديلاوير، وهو الفرع المحلي 326. أصبحت رئيسًا بالنيابة للفرع المحلي 326 إلى أن يمكن إجراء الانتخابات ويمكن أن يتم التصويت لي من قبل أعضاء هذا الفرع. كان أول شيء أراد مني جيمي أن أقوم به هو التوجه إلى فيلاديلفيا وطرد هؤلاء المنظمين الخمسة المنشقين الذين كان رئيس الفرع المحلي 107، مايك هيسيون، يخشى طردهم. قادت سيارتي شمالاً على طريق I-95 وطردت جوني سوليفان الذي كان مع مكغريل وخرج من السجن بعد استئنافه الحكم الصادر بحقه في قضية غوري، وطردت ستيفي بوراس الذي حصل على وظيفته فقط لأنه أطلق رصاصة في السقف وأخاف هيسيون، وطردت رجلاً آخر، لكنني لا أتذكر اسمه. كان هناك الكثير مما يحدث في تلك الأيام، من الصعب تذكر كل شيء، لكنني أتذكر ما الذي أرسلني إليه جيمي لأجل أن أفعله هناك، ثم طردت بيغ بوبي مارينو وبينني بيداتشيو. كان لديهم أصدقاء. ولم أكن مشهوراً جداً هناك، لكن لم يحاول أحد إطلاق النار في السقف بقربي.

بعد أن طردتهم جميعاً، بقيت في فيلاديلفيا لفترة للتأكد من عدم حدوث رد فعل عنيف. ثم عدت إلى ديلاوير التي تقع على بعد ثلاثين ميلاً جنوباً. كنت أعلم مهام منصبي الجديد. كنت أرغب في أن أكون أهلاً للثقة التي منحني أياها جيمي حينما أوكل علي تلك المسؤولية. قضيت أسبوعين أقود شاحنة نقل

سيارات في مصنع سيارات كرايسلر في نيوارك، في ديلاوير، لصالح شركة أنكور موتورز. كانت لدى شاحنات نقل السيارات مشكلات مختلفة عن شاحنات نقل البضائع. لقد كنت أقود شاحنات نقل بضائع فقط وكنت لا أريد أن يشكو أي شخص من أنني لا أفهم بشأن نقل السيارات. تعلمت كيف أقود شاحنات نقل السيارات حتى أعرف كيف أتعامل مع الشكاوي بخصوصها.

كنت أقوم في الفرع المحلي 326، بتفقد جميع ممتلكاتي (شركات النقل بالشاحنات) كل صباح. كنت أخرج دائماً. ولا أحب الجلوس في مكتبي. كنت أحب أن أكون مع الناس، أتواصل مع العاملين لأرى كيف تسير الأمور. عليك أن تجعلهم يشعرون بأنك تحترمهم. ولا تشتري الاحترام بل تكسبه. كنت أتأكد من أن الشركات كانت تضع الأموال في صندوق معاشات التقاعد وتفي بالتزاماتها. إذا لم تودع الشركات الأموال في الصندوق ولم تكن تتحقق من ذلك، ربما ستتم مقاضاتك.

ذلك لا يعني أنك لا تستطيع أن تجلب بعض المنافع لنفسك. إذا قمت بتأسيس شركة جديدة، يمكنك منحهم إعفاء من التبرع بحصتهم في صندوق التقاعد مدة تصل إلى عام. بهذه الطريقة يمكنهم التكيف مع الأمر. ربما يرفعون أسعارهم لعملائهم أو يقومون بأي من الخطوات، لذلك سيكون لديهم الوقت لتهيئة النفقات الإضافية للتبرعات التقاعدية. لنفترض أن على الشركة التبرع بدولار واحد عن كل ساعة عمل لكل موظف. ستدفع عن أربعين ساعة في الأسبوع 40 دولاراً. إذا كان لديها مئة موظف، فهذا يعني 4000 دولار في الأسبوع. إذا منحتها إعفاءً لمدة ستة

أشهر، فهذا يوفر لها ما يزيد قليلاً عن 100000 دولار. فقط أكثر من دولار واحد للساعة في البداية. تضع الشركة مدخراته على الطاولة وتشاركها أنت من تحت الطاولة، كان الجميع يقومون بعملهم بهذه الطريقة. أما في الوقت الحاضر لا يتأذى الرجال على الإطلاق. لأن جميع معاشات أعضاء نقابة سائقي الشاحنات تدفع بأثر رجعي منذ اليوم الذي بدأت فيه العمل مع الشركة، حتى لو لم تكن الشركة قد ساهمت فيها. فهم يحصلون على معاشهم المضبوط سواء تم منحها الإعفاءات أم لا.

بعد كل عمليات الطرد التي جرت في فيلادلفيا، استمرت التوترات في التفاقم. أعلن جوي ماكفريل وطاقمه من البلطجية أنهم يريدون تولي شؤون الفرع المحلي 107 مرة وإلى الأبد والحصول على جميع وظائف النقابة لأنفسهم حتى يتمكنوا من ابتزاز شركات النقل والحصول على الأموال لأنفسهم. لذا نظموا في إحدى ليالي سبتمبر عام 1967، تجمعاً حاشداً أمام قاعة الفرع المحلي 107 في شارع سبرينغ غاردن. كان هناك 3000 شخص من جميع الفصائل المختلفة وكانوا متحمسين جميعاً. كان هناك أناس يصعدون وينزلون خارج المبنى وهم يصرخون وكان هناك عدد قليل من المعارك بالأيدي. كان لدى جوي ماكفريل رجال ذوو عضلات مفتولة من وسط المدينة، ليسوا أولئك الإيطاليين الذين كانوا مع أنجيلو، بل بلطجية. كان روبرت «لوني» ديجورجي وشارلز أموروزو جزءاً من شلة بلطجية ماكفريل. أرادوا السيطرة على المبنى. كانوا يحاولون إخافة جميع المنظمين

ووكلاء الأعمال وموظفي الفرع المحلي ويطلبون منهم التتحي. وكانت خيالة الشرطة قد اعتقلت المئات في تلك الليلة. لم أكن حاضراً عند وقوع جميع تلك الأحداث. تلقيت مكالمة في وقت متأخر من تلك الليلة وأنا في المنزل من فيتز يطلب مني أن أكون هناك في صباح اليوم التالي لأنه بعد حدوث تجمع كهذا كانت دائماً ما ستسوء الأمر في اليوم التالي. سيعودون يبحثون عن الشخص الذي يستطيع أن يتعامل مع هذه الأشياء. قال لي فيتز: «أريدك أن تجعل الأمور تحت السيطرة». كنت أعرف ماذا كان يعني جيمي حين يقول لي ذلك. اتصلت بأنجيلو برونو واستعرت منه بعض البلطجية الإيطاليين. اصطحبت معي جوزيف شيانكاغليني (تشيكي) وروكو تورا وعدد قليل من البلطجية الآخرين. كان لدينا أشخاص أقوياء. كان عندي رجال داخل المقر ينظرون من النوافذ ورجال في الشارع. كان ظهري باتجاه مقر النقابة. كانت هناك مجموعتان تسيران باتجاه بعضهما من النهايات المتقابلة لشارع سبرنغ غاردن، جاء أفراد ماكفريل من اتجاه وجاء الأشخاص الموالون للفرع المحلي من الاتجاه الآخر.

على حين غرة بدأ إطلاق النار. جاءت الطلقة الأولى من ورائي ومرت تتز من فوق رأسي. قالوا إنني أعطيت إشارة لبدء إطلاق النار. وقالوا إنني أشرت بإصبعي إلى ديجورجي وإن شخصاً من جانبنا أطلق النار عليه. كان هناك الكثير من إطلاق النار المستمر ولا يمكن لأحد أن يعرف من الذي يطلق النار على من أو من بدأه. كان رجال الشرطة الممتطين ظهور الخيل هناك

في الليلة السابقة، لكنهم لم يكن قد ظهرُوا بعد في ذلك الصباح. حدثت معركة في ذلك الصباح. أصيب تشيكي بطلقتين في البطن. أمسكته وسحبته إلى السيارة وأخذته إلى شقيق والدتي الذي كان طبيباً. أخبرني الدكتور جون هانسن أن أذهب به إلى المستشفى على الفور، لأنه كان على يقين من أنه سيموت بسبب الجروح التي أصيب بها. ذهبت إلى مستشفى سانت أغنيس، التي كانت على الجانب الآخر من الشارع من عيادة خالي. وضعت تشيكي على الأرض وأصدرت قرقعة بصناديق القمامة حتى خرج شخص من الداخل وأخذه.

قادت سيارتي إلى نيويورك، في ولاية ديلاوير، للاختباء في شقة فوق أحد الحانات حتى تهدأ الأمور. اتصلت بفيتز وقلت له: «سقط شخص، واثنان يعرجان»، أصيب فيتز بالذعر وأقفل سماعة الهاتف معي. كانت هذه هي المرة الأولى التي عرفت فيها أن الأمور ستكون مختلفة تماماً تحت حكم فيتز. ومع ذلك، في تلك المرحلة لم يكن لدي أي فكرة عن أن الرجل سيكون قادراً على رفض طلبي لدفع الكفالة عندما اعتُقلت بسبب نفس هذا الأمر الذي يطلب مني الآن التعامل معه. لم يكن لدي أي فكرة أنني سأضطر في نهاية المطاف إلى الذهاب إلى راسل للعناية بهذا الأمر. ما أن قلت له: «سقط شخص، واثنان يعرجان»، حتى أقفل الهاتف.

أصدر مكتب المدعي العام مذكرة توقيف بحقي. اعتقلوا تشيكي، ورجلاً أسود يدعى جوني ويست، ورجلاً أبيض يدعى بلاك بات. مكثت في ديلاوير مدة من الوقت، لكنني لم أرغب في

تحمل تكاليف رحلة الطيران أيضاً . لذا اتصلت ببيل إليوت، الذي كان شخصاً مهماً وذا نفوذ في قسم شرطة ويلمنغتون، ليقودني بسيارته إلى فيلاديلفيا . ارتديت ثوباً قديم الطراز وقلنسوة وسلمت نفسي إلى مراسل لصحيفة فيلادلفيا بوليتن يدعى فيل جاليوسو، الذي أخذني إلى مفوض الشرطة، فرانك ريزو . (إنه أمر مضحك عندما تفكر في الأمر، ولكن عندما كان ريزو عمدة في عام 1974 جاء إلى ليلة تكريم فرانك شيران).

نجا تشيكي من الموت . كانت لديه بنية حديدية . حاولوا جعل الرجل الأسود جوني ويست ينقلب علينا نحن الثلاثة . قالوا له إنني انقلبت عليه . فقال : «لو ذكرتم اسم أي شخص غيره، سأصدقكم . ولكن شيران، لا أصدق، سأبقي فمي مغلقاً» . حاولوا إقناع الثلاثة على مدار ستة أسابيع فلم يفلحوا، ووجدت هيئة المحلفين أنهم جميعاً غير مذنبين . في هذه الأثناء، بقيت في السجن . كان المحامي الخاص بي تشارلي بيروتو في إجازة في إيطاليا بينما تعفنت في الزنزانة لمدة أربعة أشهر ولم يبذل فيتز أي جهد لإخراجي . ربما كان مشغولاً جداً بلعب الغولف أو الشرب . كلفني ذلك انتخابي في الفرع المحلي 326 في ويلمنغتون . لم أقم بالحملة الانتخابية لأنني كنت قابلاً في السجن . ومع ذلك خسرت بفارق بضعة أصوات فقط . وأخيراً، سمح لي القاضي بتوقيع الكفالة الخاصة بي وخرجت .

في ذلك الوقت تقريباً، احترق مقر الفرع المحلي 107 بالكامل . تصورنا أنه كان من عمل أعضاء مجموعة «ذا فويس» أو مكغريال، لكننا لم نكتشف المتسبب به قط . بعد ذلك مباشرة، تنحى مايك

هيسيون عن منصبه كرئيس. كان هيسيون من نوع الرجال الذين يقاتلونك على الفور حينما يحدث قتال في الشوارع، لكنني أعتقد أن الجانب الآخر أصبح يثقل عليه كثيرًا.

في هذه الأثناء، حاول آرلين سبيكتر أن يجعل كبير مدعيه، ديك سبريغ، يحاكمني بتهمة ارتكاب جريمة قتل من الدرجة الأولى بحق ديجورجي. أخبره سبريغ بأنه لا يمكن اتهامي حتى بتهمة القتل غير العمد أو محاولة الاعتداء على من تسبب بخسارته. كان سبيكتر يحاول بناء مكانة له في عالم السياسة بتسليق ظهر نقابة سائقي الشاحنات.

كان هناك 3000 شخص والكثير من إطلاق النار. كيف يمكنك أن تشير إلى أن شخصًا ما قد أطلق النار؟ لم يعثر أحد على أي أسلحة. استمرت التهم الموجهة ضدي سارية المفعول من عام 1967 إلى عام 1972. وأخيرًا، أخذوني إلى المحكمة لاختيار هيئة المحلفين وبدء المحاكمة. استخدمت ذكاء شخصيتي هنا. كانوا جميعهم أشخاصًا ذوي أعمال مختلفة؛ رجلٌ من عمال الصلب، وصديقي جون ماکولو من نقابة عمال البناء الذي تعرض للقتل قبل محاكمتي في عام 1980، وآخرون غيرهم. قبل أن نختار هيئة المحلفين، استدعاني القاضي إلى المنصة وسألني كم مرة طلبت سلطة الولاية تأجيل المحاكمة، قلت له: «ثمان وستون مرة». ثم سألني القاضي عن عدد المرات التي طلبت فيها الاستمرار وقلت: «ولا مرة»، حينها وصف ذلك بأنه شيء مخزٍ، وقال إن الطلب كان في محله.

قام المحامي الذي توكل عني حديثًا، جيم موران، بجعل القاضي يحكم ببطلان القضية في أول طلب إجراء محاكمة

عاجلة في بنسلفانيا . وبينما كان هذا الطلب ساريًا ، حاولت سلطة الولاية أن تمنح قضيتي صفة عدم متابعة<sup>(28)</sup> وقلت لهم أن يلتزموا بها لأنه مع عدم المتابعة ، سيكون من المؤكد سقوط الاتهامات ، ولكن يمكنهم دائمًا إعادة اتهامك . كانت نصيحتي للمحامي هي أن يأخذ البطلان من القاضي إذا كان بإمكانه الحصول عليه ، وليس عدم المتابعة من المدعي العام . وهذا ما حصلت عليه في هذه القضية .

عندما خسرت تلك الانتخابات في عام 1968 بسبب سجنني لمدة أربعة أشهر ، ذهبت للعمل لشغل فترة عمل لي غير منتهية كوكيل أعمال . إنه عمل جيد . فأنت تخدم الناس وتتأكد من أن الشركة تفي بالعقد . لديك أماكن معينة لتدققها . تقوم بمعالجة المظالم . وتدافع عن أناس تحاول الشركة طردهم . إذا تمت إدارة النقابة بشكل صحيح ، فلن تكون لديك الكثير من حالات التسريح . أما السرقة أو الحوادث التي كنت فيها مهملاً ، فإنها تنهي عقدك . تمتلك الشركة بعض الحقوق أيضًا .

أتذكر شخصًا بولنديًا دافعت عنه وكان يعاني من مشكلة في المقامرة . قبضت عليه الشركة وهو يسرق لحم الخنزير الهولندي . في الجلسة قلت له أن يبقى فمه مغلقًا ويدعني أتحدث . جاء مدير الشركة إلى المنصة وشهد أنه رأى الرجل البولندي يأخذ عشر ذبائح من الخزائير من الرصيف ويحملها في شاحنته الشخصية . نظر إليَّ الرجل البولندي وقال بصوت عالٍ : «فرانك ، إنه كاذب

---

(28) إنهاء القضية طوعية قبل المحاكمة أو قبل إصدار الحكم . (المترجم).

سخيف. لقد كانت سبباً فقط». قدمت على الفور طلباً لسحب التظلم وأخذت ممثل الإدارة جانباً وعملنا على كتابة خطاب استقالة يفيد بأن الرجل البولندي قرر أن يستقيل من الشركة لأسباب شخصية.

عندما كنت أفكر في وضع النقابة، كنت أول من توقع حتى قبل أن يفعل جيمي كيف سيكون حالها تحت رئاسة فيتز. لقد كنت أول من أحس بشعور جيمي عندما خانه فيتز في وقت لاحق. لقد كان ما فعله معي شيئاً بسيطاً مقارنة بما فعله بجيمي، لكنني ما زلت غير راضٍ عنه. لقد خسرت الانتخابات وخسرت فرعي المحلي بسبب سجنني. وبقيت مرمياً في السجن لمدة أربعة أشهر بسبب فيتز. بعد أن خرجت من السجن، لم يعد لي منصب نقابي. لم أتلّق أي احترام على الإطلاق من ذلك الرجل وكان هو الذي وضعني في ذلك الموقف في المقام الأول. كنت أحاول أن أقوم بتنفيذ مهمة لأجله، وأخاطر بحياتي في قتال شرس، وكان هو يوجه لي الاتهام، وكل ما فعله من أجلي هو أنه أنهى مكالمتي معه.

## الفصل الثاني والعشرون

### كان يذرع زفرانته جيئة وذهاباً

من كتيب «أسئلة وأجوبة حول المؤسسات الإصلاحية الاتحادية»:

«السؤال 41: كيف يمكنني الاهتمام بشؤوني في أثناء وجودي في الحجز؟»

«الإجابة: عليك تعيين شخص آخر لإدارة شؤونك في أثناء احتجارك».

عاش جيمي هوفاً وفقاً لقواعده الخاصة، وسرعان ما سيبتكر إجابته الخاصة للسؤال رقم 41.

تم تصوير المؤسسة الإصلاحية الفدرالية في لويسبيرغ، في بنسلفانيا، التي دخلها جيمي هوفاً في 7 مارس 1967، بشكل مسلٍّ في فيلم الرفاق الطيبون «Goodfellas» كما كان يكون فيه رجال العصابات الإيطاليون قادرين على العيش حياة مريحة مع مرافق الطبخ الخاصة بهم، وإمدادات لا نهاية لها من الطعام الجيد والنبيد الممتاز والسيجار الفاخر. كانت صرختهم القتالية هي «هيا بنا نأكل». وفي مكان كهذا، لن يجد جيمي هوفاً بالتأكيد مشكلة كبيرة في إنجاز مهماته واكتشاف الطريقة الأكثر فعالية للإمساك بالخيوط التي تتحكم بالأراضي الزراعية في وسط بنسلفانيا، لتشمل دميته ونائب الرئيس الجديد، فرانك فيتزسيمونز، إضافة إلى تلك التي تتجاوز فيتزسيمونز لتمتد إلى الموظفين السابقين الذين اختارهم هوفاً في «القصر الرخامي»، مقر نقابة سائقي الشاحنات في واشنطن العاصمة.

سمحت قواعد السجن بما مجموعه ثلاث ساعات من الزيارة شهرياً من قائمة من الأشخاص عدا المحامين. تم تقييد قائمة الزيارات لتقتصر على أفراد الأسرة. لم يُسمح للنزلاء بامتيازات الاتصال بالهاتف في تلك الأيام. سُمح بكتابة الرسائل إلى سبعة أشخاص فقط من قائمة الأقارب والمحامين. كانت تُفحص جميع الرسائل الواردة والصادرة. لم يسمح لأي مسؤول نقابي بزيارة جيمي هوفاً أو الكتابة إليه. لم يكن هناك قيود على زيارة المحامين العاملين في القضايا قيد البحث.

كان نجل هوفاً محامياً للنقابة، وبالتالي لم يدرج في قائمة أفراد العائلة؛ كان يلتقي والده مرة واحدة في الأسبوع.

على الرغم من أن الاستئنافات المتعلقة بقضية رشوة هيئة المحلفين قد استُفدت، إلا أن الاستئنافات في قضية شيكاغو كانت لا تزال معلقة عندما دخل جيمي هوفاً لأول مرة إلى لويسبيرغ لإزالة القمل من جسمه، والتقاط الصور له، وأخذ بصمات أصابعه، وتسليمه بدلة السجن الزرقاء ليرتديها. بالإضافة إلى ذلك، سيكون هوفاً مؤهلاً لحضور جلسة الإفراج المشروط في غضون عامين ونصف، في نوفمبر 1969. كل هذا النشاط القانوني يعني أن هوفاً يمكن أن يتلقى زيارات من عدد من المحامين. كان فرانك راغانو من بين المحامين الذين زاروا هوفاً، وتشاوروا معه في تلك القضايا، ونقلوا رسائل منه إلى كل من مسؤولي النقابة ورجال المافيا. كان المحامي موريس شنكر يمثل هوفاً في صياغة استراتيجيته للإفراج المشروط، ومن جهة أخرى، كان ينشط في موضوع حساس يتعلق بالترتيبات التي

تهدف إلى الحصول على عفو رئاسي؛ ما سيكشف لاحقًا عن الإدارة الفاسدة للرئيس ريتشارد إم. نيكسون. كان بيل بوفالينو يزور هوفًا بانتظام باعتباره محاميًا ومستشارًا.

أعاقت القيود الصارمة التي فرضت على الزيارات أولئك السجناء من الحصول على الموارد المالية، واستشارة المحامين، الاستفادة من نفوذ جيمي هوفًا. لم يكن لدى العديد من الشباب أقارب يمكنهم تحمل تكاليف الرحلة إلى بنسلفانيا. لم يتمكنوا من استخدام الساعات الثلاث المخصصة لهم للزيارة. كان جيمي هوفًا يرتب لإجراء «مقابلات عمل» لمثل هؤلاء الرجال مع فرانك شيран. كان النزول الشاب يلتقي فرانك شيран في قاعة الطعام التي كانت بمثابة غرفة الزيارة. كانوا يجلسون إلى طاولة بجوار جيمي هوفًا، الذي يتشاور حينها مع أحد محاميه الكثرين.

كنت حين أرفع قميصي سيعرف السجناء الشاب الذي معنا أن هذه إشارة لكي يتركنا، حتى يتسنى لي أنا وجيمي مناقشة بعض الأمور. ويشيح الحارس بوجهه نحو الاتجاه الآخر. كان هؤلاء الحراس يتصرفون بأفضل طريقة في عيد الميلاد. أعتقد أن كل يوم كان عيد الميلاد بالنسبة إلى بعضهم في الأيام الخوالي. لكنني رأيت حصول بعض التشدد مع مرور السنين عندما ذهبت إلى السجن في الثمانينيات والتسعينيات. أعتقد أن ذلك كان بسبب الضجة الإعلامية والنوع الجديد للسجناء، وخاصة تجار المخدرات مثل الجامايكيين والكوبيين الذين طردهم كاسترو.

كان هناك فتى اسمه غاري طلب مني جيمي مساعدته في الحصول على وظيفة في قطاع البناء. إذا كان لدى هؤلاء الشباب

عمل ينتظرهم ستكون لديهم فرصة جيدة للحصول على الإفراج المشروط. كان على غاري أن يبقى في عمله. عندما انتهى من العمل جاء شخص ما وأشبعه ضرباً. كان صديقاً لتومي باركر، الذي ادعى لاحقاً عندما أجريت محاكمتي في عام 1980 أنني طلبت منه أن يضرب شخصاً يدعى فريد غورونسكي لأنه سكب زجاجة من النبيذ فوق ملابسني في حانة في ديلاوير. كان جوي مكغريل هناك مع جيمي لبعض الوقت للتخطيط لهدف ما. أصبح جوي هادئاً جداً وكان يتمتع بصحة جيدة. كان توني برو في انتظار جيمي بالفعل. كانوا لا يزالون قريبين جداً من بعض عندما جاء جيمي إلى سجن لويسبورغ. كان تشارلي ألين، الواشي، يقبع في السجن هناك بسبب سرقة أحد البنوك. كان اسمه الحقيقي تشارلي باليرمو، لكنه غيره إلى تشارلي ألين. كان هناك بليكني ابن أخت باليرمو الذي كان يستخدمه للسيطرة على نزالات الملاكمة في أمريكا.

تشارلي ألين كان أحد الذين جندهم مكتب التحقيقات الفدرالي للتجسس واستخدمه لاستدراحي في أواخر السبعينيات عندما كانوا يحاولون اتهام جميع الموجودين في قوائمهم الصغيرة بشيء ما حتى يتمكنوا من الضغط علينا للحصول على معلومات حول اختفاء جيمي. لقد عقدوا صفقة مع ألين لاستدراحي على الرغم من أنهم عرفوا أنه كان يفتصب الأطفال ويمارس اللواط مع ابنة زوجته منذ أن كانت في الخامسة من عمرها، وأخفوا تلك المعلومات عني وعن المحامي الخاص بي. كان تشارلي ألين في السجن في لويزيانا بسبب تلك القضية. يمكنك أن تتخيل إلى

أي حد كانوا يريدون النيل مني عندما تعرف نوعية الأشخاص الذين كانوا يستخدمونهم لاستدراجي؟

في جلسات محاكماتي التي جرت عام 1980، وعام 1981، وعام 1982، ادعى تشارلي ألين أنه كان الحارس الشخصي لجيمي في السجن وأنه تعرّض لإصابة في خده دفاعاً عن جيمي من الاغتصاب. كان هذا سيجعل جيمي يضحك إذا كان يستمع إلى المحاكمة وهو في قبره. حدثت الإصابة التي تحدث عنها ألين عندما أمسكوه وهو يحاول سرقة بعض قطع الحلوى من رجل أسود من الكيس الذي كان يخبئها فيه. فيما يتعلق بمن كان يعتنى بمن، كان الأمر معكوساً. بحث جيمي عن تشارلي ألين. إنه أحد أولئك الذين شعر جيمي بالأسف عليهم وطلب مني مساعدته في الحصول على وظيفة حتى يتمكن من الحصول على الإفراج المشروط. حتى حين حصلت له على وظيفة. جعلته يصاحبني. تركته يصطحبني بالسيارة إلى الأماكن التي أريد الذهاب إليها. ثم بعد ذلك أدرجته في جدول الرواتب في الفرع المحلي 326 كمنظم. كنت أستخدمه ليقوم بتبئيه عن بعض الأمور، لكنه انقلب ضدي عندما أمسكوه مرة أخرى بتهمة صنع الميثامفيتامين<sup>(29)</sup>. سمحوا له بالتملص من تلك التهمة، لكنه لم يستطع التخلص من تهمة اغتصاب الطفله لأن القضية لم تكن اتحادية.

كان بإمكانك مقابل 3 دولارات الانضمام إلى النزلاء لتناول طعام الغداء. وكان الغداء يوم الأربعاء معكرونة مع كرات من

---

(29) نوع من أنواع المخدرات. (المترجم).

اللحم. كان جيمي يحب السباغيتي وكرات اللحم. وكنت أعطيه كراتي من اللحم من أجل أن أدخل السرور إلى قلبه. أحب جيمي الآيس كريم أيضًا. في بعض الأحيان كنا نلتقي لمجرد تبادل الأحاديث العادية. ولا نتحدث عن العمل. ذات مرة تحدثت معي عن البطيخ الذي كنت أنا وبيل إيزابيل نتناوله في الجناح الذي نزلنا فيه في فندق إيدغووتر في شيكاغو. لم يعرف جيمي أننا كنا نملأ البطيخة بزجاجتين من شراب الروم ونعيد غلقها مرة أخرى. علم عن هذه الحيلة في لويسبورغ من بعض الناس من بروكلين الذين كانوا مع توني برو الذي كان يفعل ذلك.

كان هناك الكثير من اللغط في الخارج بشأن مناشداته والكثير مما كان يريد جيمي التحدث فيه معي. لقد سلمت بعض المال إلى النائب العام جون ميتشل بعد خروج جيمي أيضًا، ولكن في أثناء وجوده في لويسبورغ كانت هناك أموال نرسل إلى ميتشل ليحصل جيمي على الإفراج المشروط أو العفو. سيعتبر الناس تلك الأموال جزءًا من إيرادات كازينوهات لاس فيغاس أو من أموال جيمي الخاصة. كان راسل ذا نفوذ كبير جدًا في فيغاس، وفي أماكن مثل سيزر ونزل ديزرت. عندما دخل جيمي السجن كان الجميع يحاول مساعدته على الخروج؛ روس، وفيتز، وكارلوس، وسانتو، جميعهم. اشتكى جيمي من أن فيتز ربما كان يتعمد أن يبطئ في مساعيه، ولكن في البداية لم يشك في أن فيتز يخونه، ربما لأنه لم يكن عدوانيًا بما يكفي، وجالسًا في كرسيه، ويستمتع بوظيفته كثيرًا.

بعد أن دخل جيمي مباشرة أرسل شخص ما رسالة إلى ألن دورفمان. ما أن ترك ممر السيارات حتى قفز بعض الأشخاص وأطلقوا النار من بنادقهم باتجاه سيارته الكاديلاك. لم تكن هذه هي الطريقة التي تقتل بها شخصاً ما؛ بل مجرد توصيل رسالة مباشرة إليه.

كان دورفمان شجاعاً. كان مسؤولاً عن صندوق التقاعد. لا أحد كان سيخيفه. على الأرجح، اعتقدت مع جيمي أنها كانت في الغالب رسالة لفيتز من بعض الناس.

كان الجميع يعرف أن فيتز لم يكن شجاعاً، فإذا أطلقوا النار على سيارة فيتز فقد يبالغ في رد فعله ويقعون بين أيدي عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي. بهذه الطريقة، ستصل إلى فيتز الرسالة من خلال ما فعلوه بدورفمان. في كثير من الأحيان عندما يُقتل رجل ما، فإن الغاية هي توجيه رسالة إلى شخص آخر.

بعد تلك العملية لم يعد فيتز يراقب صندوق التقاعد وسمح للكثيرين بالتهرب من دفع مبالغ كثيرة. لم يكن للقروض الحماية المناسبة لها. إنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء حتى تسديد دفعات أقساط القروض المستحقة على الكثير منهم تحت إدارة فيتز. ولماذا على دورفمان أن يهتم بعد الآن إذا لم يكن فيتز يريد دعمه.

في وقت لاحق، عندما كنت في السجن في أوائل الثمانينيات، تلقيت بعض الأخبار السيئة عن ألن دورفمان. كان جاكى بريسر رئيس نقابة سائقي الشاحنات قد ورط دورفمان. كان بريسر

مخبراً غير مباشر لمكتب التحقيقات الفدرالي، ويعني ذلك أن يكون شيئاً لا يكشفون عن اسمه. لا يسجل شيئاً أو يشهد على شيء، لكنه يخبر عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي بكل ما يسمعه ويفعل كل ما يطلبه منه العملاء الفدراليون. أشاع بين الناس أن دورفمان كان شيئاً، ولإنقاذ نفسه من السجن فإن دورفمان كان يتعاون مع العملاء الفدراليين. تم قتل دورفمان بمسدسات كاتمة الصوت في موقف سيارات خارجي لأحد الفنادق في وضع النهار في شيكاغو. ما لا أفهمه هو كيف صدقت مافيا شيكاغو فكرة أن دورفمان كان شيئاً. عندما كنت في شيكاغو قبل عشرين عاماً، كان الجميع في شيكاغو يعرفون أن بريسر كان شيئاً. أعتقد أنها كانت قضية لا يرقى لها الشك. لكنها كانت خطوة سيئة. أنا لا أقول أن مافيا شيكاغو هي من فعلتها، لكن ما كان يمكن أن يتم شيء في شيكاغو دون موافقة مافيا شيكاغو. عاش ألين دورفمان حياته بطريقة معينة ولم يكن شيئاً. كان مخلصاً جداً لجيمي. وينقل عن محامي ألن دورفمان قوله عن ذلك المقاتل المخضرم سابقاً في مشاة البحرية: «إن فكرة أنه سيستسلم أو يعترف بالهزيمة أمر لا يمكن تصديقه، بل ومستحيل». وأكد وكيل النيابة المسؤول عن القضايا المعلقة ضد دورفمان أن «دورفمان لم يكن يتعاون معنا على الإطلاق».

تحدث جيمي كثيراً وهو في السجن عن بارتين. كان من المفترض أن يحصل فرانك راغانو على شهادة خطية من بارتين بأن الحكومة رتبت الموضوع لجيمي. كان هناك وكيل نيابة في نيو أورليانز قام باعتقال بارتين، وكان من المفترض أن يخلي

وكيل النيابة هذا سبيل بارتين مقابل الشهادة الخطية. كان وكيل النيابة نفسه هو من اعتقل والتر شيريدان بتهمة الرشوة، وكان من المفترض أن يساعد جيمي بجعل شيريدان يبدو سيئاً في الصحف. كل هذه المساعدة جاءت من صديق راسل وجيمي الطيب، كارلوس مارسيلو، رئيس مافيا نيو أورليانز الذي كان يؤثر في وكيل النيابة.

كان هذا هو نفس وكيل النيابة الذي كان يعتقل الجميع بتهمة اغتيال جون كينيدي. في بعض الأحيان يكون وكيل النيابة ودوداً ويتصرف مثل كلب صيد يزيل الفئران من الأعشاب الضارة. عندما يتطوع الواشي للتعاون مع وكيل النيابة، حينها يعرف الناس ماذا يفعلون. أنا لم أكن أعرف وكيل النيابة ذاك ولم أكن قط طرفاً في أية مناقشات حوله. لكنه اعتقل بارتين وشيريدان خلال تلك الفترة.

بعد نحو عام من دخول جيمي السجن، أعلن بوبي كينيدي عن ترشحه للرئاسة. بقدر ما أستطيع أن أقول فإن هذا لم يؤثر في جيمي على الإطلاق لأن جيمي كان يدعم بالفعل نيكسون من السجن، وكان يرسل شحنات نقدية إلى ميتشل وحملة نيكسون. كان جيمي سعيداً فقط لأن بوبي لم يعد المدعي العام.

وافق الجميع على رمزي كلارك المدعي العام الذي رشحه ليندون جونسون. كان على عكس بوبي كينيدي. لم يزعج أي شخص. كان هو الشخص الذي اعتادوا تسميته بامسي كلارك. كان ضد التنصت على المكالمات الهاتفية.

بعد ذلك بشهرين، نال بوبي كينيدي جزاءه على يد أحد الإرهابيين. أعلم أن جيمي لم ينم في تلك الليلة، لكن جيمي كان بالكاد يشير إلى ذلك. أعتقد أن كل تركيز جيمي كان على الخروج. واصل متابعة الأحداث من خلال جميع الصحف التي كان يقرأها دائماً، لكنه لم يكن يضيع وقته وطاقته لما كان يحدث في الخارج ما لم يكن له علاقة بإخراجه من السجن. أعتقد أن جيمي كره السجن أكثر مما كره بوبي.

بعد فترة من قضاء كل ليلة محشوراً في زنزانة صغيرة ليس لديه ما يفعله سوى التفكير في الأمر، كان جيمي متأكداً من أن فيتز يتعامل معه بوجهين. حينها بدأ جيمي يكره فيتز، لكنه لم يستطع أن يخبر أحداً بذلك، لأنه كان لا يزال بحاجة إلى مساعدته على الخروج.

المشكلة الأكبر التي انتهت إليها جيمي في السجن كانت مع توني برو. كان برو قد دخله بتهمة الابتزاز. سمعت أن الأمر يتعلق بمالك شركة نقل بالشاحنات يعاني من مشكلات مع رجاله الذين يبطئون في العمل. دفع الرجل إلى برو، وعاد السائقون يعملون بأقصى سرعة. من المعروف أن هذا النوع من الأشياء يحدث من حين لآخر. لكن شيئاً ما حدث خطأً وذهب برو إلى السجن بسببه.

كان جيمي وبرو يجلسان في غرفة الطعام يوماً ما، وكان برو يريد نوعاً من المساعدة بشأن معاشه التقاعدي من جيمي، ولم يتمكن جيمي من تقديم تلك المساعدة له. كان للأمر علاقة بالتهمة المختلفة لكل منهم. بموجب قانون التقاعد، ستكون لديك

بعض المشكلات الإضافية إذا دخلت السجن بتهمة الابتزاز، ولن تواجهك إذا ذهبت إلى السجن بسبب الأشياء التي ذهب جيمي من أجلها إلى السجن. لم يتمكن برو من معرفة السبب الذي يجعل جيمي يحصل على معاشه التقاعدي، ولم يتمكن هو من الحصول عليه. لم يستطع برو فهم سبب عدم تمكن جيمي من الحصول على ذلك الشيء المتعلق بمعاشه والمناسب له. بطريقة ما كان شيئاً يقود إلى آخر ويفترض أن جيمي قال شيئاً ما عن «أصحابك»، وهو يعني أنه كان أفضل من برو. قال برو شيئاً عن تمزيق أحشاء جيمي. سمعت أنه وجب على الحراس أن يفرقاها عن بعض. من ذلك اليوم إلى اليوم الذي مات فيه كلاهما، كره جيمي برو، وكان كرو يكره جيمي أكثر.

لم أحب برو قط. كان شقيقاه سام ونونز من الناس الصالحين. كلما فشل برو في شغل منصب بسبب بعض الإدانات التي تصدر بحقه أو أشياء غيرها، كان يعين أحد إخوته. ومع ذلك، كان برو دائماً مؤيداً قوياً ومخلصاً لجيمي هوبا. قبل محاكمة جيمي في قضية رشوة هيئة المحلفين، ساعده برو في أن قدم له الكثير من النقود لتسديد نفقاته. كان جيمي يحصل على تصويت برو لصالحه في المجلس التنفيذي في أي وقت يريده. وكان برو يلقي دائماً الخطب التي تمدح جيمي.

كان برو أحد أفراد عائلة جينوفيزي، وكان راسل من وقت لآخر يترأس هذه العائلة، وكان موقع برو أقل بكثير من موقع راسل، ولم يكن قريباً منه حتى في الرتبة. لذا أعتقد أن جيمي تصور أنه ما دام راسل معه وكان الاثنان قريبين جداً، لم يكن

عليه أن يقلق نفسه بشأن بـرو. لقد كان راسل يحب جيمي بالفعل كثيراً جداً. لم يكن مجرد شيء مذهري. بل كان ودًا صادقًا. احترم راسل رجلاً كان شديداً ولكنه عادل، مثله تماماً. كان جيمي وراسل كلاهما يلتزم بكلمته. بمجرد أن يخبراك شيئاً، يمكنك الاعتماد عليه. سواء كان ذلك جيداً لك أو سيئاً، فلا شك أنه يمكنك التعويل عليه.

لم أحضر المشاجرة التي حدثت بين جيمي وبرو، لكنني كنت هناك عندما قطع بيل بوفالينو علاقته مع جيمي. كان بيل يأتي بانتظام من ديترويت إلى لويسبورغ فقط حتى يتمكن جيمي من مغازلته. في أحد الأيام كانا يتحدثان على الغداء عن بارتين، وكان بوفالينو غاضباً منه. سمعته يقول: «لا، أنا لست مطروداً. لقد قدمت استقالتى». ثم ما لبث أن خرج. لم يعد إلى السجن مرة أخرى لرؤية جيمي على حد علمي. على أي حال، كان بيل لا يزال محامياً للنقابة تحت رئاسة فيتز، ولكن من تلك اللحظة فصاعداً لم يعد مع جيمي، بل أصبح مع فيتز. عرف بيل أنه يستطيع أن يكون بخير من دون جيمي. كان بيل مدير معمل لصنع صناديق الموسيقى<sup>(30)</sup> وكان رئيس العديد من الشركات الأخرى. وكان في وضع جيد جداً. وكان راسل عراباً لابنة بيل.

بعد فترة كانت الأمور تبدو وكأن جيمي كان أحد تلك النمرات التي تراها في حديقة حيوان فيلادلفيا التي تقضي وقتها فقط في القفص، طوال اليوم، تذرعها جيئة وذهاباً، وتتنظر إلى الناس.

---

(30) خزانة مشتملة على فونوغراف آلي تتيح سماع الأغنية المسجلة التي يختارها المرء بمجرد وضع قطعة نقدية في ثقب خاص. (المترجم).

رُفض طلب جيمي هوفّا الأول للإفراج المشروط في نوفمبر 1969. بعد فوزه على هوبرت همفري في عام 1968، كان ريتشارد نيكسون في ذلك الوقت يكمل عامه الأول كرئيس وكان جون ميتشل يكمل عامه الأول في منصب المدعي العام. في وقت تقديم طلب الإفراج المشروط عام 1969، كان طلب هوفّا استئناف حكم تجريمه من قبل محكمة شيكاغو قيد النظر. وبالنظر لأن حكم محكمة شيكاغو بسجنه خمس سنوات كان لا يزال ساريًا، رفضت هيئة الإفراج المشروط طلب هوفّا. من غير المرجح أن يتوقع هوفّا الحصول على إطلاق سراح مشروط من المرة الأولى التي يقدم فيها الطلب، بغض النظر عن مدى التأثير الذي كان يعتقد أنه يملكه في الإدارة الجديدة.

كان تاريخ استحقاق الإفراج المشروط التالي لهوفّا هو مارس 1971. إذا نجح هوفّا في الحصول على إطلاق سراح مشروط في جلسة استماع عام 1971، فسيكون خارج القضبان في الوقت المناسب لحضور مؤتمر نقابة سائقي الشاحنات في يوليو 1971 في ميامي بيتش، حيث سيكون من المؤكد إعادة انتخابه رئيسًا للنقابة الوطنية. لم يعد بحاجة إلى التحكم بخيوط اللعبة من مسافة طويلة. إضافة إلى ذلك، سيكون في السلطة في ظل ظروف مواتية، لم يسبق لها مثيل من قبل. سوف يفوز هوفّا بسهولة لمدة خمس سنوات في عام 1971، ويمكن إعادة انتخاب نيكسون بسهولة إلى فترة أربع سنوات أخرى في عام 1972. وسيسيطر جيمي هوفّا على أقوى نقابة عمالية في البلاد بينما يكون له حليف في البيت الأبيض، وهو الحليف الذي كان المدعي

العام الذي عينه، يستلم نقوداً منه بدلاً من ملاحقته. حليف يستطيع معه القيام بأعمال تجارية وإنجاز الكثير لنقابته ورفاقه. في وقت مبكر جداً من عام 1971، قال فرانك فيتزسيمونز إنه سيترشح للرئاسة إذا لم يحصل جيمي هوبا على الإفراج المشروط في مارس. كان هذا تحدياً مباشراً لجيمي هوبا، لأن هوبا كان لديه كل الحق في الترشح للرئاسة من السجن. فالجرائم التي أدين بسببها لا تتناسب مع لائحة قانون الإفصاح والإبلاغ عن إدارة العمل لعام (31) 1959، للجرائم التي تحرم المدان من تولي منصبه لمدة خمس سنوات. ما دام هوبا يشغل منصباً نقابياً من نوع ما في وقت الانتخابات، يمكنه الترشح للرئاسة. في أثناء وجوده في السجن، كان هوبا لا يزال يشغل عدة مناصب نقابية، بما في ذلك رئيس النقابة الدولية نفسها. بعد إعلان فيتزسيمونز ترشحه، سعى للحصول على موافقة مشروطة من المجلس التنفيذي في اجتماعه في يناير 1971 في مدينة بالم سبرينغز، في كاليفورنيا. أراد فيتزسيمونز التصويت للموافقة على ترشحه للرئاسة إذا لم يحصل هوبا على الإفراج المشروط. رفض المجلس التنفيذي الموافقة على طلبه حتى لو كان بشروط. في جلسة هيئة الإفراج المشروط عن هوبا في مارس 1971، مثله نجله المحامي جيمس ب. هوبا والمحامي موريس شنكر. حصل هوبا على شهادة من بارتين تم تسليمها إلى محاميه. كانت هناك أخبار عاجلة في الصحافة، كان قد أعطاها بارتين

---

(31) قانون العمل الأمريكي الذي ينظم الشؤون الداخلية لنقابات العمال وعلاقات مسؤوليهم بأرباب العمل. (المترجم).

للتو. كان ذلك: «اعترافاً من تسع وعشرين صفحة» تحدث عنه هوفّا في سيرته الذاتية. لكن فريق هوفّا القانوني أبلغ هوفّا خطأ هذه الخطوة وقرر عدم استخدامه. يمكن للمرء أن يفترض فقط أن محاميه فهموا أن جميع هيئات الإفراج المشروط في كل مكان تنظر باستياء إلى أي سجين يحتج من أجل براءته. وفيما يتعلق بهيئة الإفراج المشروط، فقد أثبتت هيئة المحلفين بالفعل مسألة الإدانة، والسجين الذي يواصل الاحتجاج من أجل براءته هو الشخص الذي لم يؤهل خلال وجوده في السجن ومن لا يبدي الندم على سوء أفعاله. كان يُنظر إلى مقدم مثل هكذا طلب بالإفراج المشروط على أنه شخص غير قابل للإصلاح. ربما كان لدى ابن هوفّا فرصة أفضل لجعل أبيه يقبل المشورة القانونية السليمة أكثر مما استطاع المحامون الآخرون.

على أي حال، خسر هوفّا أمام هيئة الإفراج المشروط، وقيل له إنه لا يمكنه إعادة التقديم حتى يونيو 1972. سوف يفوت هوفّا فرصة حضور مؤتمر نقابة سائقي الشاحنات في يوليو 1971. إذا أراد أن يستعجل الأمر، فسيضطر إلى الهروب من السجن.

خلال جلسة الاستماع، بدا أن هيئة الإفراج المشروط تركز بشكل سلبي على حقيقة أن هوفّا كان لا يزال رئيساً لنقابة سائقي الشاحنات. وبموجب قواعدهم، يمكن طلب إجراء جلسة استماع بناءً على أدلة جديدة خلال تسعين يومًا. وقد ترك ذلك لهوفّا بصيص أمل ضئيلاً جداً أنه قد يكون لديه الوقت الكافي للحصول على الإفراج المشروط قبل مؤتمر يوليو. لكن كيف سيقدم هوفّا

أدلة جديدة؟ في النهاية هل عليه أن يهرب من السجن؟ أم أنه سيضطر إلى قبول قرارات مؤتمر 1976 للنقابة الوطنية؟ في 7 أبريل، ذهب هوفبا بلا مرافقين في إجازة لمدة أربعة أيام لقضاء عيد الفصح مع زوجته جو، التي كانت تتعافى في المركز الطبي بجامعة كاليفورنيا في سان فرانسيسكو من نوبة قلبية مفاجئة. نزل هوفبا في فندق سان فرانسيسكو هيلتون، وفي تحدٍ لقواعد الإجازة التي استمرت أربعة أيام، عقد اجتماعات مهمة مع فرانك فيتزسيمونز ومسؤولين ومستشارين آخرين في نقابة سائقي الشاحنات، بما في ذلك زميله المخلص في الفرع المحلي 299 ومن أيام إضراب فتيان الفراولة، بوبي هولمز. كل ما فعله هوفبا في الأشهر التي تلت اجتماعات سان فرانسيسكو كان يجب أن يعكس ما حدث هناك.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

## الفصل الثالث والعشرون

### لا شيء يأتي بسهولة

في شهر مايو تلقيت مكالمة من جون فرانسيس قال لي فيها أن لديه هدية ثمينة جدًا يريد إحضارها إلى الحفلة. أصبح جون سائق راسل. كان شخصًا صالحًا جدًا. أصبحنا أنا وجون قريبين جدًا. كان جون يوصلني بالسيارة لتنفيذ عدد من المهام التي كان يكلفني بها راسل. وكان محل ثقة جدًا ودقيقًا في مواعيده. قد يحدث أحيانًا في مهام معينة أن تنزل من سيارته وتذهب إلى إحدى الحانات، في حين يلف جون بسيارته حول المبنى. وحينها تذهب إلى الحمام، وعند خروجك تقتل شخصًا معينًا في الحانة، ثم تخرج لتجد جون في انتظارك.

لقب جون بـ«ذي الشعر الأحمر». وكان من أيرلندا. وشارك مع الجيش الجمهوري الأيرلندي في عمليات عدة. عاش جون في إحدى ضواحي نيويورك. كان ذو الشعر الأحمر يعرف الكثير من الويستيز. Westies وهم عصابة مؤلفة من عدد من الأشخاص المستهترين الأيرلنديين من حي هيل تشيكن الواقع في الجانب الغربي من نيويورك. كانت المخدرات شائعة بين أفراد تلك المجموعة. إضافة إلى قيامهم بأعمال العنف الطائشة. هذان الأمران كانا يسيران جنبًا إلى جنب. كانت لدى جون علاقة بتجارة المخدرات من حين إلى آخر لمجرد الحصول على بعض المال، لكنه كان يخفيها عن راسل، أو أنه لم يكن يريد قط أن يكون سائق راسل.

لا أعرف من اقترح جون على راسل في المقام الأول. على الأغلب شخص من نيويورك. كان لدى راسل الكثير من الأعمال في نيويورك. على مدى خمسة وعشرين عامًا، كان لراسل جناح من ثلاث غرف نوم في فندق كونسليت. وأود أن أقول أنه كان يذهب إلى نيويورك ثلاث مرات في الأسبوع. كان يطبخ لنا في جناحه. أستطيع سماعه الآن وهو يتكلم معي: «يا بن أكواخ الصفيح، أيها الأيرلندي، ماذا تعرف عن الطبخ؟ في كثير من الأحيان كان يذهب إلى نيويورك في مهام تتعلق بتجارة المجوهرات مع اللصوص. اعتاد راسل أن يحمل معه واحدة من تلك العدسات التي يستخدمها بائعو المجوهرات ويستخدمها مع عينه السليمة. لكن راسل كان مشتركًا في جميع أنواع الأعمال التجارية الأخرى التي تحدث في نيويورك. كانت لديه شركات ملابس مثل تلك التي تصنع أجزاء معينة من الفساتين أو الفساتين ذاتها، وشركات للنقل بالشاحنات، وصفقات نقابية، ومطاعم، وغير ذلك الكثير. كان مكان وجوده الرئيسي في مطعم فيزوفيو الواقع في الشارع الثامن والأربعين في حي المسارح. كان روس يمتلك حصة غير معلنة منه وكذلك حصة من مطعم جوني في الجهة الأخرى من الشارع.

عندما تلقيت مكالمة من جون فرانسيس في شهر مايو ليخبرني بأن لديه هدية للحفلة، توجهت بسيارتي إلى مطعم براندنغ أرون في شارع روزفلت 7600. سلمني جون حقيبة سوداء. لا بد أن وزنها كان مئة باوند. لست متأكدًا إن كان هذا نصف المليون الذي أخذته هو نقود جيمي التي حصل عليها من ألين دورفمان

من صندوق التقاعد . كان يمكن أن تكون تلك النقود التي جمعها دورفمان لجيمي بينما كان جيمي في السجن ووضعها جانباً على شكل قروض تمويلية . ربما جاء المال من روس وكارلوس والذي أخرجوه من كازينو لاس فيغاس . لم يكن ذلك من شأني .

وضعت الحقيبة في المقعد الخلفي لسيارتي الواسعة من طراز لينكولن . كنت قد وضعت صفيحة للبنزين سعة 75 غالوناً في صندوق السيارة ، لذا إذا قام العملاء الفدراليون بتعقبني ، سوف تتفمني تلك الصفيحة الإضافية في مواصلة رحلتي بلا توقف ، والتمكّن من الإفلات منهم .

توجهت إلى فندق هيلتون في واشنطن . كانت المسافة من فيلاديلفيا إلى واشنطن تبلغ نحو 150 ميلاً ، إذا سرت بخط مستقيم عبر ولايتي ديلاوير وماريلاند على الطريق I-95 . كنت أحمل معي في السيارة دائماً جهازاً لاسلكياً من نوع CB يلتقط إشارة الرادار الذي يراقب الطريق لينبهنني إذا ما تجاوزت السرعة المقررة . ولكن مع حزمة نقود بهذا الحجم لم أكن لأقلق بخصوص السرعة .

وصلت إلى هناك وركنت سيارتي وحملت حقيبتني الخاصة إلى بهو الفندق . لم أكن بحاجة إلى خادم الفندق ليحملها عني . جلست على كرسي مريح كان لديهم في البهو . بعد فترة وجيزة دخل جون ميتشل من الباب الأمامي . نظر حوله ورآني جالساً وجلس على الكرسي المجاور . تحدث عن الطقس وسألني كيف كانت قيادتي للسيارة . لقد تبادلنا دردشة عادية حتى لا يبدو الأمر مكشوفاً . سألني ما إذا كنت في النقابة وأخبرته بأنني رئيس الفرع المحلي

326 في ويلمفتون. (للتذكير، في ذلك الوقت كنت قد فزت في انتخابات عام 1970 واستعدت رئاستي للفرع المحلي. ولكوني قد حصلت على وقت لإجراء الحملة الانتخابية ولم أكن في السجن فقد فزت بنسبة ثلاثة إلى واحد). سألني أين في ويلمفتون، وأخبرته بأن مقرنا يقع بالقرب من محطة القطار. تمنى لي قيادة آمنة عند العودة إلى مقر النقابة. ثم قال: «لا شيء يأتي بسهولة».

وقف حاملاً الحقيبة. قلت له: «ألا تريد الذهاب إلى مكان ما وعدّها؟» قال: «إذا كان عليّ أن أعدها، لما كانوا سيرسلونك». كان هذا الرجل يعرف ما يفعل.

سمعت أن ميتشل كان يضغط على بارتين أيضاً. كان وكيل النيابة يزاحم بارتين على هذه الأشياء. لكنني اعتقدت أن هذه النقود كانت بخصوص الإفراج المشروط أو العفو وليس بخصوص بارتين. ولكن عملياً، كانت مخصصة لإعادة انتخاب نيكسون. ما لم يكن جيمي يعرفه في ذلك الوقت، وما انكشف لاحقاً هو أن سالي باغز أحضر تلك النقود من توني برو نيابة عن فيتز. لم يكن حتى روس يعرف ذلك. كان ذلك لإخراج جيمي من السجن أيضاً، بناءً على الإفراج المشروط الذي كان مقيداً، وكان من شأنه أن يمنع جيمي من الترشح لمنصب رئيس النقابة حتى انتهاء مدة سجنه بالكامل في مارس 1980.

لو كان جيمي قد قرر الانتظار حتى عام 1980 ليرأس النقابة، لكان ذلك يعني أنه سيكون بعيداً عن إدارة النقابة لمدة ثلاثة عشر عاماً. في غضون تلك الثلاثة عشر عاماً، كان سوف

يُستبدل بهم مؤيدي جيمي القدامى، وبحلول ذلك الوقت سيكون قد بلغ من العمر السابعة والسبعين على أي حال. في ذلك الحين، لم يصوت أعضاء النقابة لرئيس النقابة الوطنية أو لأي من المسؤولين الآخرين. تم التصويت من قبل مندوبي المؤتمر في اقتراع مفتوح. استمع المندوبون إلى أعضاء نقاباتهم وعادوا إلى فروعهم المحلية، لكنهم استمعوا في الغالب إلى جيمي أو لمن وضعوهم في مناصبهم. بحلول عام 1980، كان بإمكان فيتز التخلّص من الكثير من مندوبي جيمي وكان الكثير منهم قد تقاعدوا على أي حال، وكان فيتز قد نصّب مؤيديه، مثل ابنه ريتشارد فيتزسيمونز، الذي كان لا يزال يعمل في الفرع المحلي 299 في ديترويت. أما اليوم فإن الأعضاء يصوتون لانتخاب المسؤولين بشكل مباشر وبالاقتراع السري.

وحينها حصل ميتشل ونيكسون على غايتها بشأن هذا الأمر. في 28 مايو 1971، قُتل أودي ميرفي في حادث تحطم طائرة صغيرة بينما كان يعاين موقع صفقة تجارية شارك فيها مع جماعة هوبا. مهما كانت المساعدة التي كان يتوقعها جيمي هوبا من أودي ميرفي في التعامل مع إد بارتين، فقد سقطت مع طائرة مورفي.

بعد ستة أيام من تحطم طائرة مورفي، وبعد أسبوعين من إخبار ميتشيل لفرانك شيران أن «لا شيء يأتي بسهولة»، عقد فرانك فيتزسيمونز، بصحبة الشاب جيمس بي. هوبا، مؤتمرًا صحفيًا في فندق بلای بوی بلازا في ميامي بيتش. أعلن فيتزسيمونز أنه تلقى رسالة من جيمي هوبا تفيد أن جيمي لن يرشح لإعادة

انتخابه وأن جيمي يؤيد صديقه القديم من الفرع المحلي 299 في ديترويت، نائب الرئيس العام، فرانك فيتزسيمونز، لمنصب رئيس النقابة الوطنية لسائقي الشاحنات.

بعد أسبوعين في 21 يونيو 1971، خاطب فيتزسيمونز الاجتماع الفصلي للمجلس التنفيذي في ميامي. لم يسمح للصحفيين بدخول القاعة، ولكن الغريب أن فيتزسيمونز سمح لمصورى الصحف بالدخول. أعلن فيتزسيمون مخاطبًا المجلس أن جيمي هوبا قد استقال من منصبه كرئيس وعينه رئيسًا بالنيابة حتى المؤتمر المقبل. في تلك اللحظة، دخل الرئيس ريتشارد إم. نيكسون إلى الغرفة وجلس في مقعد بجوار فيتزسيمونز. وبدأ المصورون التقاط الصور. أمة نة ية قبتله

بعد ذلك بيومين، وتبعًا لخطة اللعبة الجديدة للتعامل مع هيئة الإفراج المشروط، كتب جيمس بي. هوبا رسالة إلى المجلس التنفيذي في 23 يونيو 1971، يخبر المجلس بأن موكله قد استقال من منصب رئيس النقابة الوطنية لسائقي الشاحنات، ورئيس الفرع المحلي 299 في ديترويت، ورئيس المجلس المشترك 43، ورئيس مؤتمر ميشيغان لنقابة سائقي الشاحنات، ورئيس مؤتمر الولايات المركزية لنقابة سائقي الشاحنات. بناءً على هذا الدليل الجديد، طلب جيمس بي. هوبا إجراء جلسة استماع أمام هيئة الإفراج المشروط. أشار جيمس بي هوبا في رسالته إلى أن والده كان يعتزم قضاء فترة تقاعده ليعيش على معاشه ويقوم بإلقاء بعض المحاضرات والدروس.

عُقدت جلسة استماع أولية أمام هيئة الإفراج المشروط في 7 يوليو 1971. بناءً على «الأدلة الجديدة» الواردة في الرسالة والمُرسلَة مسبقًا في الجلسة الأولى، قررت هيئة الإفراج المشروط عقد جلسة استماع كاملة في 20 أغسطس 1971. عندما وصلت إلى مؤتمر يوليو 1971 في ميامي بيتش، رأيت صورة كبيرة جميلة لجيمي على الحائط خارج مركز المؤتمرات. ذهبت إلى الداخل ولم يكن هناك صورة واحدة لجيمي في أي مكان. كان الأمر كما لو أنهم يفعلون ذلك في روسيا. يستفادون من الشخص ثم يقومون بعد ذلك بمحو ذكره. أمسكت زوجين من الرجال وذهبت إلى الخارج وأنزلت صورة جيمي وأدخلتها معي وعلقتها بالداخل. لقد علقتها في مكان بارز مثل صورة فيتز. ما أردت القيام به هو أخذ صورة فيتز ووضعها في الخارج ووضع صورة جيمي في المكان الذي وضع فيه فيتز صورته الخاصة، ولكن لا يمكنك فعل ذلك. كانت الأعمال العدائية في ذلك الوقت لم تتدلع علنًا بعد. ولم أكن لأفعل شيئًا كهذا من دون تعليمات من جيمي.

تحدثت جو زوجة جيمي في ذلك المؤتمر في يوليو 1971. نقلت تمنيات جيمي للجميع وهاج الحاضرون. وبدؤوا يصفقون وقوفًا. كان ذلك حشدًا كبيرًا من مناصري هوبا. كان فيتز محظوظًا لأنه لم يحصل على صيحات استهجان.

حاول مكتب التحقيقات الفدرالي إدخال عملائه إلى المؤتمر على شكل عمال صيانة، لكنني اكتشفتهم وأبعدتهم. وقد تأكدت من أنني على حق عندما لم يعودوا مع رئيسهم بعد ذلك قط لإثبات أنهم كانوا عمال صيانة حقًا.

لا أعرف ما كنت أفكر فيه آنذاك، لكنني لم أكن أعرف حتى ذلك الوقت أن جيمي كان لا يزال رئيسًا عندما عاد عام 1967. لا بد أنني أسأت فهم ما كان يحدث. اعتقدت أن جيمي تخطى عن الوظيفة ووضع فيتز في منصب الرئيس في النيابة حتى خروجه. واعتقدت أن فيتز كانت له وظيفتان: نائب الرئيس والرئيس. تصرف فيتز بالتأكيد وكأنه كان الرئيس طوال الوقت كلما كانت لي أي مهام معينة. اعتقدت أنه كان الرئيس عندما أرسلني إلى شارع سبرنغ غاردن في حادث تبادل إطلاق النار. لم يكن الأمر كذلك، لا ينتبه المرء أحيانًا عندما يكون مشغولًا بتنفيذ عدة مهام.

في 19 أغسطس 1971، قبل يوم واحد من جلسة إعادة الاستماع لجيمي هوفّا أمام هيئة الإفراج المشروط، عقد فرانك فيتزسيمونز مؤتمرًا صحفيًا وأشاد بالحزمة الاقتصادية للرئيس نيكسون باعتبارها مفيدة للبلاد وللعمال. كان جميع القادة النقابيين الآخرين في البلاد الذين كانت لديهم مناصب، وخاصة رئيس الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية جورج ميانى، قد وقفوا بقوة ضد خطط نيكسون الاقتصادية.

في اليوم التالي، 20 أغسطس 1971، لم يتم استقبال جيمس ب. هوفّا وموكله من قبل هيئة الإفراج المشروط الذي قيل لهم أنهم سيحصلون عليه. قُوبلت استقالات جيمي هوفّا من مناصبه النقابية بلا مبالاة. تم استجواب جيمس بي. هوفّا عن الوظيفة التي يشغلها في الفرع الدولي لنقابة سائقي الشاحنات، كما لو أن وظيفته كانت ذات صلة بخطط جيمي هوفّا للعيش إذا

حصل على الإفراج المشروط. بعد ذلك، تم التحقيق مع جيمس بي. هوفّا عن عمل والدته في لجنة العمل السياسي في الفرع الوطني لنقابة سائقي الشاحنات المسماة «لجنة توعية الناخبين الجمهوريين والديمقراطيين المستقلين». عندما قام جيمي هوفّا المتقاعد مؤخراً بتسوية مدفوعات المعاشات الشهرية المستقبلية بالقيمة الحالية، حصل على مبلغ إجمالي قدره 1.7 مليون دولار. نظراً لأن هذا الرقم كان من المؤكد أن يزعج توني برو رئيس العصابة التي كان ينتمي إليها سالي باغز في ضوء طلب برو حين كان مسجوناً من هوفّا مساعدته في تسوية معاشه، فإن الحجم الضخم للمبلغ الذي سيحصل عليه جيمي أثار غضب هيئة الإفراج المشروط. تم التحري عن هذا الموضوع من قبل الهيئة بلغة ونبرة عدائيتين. أخيراً، تم الكشف عن صلات جيمي هوفّا بالجريمة المنظمة بتفصيل كبير، كما لو أن الهيئة قد صدمت بها بطريقة ما، وهي ببساطة قد صدمت. على الرغم من التصويت الذي جرى في يوليو على إعادة النظر في «الدليل الجديد» لتقاعد جيمي هوفّا من جميع مناصبه النقابية و «الدليل الجديد» على خططه في إلقاء المحاضرات والتدريس، صوتت هيئة الإفراج المشروط بالإجماع لرفض طلبه بالإفراج المشروط عنه. قيل لهوفّا أنه يمكنه إعادة تقديم الطلب في العام التالي، في يونيو 1972، بمحض الصدفة كان ذلك هو الشهر والسنة التي شهدت حدوث فضيحة ووترغيت التي أسقطت ريتشارد نيكسون وأرسلت المدعي العام جون ميتشل والعديد من موظفي البيت الأبيض الآخرين إلى السجن.

ما هذه الاحتمالات الكثيرة التي اضطر «فريق الخروج من السجن» إلى مواجهتها واستكشافها؟ هل رسم فرانك فيتزسيمونز خطة محبوكة لخداع جيمي هوفاً للاستقالة من جميع مناصبه النقابية الكثيرة حتى لا يكون جيمي هوفاً مؤهلاً للترشح للرئاسة من السجن في يوليو 1971؟ هل دُفع جيمي هوفاً إلى الاعتقاد أنه إذا تخلى عن فكرة الهروب من السجن في يوليو 1971، سوف يحصل على حريته من السجن في أغسطس 1971؟ وهل دفع هوفاً إلى الاعتقاد بأنه بالاستقالة من مناصبه النقابية، فإنه سيعطي هيئة الإفراج المشروط وإدارة نيكسون عذراً لحفظ ماء وجههم وإطلاق سراحه؟ هل وقع في هذا الفخ رجل مشهور بعدم المساومة بدافع الرغبة في العودة إلى زوجته المكسورة الفؤاد وعائلته، التي كان مخلصاً لها؟ هل سقط في هذا الفخ لأنه كان يثق ويؤمن بأنه مع حريته يمكنه العودة إلى مناصبه النقابية بسهولة وفي وقت قصير واستعادة منصب الرئاسة في مؤتمر عام 1976، أو عاجلاً إذا اضطر إلى إخراج فيتزسيمونز الضعيف والجبان بالقوة من منصبه؟ هل تفوق أمثال فرانك فيتزسيمونز بشكل كامل على جيمي هوفاً؟ يبدو أن كلاً من نيكسون وفيتزسيمونز وميتشل كانوا يلعبون جميعاً بنفس الطريقة، وبدأ أنهم يمسكون كل أوراق اللعب.

ما الذي كان سيحصل عليه جيمي هوفاً مقابل تقديم أمواله ودعمه للرئيس نيكسون؟ والآن، ماذا سيحدث بعد أن أغلقت هيئة الإفراج المشروط لنيكسون النافذة على أصابعه؟

في تجمع عمالي في ديترويت، حث الرئيس فرانك فيتزسيمونز صديقه الجديد الرئيس ريتشارد نيكسون علناً على العفو عن جيمي هوفاً.

في 16 ديسمبر 1971، ومن دون إحداث ضجة ومع تجاوز جميع القنوات العادية، قدم المحامي موريس شنكر التماسًا بالعضو إلى البيت الأبيض. وبدلاً من أن يمر الالتماس عبر وزارة العدل للرد، وبيان رأي المدعين العامين ومكتب التحقيقات الفدرالي، ويتحول إلى اثنين من القضاة المختصين بإصدار الحكم لبيان رأيهم كإجراءات سارية لسنوات مطلوبة، تم وضع هامش على العريضة بكلمة «موافق» من قبل المدعي العام جون ميتشل.

ذهبت إلى سجن لويسبرغ لرؤية جيمي قبل عيد الميلاد. كان هناك موري شينكر يحمل أوراق العفو التي كان نيكسون سيوقعها. كنت جالساً على طاولة أخرى مع أحد الفتيان. لم يعترض الحراس على شيء ومرّروا الأوراق إليّ على سبيل المجاملة، وقرأت الأوراق. كان مذكوراً فيها إن جيمي بإمكانه الخروج في جميع الأحوال في نوفمبر 1975، لكن نيكسون يمكن أن يسمح له بالخروج الآن. لم تذكر كلمة واحدة عن عدم تمكن جيمي من الترشح لمنصب الرئاسة حتى عام 1980. يمكنني أنؤكد لك أنني كنت سأختار ذلك على الفور. كان جيمي يخطط بالفعل للترشح في عام 1976. ربما لم أحصل على الكثير من التعليم، لكنني كنت أقرأ عقود النقابات والوثائق القانونية لسنوات عديدة. لقد قرأت مئات الوثائق التي كانت أكثر تعقيداً بكثير من هذا العفو. كل ما قيل هو أن جيمي سيخرج أخيراً. كنا سعداء في غرفة الطعام تلك، وبعد الكثير من الخذلان من قبل بارتين وفيتزسيمونز ونيكسون وميتشل، حصل جيمي أخيراً على ما دفع ثمنه. كان سيخرج لقضاء عيد الميلاد. الشيء الوحيد الذي

كنا نفعله كان الحديث عن أخذ جيمي لقضاء إجازة في فلوريدا لبضعة أشهر ليرتاح قليلاً قبل أن يعود إلى العمل. لم يحدث خلاف في لويسبورغ في ذلك اليوم.

بدأ الجدل عندما خرج جيمي وذهب إلى ديترويت وسلموه الأوراق النهائية التي وقعها نيكسون وحصلنا جميعاً على درس جيد عندما أدركنا أنها تحمل بين ثناياها بلغة إنجليزية واضحة الخذلان له. فبموجبها لن يتمكن جيمي من خوض الانتخابات إلا بحلول عام 1980، وبذلك سيفقد انتخابات 1976. لو كان قد أقام في السجن وقضى كل محكوميته لكان قد خرج في عام 1975 وسيكون لديه وقت كثير لأجل حضور مؤتمر 1976. كان هذا قبل فضيحة ووترغيت، ولكن من كان يعرف أننا كنا نتعامل مع مجموعة من اللصوص.

وقّع ريتشارد نيكسون منحة الرأفة التنفيذية التي تخفف عقوبة هوبا من ثلاث عشرة سنة إلى ست سنوات ونصف في وقت قياسي في 23 ديسمبر 1971. وبفضل رصيده من السلوك الحسن، كفل التخفيض إلى ست سنوات ونصف ضمان إطلاق سراح هوبا الفوري. في نفس ذلك اليوم خرج هوبا من السجن في لويسبورغ، في بنسلفانيا، وسافر إلى منزل ابنته المتزوجة باربرا في سانت لويس ليكون مع عائلته في عيد الميلاد. ومن هناك عاد إلى منزله في ديترويت للتسجيل في مكتب الإفراج المشروط الفدرالي، حيث أن هوبا لا يزال «على الورق»، في حالة انتظار للمحاكمة، حتى تكتمل الست سنوات ونصف في مارس 1973. توجّه هوبا من ديترويت إلى فلوريدا ليقضي فترة

راحة لمدة ثلاثة أشهر. في أثناء وجوده في ديترويت، قرأ هوفاً وأنصاره، بما في ذلك فرانك شيران، البند التالي في العفو الذي أصدره ريتشارد نيكسون:

«... لا ينخرط جيمس ر. هوفاً المذكور آنفاً في إدارة مباشرة أو غير مباشرة لأي منظمة عمالية قبل 6 مارس 1980، وإذا لم يتم استيفاء الشرط المذكور أعلاه، فسيكون هذا القرار باطلاً ولاغياً بالكامل...»

في 5 يناير 1972، سافر جيمي هوفاً جواً إلى فلوريدا إلى شقيقته في بليز هاوس في ميامي بيتش. كان في استقباله في المطار فرانك راغانو كعلامة احترام من سانتو ترافيكانتى وكارلوس مارسيلو، اللذان لم يتمكنوا من إظهار وجهيهما لأسباب عديدة. ربما كان السبب الأكثر أهمية هو أنه لا يُسمح لمن حصل على الإفراج المشروط الفدرالي أن يكون برفقة شخصيات الجريمة المنظمة أو المجرمين المدانين. في 12 فبراير 1972، قال جيمي هوفاً في برنامج قضايا وأجوبة الذي تبثه شبكة American Broadcasting Company التلفزيونية، إنه شخصياً سيدعم ريتشارد نيكسون في عام 1972. كان عليه أن يلتزم بدقة بشروط الإفراج المشروط حتى انتهاء مدته في مارس 1973. كان لدى جيمي هوفاً خبرة كافية في ذلك الحين لدرجة أنه لا يثق بأن إدارة ريتشارد نيكسون ستتعامل بنزاهة مع إفراجه المشروط إذا أثارها بمطاردته لفيتزسيمونز. قرر جيمي هوفاً أن لا يستقزمهم. في 17 يوليو 1972، بعد شهر من فضيحة ووترغيت، وافق المجلس التنفيذي برئاسة فرانك فيتزسيمونز رسمياً على إعادة انتخاب الرئيس ريتشارد نيكسون في تشرين الثاني (نوفمبر)

بأغلبية 19 صوتاً مقابل 1. كان الصوت الواحد يخص هارولد جيبونز، نائب الرئيس الذي أغضب هوفاً بسبب قيامه بتكيس العلم حزناً على اغتيال الرئيس جون ف. كينيدي. تم تعيين السيدة باتريشيا فيتزسيمونز، زوجة فرانك، من قبل نيكسون للعمل في لجنة الفنون بمركز كينيدي للفنون المسرحية.

عندما يكون هوفاً جاهزاً، ستمحور خطة هجومه على تحدٍ دستوري لحالة العفو الخاص به. سيجادل محامي حقوقه المدنية بأن الرئيس تجاوز سلطاته بإضافة شرط للعفو. بموجب الدستور يتمتع الرئيس بسلطة العفو أو عدم العفو، ولكن ليس لديه سلطة، صريحة أو ضمنية، في العفو في حالة كان يمكن إلغاء العفو عنه في وقت لاحق وعاد من منحه العفو إلى السجن. يمنح العفو المشروط الرئيس سلطة أكبر مما كان يقصده الآباء المؤسسون. إضافة إلى ذلك، أضاف هذا التقييد الخاص عقوبة بعدم السماح بإدارة النقابة. لم يكن لدى هوفاً مثل هذا التقييد حتى في أثناء وجوده في السجن. وعلى الرغم من أن قوانين السجن جعلت من الصعب القيام بذلك، إلا أنه لم يكن ممنوعاً. لم تكن هذه العقوبة الجديدة قد أُعطيت لهوفاً وقت صدور الحكمين عليه، ولم يكن للرئيس سلطة زيادة العقوبة التي فرضها قاضي الحكم.

بالإضافة إلى ذلك، انتهك هذا الشرط حق هوفاً الذي نص عليه التعديل الأول للدستور عن حرية التعبير والتجمع من خلال وضع حظر على انتسابه إلى منتدى صالح وشرعي لممارسة هذه الحريات.

ومع ذلك، ولأنه كان يكره السجن ويخشى من أن إدارة نيكسون ستراقب الإفراج المشروط من كذب إذا رفع دعوى قضائية كهذه، تظاهر هوفاً بالقبول حتى انتهاء فترة الإفراج المشروط عنه ليكون «قد استوفى كل شروط الإفراج» في مارس 1973. حتى تلك اللحظة كان يمكن لفيتزسيمونز الاسترخاء.

كانت هناك الكثير من الادعاءات وتوجيه أصابع الاتهام من مقر نيكسون في البيت الأبيض حول موضوع ذلك القيد في العفو. شهد جون دين، مستشار البيت الأبيض، وكان شاهداً في قضية ووترغيت ضد حلفائه، بأن التمسك ببند التقييد حتى اللحظة الأخيرة كانت فكرته. وشهد بأن غايته كانت مجرد أن يظهر أنه محام جيد، لأنه عندما طلب منه ميتشل إعداد الأوراق ذكر ميتشل عرضاً أن هوفاً قد وافق شفهيّاً على البقاء خارج النشاط النقابي حتى عام 1980.

كان مستشار البيت الأبيض الآخر -السجين المستقبلي بسبب فضيحة ووترغيت والمشتبه في تواطئه في حيلة بند التقييد- هو المحامي تشارلز كولسون، المستشار الخاص للرئيس، والرجل المسؤول عن قائمة أعداء نيكسون سيئة السمعة. شهد جون دين أن كولسون طلب منه حث مصلحة الضرائب على التحقيق في الشؤون المالية لهارولد جيبونز، العضو الوحيد في المجلس التنفيذي لنقابة سائقي الشاحنات الذي لم يصوت لتأييد إعادة انتخاب نيكسون. تم إصدار مذكرة من كولسون إلى دين تطلب منه القيام بالتدقيق وأطلق على جيبونز لقب «عدو كامل». أدلى جيمي هوفاً بشهادته في الإفادة: «إنني ألوم رجلاً واحداً في

مسألة تقييد العفو... تشارلز كولسون». احتل كولسون المركز الخامس في من تمت مناقشتهم حول الموضوع خلال جلسات استماع فضيحة ووترغيت، على الرغم من أنه اعترف بمناقشة العفو مع فيتزسيمونز قبل منحه كان من الصعب أن نتخيل أن الرجلين لم يناقشاً شيئاً مهماً مثل التقييد.

هل كان التقييد نتيجة لكون دين محامياً جيداً؟ هل كان كولسون وميتشل يأمران بوضع البند بطريقة يعتقد دين أن إضافته هي فكرته؟ إذا تمت صياغة موضوع التقييد بالطريقة الصحيحة من قبل رئيسه، لكان أي محام شاب حكيم قد أضاف البند بنفسه. كان جون ميتشل يعمل محامياً في وول ستريت، وكان يعرف كيف يخدع محامياً مبتدئاً.

بعد فترة وجيزة من استقالة كولسون من البيت الأبيض، وقبل أن يذهب إلى السجن، عاد إلى ممارسة المحاماة في مكتب خاص. أخذ فرانك فيتزسيمونز العقد القانوني المربح للنقابة الوطنية لسائقي الشاحنات بعيداً عن إدوارد بينيت ووليامز وأعطاه لتشارلز كولسون، وبالتالي ضمن كولسون مقدم أتعاب قدره 100,000 دولار في السنة، كحد أدنى.

منذ تلك الأيام العصيبة، غير تشارلز كولسون مسار حياته وأسس منظمة مسيحية تقوم بزيارات إلى السجن وتشجع السجناء على اتباع مسار روحاني للخلاص. كنت في أثناء وجودي في أكبر سجن في ديلاوير لمقابلة فرانك شيران أو أي عميل آخر، أرى تشارلز كولسون وقد تحول إلى شخص تائب ووقور يغادر السجن بعد زيارته النزلاء، يحمل الكتاب المقدس في يده.

في غضون ذلك، كان جيمي هوفاً ينتظر الفرصة المناسبة. لم يعد من المحتمل أن يعود هوفاً إلى السجن. وكما كتب في سيرته الذاتية: «لقد أمضيت ثمانية وخمسين شهراً في لويسبورغ، ويمكنني أن أقسم لك على هذا على كومة من الأناجيل: السجن قديمة الطراز، ووحشية، غير متجددة، كأنها ثقب جحيم مكتظة، إذ يعامل السجناء مثل الحيوانات دون أن تكون هناك على الإطلاق فكرة إنسانية معينة لما سيفعلونه بمجرد إطلاق سراحهم. أنت مثل حيوان في قفص وتتم معاملتك على هذا الأساس».

## الفصل الرابع والعشرون

### كل ما في الأمر أنه كان يحتاج إلى خدمة

خلال السنة الأولى التي خرج فيها جيمي هوبا من السجن، كان عليه الحصول على إذن إذا أراد الذهاب إلى أي مكان. لم يُسمح له بالذهاب إلى مؤتمرات النقابات، لكنه حصل على إذن للذهاب إلى كاليفورنيا أو إلى أي مكان آخر. كان ينزل في نفس الفندق الذي يقيم فيه جميع الرجال الآخرين، وكان يلتقيهم في بهو الفندق. أعتقد أنه يمكنك أن تقول أن جيمي كان يلقي المحاضرات والدروس.

قام جيمي بالكثير من الأنشطة الخفية، فلم يقتصر الأمر على تلك التي كان يقوم بها علناً. كان ينجز الكثير من الأشياء بواسطة الهاتف. كان الأمر أشبه بإبقاء الجميع في الطابور وإخبارهم أنه سيعود حتى لا يشعروا بالإغراء للذهاب إلى فيتز.

طرت إلى فلوريدا لأرى جيمي لبضعة أيام في شقيقته. اتصلت به من المطار بينما كنت أنتظر سيارتي المستأجرة. أخبرني بأن زوجته جو غير موجودة معه، وأن عليّ شراء بعض السجق الحار من مطعم لومس الموجود على الطريق حتى نتمكن من ملء بطوننا.

بعد أن أكلنا السجق، تحدثنا عن استقالة جون ميتشل من منصب المدعي العام لإدارة حملة إعادة انتخاب نيكسون. فأصبح وجود لجنة إعادة انتخاب الرئيس مفيداً بالنسبة إليهم، وسيتمكن أولئك الأولاد من الحصول على المزيد من النقود.

أخبرني جيمي بأنه سيرد بالمثل على فيتز وتوني برو لقيامهما بوضع بند التقييد. وقال إنه سيعود إلى منصبه بالتأكيد. كان بالفعل يحضر لإقامة دعوى قضائية ضد بند التقييد، وقلت لجيمي أنني أريد أن أكون طرفاً في الدعوى. ثم أخبرته بأن جون مأكولو مع نقابة عمال البناء وبعض الأشخاص الآخرين في فيلاديلفيا سيقومون حفل تكريم لي. سألته إذا كان يمكن أن يكون أبرز المتحدثين فيه. طلب مني جيمي أن أجعلهم يؤجلون الحفل حتى ينتهي من قضية الإفراج المشروط، وأنه يشرفه أن يتكلم في الحفل.

في هذا الوقت افترض جيمي أنه كان قوياً جداً بوجود رؤساء العوائل إلى جانبه. كان معه روس وكارلوس وسانتو وجيانكانا ورئيسي شيكاغو وديترويت. في أثناء وجوده في لويسبورغ، اقترب من كارمين غالانتي الملقب بالسيجار، ومن كوينز، رئيس عائلة الجريمة المنظمة بونانو. كان غالانتي قاسياً جداً. لا تهمة مشاعر الآخرين ويفعل بهم ما يحلو له.

يعتقد جيمي أن المشكلة الوحيدة التي واجهته في مجتمع المافيا كانت مع توني برو بسبب مشاجرتهم في السجن. لقد تصور أن برو كان يدعم فيتز، لذا فإن فيتز سيساعد برو في الحصول على تسوية موضوع مستحقته مع صندوق التقاعد والحصول عليها دفعة واحدة. وكان جيمي يقول، حين يتحدث عن برو وفيتز: «سيدفع له مستحقته»، أخبرني جيمي أنه سيرسل رسالة إلى فيتز. وقال إنه سيتولى أمر برو. لم يحدد ما سيقوم به، لكنني افترضت أن تولي أمر برو ستكون هي الرسالة التي سيوصلها إلى فيتز.

حينها قال: «يجب القيام بشيء ما مع برو».

فقلت له: «حالما تمنحني الإذن سأتوجه إلى بيته، عندي رجل مناسب يمكنه أن يوصلني بالسيارة إلى هناك. إنه ذو الشعر الأحمر».

قال جيمي: «سأكون أنا السائق. أريده أن يعرف أنه أنا».

عندما قال أنه سيكون السائق، كان يتطرق إلى أخطر ما في الموضوع. بعد أن قال ذلك، اعتقدت أنه كان لا يقصده، بل قال ذلك لينفس عن غضبه فحسب. فليس من المعقول أن تستخدم سائقاً مشهوراً مثل ميلتون بيرل<sup>(32)</sup>.

أثبت ذو الشعر الأحمر بالفعل أنه الرجل المناسب عندما يتعلق الأمر بقيادة السيارة. قبل فترة وجيزة من جلوسي مع جيمي في فلوريدا في ربيع عام 1972 وتناول السجق الحار، أوصلني بالسيارة لتنفيذ مهمة معينة.

في وقت متأخر من إحدى الليالي تلقيت مكالمة من روس لأخذ أخي الصغير وأذهب لأرى ذا الشعر الأحمر. (كان يعني بالأخ الصغير المسدس). لشيء مثل هذا سيكون معي شقيقان صغيران. سيكون معي واحد في خصري وآخر احتياطي في حافظة الكاقل. عليك أن تستخدم شيئاً مثل مسدس عيار 32 و38 لأنك تحتاج إلى تأثير أكثر مما يمكنك الحصول عليه باستخدام مسدس عيار 22. لن تكون بحاجة بالتأكيد إلى كاتم للصوت، والذي يُركَّب في الغالب فقط مع مسدس عيار 22. لكي تقتل به دون أن تحدث

---

(32) ممثل كوميدي شهير. (المترجم).

ضجة. أردت القيام بإطلاق نار طائش يصدر ضجيجًا في كل مكان لجعل الشهود يختبئون. ولكن ليس ذلك النوع من الضجيج الذي يحدثه مسدس من عيار 45. والذي يمكن أن تسمعه سيارة دورية من بعد بضعة مبانٍ. لذلك لن تستخدم مسدسين من عيار 45. على الرغم من أن لهذا المسدس تأثيرًا من الدرجة الأولى. إلى جانب ذلك، فإن المسدس من عيار 45 لا يكون دقيقًا من مسافة تتجاوز الخمسة والعشرين قدمًا.

عندما أغلقت الهاتف وركبت سيارتي، لم أكن أعرف في ماذا كان يفكر روس، لكنه كان يحتاج إلى خدمة وذلك كل ما في الأمر. إنهم لا يقدمون لك إشعارًا مسبقًا. لديهم أناس يتعقبون الرجل. ولديهم أناس يجمعون المعلومات. ولديهم أشخاص يتتصتون على هاتفه، ويكتشفون متى من المحتمل أن يكون في الشارع وحده. إنهم لا يريدون أن يكون هناك الكثير من الناس في الشارع.

قبل يومين من مؤتمر يوليو في عام 1971، حيث وضعت صورة جيمي داخل مركز المؤتمرات، وصل أمر من هارلم إلى جوي غالو الذي يلقب بالمجنون ليقوم بقتل جو كولومبو رئيس عائلة كولومبو. وقد تم هذا الأمر خلال مسيرة رابطة الحقوق المدنية للأمريكيين من أصل إيطالي، التي جرت في ساحة كولومبوس، وبقي المسكين جو كولومبو في غيبوبة سبع سنوات. وفوق كل شيء آخر، أصيب جو كولومبو أمام عائلته وأقاربه. التعامل مع الأمر بهذه الطريقة هو شيء ينتهك البروتوكول. لا شك أن غالو حصل على موافقة لقتل زعيم مثل كولومبو، ولكن ليس بهذه الطريقة، أمام عائلته. أعتقد أن هذا هو السبب الذي جعلهم يلقبونه بـ «جوي المجنون».

وعلى حد علمي، تمت المصادقة على عملية قتل كولومبو لأنه كان يلفت الكثير من الانتباه إلى رجال المافيا من خلال كل هذه التجمعات والدعاية التي ترافقها، وكان لا يستمع إلى أي شخص يطلب منه التوقف عن القيام بها. لذا صدر القرار بتصفيته. لو كان راسل في اللجنة فأنا على يقين من أنه كان سيصوت ضد العملية. كان لراسل فرع خاص به من رابطة الحقوق المدنية للإيطاليين من أصل أمريكي التي أسسها كولومبو وكان يقع في ولاية بنسلفانيا. وقد منحني ذلك الفرع جائزة رجل العام. علقت شهادة التكريم في غرفتي.

حينها جاء الدور على الرجل الذي نفذ العمل القذر بقتل كولومبو، فقد كان يتجول في نيويورك مع المشاهير في مجال الدعاية والإعلان. كان ينشر أخباره في الصحف طوال الوقت. فتغطي جولته مع هذا النجم السينمائي أو ذاك الكاتب أو تشر أخبار ذهابه للعب الورق مع رواد النوادي الليلية في نيويورك، وسيكون للمصورين يوم حافل. كان جوي المجنون يلفت الانتباه ويسلط الأضواء عليه. وهذا ما لم يكونوا بحاجة إليه. كان يفعل أشياء في الدعاية أسوأ مما فعل جو كولومبو على الإطلاق. أحب كولومبو تسليط الأضواء عليه، أما غالو فقد أحبها أكثر منه. وإذا ما تجاهلت كل هذا، فإنني سمعت أنه كان يبتز مالكي مطعم في حي ليتل إيتالي حتى يستطيع الاستمرار في نمط حياة الأغنياء والمشاهير الذين كان يتجول معهم، مثل الممثل إيرول فلين. كان العبث مع أصحاب هذا المطعم أمرًا غير مقبول بالتأكيد.

كان لدى جون فرانسيس ذي الشعر الأحمر مجموعة من صور جوي غالو المجنون منشورة في صحف نيويورك. لم أقابل الرجل من قبل، لكنني بتُ الآن أعرف كيف يبدو. كان لدى جون رسم تخطيطي لمطعم أمبرتو كالم هاوس، بما في ذلك الباب الذي في الزاوية، والباب المطل على شارع مولبري، وحمام الرجال. كان المكان مملوكاً لرئيس بارز جداً كلف أخاه بإدارته. لقد انتقل إلى مكان آخر منذ تلك الأيام، لكنه كان لا يزال في حي ليتل إيتالي.

كان غالو في المدينة يحتفل بعيد ميلاده، وكان من أرادوا القيام بالعملية قد حصلوا بطريقة ما على معلومة موثوقة، أنه سينتهي ليلته في مطعم أمبرتو، وكانت لديهم معلومة مؤكدة أين سيجلس، إلى اليسار عند دخولك من الباب المطل على شارع مولبري. ربما دعاه بعض الناس لينتهي ليلته هناك. على أي حال كان هو المطعم الوحيد المفتوح في ذلك الوقت من الصباح الباكر. حُطّط للعملية بشكل جيد، لكنها كانت تتطلب شخصاً يجيد إطلاق النار. سيكون هناك جوي غالو المجنون مع حارسه الشخصي وبعض النساء من أقاربه، بما في ذلك زوجته الجديدة وأخته. كان إطلاق النار على غالو شيئاً، وإطلاق النار على النساء شيء آخر. لذا كنت بحاجة إلى دقة تصويب عالية جداً، لأنه عليك ألا تقترب منه أكثر من خمسة عشر إلى عشرين قدماً، ولا تريد أن تصيب أي امرأة موجودة في حفلته.

لم تكن هناك أي طريقة تمكّنك من الاقتراب أكثر من خمسة عشر قدماً من الرجل، وإلا فإن الحارس الشخصي سيطلق النار

عليك من المسدس الذي يحمله . كان على غالو أن يشك في أن شخصاً ما يبحث عنه . كان يعلم أنه قد أغاظ الكثير من الناس ، وكان يعرف نوعية الأشخاص الذين كان يتعامل معهم . كان على غالو أن يكون متأهباً لأي طارئ . لكنه شخصياً ما كان يحمل معه أي قطعة سلاح . لقد كان مداناً بارتكاب جريمة لذلك لم يكن ليخاطر بحمل السلاح قط . كان لدى نيويورك قانون صارم لحمل السلاح ، وكان يعرف بقانون سوليفان . لا يمكنك أن تتوقع أن تحمل أي من النساء قطعة سلاح في حقيبتها لتدافع عنه لأنهن لم يكن في موعد غرامي . كان الحاضرون من أقارب الأسرة . لن يكون هناك أي شخص يجلس مسترخياً على طاولة أخرى يراقبه ، لن يتم إخبار جون فرانسيس أن هناك رجلاً آخر كان يتجول بالقرب من مكان الحفلة في تلك الليلة . هذا يعني أن الشخص الوحيد الذي من المحتمل أن تكون لديه قطعة سلاح لحمايته هو الحارس الشخصي . كان عليك أن تبعد عن طريقك أولاً . لم يكن لديك سبب لإصابته إصابة قاتلة ، لذلك عليك أن تطلق عليه النار في ظهره أو أسفل بطنه وتجنب شريان رقبته أو قلبه . كنت ترغب فقط في أن تعيق حركته . أنت بالتأكيد بحاجة إلى شخص يجيد إطلاق النار مع بعض المهارة في هذه المسألة . وكان عليك أن تذهب وحدك أو ستحصل على تبادل لإطلاق النار كما يحدث في أفلام الكاوبوي . وأن تذهب بمفردك ، معناه أنه لا يمكنك الاستعانة بأي شخص آخر .

لم أبدأ خطراً أو مألوفاً بأي شكل من الأشكال . بدوت كسائق تعطلت شاحنته يضع قبعة على رأسه يروم الدخول لاستخدام

الحمام، الذي لم يكن بعيداً عن الباب. بدا أن جلدي قد حرقته الشمس لوقوفني تحتها كثيراً. لم أكن أبدو مثل رجال المافيا القتلة.

هناك جانب آخر وهو أنك لا تقتل رجلاً أمام عائلته. لكنها كانت الطريقة التي استخدمها غالو في قتل كولومبو، أمام عائلته. لقد أدخلوا الرجل في غيبوبة. وهذه هي نفس الطريقة التي ستُستخدم مع جوي المجنون. الذي كان يلعب بـ «الفتى اليافع». حدث ذلك قبل اختراع الهواتف المحمولة، لذلك بمجرد أن نذهب لتنفيذ العملية يمكن أن يتغير كل شيء في الوقت الذي نصل فيه. يمكن أن يكون المكان مزدحماً أو ربما يكون جوي قد غادر. لكنه كان في الخارج للاحتفال بعيد ميلاده، وكان يشرب، ولا ينتبه لشيء. عندما يشرب المقاتلون، تتضاءل مهاراتهم. وعلى حد فهمي، كان هناك الكثيرون ممن يحبون غالو. على الرغم من حبه للدخول في مشاجرات. لا شك في أن أولئك الناس كانوا يشترون له المشروبات للتأكد من بقائه في مكانه. وبعد ذلك عندما اكتشفوا أننا سنصل إلى هناك قريباً، أنهوا حفلتهم وتسלّلوا خارجين. في هذه الأثناء، كانت تصطف أمامه زجاجات الشمبانيا وأنواع أخرى من المشروبات وكل ما يشتهيهِ من طعام. كان على جوي غالو المجنون أن يشعر بالأمان والراحة إلى حد ما في حي ليتل إيتالي. ليس من المفترض أن تقوم بأي عمليات قتل في المطاعم في حي ليتل إيتالي لأن الكثير من الناس المهمين شركاء صامتون في المطاعم من وراء الستار. كان مطعم المأكولات البحرية الإيطالي هذا مملوكاً من قبل أشخاص

مهمين جدًا وقد افتُتح للتو. وهو أمر سيئ بالنسبة إلى الأعمال السياحية في ليتل إيتالي إذا اعتقد الناس أنه من غير الآمن الذهاب إلى هناك. بالإضافة إلى ذلك، قد لا يعرف السياح كيف يكونون شهودًا جيدين، وقد لا يكون لديهم دافع كافٍ لإبلاغ رجال الشرطة عن دخول ثمانية أقزام يبلغ طول كل منهم نحو ثلاثة أقدام، وكانوا جميعًا يرتدون أقنعة.

على أي حال، كان لدى أولئك الناس قوانينهم، لكنهم كانوا دائمًا يتجاوزون قليلًا قوانينهم الخاصة. دعنا نقول أن لديهم القدرة على التخلي عن قوانينهم. سوف يفكرون في القيام بإحدى عملياتهم في المطعم الواقع في حي ليتل إيتالي إذا اضطروا إلى ذلك. وكان من المناسب أن تحدث بعد ساعات الدوام بأي شكل من الأشكال. بموجب القانون، كانت تُغلق الحانات في أربع ليالٍ في نيويورك، وكان مقرر للعملية أن تتم إما بعد انتهاء ساعات الدوام وإما قريبًا جدًا منها، لذلك لن يكون هناك الكثير من السياح القادمين من ولاية أيداهو حتى يقلق المرء بشأنهم. لم يكن غالو رجلًا عاديًا يمكن الوصول إليه في أي وقت آخر من اليوم، لأنه في كل مكان يذهب إليه في الساعات العادية، يمكن أن يكون هناك مصورون للصحف في الجوار يتجولون خلسة لالتقاط صورة فريدة من نوعها له. ربما لهذا السبب انغمس هذا الرجل في أضواء المشاهير. فقد منحته الأمان. كان المصورون أفضل من الحراس الشخصيين.

أنزلني جون فرانسيس عند مطعم أمبرتو كالم هاوس عند تقاطع شارع مولبيري مع شارع هيوستن في حي ليتل إيتالي.

الطريقة التي ستُنفَّذ بها مثل هذه العملية هو أن جون سوف ينزلني هناك. وبينما أذهب إلى الحمام، يدور ذو الشعر الأحمر الرأس بسيارته حول المبنى، وكنت سأخرج بمجرد عودته. إذا لم أكن هناك، فسوف ينتظر بضع دقائق، ولكن إذا لم أخرج سأقوم بالعمل وحدي. إذا حدث وانقلب عليّ في أي وقت، فكل ما يمكن أن يقوله بشأن الأمر هو أنه تركني للذهاب إلى الحمام. لن يرى أحمر الشعر ما يدور في الداخل. كان يعرف القليل إلى حد ما. في بعض الأحيان عليك فعلاً أن تذهب إلى الحمام أولاً ما دمت لست مضطراً إلى المرور من أمام الشخص الذي تتوي قتله. يمنحك ذلك فرصة للتأكد من عدم وجود شخص يتعقبك. ويمنحك فرصة للتمعن في الشخص. ويمنحك فرصة للتأكد من عدم وجود أي شخص في الحمام يجب أن تقلق بشأنه. كما يمنحك فرصة للذهاب إلى الحمام. فأنت لا تريد أن تتبول على نفسك وأنت تحاول أن تهرب من سيارة شرطة.

ولكن في عملية مثل هذه مع وجود شهود جالسين حول مائدة الشراب، قد تغتتم الفرصة لعدم وجود أي شخص في الحمام. قد ترغب في أن تتمكن من أن تعوّل على أن الشهود المتحلقين حول المائدة لن يشاهدوا أي شيء إذا سارت الأمور بسرعة كافية دون أن يشوبها الكثير من التسويف. قد تتوجه فقط في اتجاه الحمام، وإذا بدت الأمور على ما يرام، فقد تنفذ مهمتك. النادلون والنادلات في مكان مثل هذا سيعرفون بالفعل ما يكفي فلا يحاولون رؤية أي شيء وإلا فلن يعملوا مع مثل هؤلاء المالكين. في هذه الساعة، سيكون جميع السياح من ولاية أيداهو نائمين في فراشهم.

على أي حال، كل ما يمكن أن يقوله جون هو أنتي كنت ذاهباً إلى الحمام. إذا كنت تعتني بمسألة في الهواء الطلق، وفي الشارع مباشرة، فيجب إيقاف سائقك هناك في انتظارك، ويمكنه رؤية ما يجري. في بعض الأحيان تحتاج منه إلى أن يقف هناك بجانب الرصيف مباشرة للتخلص من قطعة السلاح أو لتخويف الشهود، ولكن إذا كانت المهمة في الداخل، مثل أن تكون داخل منزل فأنت تريد العمل بمفردك. بهذه الطريقة -وفي أسوأ الأحوال- يمكنك دائماً الادعاء بأنك كنت في حالة دفاع عن النفس. طوال الوقت الذي عملت فيه مع أولئك الناس، لم أثق قط بأي شخص بما فيه الكفاية لأجعله ينفذ المهمة معي. السائق يعرف ما يراه فحسب، وهذا جيد للجميع، بما في ذلك السائق نفسه. فالرجل الذي يواجه الإعدام بالكُرسي الكهربائي يكون عرضة للانهيـار والضعف. إذا قمت بالمهمة وحدك، فأنت فقط من يمكنك أن تشي بنفسك.

كان هناك بعض رجال العصابات يتسكعون في إحدى زوايا المطعم، وكانت وظيفتهم تحية جوي المجنون ومن يرافقه عند وصولهم. إذا سار شخص ما نحو الباب وفتحه سيجعل ذلك جوي أقل شكاً. عندما رأوا المصاييح الأمامية لسيارتنا تفرقوا. وهكذا انتهى الجزء الخاص بهم. لم يسبق لأي من هؤلاء الأشخاص الموجودين في حي ليتل إيتالي أو المجنون جوي وصحبه أن رأوني من قبل. عندما كنا نأتي إلى نيويورك، أنا وراسل، كنا نتوجه إلى وسط المدينة عند مطعم فيزوفيو أو مطعم مونتي في بروكلين لنلتقي برجال جينوفيزي.

توجهت نحو الباب المطل على شارع مولبري. ذهبت إلى  
الأمام مباشرة نحو حانة المطعم، وأعطيت ظهري إلى جانب  
القاعة المطل على شارع مولبري حيث كان يجلس غالو. استدرت  
لأجد نفسي في النهاية في مواجهة الطاولة التي كان يتحلق حولها  
بعض الأشخاص. لقد أصبت بالذهول بعض الشيء عندما رأيت  
فتاة صغيرة تجلس وسطهم، ولكن في بعض الأحيان رأيت ذلك  
في القتال في أثناء الحرب. بعد جزء من الثانية من استدارتي  
لمواجهة الطاولة، تلقى سائق جوي غالو المجنون رصاصة  
من الخلف. اختبأت المرأة والفتاة تحت الطاولة. تأرجح جوي  
المجنون وقد ترك كرسيه وتوجه نحو الباب الذي في الزاوية  
إلى يمين مطلق النار. ربما كان يحاول أن يبعده عن الطاولة، أو  
ربما كان يحاول فقط إنقاذ نفسه، ولكن على الأرجح كان يحاول  
القيام بالأمرين معاً. كان من السهل إبعاده عن الآخرين عن طريق  
الذهاب مباشرة إلى أسفل طاولة الشرب والتوجّه إلى الباب  
والوقوف خلفه مباشرة. توجه من خلال باب الزاوية في مطعم  
أمبرتو إلى الخارج. وأطلقت النار على جوي المجنون ثلاث مرات  
خارج المطعم ليس بعيداً عن باب الزاوية. يمكن أن يكون قد  
وضع مسدسه في سيارته وكان ذاهباً لجلبه من السيارة. لم تكن  
لديه فرصة الحصول عليه. لقي المجنون جوي غالو مصرعه في  
عيد ميلاده على رصيف المدينة الذي انتشرت عليه الدماء.

تقول الروايات التي انتشرت هناك عقب الحادث أنه كان هناك  
ثلاثة رماة ولكني لا أقول ذلك. ربما أضاف الحارس الشخصي  
اثنين من الرماة لجعل نفسه يبدو بطلاً. ربما كان هناك الكثير

من الطلقات الطائشة التي أطلقت من المسدسين ما جعل الأمر يبدو وكأن هناك أكثر من مطلق للنار. فلم أكلف أي شخص آخر في هذا الأمر غيري أنا.

الشيء المهم هو أن جون فرانسيس كان هناك ولم يصب بالذعر قط. كانت لديه خبرة مع رجال العصابات الأيرلنديين في لندن. لم يكن لدى جون فرانسيس عمل أو أي شيء يقوم به. عاش اعتماداً على ذكائه وسعة حيلته. وكان يملك منهما الكثير. عاد جون إلى مدينة يونكرز عبر الطريق الطويل جداً، بعد أن تأكد أولاً من أن ليس هناك من يتعقبه وبعد تغيير السيارات. وبطبيعة الحال، كان الشيء التالي الذي قام به هو رمي المسدس في النهر في مكان يعرفه. هناك بقعة مثلها موجودة في نهر شيلكيل في فيلاديلفيا. إذا أرسلوا غواصين لها في أي وقت، فسيكون بإمكانهم تسليح سكان بلد صغير.

في وقت لاحق، سمعت أن أحد الإيطاليين ينسب إلى نفسه إطلاق النار على غالو. لم يزعجني ذلك الشيء. ربما أراد أن يكون من المشاهير. ربما تحول الرجل إلى واش أو شيء من هذا. يقوم الوشاة دائماً بتزويق سيرتهم الذاتية، حتى تعاملهم الحكومة بمزيد من الاحترام. تحب الحكومة واشياً يمنحها فرصة لحل المشكلات الكبيرة، حتى لو كان الواشي مجرد تاجر مخدرات ذي أخلاق سيئة لا يعرف أحداً أكبر من خصيته اليسرى.

قبل وفاة ذي الشعر الأحمر بسبب السرطان، أخبرني مصدر أثق به أنه اتهمني بالتورط في أربع عشرة حادثة، ادعى أنني قمت بها معه عندما كان هو السائق، بما في ذلك حادثة جوي

غالو المجنون. كان ذلك في الثمانينيات عندما كان يحتضر، وكنت في السجن في ذلك الوقت. لا أعرف بالتأكيد، ربما كان جون يمزح. ولكن إذا كان قد قال ذلك وهو يهذي فلا مانع لدي من ذلك. كان جون يحتضر بسبب السرطان وكان يعاني من الكثير من الألم ويتناول العديد من الأدوية، ولم يرغب في الموت في السجن. لم يكن ذو الشعر الأحمر في حالة ذهنية جيدة ليشهد بالحقيقة ضد أي شخص. كان جون شخصًا صالحًا. لا ألوم رجلًا كان يريد أن يتصالح مع نفسه.

كان راسل يثق بي أنا وجون على حد سواء ويكلفنا بتنفيذ عمليات مهمة مثل تلك. لم يكن الرؤساء الآخرون يرغبون قط في عملية مثل تلك المرتبطة بعائلاتهم. هكذا تبدأ حروب رجال العصابات. كانت عائلات نيويورك متعصبة للإيطاليين، علمت اللجنة التي تضم رؤساء العوائل أن راسل كان لديه موقف متسامح جدًا تجاه غير الإيطاليين. كان هناك رجلان أيرلنديان قديمان يتمتعان بالكثير من الخبرة القتالية، كانا ذا فائدة لراسل جعلته يوكل إليهم عمليات مهمة مثل عملية غالو. لطالما كلفت اللجنة راسل بمهام كبيرة حقًا. إلى جانب ذلك، كان راسل قريبًا من كولومبو وكان يدعم رابطة الحقوق المدنية للأمريكيين من أصل إيطالي.

خلال تلك الفترة كان جيمي يقوم بنشاطات هامشية. أصبح مهتمًا جدًا بقضية إصلاح السجون. وكان صادقًا في ذلك، لكن تلك النشاطات منحه أيضًا الكثير من الفرص للقيام بحملته الانتخابية. ذات مرة قرر جيمي أن يكلف تشارلي أليين بمهمة

ما خلال حملة لجمع التبرعات لإصلاح السجون. كانت عملية بسيطة.

خرج تشارلي ألين من سجن لويسبرغ بعد خروج جيمي منه الذي طلب مني أن أعتني به. لم يسبق لي أن عرفت ألين إلا قليلاً حين كنت أذهب إلى وسط المدينة. التقيته لأول مرة عندما كنت خارج مكان عملي بعد حادثة ديجورجي. كنت أقود شاحنة تابعة لشركة كراون زيلرباخ. قام آلن بعملية سطو مسلح، وكان بحاجة إلى الخروج من فيلادلفيا. أخذته في شاحنتي إلى مدينة سكرانتون وأنزلته عند ديف أوستيكو. كان ديف يعمل مع روس منذ سنوات عديدة. أبقى ديف ألين في منزل آمن حتى أصبحت الضغوط شديدة جداً على ألين ليعود إلى فيلادلفيا لدرجة أنه قرر تسليم نفسه. إذا لم أكن مخطئاً فإن عملية السطو المسلح هي التي جعلته يذهب إلى لويسبرغ. بعد أن طلب مني جيمي مساعدته، استخدمت ألين ليوصلني إلى بعض الأماكن. كانت مكانتي حينها قد وصلت إلى حد أنه كان لدي سائق وكان الناس يقدمون لي خدماتهم ويظهرون احترامهم لي بطرائق معينة.

الشيء الوحيد الذي فعله تشارلي ألين فعلاً -الذي شهد عليه في محاكماتي- هو توصيله مبلغ تبرع إلى جون ميتشل من جيمي هوفاً لصالح لجنة إعادة انتخاب الرئيس. كان جيمي لا يزال يبقى جميع خطوط الاتصال مفتوحة مع نيكسون. كان جيمي في حملة لجمع التبرعات لإصلاح السجون في واشنطن. سمح ضابط الإفراج المشروط لجيمي بالسفر إلى واشنطن لسبب من هذا القبيل. قام جيمي بدعوة الأشخاص الذين أراد التعامل معهم

في هذه الشؤون. ودعا أيضًا الأشخاص الذين ذهب إلى السجن معهم والذين يمكنهم التحدث عن حياة السجن. تأكد جيمي من أنني سأمسك بتشارلي ألين متلبسًا هناك مع شريكه، فرانك ديل بيانو، في هذه القضية الخاصة في واشنطن. كانت لجيمي علاقة مع آلان كوهين، وهو ناشط سياسي من فيلادلفيا هناك، وأعطى جيمي وآلان إلى تشارلي ألين مبلغ 40 ألف دولار نقدًا لإعطائها لميتشل كتبرع لحملة نيكسون. في وقت لاحق ظهر أن ميتشل سلّم فقط 17000 دولار من تلك المساهمة النقدية إلى اللجنة. استولى ميتشل على مبلغ 23000 دولار. وكما قلت سابقًا، كان هذا الرجل يعرف كيف يعمل.

بعد ثلاث أو أربع سنوات، أقنع العملاء الفدراليون تشارلي ألين أن يتحدث إليهم. في أحد لقاءاته المبكرة جدًا معهم أخبر مكتب التحقيقات الفدرالي حقيقة هذا الحادث. جرت هذه المحادثة مع مكتب التحقيقات الفدرالي قبل نحو عام من موافقته على تسجيل محادثاتي ليوقعني في الفخ. ربما لم يدرك في البداية أنهم يريدون منه أن يذهب بعيدًا في النيل مني واتهامي بقضية اختفاء هوبا. كان يمكن في البداية على الأقل أن يساندني في قضية هوبا، لا أن يكون الشخص الذي يوقع بي، هو لم يكن لديه علم عما كنت أقوم به على أي حال. كنت أعتني جيدًا بتشارلي ألن منذ خروجه حتى اليوم الذي اكتشفت فيه أنه يحمل معه جهاز تنصت في عام 1979.

هذه مقتطفات من تقرير رسمي لمكتب التحقيقات الفدرالي، يُعرف باسم التقرير رقم 302، أصدرته الحكومة في محاكمات

فرانك شيران وفقاً لقواعد المحكمة الفدرالية. تم حذف خطأ ألين فيما يتعلق بتحديدده بشكل تقريبي السنة التي سلّم فيها الأموال إلى ميتشل من المقتبس وحُذف من تقرير لاحق صدر بتاريخ 4 نوفمبر 1977:

ملف قضية هوفكس

في 22 سبتمبر 1977، واستناداً إلى الوثيقة رقم -PH 5125 OC أبلغ تشارلي ألين العميلين الخاصين هنري هوندا وتوماس فان ديرسليس بما يأتي:

عندما سُئل عن آخر مرة رأى فيها آل كوهين، أجاب المصدر: «عندما أعطاني حقيبة مليئة بالنقود لأعطيتها لجون ميتشل». يتذكر المصدر حضور حفل عشاء في واشنطن العاصمة في «فندق جميل كبير جداً» في واشنطن العاصمة، وكان الغرض من هذا الحفل هو جمع الأموال لقضية إصلاح السجون التي كانت ذات أهمية كبيرة لجيمي هوبا. حضر هوبا هذا العشاء... خلال هذا العشاء، تم الاتصال بفرانك ديل بيانو، المعروف أيضاً باسم تونتو، واتصل بالمصدر كلاً من هوبا وآل كوهين. أخبر هوبا المصدر أن «يأخذ هذا المال إلى جون ميتشل». في هذه المرحلة، سلّم كوهين حقيبة للمصدر وصفها بأنها حقيبة سوداء بطول قدمين وعرض قدم واحد. لم ينظر المصدر إلى ما في داخل الحقيبة لأن «أنت لا تفعل ذلك مع جيمي». ويتذكر، مع ذلك، أن الحقيبة كانت ثقيلة جداً. عند استلام الحقيبة، غادر المصدر وديل بيانو الفندق ودخلا إلى سيارة ليموزين كانت في الانتظار دون معرفة إلى أين يتجهون. أخذتهم السيارة إلى

«منزل جميل كبير» خارج واشنطن وقابل جون ميتشل المصدر عند بابه. خاطب المصدر ميتشل قائلاً «أرسلني جيمي». أخذ ميتشل الحقيبة، وقال: «شكراً» وأغلق الباب. ركب المصدر سيارة الليموزين من جديد وعاد إلى الفندق.

من بين جميع الوظائف والمهام المختلفة التي قمت بها في حياتي، حينما أسترجع الجزء المفضل لدي يخطر على بالي عملي رئيساً للفرع المحلي 326. عندما كنت مسجوناً جعلني ذلك الفرع المحلي رئيسه الفخري مدى الحياة. لم يكن عليهم أن يحبوني، لكنهم احتراموني واحترموا العمل الذي قمت به من أجلهم. لقد حصلت عليه بفضل جيمي. قبل ذلك كان يُدار من قبل فرع فيلادلفيا. في عام 1979 حصلت لهم على مبنى جديد هو مقرهم الرئيس حتى يومنا هذا. كنت أعتني بشكاويهم وتنفيذ عقودهم يومياً. كان لدينا أكثر من ثلاثة آلاف عضو عندما ذهبت إلى السجن. أما اليوم، فهو يضم نحو ألف عضو.

كان مكتبنا القديم قبل عام 1979 في شارع إيست فرونت 109، وهو حي متداع بجوار محطة السكة الحديدية. تم تحسين هذه المنطقة بأكملها الآن. في نهاية عام 1972، زارني في ذلك المبنى القديم محام بارز جداً كنت أعرفه، وكان عضواً بارزاً جداً في الحزب الديمقراطي. أراد أن يتحدث معي عن السباق الانتخابي القادم لمجلس الشيوخ الأمريكي لعام 1972.

في وقت سابق من العام، توقف السيناتور الحالي للولايات المتحدة كاليب بوغز عندنا وطلب مني السماح له بالتحدث إلى الأعضاء. أخبرت بوغز أنه لديه مواقف متشددة جداً ضد

العمال. ونفى أنه ضد العمال. كان جمهورياً وقال إنه بما أن نقابة سائقي الشاحنات تدعم نيكسون في حملة إعادة انتخابه، فيجب إعطاؤه فرصة للتحدث إلى الأعضاء. كان بوغز حاكماً وعضو كونفرس قبل أن يصبح عضواً في مجلس الشيوخ. لا أعتقد أنه خسر أبداً في أي انتخابات. أحبه الجميع. لقد كان رجلاً أنيقاً جداً ويتمتع بسمعة طيبة، ولكن بقدر ما أستطيع أن أقول أنه كان يعمل لصالح الشركات في ولاية ديلاوير. أحلت الأمر إلى المجلس التنفيذي وقررنا عدم دعوته.

عندما سألني خصمه جو بايدن عما إذا كان يمكنه التحدث إلى الأعضاء، أحلت الأمر إلى المجلس التنفيذي وتعرفت على آراء أعضائه حيال ذلك ولم يعارض أحد، لذلك قلت له بالتأكيد. كان بايدن عضواً في مجلس المقاطعة وكان ديمقراطياً وكان مجلس المقاطعة يضم بعض الأشخاص الجيدين جداً مع العمال. كان جو بايدن طفلاً صغيراً مقارنة ببوغز. لقد أتى وقال ما عنده وتبين أنه متحدث ممتاز. لقد ألقى خطاباً جيداً مؤيداً للعمال أمام الأعضاء في اجتماع العضوية ذلك. أجاب عن أسئلة من الحاضرين وكان يتصرف مثل شخص أكبر من عمره بسنوات عديدة. قال إن بابه سيكون مفتوحاً دائماً لنقابة سائقي الشاحنات.

لذا عندما توقف المحامي البارز الذي كنت أعرفه أمام مكنتي قبل يوم الانتخابات بوقت قصير كنت قد حسمت أمري مع بايدن. كان مع المحامي رجل آخر كان يعمل في صحيفتي مورنغ نيوز وإيفينغ جورنال. وهما صحيفتان تصدران عن نفس

الشركة. كانتا في الأساس نفس الصحيفة، وكانتا الصحيفتين اليومييتين الوحيدتين في ويلمنغتون.

تقع ويلمنغتون في الجزء الشمالي من الولاية وكانت أكثر ليبرالية من الجزء الجنوبي. كانت ديلاوير، ولاية صغيرة جداً، ربما كان يعيش فيها ستمئة ألف شخص في ذلك الوقت. عاش أكثر من نصفهم في المقاطعة الشمالية والباقي في المقاطعتين الجنوبيتين. كان خط ميسون ديكسون<sup>(33)</sup>. يمر عبر ولاية ديلاوير. على مدار سنوات فُصلت المدارس عنصرياً في المقاطعتين الجنوبيتين. كانوا يمارسون بعض الفصل بين الخارج والداخل في الشمال أيضاً ولكن في الغالب كانت في الشمال حالات تشبه حالة مدينة شمالية مثل فيلادلفيا. في ذلك الوقت -وربما حتى اليوم- يقرأ مشترو الصحف في الولاية صحيفة ويلمنغتون.

شرح لي المحامي كيف أن السيناتور بوغز جمع بعض الإعلانات التي ستُشر في مقال إعلاني في الصحيفة كل يوم في الأسبوع الأخير الذي يسبق الانتخابات. كان بوغز يدعي أن جو بايدن قد شوّه سجل بوغز للتصويت، وستعرض الإعلانات ما قاله بايدن عن بوغز إلى جانب سجل بوغز الفعلي للتصويت أو أية أشياء أخرى. لم يكن المحامي يرغب في توزيع تلك الصحيفة. كان المحامي طيباً جداً وذكياً جداً. كان من ذوي الخبرة وعلم أن كلا الجانبين اللذين سيخوضان الانتخابات قد قاما بالأعيبهما. قامت الشركات بالكثير من الألاعيب على مر السنين، تخبر عمالها لمن يصوتون، وتتلاعب بخيوط اللعبة الانتخابية من وراء الكواليس.

---

(٣٣) خط أنشاء الفلكيان والماسحان الإنكليزيان تشارلز ماسون وجرماي ديكسون كحد يفصل بين مستعمرتي ميريلاند وبنسلفانيا. (المترجم).

قال لي أحد الأشخاص العاملين في الصحيفة إنه يريد تنظيم اعتصام، لكنه لم يكن لديه أي أشخاص صالحين يعملون معه في الصحيفة يمكن أن يثق بهم لتنظيم طابور الاعتصام. أعتقد أنه كان لديهم نقابة بالفعل، ولكن هذا الاعتصام كان سيكون لنقابة مختلفة. قلت له إنني سأستأجر بعض الناس وأضعهم في طابور الاعتصام. كانوا أناسًا لا يستطيع أحد أن يعيث معهم.

كانت الفكرة وراء تنظيم الاعتصام هو أنك تحاول تنظيم العمل في الشركة، أو تدعي أن الشركة غير عادلة ولا تريد أن تجلس وتتفاوض مع النقابة، أو أن الشركة تضغط على العمال لكي لا يوقعوا على بطاقات النقابة. ربما تحاول فرض انتخابات لتحل النقابة التي تؤسسها الشركة محل نقابتهم، مثلما فعل بول هول ونقابة البحارة ضد جيمي هوف. كنت في أي وقت ترى فيه لافتة تحمل عبارة «ليس هناك إنصاف للعمال» تعرف أنها لمعتصمين من الصحيفة. لم يكن بإمكانك وضع لافتاتك التي تشير إلى أنك مضرب عن العمل لأنك لست نقابة معترف بها حتى الآن، وهذا من شأنه أن يتعارض مع قوانين المجلس الوطني للعلاقات العمالية. أخبرت صديقي المحامي والرجل الذي معه بأنه يمكنهم الاعتماد عليّ للتعامل مع هذا الموضوع. لطالما كنت أحترم هذا المحامي وأعتقد أن بايدن كان أفضل للعمال على أي حال. أخبرته أنه بمجرد أن نقيم طابور الاعتصام، سأجعله يرى بنفسه أنه لا يوجد سائق شاحنة يعبر طابور الاعتصام. سيحترم أعضاء نقابة سائقي الشاحنات طابور الاعتصام للنقابة الأخرى، بغض النظر عن الاسم الذي يستخدمونه.

اتسع حجم الاعتصام وتمت طباعة الصحيفة، لكنها بقيت في المستودع ولم توزّع قط. اتصل بي مدير الشركة التي تصدر عنها الصحيفة وأراد أن يعود رجالي إلى العمل. قلت له إننا نحترم الاعتصام. سألني إذا كان لدي أي علاقة بتفجير عربة للسكك الحديدية تحتوي على مواد ستستخدم في طباعة الصحيفة، سواء كانت ورقًا أو حبرًا أو أي نوع من المستلزمات الأخرى، فقلت إنني لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر. ولكن لم يصب أحد في ذلك التفجير. أخبرته أننا نحترم الاعتصام، وإذا أراد استئجار بعض الحراس لمراقبة عربات السكة الحديدية الخاصة به، فعليه أن يبحث في صفحات الإعلانات.

في اليوم التالي للانتخابات، فشل الاعتصام وعادت الصحيفة إلى عملها الطبيعي وأصبح لولاية ديلاوير سناتور جديد. من الصعب تصديق حدوث ذلك منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

نشرت عدة مقالات حول هذا الحادث وكان اسمي مذكورًا فيها دائمًا. يُقال إن هذه المناورة هي التي أفضت إلى انتخاب السناتور جو بايدن. قال الجمهوريون بشكل خاص أنه لو نُشرت هذه المقالات الإعلانية التي تشيد بالسناتور بوغز في الصحف، لجعلت جو بايدن يبدو سيئًا جدًا؛ فقد كان من المقرر نشر تلك الإعلانات في الأسبوع الذي يسبق الانتخابات ولم يكن هناك وقت لبايدن لإصلاح الضرر. لم أكن أملك أية وسيلة لمعرفة ما إذا كان جو بايدن يعرف ما إذا كان هذا الاعتصام قد تم لصالحه وقمنا به نيابة عنه. لو كان يعلم فإنه لم يكن يسمح بذلك قط. علمت بذلك عندما أصبح سيناتورًا، فقد التزم الرجل بالوعد الذي قطعه للأعضاء. كان يمكنك التواصل معه وسوف يستمع إليك.

## الفصل الخامس والعشرون

### لم يكن هذا هو أسلوب جيمي

انتهى وقت بقاء جيمي هوفاً داخل الشرنقة في مارس 1973، وذلك عندما انتهى إطلاق سراحه المشروط. وانتهت فترة اختبارهِ. لقد أصبح الآن حرّاً ليخرج مثل فراشة ويسافر حيثما يرغب ويقول ما يدور في ذهنه.

في أثناء حفل عشاء أقيم في واشنطن في أبريل 1973، صعد جيمي هوفاً إلى المنصة وأعلن أنه سيقدم اعتراضاً قانونياً على تقييد الرئيس نيكسون لأمر العفو عنه. لم يفاجئ جيمي هوفاً أحدًا في إعلانه هذا عندما أكد أنه ينوي تحدي فرانك فيتزسيمونز على منصب رئاسة نقابة سائقي الشاحنات خلال مؤتمر عام 1976.

كان توقيت جيمي هوفاً صحيحًا من ناحية واحدة على الأقل. لم يعد لدى فيتزسيمونز صداقة ودعم رئيس قوي مثل ريتشارد نيكسون. كان الشهر الذي شهد إعلان هوفاً تقديم اعتراضه على العفو المقيّد وقتًا قاتمًا بشكل خاص لنيكسون، حيث كانت فضيحة ووترغيت تتسع. ونتيجة لذلك، كان لدى نيكسون مخاوف أكثر من جيمي هوفاً. كانت الدائرة الداخلية المحيطة بنيكسون تعيش وسط صراع جنوني للسيطرة على تداعيات فضيحة ووترغيت. في نهاية الشهر الذي أعلن فيه هوفاً عن عزمه تقديم اعتراضه القانوني على تقييد العفو، استقال رئيس موظفي نيكسون في البيت الأبيض، هـ. ر. هالدمان. وبعدها سيذهب هالدمان في

وقت لاحق إلى السجن. وقبل ذلك بشهر، كان تشارلز كولسون، المستشار الخاص لنيكسون، قد غادر البيت الأبيض لمزاولة مهنة خاصة، لجني أرباح من الأعمال القانونية لنقابة سائقي الشاحنات قبل الذهاب إلى السجن. سرعان ما سيحكم حظر بيع النفط الذي أعلنته الدول العربية قبضته على اقتصاد البلاد ويثير المزيد من القلق لدى نيكسون.

بعد إعلان هوبا للطعن القانوني وخططه للترشح لانتخابات عام 1976، منح فرانك شيران صديقه ومعلمه ولائه الكامل: «سأبقى رجل هوبا المخلص إلى اليوم الذي يضعوني فيه في القبر ويهيلوا فوقى التراب».

كان من المستحيل أن يخسر جيمي انتخابات النقابة في عام 1976. لم يكن الأمر مجرد مسألة إخلاص المندوبين لجيمي، كان الأعضاء أكثر دعمًا لجيمي. إن لم يكن هذا جيدًا بما يكفي، فلن يكون لدى الكثير من الأشخاص في النقابة أشياء مواتية ليقولوها عن فيتز. كان ضعيفًا ولهذا وضعه جيمي في المنصب. ما لم يفكر فيه جيمي هو أن ضعفه سيكون سمة شخصية جذابة جدًا لأشخاص معينين في المافيا.

أقام أنصار جيمي مأدبة عشاء تكريمًا له بمناسبة عيد ميلاده الستين في فبراير 1973. وأقاموها في الكازينو اللاتيني في بلدة تشيري هيل في نيو جيرسي، وهو نفس المكان الذي سيحتضن حفلًا تكريميًا بعد عام أو أكثر. كنت حاضراً هناك، جالساً في منتصف الصف الأمامي، وكان هناك حضور قوي على الرغم من أن فيتزسيمونز لم يكن يريد أن يأتي أي شخص إليه. كان

هارولد جيبونز هو العضو الوحيد في المجلس التنفيذي الذي كان موجوداً. ومثلما فعلوا في حفل تكريمي، كان لديهم مصور محترف هناك. جعلني جيمي ألتقط عدداً من الصور معه، بما فيها صورة ظهر فيها ونحن نتصافح ما زلت أعتز بها حتى يومنا هذا.

لقد زرت جيمي في منزله المطل على بحيرة أوريون فور أن واجه تلك المشكلة في ميامي في اجتماع خاص مع توني برو. أراد جيمي في ذلك الاجتماع في ميامي الحصول على دعم برو لانتخابه في مؤتمر عام 1976. وبدلاً من ذلك كان كل ما حصل عليه هو تهديد من برو أنه سيخطف حفيدة جيمي ويمزق أحشاء جيمي بيديه العاريتين. أخبرني جيمي في ميامي عقب الاجتماع أنه سيطلب من راسل السماح لي بتولي أمر توني برو. هذه المرة لم يقل أي شيء عن السائق الذي سيرافقني في العملية. كان جيمي جاداً الآن. كان جيمي وبرو يكرهان بعضهما، وكانا قادرين على أن ينفذ كل واحد تهديده تجاه الآخر. كانت المسألة هي من سيبدأ أولاً.

وصلت إلى منزل جيمي عند بحيرة أوريون لمتابعة ما حدث في ميامي. أشار جيمي مرة أخرى إلى أنه يجب القيام بشيء ما مع برو، لكنه لم يطلب مني التحدث إلى راسل أو فعل أي شيء آخر. ثم قال جيمي إن فيتز لم يكن رجلاً مصطنعاً وإنه ليس بحاجة إلى موافقة من أي شخص ليتولى أمر فيتز. قال جيمي إنه سيكلف بالفعل أحد البلطجية للقيام بما كان عليه القيام به ضد فيتز إذا تطلب الأمر ذلك.

علمت أن جيمي كان على اتصال مع تشارلي ألين فقلت: «أنت لا تفكر في استخدام ألين، أليس كذلك؟»  
قال جيمي: «لا بحق الجحيم. إنه غشاش.. لا يجيد سوى الكلام».

فقلت: «أعرف ذلك، وأنا سعيد لأنك تعرف ذلك».

لم يذكر أحد منا اسم لويد هيكس في تلك اللحظة، لكنني فكرت فيه بالتأكيد. كان لويد هيكس مسؤولاً في فرع النقابة المحلي في ميامي. كان هيكس أحد أفراد مجموعة رولاند ماكماستر، وكان ماكماستر أحد أولئك الذين تركوا جيمي وانضم إلى فيتز. كان ماكماستر من النوع الذي يكرهه جيمي بسبب انشغاقه عنه. عندما التقى جيمي وبرو في ميامي، تنصت لويد هيكس على ما دار في غرفة الاجتماعات لصالح مكماستر. ذهب هيكس إلى الحانة، وتناول بعض المشروبات فيها، وبدأ يقول متفاخرًا أنه سيحصل على شريط تسجيل للاجتماع بين جيمي وبرو، والذي سيكون ذا فائدة لفيتز. الأمر الذي جعل جيمي يفقد صوابه إلى حد بعيد.

في وقت لاحق من تلك الليلة عثروا على هيكس مقتولاً، لم أعرف عدد الطلقات التي تلقاها، ولكن الأمر المؤكد أنها كانت من أكثر من مسدس. كان الأمر كما لو أنه كان هناك شخصان يطلقان النار على منزل الرجل. لم يعد لدى هيكس الشريط الذي كان يتحدث عنه. في ذلك الوقت بالذات، حدث أنني كنت مع ذي الشعر الأحمر في ميامي لنقف إلى جانب جيمي في هذه القضية.

أخبرني جيمي في منزله عند بحيرة أوريون، أنه كان يعمل على دعواه القضائية المتعلقة برفع القيود عن مشاركته في النشاط النقابي، وأنه سيقومها بعد أن يحصل على المزيد من الأدلة. قلت له أنني سأكون مدعيًا في ذلك الجزء من الدعوى الذي سيقدمه ناشطو النقابة الذين يريدون عودة جيمي إلى النقابة. أخبرني جيمي أنه سيعطيني مبلغًا من المال في غضون شهرين لأعطيه إلى ميتشل بمجرد أن يقوم بتسوية بعض الأشياء. قال لي أن أذكره عندما يحين موعد حفل عشاء تكريمي، لأنه سيكون هناك مهما حدث. أخبرت جيمي أنني أجلت الحفل، في انتظار الوقت الذي سيناسبه أكثر. أخبرني جيمي أنه يقدر دعمي المخلص. كان يعرف أنني أريد أن أترشح لإعادة انتخابي رئيسًا للفرع المحلي 326 وعرض تقديم المساعدة، لكنني أخبرته بأنني لن أواجه أية مشكلة مع ذلك الفرع.

في وقت لاحق وفي أكتوبر من ذلك العام تلقيت مكالمة من جيمي كي أتوجه للقاء ذي الشعر الأحمر. ذهبت إلى مطعم براندنغ أيرون لأجد معه حقيبة أخرى لي. لم تكن ثقيلة مثل الأخيرة، لكنها كانت ثقيلة نوعًا ما. كان فيها مبلغ 270,000 دولار. قادت السيارة إلى فندق ماركت إن. لم أتناول مشروبًا حتى. ما أن دخلت الفندق حتى جاءني رجل لم أكن أعرفه وقال إنه سيأخذني إلى حيث يجب أن أذهب. ركبنا سيارته وتوجهنا إلى منزل مثير للإعجاب. قرعت الجرس ففتح ميتشل الباب. سلمت له الحقيبة وسلم لي مظروفًا فيه شهادة خطية. لم نتبادل الكلام هذه المرة. قادت سيارتي عائداً إلى فيلاديلفيا والتقيت راسل في

أحد المطاعم وقرأ الإفادة الخطية التي قدمها لي ميتشل في الظرف وكان هو من اعتنى بها بعد ذلك. كانت تنص على: «أنا، جون دبليو ميتشل، أقسم على النحو الواجب، وأشهد وأقول:

1- أقر بأنني لم أقدم -بصفتي المدعي العام للولايات المتحدة، ولا أي مسؤول آخر في وزارة العدل على حد علمي خلال فترة ولايتي كمدع عام- طلباً أو اقتراحاً بإدراج قيود في قرار تخفيف الحكم الرئاسي بحق جيمس ر. هوبا.

2- إن الرئيس ريتشارد إم. نيكسون لم يطلب مني أو يقترح عليّ، وعلى حد علمي، لم يطلب أو يقترح على أي مسؤول آخر في وزارة العدل خلال فترة ولايتي كمدع عام فرض قيود على أنشطة السيد هوبا. في الحركة النقابية العمالية ليكون جزءاً من أي قرار تخفيف حكم رئاسي بحق السيد هوبا.

جون دبليو ميتشل

أقسم أمامي في هذا اليوم، الخامس عشر من أكتوبر 1973.  
روس إل. شفت

كاتب العدل، ولاية نيويورك».

بعد أكثر من عام بقليل، بينما كانت هذه الشهادة لا تزال تشق طريقها من خلال نظام المحاكم نيابة عن من أدلى بها، وهو الرجل الذي أقسم اليمين أنه يقول الحقيقة، جون دبليو ميتشل، تمت إدانته بالحنث باليمين وعرقلة العدالة نتيجة كذبه بشكل كامل وهو تحت القسم في التستر على فضيحة ووترغيت.

مع وجود شهادة خطية، لم تتأثر بعدُ بإدانة من كتبها بالحنث باليمين، انطلق جيمي هوفاً بحملته بأقصى سرعة.

في 16 فبراير 1974، اتهم هوفاً رئيس النقابة فيتزسيمونز بأنه «يطوف في جميع أنحاء البلاد بحثاً عن أي مكان تقوم فيه بطولة غولف تافهة، بينما تتطلب منه وظيفة رئيس نقابة سائقي الشاحنات أن يعمل لمدة 18 ساعة في اليوم».

في مقابلة تلفزيونية أشار هوفاً إلى أن: «فيتزسيمونز شخص مجنون. يذهب إلى المعالج النفسي مرتين في الأسبوع وهو يدير نقابة تضم أكثر من مليوني عضو؟»

بدأ هوفاً يشير بانتظام إلى فيتزسيمونز على أنه شخص «مجنون» و «كذاب».

رداً على ذلك، قرر فيتزسيمونز طرد جوزفين، زوجة هوفاً، من منصبها النقابي وفقدت بذلك راتبها البالغ 48000 دولار في السنة. في الوقت نفسه، قطع فيتزسيمونز عن جيمس ب. هوفاً أجور المحاماة البالغ مجموعها 30.000 دولار أمريكي سنوياً.

فيما احتفظ تشاكي أوبراين الذي عاش في كنف هوفاً كابن بالتبني وكان يناديه «بابا»، بوظيفته في نقابة سائقي الشاحنات. أصبح أوبراين قريباً بشكل متزايد من فيتزسيمونز وبدأ بابتعاد بشكل متزايد عن هوفاً. أصيب جيمي هوفاً، وهو رب عائلة مخلص، بخيبة أمل شديدة من ابتعاد أوبراين عنه ورفض بشدة عادات أوبراين في المقامرة وطريقته في التبذير. رفض جيمي هوفاً دعم ترشيح أوبراين لرئاسة الفرع المحلي 299 في ديترويت واتسعت الهوة بين الاثنين.

في 13 مارس 1974، رفع هوفاً دعواه القضائية التي طال انتظارها. واستخدم في هذه المرة، بدلاً من فريقه المعتاد من المحامين المطيعين، محامياً مشهوراً في قضايا الحقوق المدنية، وهو ليونارد بودين. ادعى هوفاً في قضيته أنه لم يكن على علم بتلك القيود في الوقت الذي غادر فيه السجن في 21 ديسمبر 1971، ولم يوافق عليها قط. إضافة إلى ذلك، فإنه حتى لو وافق عليها، فإن الرئيس لا يملك السلطة الدستورية لتقييد العفو الخاص به أو بأي شخص آخر بهذه الطريقة.

هناك مبدأ قديم يتعلمه المحامون الشباب: «إذا لم تتمكن من هزيمتهم من خلال القانون، تغلب عليهم بالحقائق». حينها، كانت الحجة التي قدمها بودين نيابة عن موكله حجة اعتبرها هو والعديد من خبراء الدستور الآخرين نصراً. وهكذا جعل الحكومة تناقش الحقائق، وأن جيمي هوفاً زوّد الحكومة من خلال أفعاله ومن دون قصد بحجة واقعية.

وقد قدم هوفاً وأصدقائه المقربون لبودين الحقائق ليعرضها في الدعوى لتكملة الحجة القانونية. وبناءً على ذلك، ادّعت الدعوى القضائية أن القيد لم يكن نابغاً من مصدر مخول، مثل المدعي العام، ولكنه «نشأ وتأسس ليس بناء على إجراءات رافعة عادية ولكن تمت إضافته إلى التخفيف المذكور من قبل تشارلز كولسون، المستشار الخاص للرئيس، بموجب اتفاقية معينة وعملية تأمر».

في مقابلة تلفزيونية أجريت معه بعد تقديم مستنداته القانونية، شرح هوفاً ذلك الجزء من دعواه: «أنا متأكد تماماً من أنه كان

لديه يد في ذلك وأنا متأكد تمامًا من أنه كان مهندس عملية إدراج ذلك البند. لقد فعل ذلك لينال حظوة عند فيتزسيمونز. وبذلك حصل على وظيفة تمثيل نقابة سائقي الشاحنات. وقد فعل فيتز ذلك، من خلال كولسون، ليكون قادرًا على الاحتفاظ برئاسة الاتحاد الوطني».

ورد عليه فيتزسيمونز: «لم أكن أعرف شيئًا عن ذلك القيد». وقد أضاف كولسون إلى ذلك قائلاً: «هذا هراء واضح، لقد أبلغت السيد فيتزسيمونز قبل يوم واحد من إطلاق سراح هوبا كما أعتقد، إن إطلاق سراح هوبا سيتم في ظل الظروف التي يبدو أنها في مصلحة الحركة العمالية والبلاد في ذلك الوقت. لم أتطرق قط، في حديثي معه، إلى كيف ستكون تلك القيود». وإذا تم تصديق كلام كولسون، فإن ذلك لم يثر فضول فيتزسيمونز على الإطلاق ولم يسأل قط: «قيود، ماذا، أي القيود؟» ولكن فيما يتعلق بكل هذه الأشياء التي يسميها المحامون «هو قال، هي قالت» ستتاح للحكومة فرصة أن تجادل بأن ذلك خارج الموضوع. في 19 يوليو 1974، رد القاضي جون هـ. برات من محكمة مقاطعة الولايات المتحدة في واشنطن العاصمة، على الادعاءات الواقعية التي أدلى بها هوبا ووجدها ضده. اعتبر القاضي برات أنه حتى إذا أثبتت مؤامرة كولسون - فيتزسيمونز، فإن توقيع الرئيس على التقييد ما زال ساريًا، «لنفس السبب وهو أنه لا يمكن للمرء أن يهاجم صلاحية قانون الكونغرس، على أساس أن أعضاء الكونغرس الذين صوتوا لصالحه فعلوا ذلك لدوافع غير لائقة».

لم تترك هذه الهزيمة أمام هوفّا سوى خيار الاستئناف أمام مستوى قضائي أعلى، حيث ستركز الحجة هناك على القانون، والقضايا الدستورية التي أثارها بودين. كان هوفّا وبودين متفائلين جدًا بأن حججهما القانونية ستكون لها الغلبة على مستوى الاستئناف. ومع ذلك، سيستغرق الاستئناف سنة أخرى أو أكثر. لن يصدر القرار قبل أواخر عام 1975.

في 9 أغسطس 1974، بعد أقل من شهر من خسارة هوفّا للجولة القانونية الأولى في قاعة محكمة القاضي برات، أعلن نيكسون هزيمته.. فقد استقال من منصبه وحل محله نائب الرئيس جيرالد آر. فورد، الذي اختاره نيكسون قبل بضعة أشهر ليحل محل سبيرو تي. أغنو الذي استقال عندما تم اكتشاف أنه -حتى وهو في منصب نائب للرئيس- استمر في استلام راتب مقاولي الأشغال العامة الذين كانت عليهم قضايا فساد في ولاية ميريلاند، حيث كان حاكمًا. بعد يوم واحد من استقالة نيكسون أصدر الرئيس الجديد جيرالد ر. فورد -الذي كان أحد الأعضاء السبعة في لجنة وارن- عفوًا عن نيكسون وعن أي جرائم قد يُتهم بها. لم يضع فورد قيودًا على عفو نيكسون.

وحينها كان كل ما على جيمي هوفّا فعله هو الثقة بالاستئناف. ليس هناك من شك في أن جيمي توقع أن يكسب القضية، وكان الجميع يتوقع أن يكسبها في الوقت المناسب ليعود إلى الاتحاد بشكل عملي في نفس يوم الاحتفال بالذكرى المئوية الثانية لأمريكا. كان بوسع جيمي ألا يفعل شيئًا لبضع سنوات، ويترك الأمر لمحامييه ليتولى إجراءات الاستئناف، ويجعله يستعيد منصبه. لكن هذه لم تكن طريقة جيمي. كانت طريقة جيمي هي القتال حتى لو لم يكن لديه أي شخص يقاتل معه.

## الفصل السادس والعشرون

### لقد انفتحت أبواب الجحيم

يشير ستيفن بريل في كتابه «نقابة سائقي الشاحنات»، إلى أنه بحلول عام 1974 كان صندوق تقاعد الولايات الوسطى التابع لنقابة سائقي الشاحنات قد أقرض أكثر من مليار دولار لمشاريع عقارية تجارية، بما في ذلك الكازينوهات. كان هذا أقل بنسبة 20 في المئة فقط من القروض التي منحتها المؤسسة المالية العملاقة، مصرف تشيس مانهاتن. وقد قال بريل عن ذلك: «باختصار، كان رجال المافيا يسيطرون على إحدى المؤسسات المالية الرئيسية في البلاد، واحدة من أكبر مصادر التمويل الخاصة لرأس المال الاستثماري العقاري في العالم».

كانت السيطرة على منصب رئيس نقابة سائقي الشاحنات تضمن السيطرة على صندوق التقاعد وضمان الحصول على معاملة تفضيلية في عقود النقابات. استمر رجال المافيا لسنوات عديدة بعد اختفاء هوبا وبعد تنحي فيتزسيمونز في السيطرة على مكتب رئيس النقابة الوطنية لسائقي الشاحنات من خلال السيطرة على المندوبين الذين صوتوا في الانتخابات. في أواخر عام 1986، أدين أنتوني ساليرنو الملقب بتوني البدين، عضو لجنة رؤساء المافيا ورئيس عائلة جينوفيزي، بتهمة تزوير عملية انتخاب رئيس نقابة سائقي الشاحنات روي ويليامز. قام مكتب التحقيقات الفدرالي بالتصت على ما يجري في نادي بالما بوائز الاجتماعي في نيويورك وأدين توني البدين باعترافات قالها بلسانه. أصبح

فرانك شيران وتوني البدين صديقين لأنهما كانا يتعالجان معاً في نفس مستشفى السجن الفدرالي في سبرينغفيلد بولاية ميسوري، في أواخر الثمانينيات، عندما كان توني البدين يحتضر بسبب السرطان.

كان في السجن أيضاً إلى جانب شيران وتوني البدين رجل يحمل وشماً، وذو عضلات مشدودة، ومن راكبي الدراجات النارية الخارجين عن القانون اسمه سيلر. كان سيلر مثل توني البدين يحتضر بسبب السرطان، ولأنه لم يتبق له سوى بضعة أشهر ليعيش، فقد أُطلق سراحه وهو في وضع صعب. وفقاً لما قاله شيران، فقد خطط توني البدين لإعطائه مبلغ 25000 دولار عند الإفراج عنه. وفي مقابل هذا المال، يتوجه سيلر إلى لونج آيلاند ويقتل شاهداً مدنياً شهد ضد توني البدين. وبينما أصبح راسل بوفالينو متديناً فجأة وهو في مستشفى سجن سبرينغفيلد، يهيئ نفسه للحياة الآخرة، لم يكن لدى ساليرونو مثل هذا الاهتمام.

في عام 1975، في وقت اختفاء جيمي هوف، كان توني البدين رئيساً لعائلة الجريمة نفسها التي ينتمي إليها توني برو، وهي عائلة جينوفيزي.

كان موعد ليلة تكريم فرانك شيران في 18 أكتوبر 1974. قبل ستة أشهر من إقامتها كان هناك بعض اللغط الذي يدور حول أن جيمي لن يكون مناسباً للإشراف على قروض صندوق المعاشات التقاعدية في المستقبل. كانت مثل هذه الأحاديث تأتي في الغالب من عند توني برو، لأنه كان يقوم بحملة ضد جيمي. لقد تحدثت إلى راسل حول ما كنت أسمعه هنا وهناك، وقال راسل

إن هناك الكثير من المال الذي يمكن لنقابة سائقي الشاحنات إقراضه. على أي حال، سرعان ما سيتوقف ذلك بصرف النظر عن المسؤول عن ذلك. كان جيمي دائماً يحسن التعامل معه. قال راسل إن هناك مشكلات يخلقها توني برو وبعض الأشخاص الآخرين في مدينة كانساس سيتي، لكن جيمي حصل على الكثير من الدعم من أصدقائه القدامى. كان راسل يدعم جيمي وقال لي إنه بعد محاكمته سيأخذني لرؤية توني ساليرنو البدين، رئيس توني برو. كان توني برو يسيطر على اثنين أو ثلاثة من الفروع المحلية في شمال جيرسي، ولكن توني البدين كان لديه أكثر من ذلك من حيث التأثير على المندوبين.

وفي الوقت نفسه، كان على راسل أن يكسب محاكمته الخاصة في شمال ولاية نيويورك. كان لدى اثنين من رجال راسل أنشطة تجارية تتعلق بآلات بيع السجائر هناك. كانا يواجهان منافسة شديدة من شركة أخرى في مدينة بينغهامتون، في نيويورك. حاول أفراد مجموعة راسل التحدث إلى مالكي الشركة في بينغهامتون حول منحهم بعض أرباحهم. لم يقبل مالكو الشركة الأخرى بفكرة جعل أفراد مجموعة راسل شركاء صامتين معهم. ثم في إحدى الليالي، زُعم أن مالكي الشركة الأخرى صفّوا أعمالهم. والشيء التالي الذي تعرفه أن راسل وما يقرب من اثني عشر فرداً آخرين في عائلته اعتقلوا بتهمة الابتزاز. بعض الذين اعتقلوا تم الإفراج عنهم لعدم كفاية الأدلة، لكنهم اعتقلوا راسل ونحو ستة آخرين إلى المحاكمة. ذهبت لحضور المحاكمة وجلست في الصف الأول. امتدت المحاكمة لثلاثة أسابيع وكنت أجلس هناك كل يوم

لدعم راسل. كان يمكن لهيئة المحلفين أن ترى أن راسل كان لديه أصدقاء في قاعة المحكمة. في 24 أبريل 1974، تم الحكم على راسل والآخرين بأنهم غير مذنبين. كان هذا هو نفس فصل الربيع الذي رفع فيه جيمي دعواه. كان ربيع عام 1974 قد جلب معه الحظ الحسن لأصدقاء الرجل الأيرلندي.

بعد الانتصار الذي حققه راسل، اصطحبني إلى نيويورك وقابلنا توني ساليرنو البدين في مطعم فيزوفيو. أخبرته أنا وراسل أن توني برو وجيمي قد نشأ بينهما خلاف شخصي حول معاش توني برو، ولذلك نحن نقدر أي مساعدة يمكن أن يقدمها توني إلى جيمي لاحقاً في مؤتمر عام 1976. كان توني يضع سيجاراً في فمه دائماً. وقال أنه لن يقف في طريق جيمي. ولن يحاول إخبار برو بما يجب فعله، لكنه لم يكن يقف مع برو في هذه المسألة. فقد قام جيمي بفعل أشياء كثيرة جيدة في الماضي. نحو شهر مايو أو يونيو من عام 1974، فوجئت بزيارة أحد الأشخاص في مكتبي في الفرع المحلي 326 بالقرب من محطة القطار. من ذا الذي يجرؤ على ذلك سوى جون ميتشل؟ لم أسأل الرجل كيف وجدني أو كيف عرفني. قال إنه لم يكن لديه سوى دقيقة، وأراد فقط أن يلقي التحية ويخبرني أنه يجب أن «أخبر جيمي أنني سألت عنه. اطلب منه أن يستمتع بمعاشه ويلعب مع أحفاده وأن ينسى موضوع الانتخابات». فقلت له: «شكراً لزيارتك. حين أراه في المرة القادمة سأخبره بما قلته».

في هذه الأثناء، كانت الأمور تزداد سخونة في ديترويت في الفرع المحلي 299. كان صديق جيمي القديم من سنوات العمل

الأولى، ديف جونسون، لا يزال رئيسًا. كانت الخطة أن لا يتقاعد ديف حتى يصير جيمي مستعدًا لتولي النقابة الوطنية. لكن فيتز كان يضغط على ديف للتقاعد مبكرًا. وبهذه الطريقة يمكن لفيتز تعيين ابنه ريتشارد رئيسًا للفرع. احتاج جيمي إلى بقاء رجله هناك في الفرع المحلي 299 إلى أن يتخلص من قيد العضو. عندما تخلص من ذلك القيد، كان من المفترض أن يقوم ديف جونسون بتعيين جيمي كوكيل أعمال الفرع المحلي 299. وبهذه الطريقة سيكون جيمي مندوبًا في مؤتمر 1976 وهذا سيجعله مؤهلاً بموجب الدستور للتنافس ضد فيتز لرئاسة النقابة الوطنية.

بدأ ديف جونسون بتلقي مكالمات هاتفية متقطعة في المنزل يسمع فيها أناس يضحكون في الهاتف. أطلق أحدهم رصاصة على نافذة مكتبه في مقر الاتحاد. قبل نحو أسبوع من خسارة جيمي لجولته الأولى في المحكمة بسبب دعوى التقييد، قام أحدهم بتفجير زورق ديف السياحي البالغ طوله 45 قدمًا. كانت كل تلك رسائل تحذير من فيتز وصحبه.

أعلن ريتشارد نجل فيتز أنه سيترشح لرئاسة الفرع المحلي 299 ضد ديف. ادعى ريتشارد أن جيمي نفسه كان مسؤولاً عن الانفجار الذي تعرّض له زورق ديف. إن هذا النوع من الأعمال ستزيد من قوة رجل مثل ديف جونسون. كان ديف إنسانًا صالحًا. بقي في منصبه كرئيس، وأبرموا صفقة جعلوا بموجبها ريتشارد نائبًا للرئيس. في وقت لاحق قام أحد الأشخاص بتفجير سيارة ريتشارد، لكن جيمي ما كان ليفجر سيارة ابن فيتز نهائيًا. لم

يرغب جيمي في وضع ابنه على الخط الأمامي للمواجهة وتعريض هذا الصبي لعمليات انتقام.

أعلن جيمي أنه سيخوض الانتخابات بغض النظر عما سينتهي إليه القضاة. إذا خسر قضيته بخصوص الاستئناف، فإنه لن يفعل سوى تحدي القيد فقط. إذا أرادوا محاولة إعادته إلى السجن، فإن الكرة ستكون في ملعبهم. مهما سيحدث، فإن جيمي سيخوض الانتخابات في عام 1976. أسس بعض الأشخاص منظمة تدعى هوقا، لتنشيط بعض الأصدقاء القدامى.

لم يكن جيمي وأشيأ. لكن جيمي يمكن أن يكون متبجحاً. بدأ جيمي بقول أشياء مثل أنه سيطالب بكل القروض المملوكة التي منحها فيتز، «الرجل العجوز البدين». ذهب الكثير من هذه القروض لبناء كازينوهات يملكها رجال المافيا. كانوا يهملون دفع أقساط قروضهم تحت رئاسة فيتز فقط. أما مع جيمي فقد كانوا يسددون أقساط القروض دائماً. بقدر ما يبدو الأمر جنونياً، ظل جيمي يقول علناً إنه سيكشف عن صلات رجال المافيا مع فيتز. قال جيمي إنه سيكشف كل شيء بمجرد أن يعود إلى منصبه ويضع يديه على السجلات. بدا الأمر وكأن جيمي سيتنازل عن بعض هذه القروض وسيسيطر على بعض الكازينوهات كما فعل كاسترو.

واظبت على أخبار راسل أن هذه ليست سوى أحد أساليب جيمي؛ وأن جيمي كان يتبجح فقط. أخبرني راسل أن أطلب من جيمي أن يهدأ ويتوقف عن لفت الانتباه إلى أصدقائه. ذكر راسل ذات مرة أنه كان هناك بالفعل حديث عن أن جيمي كان ينقل بعض

المعلومات إلى لجنة ماركيلان لتوجه اتهامات إلى ديف بيك حتى يتمكن من إزاحة بيك عن طريقه وتكون له الغلبة. كان ديف بيك رئيس النقابة الوطنية قبل أن آتي أنا إلى النقابة بوقت قصير. لم أكن أعلم ما إذا كان ينبغي لي أن أصدق ما يُقال عن جيمي أم لا، لكنني شككت في ذلك. ومع هذا، سيواجه جيمي مشكلة إذا استمر في الثروة عن فضح أصدقائه.

خلال مسار حملته الانتخابية، كان جيمي هوفاً غالباً ما يوسع مثل سرب النحل. نُقل عن هوفاً قوله في الأخبار أنه يتهم فيتزسيمونز «بالخضوع لرجال المافيا والسماح للمبتزين المعروفين بالانتساب إلى النقابة». لقد وجه اتهامات جريئة ضد فيتزسيمونز وعصابات الجريمة المنظمة والتي انعكست على اللغة التي كتب بها سيرته الذاتية، حين كان من المقرر الإفراج عنه قبل ستة أشهر من انتخابات عام 1976 حيث قال: «أنا أتهمه بالسماح لعصابات الجريمة المنظمة بإنشاء نظام تأمين نقابي لها. سيكون هناك المزيد والمزيد من التطورات مع مرور الوقت وسوف أحصل على معلومات إضافية».

من أجل أن يبقى بعيداً عن المشكلات ولتجنب أن يظهر وكأن هناك تضارب في مصالحه، تفاوض جيمي هوفاً بنفسه لترك مصالح مناجم تعدين الفحم التي كان يملكها في شمال شرق ولاية بنسلفانيا. إذا استمر في أن يكون في موقع إداري في نقابة سائقي الشاحنات التي كانت تتولى نقل الفحم، فلن يظهر أنه نزيه كما كان بحاجة إلى أن يظهر إذا كان سيستمر في معركته في تشويه سمعة فيتزسيمونز وصلاته بعصابات الجريمة المنظمة.

أُغلق الكازينو اللاتيني في ليلة تكريم فرانك شيران. كان ذلك الكازينو هو الذي كنت أذهب إليه عادة مع سكيبي رازور والأصحاب من وسط المدينة في الأيام الخوالي في ليالي الأحد. كان فرانك سيناترا يغني فيه بانتظام. كان يرتاده جميع النجوم الكبار على مر السنين؛ آل مارتينو، ودين مارتين، وليبراس. كان يغني فيه نفس النجوم الذين يغنون في لاس فيغاس. كان هو النادي الليلي الوحيد.

قام جون ماكولو من اتحاد عمال البناء بترتيب كل ما يتعلق بحفل العشاء. كان هناك 3000 شخص يأكلون أطباق اللحوم الممتازة أو الكركند اللذيذ، وكان هناك مشرب مفتوح يضم جميع أنواع المشروبات. كانت ليلة جمعة وكان ما زال هناك الكثير من الكاثوليك يأكلون الأسماك يوم الجمعة، لذا كان لديهم خيار تناول الكركند، لكن طبق اللحوم الرئيس كان ممتازاً. تضمنت قائمة الضيوف أشخاصاً من مختلف فروع نقابة سائقي الشاحنات المحلية وزملائي من أيام الحرب وبعض الناس من إدارة النقابة، وأناساً من مختلف الأصناف. أهداني جون غريلي رئيس الفرع المحلي 676 لوحة تذكارية باعتباري رجل العام في نقابة سائقي الشاحنات. أعلن جون ماكولو أمام جميع الشخصيات الرفيعة التي كانت في القاعة وحتى يسمع جميع عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي الذين كانوا في الخارج بجانب الأشجار مع مناظيرهم. إن أي شخص لن يسمح له بالدخول في تلك الليلة حتى لو كان لديه تذكرة إلا إذا كان يعرف شخصاً ما. سنعيد له أمواله ونصادر التذكرة إذا لم يكن يعرف أي شخص.

كان جيمي هوفاً هو المتحدث المميز في الحفل، وأهداني ساعة ذهبية إطارها مرصع بالماس. ألقى جيمي خطاباً رائعاً أخبر الجميع فيه عن العمل الجيد الذي قمت به نيابة عن الرجال والنساء العاملين في ولايتي بنسلفانيا وديلاوير. نظر جيمي من حوله وهو على المنبر وقال: «لم أكن أعلم أنك بهذه القوة». كان العمدة فرانك ريزو يجلس على المنصة. كان سيسيل مور، رئيس الجمعية الوطنية للنهوض بالملونين في فيلادلفيا، هناك. كان المدعي العام السابق، إيميت فيتزباتريك، يجلس على المنصة. كانت المنصة مكتظة بالشخصيات السياسية والعمالية البارزة.

كانت زوجتي، إيرين، وبناتي الأربع حاضرات هناك ويجلسن عند الطاولة الأمامية. كانت أصغر بناتي، كوني، تبلغ من العمر أحد عشر عاماً فقط. وكان عمر دولوريس تسعة عشر عاماً. وكانت بيغي تبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً. وكانت ماري آن في الثامنة والعشرين من عمرها. بدون جميعهن فخورات بي جداً في تلك الليلة. تمكن جيمي من إقناع إيرين بالصعود إلى المنصة وأعطاهما عشرات الورود. كانت محرجة من الصعود واستمر في إقناعها حتى استسلمت.

كانت هناك طاولة في الأمام على يمين الطاولة التي جلست حولها إيرين وبناتي. كانت هذه طاولة راسل. كانت زوجته كاري هي المرأة الوحيدة الجالسة عندها. كان هناك ديف أوستيكو وجوف غوارنيري، كبار المسؤولين في عائلة راسل. وكان أيضاً أنجيلو برونو واثنان من رجاله يجلسون هناك عند طاولة راسل.

وكل من جاء من وسط المدينة كان يجلس على طاولة أخرى.  
راهنني راسل على أنني سوف أتلثم في خطابي. أنهيت  
خطابي بالقول: «شكرًا لكم جميعًا من أعماق قلبي. أعلم أنني  
لا أستحق كل ما فعلتموه في هذه الليلة، لكنني أعاني من التهاب  
المفاصل وأنا لا أستحق ذلك أيضًا. رأيت يا روس؟ لم أتلثم في  
خطابي». لوّح لي راسل وضحك الجميع.

من أجل تسلية الحاضرين شارك جون مأكولو في الغناء مع  
المطرب الإيطالي جيرى فالى. وغنى جميع الأغاني الإيطالية  
القديمة التي اشتهر بغنائها، مثل «سورينتو» و «فولاري». ثم غنى  
بعض الأغاني الأيرلندية التي اقترحها مأكولو عليه. ركز بشكل  
خاص على الأغنية المفضلة عند راسل وعندي في ذلك الوقت،  
«عيون إسبانية». لو كنت لا تعرف من كان يغني لظننت أنه المغني  
آل مارتينو.

شاركت راقصات فرقة غولديفر في جزء من الحفل وكانت  
أرجلهن تصل إلى أكتافهن. كنّ فتيات حسنات المظهر. وظل  
الجميع يمازحونني لأصعد إلى المسرح وأرقص معهن. كان كازينو  
اللاتيني مكتظًا ولم يكن لديهم حلبة رقص وإلا لكنت رقصت مع  
أجمل الفتيات في المكان؛ بناتي.

وقفنا جميعًا أمام مصورنا الخاص في تلك الليلة، وبينما كنا  
نلتقط صورنا، قال لي جيمي: «لم يكن لدي أي فكرة حقًا أنك  
كنت بهذه القوة، يا صديقي. إنني أقدر كل الدعم الذي قدمته لي  
خلال هذه السنوات. أنا سعيد لأنك وقفت إلى جانبي. فرانك،  
عندما أعود إلى منصبي، أريدك طول الوقت معي. فأنا أحتاج

إليك إلى جانبي. إذا كنت ستتولى وظيفة، سأجعلك منظمًا وطنيًا لديه حساب نفقات غير محدود».

قلت: «أعلم أنك تعني ذلك يا جيمي، يشرفني أن أكون منظمًا وطنيًا يومًا ما»، فهذا سيجعل حلمي يتحقق.

كان لدى جون ماكولو سيارة ليموزين أعاد بها عائلتي إلى المنزل وأخذت جيمي إلى فندق وارويك. كان من المستحيل أن أسمح لجيمي بأن يعود إلى فندقه وحده في سيارة ليموزين. لم نتحدث عن أي شيء مهم. كل حديثنا المهم كنا قد قلناه في الليلة السابقة.

في الليلة السابقة، أقمنا حفلة خاصة بنا في حانة برودواي إيدي وهي مكان صغير يحوي بعض الطاولات وتقع عند تقاطع شارعي تينث وكرستينسن. لا تزال تلك الحانة موجودة، ولكن باسم مختلف. في تلك الليلة أغلقت أمام الجمهور وكان المرء بحاجة إلى دعوة خاصة للدخول. كان أصدقائي المقربون من وسط المدينة ومن الولايات الشمالية جميعًا هناك لإظهار تقديرهم لفرانك شيران. بطبيعة الحال، كان جيمي موجود أيضًا في ذلك اللقاء الخاص. إذا كان هناك أي شخص يراقب المكان سيبدو الأمر وكأن الاحتفال مخصص لي. ولكنه كان مخصصًا في الحقيقة لاجتماع يضم راسل وأنجيلو ليتحدثوا فيه مع جيمي. طلب مني راسل أن أسأل جيمي إن كان يوافق أن يحضر اجتماعًا مع أصدقائي المقربين. قال جيمي: «هل هذا مهم بالنسبة إليك؟» قلت: «نعم». وبهذه الطريقة تم ترتيب الاجتماع في حانة برودواي إيدي.

وصل جيمي إلى فيلاديلفيا قادماً من ديترويت بعد ظهر ذلك اليوم. أعتقد أنه جاء بالطائرة، ولكنه لم يكن يملك طائرة خاصة بعد. كانت لدى فيتز طائرة خاصة. أوصلته إلى فندق وارويك وأخبرته باللقاء الذي جمعتني أنا وراسل مع توني ساليرنو البدين. كان جيمي سعيداً بهذا الأمر. ركبنا في سيارتي الواسعة من طراز لينكولن وتوجهنا إلى جيرسي لرؤية جون غريلي في الفرع المحلي 676. كان غريلي رجلاً مخلصاً لهوفاً، وأراد جيمي التواصل معه بشأن شيء ما. بينما كان جيمي يجتمع مع غريلي كنت أنتظر في الخارج. ثم ذهبنا إلى حانة برودواي إيدي.

كان هناك نحو ستين شخصاً في برودواي إيدي في تلك الليلة. الوحيدون الذين كانت لديهم طاولة يأكلون عليها هم أنجيلو وراسل وجيمي وأنا. البقية كانوا في المشرب. وظلت صواني الطعام تخرج من المطبخ إلى الناس الموجودين في المشرب. كان جيمي يأكل من طبق السباغيتي وكرات اللحم، وكنت أنا أتناول الرافيولي. كنا نحن الأربعة جالسين في صف واحد على التوالي. عندما كنت تريد التحدث كان عليك أن تتكئ قليلاً. كان أنجيلو يجلس في النهاية بجانب راسل، وكان جيمي يجلس بيني وبين راسل.

لم يقل أنجيلو أي شيء ولم أقل أنا أي شيء طوال الوقت. كانوا يعلمون أنني مع هوفاً. كنت أعلق ملصقات هوفاً في سيارتي اللينكولن. لم تكن هناك محادثة مطولة حول الشيء الذي كانوا هناك من أجله. كنت أتصور أن جيمي يعرف لماذا طلبوا منه الحضور، لكنني لم أكن أعرف.

سأل راسل: «لماذا تريد أن تخوض السباق الانتخابي للنقابة؟»

قال جيمي: «إنها نقابتي».

«ما عليك سوى الانتظار أربعة أعوام فقط. يمكنك خوض السباق الانتخابي في عام 1980. هذا سيكون منطقيًا».

«يمكنني خوضه الآن. هناك العديد من الناس معي».

لم يكن جيمي واثقًا جدًا، لكنه كان حازمًا. لم يقل راسل أي شيء عن الطريقة التي كان فيها جيمي يدير فيها الحملة الانتخابية والأشياء التي كان جيمي يشير إليها بخصوص رجال المافيا. ولكن كان على جيمي أن يعرف أن مثل هذا الحديث في الأماكن العامة سيكون مصدر قلق لراسل. كان جيمي يعلم ما فعله جو كولومبو حين جعل الأضواء تسلط عليه وما فعله المجنون جوي غالو. عرف جيمي كيف بدأت جميع مشكلات راسل مع تسليط الأضواء عليهم منذ اجتماع أبالاتشين. كان من المفترض على الأقل أن يتساءل جيمي عن سبب عدم قيام راسل بدعمه والاجتماع مع توني البدين لمساعدته في عام 1976، وبات الآن يتحدث بهذه الطريقة.

قال راسل: «ما الذي تعمل من أجله؟ أنت لا تحتاج إلى المال».

قال جيمي: «الأمر لا يتعلق بالمال. لن أدع فيتز يمتلك النقابة».

لم يقل راسل أي شيء لمدة دقيقة. فقط كان يأكل في صمت. لم يكن الناس يرفضون شيئاً يطلبه راسل ولم يكن يضطر عادةً إلى السؤال مرتين.

قال جيمي: «أنا أعرف ماذا سأفعل مع الأشخاص الذين

غدروا بي».

استدار راسل نحو جيمي وعندها بات يواجهني أنا وجيمي معاً وقال: «هناك أشخاص أعلى مني يشعرون بأنكم لا تقدرّون الأمور بصورة صحيحة»، ثم قال بهدوء لدرجة أنني اضطررت إلى قراءة شفّتيه: «فيما يتعلق بما جرى في دالاس».

لم يرد جيمي على ذلك.

استدار راسل وأجرى بعض الأحاديث القصيرة مع أنجيلو وهذا يعني أن الاجتماع قد انتهى. انتهينا من الأكل. جلست هناك أفكر في أن الأمر قد انتهى. كان الناس يتحدثون فيما بينهم وكان راسل يتحدث الآن نيابة عنهم، وكانوا ضد أن يخوض جيمي سباق الانتخابات وكان راسل كذلك أيضاً. فاز توني برو في معركة كسب قلوبهم وعقولهم. كان لديّ شعور بأنه لم يكن خوض جيمي للسباق هو الذي يكلفه خسارة دعم أصدقائه له، بل كانت الطريقة التي كان يخوض السباق بها.

لم أكن أعرف مدى خطورة الأمر على جيمي حتى بدأت أستعد أنا وجيمي للمفادرة. أخذني راسل جانباً وقال: «بعض الناس لديهم مشكلة خطيرة مع صديقك. تحدث مع صديقك. قل له ما هي».

«سأفعل ما بوسعي. أنت تعرف بنفسك يا روس. من الصعب التحدث إليه».

«ليس لديه خيار».

«جيمي معتد بنفسه كثيراً».

«أنت تحلم يا صديقي. إذا تمكنوا من الإطاحة برئيس البلاد، يمكنهم الإطاحة برئيس نقابة سائقي الشاحنات».

أحب جيمي فندق وارويك. كان يقع عند تقاطع الشارع السابع عشر مع شارع والننت، قمنا برحلة قصيرة من حانة برودواي إيدي في سيارتي اللينكولن المليئة بملصقات هوبا. صعدت أنا وجيمي إلى غرفته لأتحدث معه في الموضوع، لكن جيمي بدأ يتحدث أولاً.

«الجميع يريدون من هوبا أن يتراجع. يخافون جميعاً مما أعرفه. عندي رزمة نقود هنا أريدك أن تأخذها إلى فندق ماركت إن». سلمني جيمي حقيبة صغيرة، لم تكن ثقيلة جداً. ولم يكن عليها اسم. مهما كان الشخص الذي سيستلمها فهو يعرف جيداً أن عليه أن ينتظرني.

قلت: «لقد ذكرتني يا جيمي. كنت أنوي أن أخبرك بهذا من قبل؛ توقف ميتشل عند مقر النقابة في الربيع الماضي وقال لي أن أخبرك ألا تخوض السباق الانتخابي. قال إن من الأفضل أن تستمتع بمعاشك ومع أحفادك».

«هذا لا يفاجئني. سبق لميتشل اللعين هذا أن قال لي ذلك لا تفكر حتى في استخدام ما تعتقد أنك تعرفه».

أنا لا أعرف ما سيقوله راسل لك هذه الليلة يا جيمي. لكنني أعرف أنهم يقصدون ذلك. ونحن في طريقنا للخروج هذه الليلة طلب مني راسل أن أخبرك كيف ستكون عليه الأمور».

«إذا حدث أي شيء غير طبيعي لهوفاً، يمكنني أن أخبرك أن أبواب الجحيم ستفتح، فأنا أملك العديد من السجلات والقوائم وهي جاهزة لإرسالها إلى وسائل الإعلام، وأكثر مما تتخيل. لقد صادفت الكثير من الأوغاد في حياتي اعتقدت أنه يمكنني الوثوق

بهم. أحتاج إلى المزيد من الأشخاص مثلك. وأنا عندي منهم الآن. أنا أعرف من هم أصدقائي».

«جيمي، أنت تتحدث كثيراً عن أشياء تثير قلقهم».

«تلك كانت مجرد قمة جبل الجليد، قمة جبل الجليد. دعني أخبرك بشيء عن دالاس، هل سمعت هذه الكلمة الليلة؟ هل تتذكر تلك الحقيبة التي أخذتها إلى بالتيامور؟ لم أكن أعرف ماذا كانت تحوي في ذلك الوقت، ولكن اتضح أنها كانت تحوي بندق دقيقة شديدة القوة لاغتيال كينيدي في دالاس. لقد نسي أولئك الأوغاد الأغبياء بنادقهم الخاصة في شاحنة شركة شديريرد التي تحطمت عندما كان سائقها مخموراً. قدم لهم طيار كارلوس البدائل التي جلبتها. لقد استخدمنا أولئك الأوغاد نحن الاثنان في تلك العملية. لقد كنا سذجاً. ما رأيك في ذلك؟ كان لديهم رجال شرطة مزيفون ورجال شرطة حقيقيون متورطون في العملية».

كان من المفترض أن يتولى رجل شرطة جاك روبي أمر أوزوالد، لكن روبي أخطأ في ذلك. لهذا السبب كان عليه الذهاب وإنهاء المهمة المتعلقة بأوزوالد. إذا لم يتولَّ أمر أوزوالد، فماذا تعتقد أنهم سيفعلون به؟ سيعلقون روبي على خطاف اللحم. لا تخدع نفسك. كان سانتو وكارلوس وجيانكانا وبعض عناصرهم مشاركين في عملية اغتيال كينيدي. كانوا نفس مجموعة الأشخاص التي كانت موجودة في خليج الخنازير. حتى أنه كانت لديهم مؤامرة لقتل كاسترو مع مومو وروسيلي. لديَّ ما يكفي لشنق الجميع. وستكشف كل الأوراق إذا حدث لي أي شيء غير طبيعي. سوف يدفعون الثمن جميعاً. سوف يدفع الثمن كل من غدر بي».

جلست هناك وكانت الحقيبة في حضني. كان جيمي أحياناً يأخذه الحماس في الحديث فيستمر فيه من دون توقف. لقد كنت أستمع إليه. لكنني لم أره في مثل هذه الحالة من قبل. لم أَر قط مثل هذا من قبل. هذه المرة كان شيئاً لا يُصدق. لم يكن لديّ ما أقوله حتى لو كنت أميل إلى إجراء أي حديث معه. قد تكون هناك أجهزة تنصت في الغرفة، فلم أكن أرغب في أن يُسجّل صوتي. قلت مع نفسي أنت تتحدث عن بنادق شديدة القوة... يا رجل! يا رجل!

«أنت لا تعرف نصف ما أعرف. إن غياب فيتز لا يفوقه إلا غطرسته. ظنوا أن هوبا سوف يختفي عن وجه الأرض. لم يكن لدى أي منهم ذرة من الشجاعة لمواجهة. يا صديقي الأيرلندي، هناك أشياء لا يمكنني أن أخبرك بها لأنها ستكلفك حياتك إذا عرفتها. هناك أشياء سرية عرفتھا ورأيتها ودعمتها ستهز هذه الأمة إذا كشفتها».

واصل جيمي يتحدث لي عن أشياء مزعومة حول أصدقائنا الطيبين، لا تتعلق بذلك الأمر. أشياء ليست للنشر. لا أستطيع أن أقول إنني أعرفها جميعاً، لكنني كنت أعرف معظمها على أي حال وشككت في البعض الآخر. لم يكن أي منها من شأني أو شأنه. لقد حان الوقت بالنسبة إلي للخروج من هناك. لأنني خشيت أن تكون هناك أجهزة تنصت على الغرفة، قلت: «لم أسمع أن أيّاً من ذلك كان صحيحاً يا جيمي».

«لا تقلق بشأن ذلك. لقد وضعت السجلات والوثائق في أيدي الأشخاص المناسبين، ويعلم أولئك الأوغاد أنني احتفظت

بتسجيلات لكل ذلك. وأنا أحتفظ بكل شيء في أماكن آمنة». «جيمي، أسد لي معروفًا واستعن ببعض الأشخاص يكونون حولك عندما تخرج إلى الشارع».

«الحراس الشخصيون يجعلونك مهملاً».

«أنا لا أقول حراسًا شخصيين. فقط تنقل بصحبة آخرين.

لقد جئت إلى هذا الاجتماع في فيلاديلفيا وحدك».

«أنا لن أكمل هذا الأمر، وإلا فإنهم سيتعقبون عائلتي».

«بغض النظر عن هذا، لا يجب أن تكون في الشارع وحدك».

«لا أحد يخيف هوفًا. سألاحق فيتز وسأفوز في هذه

الانتخابات».

قلت بهدوء: «أنت تعرف ماذا يعني هذا يا جيمي. أخبرني

ماكفي بنفسه بأن أخبرك ما هو».

قال جيمي هوفًا بصوت عالٍ: «لن يجرؤوا».

في الطريق إلى الباب، قال لي جيمي: «عليك أن تكون حذرًا».

مكتبة

t.me/soramnqraa

## الفصل السابع والعشرون

الثلاثون من يوليو 1975

عدت لأبلغ راسل أن جيمي لا يزال مصرًا على خوض السباق الانتخابي لمنصب رئيس النقابة في عام 1976. وأبلغته بما قاله جيمي عن وجود سجلات وقوائم ستظهر إلى العلن في حالة حدوث شيء غير طبيعي له. لم أخض في كل التفاصيل، وكل تلك الأشياء المجنونة التي قالها جيمي. وهي أشياء لم أكن بحاجة إلى معرفتها. وعلق راسل قائلاً: إن تفكير جيمي أصبح «مشوهاً». قال راسل: «لا أفهم هذا. أنا لا أفهم لماذا لا يترك الأمر». أوصلت جيمي إلى فندق ماركت إن واتصلت به هاتفياً لإخباره. لا أستطيع أن أخبرك حقاً بأن ما كان في الحزمة هو نقود. لم أنظر إلى ما في داخلها. بعد ذلك، أصبحت أخاف من إجراء الكثير من الأحاديث مع جيمي، لأنني يجب أن أعيد تكرارها على مسامع راسل. لقد شعرت من كل هذا بأن جيمي يسيطر عليه غروره وشعوره بالانتقام. أعتقد أنه اكتشف أنه إذا انتظر حتى عام 1980 للترشح سيتقاعد فيتز ولن يحصل جيمي أبداً على فرصة إزالته في المؤتمر، وتذكيره بالخطأ الفادح الذي ارتكبه. أعتقد أن جيمي لم يكن سعيداً جداً بالطريقة التي بدت بها الأمور مع أصدقائنا. عقب الاجتماع الذي جرى في حانة برودواي إيدي، وبالنظر إلى أن راسل كان يريد من جيمي عدم الترشح، كان على جيمي أن يتصور أن توني برو كان يحرز تقدماً في هذا الجزء من الحملة.

بعد ذلك الذي جرى لم أستطع أن أفهم قطّ أنهم يريدون إيذاء زوجته جو وأطفاله عن طريق جعله يختفي. بينما كان باستطاعتهم أن يفعلوا كل ما يجب فعله، لم يرغب أشخاص مثل راسل وأنجيلو في إيذاء عائلته بشكل مباشر. وجعلهم يعانون من عدم معرفة مصيره، وأن لا يقيموا له جنازة لاثقة وأن يضطروا إلى الانتظار لسنوات عديدة بموجب القانون حتى يتمكنوا من إعلان جيمي ميتاً قبل أن يتمكنوا من الحصول على ثروته. ما لم يكن لتوني برو القول الفصل وحصوله على الموافقة من توني البدين.

هذا ما لم نكن نعرفه على الإطلاق بالتأكيد. هدد برو بالفعل بقتل حفيدة جيمي. من يجرؤ أن يتحدث هكذا عن أحفاد هذا الرجل؟

في أبريل 1975، انتشرت شائعات في مؤتمر نقابة سائقي الشاحنات بأن جيمي هوفّا كان يتعاون مع مكتب التحقيقات الفدرالي. عزت صحيفة ديترويت فري برس في مقال نشرته في 20 ديسمبر 1992 مصدر هذه الشائعات إلى تشوكي أوبراين، السائق المزعوم للسيارة التي كان جيمي هوفّا يستقلها وقت اختفائه. يؤكد عميل التحقيقات الفدرالي رقم 302 طبقاً لما هو مذكور في ملف مكتب التحقيقات الفدرالي حول اختفاء جيمي هوفّا، المعروف باسم ملف هوفكس، وجود هذه الشائعات، وأن هناك سبباً معقولاً لاحتمال أن يكون له أساس من الصحة: «ربما قام هوفّا من أجل السيطرة على نقابة سائقي الشاحنات، بتقديم معلومات إلى الحكومة مقابل إصدارها قرار إيجابي بشأن رفع القيود المفروضة على نشاطه النقابي».

- في 15 مايو 1975، أدلى جيمي هوفاً بشهادته في جلسة تحقيق هيئة محلفين كبرى حول «وجود» وظائف وهمية خلال عمله السابق في الفرع المحلي 299 في ديترويت. لجأ هوفاً إلى التعديل الخامس. بعد ذلك، عندما سئل من أحد الصحفيين، قال هوفاً إنه «فخور بذلك». في نفس اليوم، حضر جيمي هوفاً اجتماعاً في مكتب محاماة ابنه، ضم ابنه وزعيم عصابات ديترويت أنتوني جياكالوني «توني جاك». حاول جياكالوني التوسط في الاجتماع بين هوفاً وتوني برو، ورفض هوفاً الحضور. ثم طلب جياكالوني مساعدة هوفاً في الحصول على السجلات التي كانت ستستخدمها الحكومة ضد جياكالوني في اتهامه باحتيال تأميني مزعوم. رفض هوفاً طلب جياكالوني.

- في نهاية شهر مايو، هدد فرانك فيتزسمونز بوضع الفرع المحلي 299 تحت الوصاية، وكان ذلك الفرع هو الذي كان يقوده هوفاً سابقاً وكان يمثل أساس قوته، وأن تتم إدارة الفرع بواسطة مراقب، سيكون مسؤولاً أمام مقر نقابة سائقي الشاحنات في واشنطن.

- في 19 يونيو 1975، اغتيل حليف جيمي هوفاً وصديقه المخلص سام جيانكانا في منزله في شيكاغو قبل خمسة أيام من شهادته المقررة أمام لجنة تشيرش حول دور رجال المافيا في مؤامرة لوكالة المخابرات المركزية لاغتيال فيدل كاسترو.

- في 25 يونيو 1975، تعرّض رالف بروكتور من الفرع المحلي 299 ومن مؤيدي فرانك فيتزسيمونز للهجوم من الخلف

- في أثناء خروجه من أحد المطاعم بعد تناوله الغداء. لم ير بروكتور قط الشخص الذي قام بضربه. تعرض بروكتور للضرب وسقط على الأرض فاقدًا الوعي في وضح النهار. صرح رولاند ماكماستر مسؤول بروكتور الأعلى ومن المحسوبين على معسكر فيتزسيمونز: «إن ما حدث كان عملاً أحمق. وقد أبلغت المحققين به، لكنهم لم يجدوا أي شيء».
- بعد ظهر يوم 10 يوليو 1975، كان ريتشارد فيتزسيمونز نجل فرانك فيتزسيمونز يسترخي في حانة نيمو في ديترويت. كان ريتشارد يشغل منصب نائب رئيس الفرع المحلي 299، وبهذه الصفة، حصل على سيارة لينكولن كونتيننتال بيضاء من موديل 1975 لغرض تأدية واجباته النقابية. بعد الانتهاء من كأسه الأخيرة في الحانة، غادرها ريتشارد وكان يسير نحو سيارته اللينكولن المتوقفة عندما انفجرت السيارة. أصيب ريتشارد الذي نجا من الموت بفارق ثوانٍ معدودة، لكن سيارته اللينكولن البيضاء تعرضت للدمار.
  - بعد ظهر يوم 30 يوليو 1975 اختفى جيمي هوف. تم الانتهاء من كل الترتيبات قبل حفل الزفاف. تزوجت ابنة بيل بوفالينو يوم الجمعة، 1 أغسطس 1975. كان ذلك بعد يومين من اختفاء جيمي. سيأتي الناس من جميع العائلات في جميع أنحاء البلاد. وسيكون هناك أكثر من 500 شخص هناك. سنتوجه أنا وراسل وزوجاتنا وشقيقة زوجة راسل بسيارتنا في خط مستقيم يمر عبر بنسلفانيا، ونمر في معظم الأحيان عبر ولاية أوهايو، ثم ننعطف يمينًا لنتوجه شمالًا إلى ديترويت، في ميشيغان.

بسبب حفل الزفاف، كان جيمي يميل إلى الاعتقاد بأن توني برو وراسل بوفالينو سيكونان في منطقة ديترويت حتى يتمكنوا من مقابلته في فترة ما بعد الظهر التي اختفى فيها. لم يكن الادعاء بأن توني برو يريد أن يحصل على مكافأته التعاقدية البالغة مليون دولار سوى طعماً. لم يكن برو يهتم بمعاشه التقاعدي كثيراً. لقد استخدموا قضية المعاش التقاعدي لكي يجعلوا جيمي يأتي.

كان من المقرر أن يحضر جيمي اجتماعاً رتبته توني جياكالون في الساعة 2:30 في مطعم ماشوس ريد فوكس الواقع في جادة تلغراف خارج ديترويت في 30 يوليو 1975. كان من المفترض أن يصل توني برو إلى هناك في الساعة 2:30 مع توني جاك. كانت الفكرة برمتها أن يقوم توني جاك بمصالحة بين توني برو وجيمي. غادر جيمي لحضور ذلك الاجتماع، وشوهد في موقف السيارات في المطعم، لكن جيمي لم يعد قط إلى المنزل من ذلك الاجتماع.

في أثناء حفل الزفاف كان الجميع يتحدثون عن اختفاء جيمي. وجب عليّ أن أتحدث مع عدد من رفقاء جيمي القدامى من الفرع المحلي 299، منهم ديف جونسون، الرئيس الذي فُجّر زورقه، وبوبي هولمز، أحد فتیان إضراب الفراولة القدامى الذي كان عاملَ مناجم في إنجلترا. كلاهما سألني في نفس الوقت تقريباً ما إذا كنت أعتقد أن توني برو قد فعل ذلك.

في صباح اليوم التالي، اقترح راسل أن أتصل هاتفياً بجو لتشجيعها ومواساتها. ربما فهم روس أنني لا أريد أن أفعل ذلك، فقال: «سيبدو الأمر مضحكاً إذا لم تتصل بها». لذلك اتصلت بجو

وكانت تبكي. أخبرتها: «سيعود جيمي إلى المنزل. هل تذكرين عندما اختفى السيد بونانو. أتتذكرينه؟ جوي بونانو. وما لبث أن عاد إلى المنزل في غضون أسابيع قليلة. بعد أن تم التوصل إلى تفاهم». قلت لها أشياء أخرى أيضاً. أي نوع من الرجال يستطيع أن يقوم بمكالمة كهذه؟

## الفصل الثامن والعشرون

### حين تطلي منزلاً

بقي الطيار في الطائرة. دخلت أنا. أشاح الطيار برأسه بعيداً على الرغم من أنني كنت أعرفه. كنت أراه يتمشى حول المبنى مرات عديدة مع أصدقائنا لأعرف أنه لم ينظر إلى وجهي. نظرت من النافذة إلى مهبط الطائرات العشبي في مدينة بورت كلينتون، في ولاية أوهايو، ورأيت سيارة لينكولن سوداء وداخلها راسل جالساً في مقعد الراكب. كان راسل قد بدأ بالفعل يتهيأ للنوم.

تقع بورت كلينتون في الطرف الجنوبي لبحيرة إيري. إنها قرية صيد شرق توليدو، على بعد ما يزيد قليلاً عن 100 ميل من مدينة ديترويت بالسيارة. إن قيادة السيارة من حول البحيرة إلى نزل جيورجيانا في ديترويت يمكن أن تستغرق نحو ثلاث ساعات في ذلك الوقت، مددت وأخذت المسار الدائري قليلاً قد تستغرق التحليق فوق البحيرة والهبوط بالقرب من ديترويت ساعة تقريباً. إذا كنت تريد أن تعرف ما كنت أشعر به وأنا جالس في تلك الطائرة، يؤسفني أن أعترف بذلك، ولكنني في ذلك الوقت لم أشعر بأي شيء. لم يكن الأمر كما لو كنت أتجه إلى المعركة. اتُخذ القرار بطلاء المنزل، وحدث ما حدث. بالتأكيد، أنا لا أشعر بالرضا حيال ذلك إذا فكرت في الأمر الآن. أنا الآن في الثمانينيات من عمري. في ذلك الوقت، تتابك مشاعر كثيرة وبغض النظر عن مقدار العصبية التي تتراكم في داخلك بسبب التوتر الذي

يجتاحك ويجعلك تشعر بالارتباك. وربما حتى التصرف بغباء. علمتني الحرب كيف أسيطر على مشاعري عندما يستدعي الأمر ذلك.

الجزء المحزن في الأمر هو أن جيمي كان يمكن أن يوقف الأمر برمته في أي وقت يريد، لكنه ظل يبحر وسط العاصفة. كان بإمكانه إغراق الكثير من الناس الذين كانوا معه في نفس القارب إذا استمر في هذا الاتجاه. قلنا له جميعاً ماذا يمكن أن يحصل له. وكان يعتقد أنه لا يمكن المساس به. بعض الناس يحبون هذا. مثل والدي الذي كان يعتقد أنه لا يمكن المساس به عندما رمى لي قفازات الملاكمة. لكن الجميع يخسر.

هل كنت لا أزال قلقاً على صحتي وصحة إيرين على النحو الذي خطر على بالي في الليلة الماضية في مطعم بروتيكو عندما أخبرني راسل بما سأفعله اليوم؟ لم يحدث شيء من هذا ولا حتى قليلاً. كان لديهم خياران فقط: إما قتلي وإما تكليفي بالمهمة. وبتكليفهم إياي لأداء المهمة، حصلوا على فرصة للتأكد من أنهم يمكن أن يثقوا بي. عندما قررت أن أقبل القيام بالعملية لم يعد بإمكانني أن أفعل أي شيء ضدهم. كان عليّ أن أثبت لهم، وبأفضل طريقة، أنه لم يكن في نيتي على الإطلاق التوجّه لقتل توني برو أو فيتز لصالح جيمي. كان راسل يفهم هذه الأشياء. لقد أنقذ حياتي مراراً وتكراراً. لقد واجهت سبع مسائل كانت من الممكن أن تؤدي إلى قتلي طوال تلك السنين، لكن راسل تمكن من تسويتها جميعاً.

على الرغم من أنه كان رئيسًا كان على راسل أن يفعل بنفسه ما كان يجب القيام به. لقد كانوا ينالون من الرؤساء أيضًا. لم أنم طوال تلك الليلة في فندق هوارد جونسون، وأنا أفكر في هذه الأشياء من جميع النواحي، لكنني دائمًا كنت أحصل على نفس الإجابة. إذا كانوا قد قرروا عدم استخدامي في العملية لكان جيمي قد مات على أي حال، ولا شك في أنني كنت قد متّ معه. لقد قالوا لي ذلك في وقت لاحق.

بعد ما بدا وكأن الطائرة ارتفعت ثم هبطت بسرعة خرجت منها بنفس الطريقة التي دخلت بها، وحدي، وكان الطيار ينظر في الاتجاه الآخر.

كانت زوجتي، إيرين، وكاري زوجة راسل، وأخت زوجة راسل الكبرى يجلسن في مطعم في بورت كلينتون يشربن القهوة ويدخنن السجائر وهن معتقدات أنني وراسل قد ذهبنا للقيام ببعض الأعمال التي تخص راسل. لقد قمنا بالفعل ببعض الأعمال التجارية ونحن في الطريق وسنتوقف للقيام بمزيد من الأعمال في طريق العودة إلى المنزل. وكُنَّ يعرفن من بين أمور أخرى أن راسل كان يصطحب معه دائمًا عدسة التكبير التي يستخدمها الصاغة ليتفحص بها الجواهر الألماسية. عندما عدنا معًا في غضون ثلاث ساعات، لم يعتقدوا قط أنه كان بإمكانني قيادة السيارة إلى ديترويت والعودة في غضون ثلاث ساعات، عندما كان يستغرق الأمر ثلاث ساعات للسير باتجاه واحد بالسيارة للوصول إلى فندقنا في ديترويت.

لم يخطر هذا الأمر على بالي، ولكن لم يكن هناك شك في أن ركوب هذه الطائرة مرة أخرى سيكون آمناً وسليماً بعد أن انتهت من مهمتي. من غير المقبول توريط النساء في وسط التحقيقات إذا حدث لي شيء غير طبيعي في ديترويت. سأستقل سيارتي اللينكولن السوداء في أوهايو وأقوم أنا وراسل باصطحاب النساء. يمكنك أن تفسر الأمر بأن وجود النساء في بورت كلينتون كان نوعاً من توفير الحماية ومنحني راحة نفسية، لكن هذا النوع من التفكير لم يخطر ببالي قطّ.

إلى جانب ذلك، كنت أحمل قطعة سلاح تحت حزامي. حتى اليوم، وأنا في هذا العمر وأعيش في دار الرعاية، أنا قادر على استخدام السلاح.

هبطت في مطار بونتياك، وهو مطار صغير شمالي المكان الذي سيشهد حدوث كل شيء. وهو غير موجود الآن؛ وإذا لم أكن مخطئاً فقد تحول إلى مبانٍ سكنية. لم تكن هناك حاجة إلى مسار للهبوط في تلك الأيام ولم يحتفظوا بأي سجلات.

كانت هناك سيارتان أو ثلاث سيارات على الأكثر. كانت إحداها من طراز فورد ومفاتيحها مرمية على الأرضية مثلما أخبرني راسل. كانت سيارة عادية ورمادية اللون وفيها القليل من الغبار. لن تتوقع أبداً استخدام سيارة براقعة تجذب الانتباه في مثل هذه الحالة. إلى جانب أنها كانت سيارة مقترضة. كان يُستولى على الكثير من السيارات دون أن يعرف أصحابها بذلك. كانت الفنادق مناسبة لهذا الأمر. وكان وقوف السيارات لفترات طويلة في المطارات يساعد في ذلك. يمكن لشخص من الداخل

أن يجد بنفسه سيارة لطيفة من هنا وهناك ويجلب السيارات المقترضة للزبائن الذين يدفعون نقدًا.

كان راسل قد أعطاني العنوان والمسارات التي توصلني إليه. كنت أعرف أن ديترويت مكان ممتاز للعمل بالنسبة إلى جيمي، لكن هذه المسارات كانت بسيطة حقًا. كان عليّ أن أسير في طريق تلغراف السريع، وهو الطريق رقم 24، والذي يمثل الشريان الرئيسي للطرق في ديترويت. لقد كان يومًا مشمسًا، وحارًا بما يكفي لتشغيل مكيف الهواء. على يميني، مررت بمطعم ماشوس ريد فوكس الذي يقع على طريق تلغراف. انعطفت يسارًا من طريق التلغراف نحو طريق سيفن مايل. قدت مسافة نصف ميل في طريق سيفن مايل، وعبرت جسرًا خاصًا بمرور السيارات مشيد فوق جدول ماء صغير. توجهت يمينًا وأسفل ذلك الطريق، كان هناك جسر آخر لمرور السيارات، ثم جسر للمشاة في مكان قريب، ثم انعطفت يسارًا، وكان هناك منزل خشبي بني اللون فيه سياج عالٍ في الفناء الخلفي، ومرأب منفصل في الخلف. لم تكن البيوت الموجودة في الجوار بعيدة، ولكنها لم يكن بعضها بجوار بعض أيضًا. راجعت العنوان. لم أقد سيارتي سوى بضعة أميال فقط.

وكما قلت، في طريقي إلى المنزل، كان عليّ أن أتجه جنوبًا من خلال طريق تلغراف السريع، وأمر بمطعم ماشوس ريد فوكس حيث سينتظرني جيمي عبثًا لأحضر إلى موعدنا عند الساعة الثانية. كان المطعم يبعد كثيرًا عن ساحة وقوف السيارات. عندما مررت به لم أكن قلقًا من أن جيمي سيراني. نظرًا لضخامة

جسمي وهيئتي المنتصبة التي كنت لا أزال أملكها في تلك الأيام قبل أن ينحني جسمي بسبب إصابتي بمرض التهاب المفاصل، كنت أجلس ورأسي قريب من سقف السيارة، وكان على الناس إلقاء نظرة من كذب لرؤية وجهي. لم يكن بإمكان أحد قط أن يتعرف عليّ في تلك اللحظة.

كان من المفترض أن أجلس هناك في المطعم عندما يحضر توني برو وتوني جاك لموعدهما مع جيمي في الساعة 2:30. كان توني جاك في جلسة تدليك في ناديه الصحي في ديترويت. أما توني برو فلم يكن حتى في ميشيغان في هذه الأثناء. كان في نيوجيرسي في مقر نقابته يلعب الورق، ولا شك أن عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي كانوا يجلسون في الشارع المقابل لمقر النقابة ويراقبونه.

كان المنزل الذي ستُخرج منه جثة جيمي على بعد أميال قليلة. كانت جميع الأشياء قريبة جداً بعضها من بعض، كل ما يجب فعله أن يكون تصويبك دقيقاً. من المؤكد أنك لا تستطيع قيادة السيارة إلى أي مسافة وإجراء الكثير من المنعطفات مع وجود جثة جيمي في السيارة. أما الكتاب الذين يدعون أنني وضعت الجثة في برميل سعة 55 غالوناً ونقلتها إلى موقع تفريغ في نيو جيرسي أو إلى أرض الملعب في استاد جاينتس، فلم يحملوا من قبل أي جثة. كيف تصوروا أن هناك من يقوم بنقل مثل هذا الشيء الضخم والبارز لمسافة أطول مما هو ضروري، ناهيك بنقلها إلى الطرف الآخر من البلاد؟

أما تلك النظرية القائلة بأن شخصاً ما ضرب جيمي داخل

سيارة نجل توني جاك فهي فكرة أخرى مجنونة تمامًا . لا يمكن أن تقتل شخصًا ما في سيارة ولا تخرج الرائحة من داخلها أبدًا . ستصبح حينها سيارة لنقل الموتى . تتحلل جميع المواد الكيميائية للجسم وفضلاته في مساحة صغيرة . تبقى رائحة الموت عالقة في السيارة . لا تشبه السيارة المنزل في هذه الحالة . المنزل لا يحتفظ برائحة الموت .

كان المنزل الخشبي البني مقترضًا هو الآخر . يمكن أن تكون هناك سيدة عجوز تعيش فيه وحدها ولم تكن تعلم أن منزلها سيتم اقتراضه لمدة ساعة . هناك أشخاص مثل اختصاصي العلاج الطبيعي يعرفون متى سيكون الناس خارج المدينة وبذلك يتمكن اللصوص من سرقة منازلهم . قد يكون ذلك الشخص الذي كان يرتدي زي رجال مافيا ديترويت قد اصطحب مقوم العظام ليعالج سيدة عجوز تعيش هناك وحدها . كانوا يعرفون أنها لن تكون في المنزل ، وسيعرفون أن عينيها متضررة جدًا لدرجة أنها لن تلاحظ أن أي شخص كان هناك عندما تصل إلى المنزل ، ناهيك بشم أي شيء . لا يزال المنزل موجودًا هناك .

عندما أخذته إلى المنزل ، كان بإمكانني رؤية سيارة بويك بنية في نهاية الممر ذي المسار الواحد . أطفأت سيارتي وأوقفتها في الممر خلف سيارة البويك .

ذهبت إلى مقدمة المنزل وصعدت على الدرجات . كان الباب الأمامي مفتوحًا ودخلت . كان سالي باغز موجودًا بالفعل في الدهليز الصغير داخل الباب الأمامي ، وكان ينظر نحوي من خلال زجاجة الكوكاكولا التي كان يتناولها . كان لديه شعر كثيف أسود متجمع . أغلقت الباب خلفي . وتصافحنا .

تقول جميع الكتب أن الأخوين ستيف وتوم أندريتا من عائلة نيو جيرسي كانا مشتركين في الأمر. سمعت أن أحدهما متوفٍ الآن والآخر لا يزال على قيد الحياة. كان هناك شابان إيطاليان حسنًا المظهر في المطبخ في الجزء الخلفي من المنزل. لوّحا لي ثم أدارا رأسيهما بعيدًا. كان أحد الفتيان ممن كانوا في الصالة هو شقيق أندريتا الذي رحل الآن. لا حاجة لذكر اسم الفتى الآخر. كلاهما كان لديه أعذار جيدة على أي حال.

بحسب ما أتذكر، كان هناك درج على يسار الصالة يؤدي إلى الطابق العلوي. على اليمين كانت هناك غرفة معيشة وغرفة طعام كان فيهما بساط مفروش على الأرض، ولم يكن مفروشًا من الجدار إلى الجدار. لم يكن هناك بساط في الدهليز أو الردهة الطويلة المؤدية من الدهليز إلى المطبخ. ربما كانوا قد حملوا البسط، هذا إذا كانت موجودة. لم يكن هناك سوى قطعة من المشمع الذي يفرش على الأرض في الدهليز. لا أعرف كيف وصلت إلى هناك.

كنت أعرف أن هؤلاء الناس هم من جماعة برو، لكنني لم أقابلهم قبل ذلك اليوم. لم يكن هؤلاء من أصدقائي المقربين. لم يكن هناك سبب للحديث. تصادف أن رأي بعضنا بعضًا قليلًا. في وقت لاحق خلال جلسات هيئات المحلفين الكبرى المختلفة الخاصة بهوفا. مشيت من الصالة إلى المطبخ. نظرت من الباب الخلفي فقط لأرى الفناء الخلفي. أعطى وجود السياج العالي والمرأب بعض الخصوصية للفناء الخلفي.

عدت إلى القاعة وتوجهت إلى سالي باغز الذي كان في غرفة المعيشة. كان ينظر من خلال الستائر. قال بلهجة سكان شمال جيرسي: «لقد تأخرت يا تشاكي».

كنت أنا وابن جيمي بالتبني، تشاكي أوبراين، جزءًا من الطعم الذي سيفري جيمي للركوب إلى السيارة مع سالي باغز، الذراع اليمنى لتوني برو. كان سالي باغز قصيرًا وجليظ الجسم. حتى مع وجود قطعة سلاح في يده، لم يكن سالي باغز يعني شيئًا بالمقارنة بي. كنت أعلم دون أن يقول لي أحد، أنه لا يوجد سبب لوجود سالي باغز في سيارة تشاكي سوى أنه يراقبني. للتأكد من أنني لم أحذر جيمي من ركوب السيارة كان من المفترض أن يشعر جيمي بالأمان معي في سيارة تشاكي حتى يذهب إلى هذا المنزل الخشبي البني ويدخل من الباب الأمامي مباشرة وأنا أرافقه كدعم له.

«هذه هي السيارة. هل هذا تشاكي؟» كانت لدى تشاكي أوبراين سوائف شعر طويلة ويرتدي قميصًا مزركشًا ذا ياقة عريضة والكثير من سلاسل الذهب في رقبته. بدا وكأنه أحد أبطال فيلم «حمى ليلة السبت». كان تشاكي متفرجًا بريئًا. لو كان تشاكي يعرف أي شيء يؤدي أي شخص، لكان قد ذهب إلى حتفه في اليوم التالي. لم يكن أمامهم سوى أن يستعينوا به في هذا الموقف بأي حال من الأحوال. كان تشاكي معروفًا بالتباهي والتفاخر. اعتاد أن يعطي لنفسه حجمًا أكبر مما كان عليه، ولكنه كان لا يعرف كيف يتصرف حين تواجهه أصغر مشكلة. كان لا يمكن الوثوق به واثمانه على سر ما. إذا اشتبه في أي شيء

سيكون عصبياً جداً عندما نأخذ جيمي معنا، وسوف يشعر جيمي بذلك. كل ما كان يعرفه هو أنه كان يأخذنا لاصطحاب جيمي -الرجل الذي ساعد في تربيته، والذي كان يناديه «أبي» - ثم يقودنا جميعاً بالسيارة إلى اجتماع مهم مع أشخاص مهمين. سيكون مرتاحاً مع جيمي، وسيتصرف بشكل عادي. لطالما شعرت بالأسف على تشاكي أوبراين في هذا الأمر كله وما زلت أشعر به. إذا كان هناك أي شخص يستحق المغفرة فسيكون تشاكي. كان وجودي هو الشيء الذي سيجعل تشاكي مرتاحاً حتى يتصرف بشكل طبيعي مع جيمي. كان تشاكي يقود سيارة ميركوري حمراء داكنة تعود إلى نجل توني جاك، ولم تكن من النوع الذي يثير المشكلات. ستجعل هذه السيارة المألوفة جيمي وتشاكي يشعران براحة. كان جيمي يتوقع حضور توني جاك وبالتالي فإن وجود سيارة ابنه سيشير إلى أن الأمور طبيعية. كما أن حقيقة أن تشاكي سيقلّني إلى المنزل حين نعود من الاجتماع سيجعل تشاكي مرتاحاً أيضاً.

كان من أهم شروط العملية أن يكون الجميع مرتاحاً، لأن جيمي كان ذكياً وكان يستطيع شم رائحة الخطر جراء خبرته التي اكتسبها طوال سنوات من خوضه الحروب النقابية الدموية ومعرفته للأشخاص الذين كان يتعامل معهم. كان من المفترض أن يلتقي توني جاك وتوني برو في مطعم عام عند موقف سيارات عام. لا يغير الكثير من الناس مكان عام للاجتماع مع جيمي خوفاً إلى منزل خاص، حتى لو كنت أنا معه في السيارة. حتى لو كان «ابنه» تشاكي هو السائق.

قلت: «هذا هو».

أوقف تشاكي السيارة في الشارع عند الباب الأمامي. بقي الرجلان اللذان يتمتعان بمظهر جيد في الجزء الخلفي من المنزل، عند الردهة التي في المطبخ. صعد سالي باغز إلى المقعد الخلفي لسيارة الميركوري الحمراء الداكنة ذات الأبواب الأربعة خلف تشاكي مباشرة، وقدم نفسه، وصافح يد تشاكي. جلست في مقعد الراكب الأمامي. سوف يجلس جيمي ورائي. سوف يكون سالي باغز قادراً على رؤيتنا نحن الاثنين.

ماذا سيحدث لتشاكي بعد أن ينتهي كل هذا؟ لا شيء. كان سيبقي فمه مغلقاً بشأن القليل الذي يعرفه بسبب الخوف والحرص. لم يكن تشاكي معروفاً قط ببحثه عن المتاعب. كان هو الوحيد في عائلة هوف الذي احتفظ بوظيفته تحت رئاسة فيتز. «ما هذا بحق الجحيم؟» سأل سالي باغز. وأشار إلى أرضية السيارة في الخلف. «الجو رطب هنا».

قال تشاكي: «كانت عندي سمكة مجمدة. كان علي أن أحضر سمكة لبوبي هولمز».

قال سالي باغز: «سمكة، كيف تطبيق فعل ذلك؟ المقعد اللعين هذا مبطل هنا». تناول سالي باغز منديلاً ومسح يديه. وصلنا إلى هناك في أقل من خمس عشرة دقيقة.

كانت ساحة وقوف السيارات خالية. كان معظم المتجمعين لتناول الغداء قد انتهوا منه وذهبوا بالفعل. شاهدنا سيارة بونتياك خضراء تعود لجيمي متوقفة على الجانب الأيسر عند دخولنا. كانت هناك أشجار على طول طريق تلغراف السريع في تلك الأيام منحت المكان خصوصية معينة.

قال تشاكي: «يجب أن يبقى في الداخل. أنا سأحضره».  
قال سالي باغز: «لا تهتم. هناك مكان متاح على الجانب الآخر من ساحة الوقوف».

قاد تشاكي السيارة إلى حيث أشار سالي باغز. من هناك يمكننا رؤية جيمي والوصول إليه قبل أن يصل إلى سيارته. كان يعتقد أنه كان حريصًا على الاحتفاظ بقطعة سلاح في درج السيارة.

قال سالي باغز: «دعه ينهي كل ما يفعله. احرص على أن يبقى المحرك مشغلاً. عندما يتوجه إلى سيارته، سنطلب منه أن يأتي معنا».

جلسنا وانتظرنا لدقيقة. ثم جاء جيمي من منطقة متجر المعدات خلف المطعم وهو يسير باتجاه سيارته. كان يرتدي قميصًا رياضيًا قصير الأكمام وبنطلونًا داكنًا. كان ينظر حوله بنفاد صبر في أثناء سيره، كان يبحث عني أو عن توني برو وتوني جاك. من المؤكد أنه لم يكن يحمل قطعة سلاحه معه. ليس مع هذه الملابس.

توجه تشاكي ببطء نحو جيمي. توقف جيمي. كان يظهر غضبًا في عينيه، تلك النظرة التي يمكن أن تجعل أي رجل يحترمه.  
قال تشاكي: «أنا آسف لأنني تأخرت».

بدأ جيمي يصرخ: «ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟ من هو اللعين الذي دعاك؟» أراد أن ينشب أظافره في جسد تشاكي.  
ثم نظر جيمي إلى سالي باغز الذي كان جالسًا في المقعد الخلفي خلف تشاكي وقال: «من هذا بحق الجحيم؟»

قال سالي باغز: «أنا مع توني برو».

«ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟ كان من المفترض أن يكون رئيسك اللعين هنا في الساعة 2:30». كان جيمي يخاطب سالي باغز.

بدأ عدد قليل من الناس الذين يتحركون نحو سياراتهم في موقف السيارات ينظرون إلينا.

«الناس يحدقون إلينا يا جيمي». قال سالي باغز، ثم أشار إليّ. «انظر من هو موجود هنا».

خفض جيمي رأسه ونظر إلى الجانب الآخر من السيارة. وخفضت رأسي حتى يتمكن من رؤيتي ولوحت له.

قال سالي باغز: «أراد صديقه أن يكون حاضرًا في هذا الأمر. إنهم في المنزل ينتظرون».

أنزل جيمي يديه ووقف هناك وهو ينظر بطرف عينيه. عند رؤيتي هناك، اعتقد جيمي على الفور أن راسل بوفالينو كان بالفعل في ديترويت جالسًا عند طاولة المطبخ في المنزل ينتظر. إن حقيقة أن صديقي راسل يريد أن يكون هناك سيشرح التغيير المفاجئ في اللحظة الأخيرة في الخطط التي كانت تدور في ذهن جيمي. لم يكن راسل بوفالينو من نوعية الرجال الذين يجلسون في مكان عام لم يكن يعرفه مثل مطعم ريد فوكس. كان راسل بوفالينو صاحب خبرة طويلة. لقد كان شخصًا مميزًا جدًا. لا يقابلك علنًا إلا في الأماكن التي يعرفها ويثق بها.

كان راسل بوفالينو الطعم الأخير لإغراء جيمي للركوب في السيارة. إذا حدث هناك أي عنف، أو أي شيء غير طبيعي، فلن يكون راسل هناك.

اعتقد جيمي أنه من الآمن له ركوب السيارة. سيكون محرّجاً جداً من ثورة غضبه فلا يفكر في عدم الدخول في سيارة الميركوري معنا. سيكون محرّجاً جداً من الإصرار على قيادة سيارته البونتياك مع قطعة السلاح الموجودة فيها. رُتبت الأجواء النفسية للموضوع إلى حد الكمال. كانوا يعرفون كيف يشيرون غضب الرجل. اضطر جيمي هوفاً إلى انتظارى لمدة نصف ساعة كاملة، من الساعة 2:00 إلى 2:30، فقط لأنه كان مضطراً إلى انتظار اجتماع في الساعة 2:30. ثم انتظر الدقائق الخمس عشرة التي اعتاد أن يسمح فيها للآخرين بالتأخر عن موعدهم إلى أن يأتي توني جاك وتوني برو. جعله الانتظار لمدة خمس وأربعين دقيقة يفقد صوابه لأنه كان يستشيط غضباً على كل من يتأخر عن موعده معه، ومن ثم يجب أن يكفّر ذلك الشخص عن كل ما تسبب له من انزعاج، فقد أبدى التعاون المأمول منه. لا داعي لذكر أن جيمي حينها كان نافذ الصبر كما هي عادته. توجه جيمي نحو السيارة وجلس في المقعد الخلفي ورائي. سمعت أن شعر جيمي الذي حلله مكتب التحقيقات الفدرالي بحثاً عن الحمض النووي ظهر في صندوق السيارة. لم يحدث أن دخل جيمي إلى الصندوق، حياً كان أم ميتاً.

لم يكن هناك أي علامة على وجود قطعة سلاح يحملها جيمي في أي موضع من جسمه عند دخوله السيارة. ومع وجودي هناك كدعم له كما كان مفترضاً وأن يذهب معنا حينها إلى اجتماع مع راسل بوفالينو كان من الممكن أن يكون تصرّفاً غاية في عدم الاحترام من جيمي أن يذهب ويخرج قطعة سلاحه من سيارته

الخاصة إذا كان بها واحدة. بالإضافة إلى أن جيمي كان مجرمًا مدانًا الآن وليس من المناسب أن يُعثر على مسدس بحوزته حتى لو كان بحاجة إليه.

خاطبني جيمي قائلاً: «اعتقدت أنه من المفترض أن تتصل بي الليلة الماضية. انتظرتك أمام المطعم في الساعة 2:00. كنت ستجلس في سيارتي معي عندما يظهرون. كنت سأجعلهم يدخلون لنعقد اجتماعنا».

قلت له: «لقد دخلت للتو. كان لدينا تأخير في الخطط». لم أكن أكذب على جيمي. «كان على ماكفي إعادة ترتيب الأشياء حتى نتمكن من القيام بهذا الاجتماع بشكل صحيح. لا أن نجلس في السيارة».

«أي شخص لعين هذا برو؟» صاح جيمي في سالي باغز، واستعاد قوته. «يرسل صبيًا أحقق لمهمة عاجلة؟»

قال تشاكي محاولاً أن يهدئ الموقف «سنكون هناك خلال دقيقتين». حتى عندما كان طفلاً، لم يسبق لتشاكي أن تشاجر قط. ولم يكن يقاتل حتى لأجل إبقاء يديه دافئتين.

قال لي جيمي: «لقد اتصلت بجو. كان بإمكانك أن تترك رسالة».

فقلت له: «أنت تعرف كيف يكون حال ماكفي مع الهاتف عندما يتعلق الأمر بخططه».

قال جيمي: «كان بإمكان شخص ما أن يخبرني بأن الموعد أصبح في الساعة 2:30. على أقل تقدير. مع كل الاحترام لماكفي».

قال تشاكي: «لقد أوشكنا على الوصول. كنت مكلفاً بمهمة. لم يكن هذا خطئي».

اجتزنا جسر المشاة وتوقفنا أمام المنزل وبدأ كل شيء طبيعياً لعقد اللقاء. كانت هناك نفس السيارتين، البيوك البنية والفورد الرمادية، للدلالة لجيمي على أنهم كانوا موجودين بالفعل وينتظرونه. خاب أُملي عندما رأيت السيارتين لا تزالان هناك لأنه إذا كانت إحدى السيارات قد ذهبت، فكان ذلك يعني أنه قد أُلغيت العملية.

لم يكن المنزل والحي مبعث تهديد على الأقل. كان مكاناً لطيفاً تتمنى أن ينشأ فيه أطفالك. تم فصل المرأب في الخلف، وكانت تلك لمسة لطيفة. لم يكن أحد ليطلب من جيمي أن يدخل هذا المنزل سرّاً من خلال المرأب الملحق به. كنت أنا وجيمي نسير نحو الباب الأمامي في وضوح النهار مع سيارتين متوقفتين هناك في الممر.

كان الوقت قد حان لتنفيذ جوهر العملية. وكان يجب أن تتم وفق جدول زمني محدد. وكان يجب أن نختلق الأعذار. كان يمكن لتوني جاك أن يقضي الكثير من الوقت في حلاقة شعره وجلسة التدليك. بالإضافة إلى أنه كان عليّ أن ألتحق براسل وزوجتي في أوهايو.

قاد تشاكي سيارته في ممر السيارات وتوقف بالقرب من درجات السلم الحجري المؤدي إلى الباب الأمامي.

نزل جيمي هوفاً من الباب الخلفي لسيارة الميركوري الحمراء الداكنة. ونزلت أنا من الباب الأمامي في نفس الوقت. لن يكون

سالي باغز مهمًا بما يكفي للذهاب إلى اجتماع مثل هذا. لذا خرج سالي باغز من الباب الخلفي والتف حول السيارة وجلس في المقعد الأمامي. اتجهنا أنا وجيمي نحو الدرجات بينما عادت سيارة الميركوري إلى الطريق الذي جئنا منه. ذهب تشاكي بعيدًا ومعه سالي باغز جالسًا في المقعد الأمامي. وهذه هي النقطة الوحيدة التي يمكن أن يتحدث عنها سالي باغز. كل ما يعرفه كان لغاية تلك اللحظة فقط. أي شيء آخر يقول أنه يعرفه ما هو إلا إشاعات.

أخبرني راسل بأن تشاكي ترك سالي باغز عند مكتب بيت فيتالي. كان بيت فيتالي رجلًا عجوزًا أخرق من عصابة بيريل في ديترويت، وكان يمتلك مصنعًا لتعليب اللحوم حيث يمكن تقطيع الجثة فيه وكانت لديه محرقة صناعية حيث يمكن حرق الجثة فيها.

كان جيمي هوفًا يسير دائمًا في المقدمة، متقدمًا على الأشخاص الذين كان يسير معهم. سار خطوات قصيرة لكنها كانت سريعة. لحقت به وذهبت خلفه مباشرة بالطريقة التي تقف فيها خلف السجين مباشرة لكي تعيده إلى الطابور، وعندما فتح الباب الأمامي كنت خلفه مباشرة عند الدرج الأمامي وفي الدهليز الصغير، وأغلقت الباب خلفنا.

لم يكن أحد في المنزل سوى شقيق أندريتا والشخص الآخر الذي كان معه، وكانا في الصالة الطويلة في المطبخ. كان لا يمكنك رؤيتهم من الدهليز. كان عملهما هناك القيام بالتنظيف وحمل المشمع الذي وضعوه في الدهليز وإجراء أية عملية

تتظيف قد تكون ضرورية والتخلص من أي حلي أو مجوهرات ووضعت جثة جيمي في حقيبة لكي تُحرق.

عندما رأى جيمي أن المنزل كان فارغاً، ولم يخرج أحد من أي من الغرف لتحيطه، أدرك على الفور حقيقة الأمر. لو كان جيمي قد حمل سلاحه معه لكان استطاع أن يفعل شيئاً به. كان جيمي مقاتلاً. استدار بسرعة، كان لا يزال يعتقد أننا كنا معاً في هذا الأمر، وأنتي كنت أحميه. اصطدم جيمي بي بقوة. وحين رأى قطعة السلاح في يدي، كان عليه أن يعتقد أنها لحمايته. سار بخطى سريعة ليجتازني ويصل إلى الباب. ما أن وصل إلى المقبض حتى تم إطلاق النار على جيمي هوفاً مرتين من مسافة مناسبة - ليس قريباً جداً وإلا سيندفع الطلاء إلى الخلف - بل في الجزء الخلفي من الرأس خلف أذنه اليمنى. خلف رأسه، كان يمكن أن يدور نصف دورة. كان ذلك يعتمد على عوامل كثيرة.

لم يعانِ صديقي من الألم. ألقى نظرة سريعة على الصالة وأصغيت السمع للتأكد من عدم خروج أي شخص ومحاولته النيل مني. ثم رميت السلاح على المشمع، وخرجت من الباب الأمامي ورأسي منخفض، وصعدت إلى سيارتي المقترضة، وتوجهت إلى مطار بونتيك حيث كان طيار راسل ينتظرني.

كان المخططون قد حددوا زمناً للعملية في ديترويت لا يتجاوز الساعة من البداية إلى النهاية.

أخبرني راسل بأنه بعد أن أنهى الرجلان تنظيف المنزل، وضعنا جيمي في حقيبة مخصصة للجثث. أخرجوه من الباب الخلفي المحمي بالسياس والمرايب ووضعوه في صندوق سيارة

البويك. ثم أخذوا جيمي ليتم حرقه. أخبرني راسل أن المنظمين أخذوا سالي باغز من مصنع تعبئة اللحوم الذي يملكه بيت فيتال وذهبوا بالسيارة إلى مطار آخر، لا أعرفه، حيث عاد الثلاثة إلى جيرسي لتقديم تقرير إلى توني برو.

مرة أخرى، لم ينظر إليّ الطيار قط. كانت رحلة سريعة مليئة بالمطبات صعودًا وهبوطًا.

كان راسل نائمًا في سيارتي اللينكولن السوداء الكبيرة في المطار الصغير في بورت كلينتون. أخذنا السيدات ووصلنا ديترويت قبل الساعة السابعة بقليل. أوقفنا نقطة تفتيش تابعة لشرطة ديترويت داخل حدود المدينة. بسبب حفل الزفاف كانوا يفتشون سيارات اللينكولن والكاديلاك الكبيرة التي كانت تحمل لوحات أرقام من خارج الولاية.

وقد جرى الشيء الوحيد الذي تحدثت به مع راسل في تلك الليلة عند مهبط الطائرات في بورت كلينتون، في أوهايو، بعد أن أصبحت خلف عجلة القيادة وبدأت أقود سيارتي اللينكولن.

استيقظ راسل وغمز بعينه السليمة لي وقال بصوت خافت بصوته الخشن: «على أي حال، آمل أن تكون قد استمتعت برحلة ممتعة، يا صديقي الأيرلندي».

قلت له: «آمل أن تكون قد نمت جيدًا».

## الفصل التاسع والعشرون

### الجميع ينزف

في 4 أغسطس 1975، بعد خمسة أيام من اختفاء جيمي هوفّا، لاحظ مكتب التحقيقات الفدرالي أن اجتماعًا عقد في مطعم فيزوفيو في 163 شارع ويست فورتى ايت في نيويورك. حضر الاجتماع أنتوني ساليرنو «توني البدين»، وراسل بوفالينو، وفرانك شيران، وأنتوني بروفينزانو «توني برو»، وسالفاتور بريغوليو «سالي باغز».

رفضت عائلة نيويورك العملية. لم تقرها، لكنها لم تعارضها أيضًا. «إذا فعلت ذلك فأنت تتحمل وحدك العواقب» فهذا شأنك. لم يكن من الممكن القيام بتلك العملية من دون موافقة عائلة ديترويت، لأنها كانت تجري على أراضيها. والشيء نفسه بالنسبة إلى عائلة شيكاغو لأنهم كانوا قريبين، وكان هناك الكثير من الروابط بين عائلتي شيكاغو وديترويت. كان الغرض من هذا الاجتماع في مطعم فيزوفيو بعد خمسة أيام من اختفاء جيمي هو تقديم تقرير إلى توني ساليرنو البدين لإخباره بأن العملية قد اكتملت من جميع جوانبها. كان توني البدين مرتاحًا جدًا. لو كانت عائلة نيويورك متورطة في ذلك، لكان توني البدين قد عرف مسبقًا كيف تم ذلك، وما كنا هناك لإخباره. وأردت أيضًا إخباره إذا ما بقيت هناك أية أمور معلقة. عليك ألا تقول الكثير من الكلام. فقط ما يكفي وإذا كان هناك شيء آخر يجب القيام به فسيطلبه توني البدين، الذي كان الرجل الأعلى. انتشر المحققون

المختصون بجرائم القتل في كل مكان. ويحاولون أن يكونوا غير مباشرين لكنهم لم يستطيعوا منع أنفسهم، كان لا بد أن يختلسوا النظر. قادني تشارلي ألين بسيارته إلى الشمال، وجلس ينتظر على طاولة أحد المقاهي في منطقة أخرى ليشرب القهوة. كان سالي باغز يجلس إلى طاولة أخرى في تلك المنطقة.

سار الاجتماع الأول في مطعم فيزوفيو بشكل حسن ثم طلب توني برو عقد اجتماع آخر مباشرة بعد الاجتماع الأول. كان هذا الاجتماع يدور حولي. في هذا الاجتماع الثاني، زعم توني برو أنني كنت أعرف طوال الوقت أن جيمي يريد أن يقتله. زعم توني برو أنه سمع أن جيمي طلب مني أن أقتله هو وفيتز. نظر لي توني برو وقال: «لو كان الأمر متروكاً لي، فستكون قد رحلت أنت أيضاً».

قلت: «الشعور متبادل. الجميع ينزف».

كما اشتكى توني برو من أنني كنت أقول للناس في حفل الزفاف إنه قادر على قتل هوفاء. ثم قمنا أنا وتوني برو من فوق الطاولة. وبدأت أنتظر حيث كان تشارلي ألين يجلس، وجلس توني برو مع سالي باغز بينما تحدث راسل إلى توني البدين عن كل ما يخص العملية. ترك راسل هذا الجدل وأخذني معه وترك توني برو جالساً خلفه. في طريق العودة إلى حيث كان توني البدين يجلس قال لي راسل: «تجاهل الأمر». عدت إلى هناك وبدأ توني ساليرو البدين يقول لي أنه لا يعتقد أنني سأفكر في قتل رجل مصطنع من أجل جيمي هوفاء، ولم يقل أكثر. عاد راسل بوفالينو مرة أخرى ليهتم بصديقه الأيرلندي. ثم تحدثا مع توني برو وأخبراه أنه لا يوجد شيء صحيح فيما قاله.

ثم بدأ توني برو يشكو لهم كيف אני في بعض الأحيان جعلته يبدو سيئاً. كانت هناك مآدبة في مؤتمر المجلس المشترك في أتلانتيك سيتي قبل اختفاء جيمي ببضعة أشهر. وكان برو عضواً في المجلس المشترك. كان من المفترض أن يكون فيترز أحد المتحدثين في مآدبة التكریم، لكن فيترز ألقى زيارته. فقرر أن لا يأتي إلى أتلانتيك سيتي لأنه كان خائفاً مني. كان برو يتحدث بحماس عن الأمر إلى راسل وتوني البدين. ولم يرفع عينيه عني طوال الوقت. قال برو: «لقد جعلتني أبدو سيئاً. فلم يحضر الرئيس. الذي كان يتحدث في كل مآدبة للمجلس المشترك في كل مكان في البلاد، باستثناء المآدبة التي أقمته أنا. أخبرني فيترز أنه سمع أنك ستقتله لأجل صديقك هوبا إذا ظهر في أتلانتيك سيتي».

قلت لبرو: «لو كنت أريد قتل فيترز لصالح أي شخص لكان قد رحل منذ فترة طويلة. أنا لست خادمك. ولست مسؤولاً عن حل مشكلاتك. ليس من شأني إن كان فيترز جباناً وليس لديه ثقة بأنه يمكنك حمايته في أتلانتيك سيتي بكل عضلاتك هذه».

أخبرنا راسل بأن نتصافح في الحال. لم يكن ذلك بالأمر السهل. ولكني لو قلت لا لراسل لما كنت هنا الآن. تصافحنا، لكنني كرهت برو بشدة، وكرهت كل ما فعله.

حينها، وبينما كنت أشبه بمن تأتيه النيران من جميع الجهات، تركت أنا وراسل مطعم فيزوفيو وبدأنا السير في شارع فورتى فيفث متوجهين إلى منزل جوني، فصادفنا في طريقنا بيت فيتالي. كان قادماً من الجهة الأخرى إلى منزل جوني، متوجهاً

إلى لقاءه مع توني البدين في مطعم فيزوفيو. عرف بيت فيتالي أنني لا أهتم به كثيرًا، وكان يعتقد دائمًا أنني كنت أسخر منه عندما يتحدث لأنني كنت أتلثم مثله.

نظر إليّ بيت فيتالي نظرة متفحصة. توقف وأخذ وقته حتى لا يتلثم وقال: «لو كان الأمر عائد إليّ، فإنني أجزم إذا رأيتك في المرة القادمة أنت وصديقك، فهذا معناه أن عاصفة ثلجية قادمة إلى ديترويت».

عرفت ما قصده. في الأيام الخوالي عندما كان هناك الكثير من الفحم قيد الاستخدام، كنا نقوم برمي الرماد تحت العجلات لزيادة الاحتكاك بين الإطارات والثلج في أثناء السير في عاصفة ثلجية. اضطررت إلى الضحك، وأنا أسمع نبذة التهديد هذه مرة أخرى. تأكدت من أنني تحدثت بسرعة وتلثمتم. قلت لبيت فيتالي: «ل... ل... لقد أخبرت صديقك القزم للتو. الشعور متبادل. الجميع ينزف».

طلب منا راسل أن تنهي هذا الحديث.

غادرنا وقلت لراسل في أثناء تفكيري في محرقة بيت فيتالي الصناعية في ديترويت: «كما قلت أنت، من التراب إلى التراب». ثم همس لي راسل بأنه يعرف ما كنت أفكر فيه، لكن محرقة بيت فيتالي كانت واضحة جدًا. قال إن هذا كان أول مكان سيفتشون فيه وقد حدث ذلك. قال إنهم أحرقوا جثة جيمي في مبنى تابع لحانوتي في ديترويت حيث كان رجال عائلة ديترويت قريبين منه. في أثناء سير التحقيقات قرأت أن رجال مكتب التحقيقات الفدرالي فتشوا مبنى الحانوتي أنتوني باغناسكو في

مدينة غروس بوينت شورز، لأن سكان ديترويت كانوا يستخدمونه. لا أعرف ما إذا كان راسل قد قال لي ذلك عندما أشار إلى مبنى الحانوتي لأنه أراد أن يبعد تفكيري عن بيت فيتالي. لم يكن يريد أن يضطر إلى حل مشكلة أخرى كما فعل مع توني برو. لم يكن يريدني أن أتحدث عن محرقة بيت فيتالي لأصدقاء جيمي. أو أن أشير إلى أنهم ربما كانوا قد أخذوا جيمي إلى مبنى الحانوتي. لا أعرف ما إذا كان لديهم رجل من الداخل في مبنى الحانوتي تولى مسؤولية جيمي ونقله إلى محرقة الجثث، ربما وضعوه في نفس الصندوق مع شخص آخر كانوا يحرقونه. لكنني أعلم أن هذه التفاصيل لم تكن تهمني وأن أي شخص يقول إنهم يعرفون أكثر من هذا - باستثناء عامل النظافة الذي لا يزال على قيد الحياة - فإنه يقول نكتة سخيفة.

في اليوم الذي سبق اللقاء مع توني برو في مطعم فيزوفيو كان عندي لقاء أسوأ. لقد توقفت عند منزل زوجتي السابقة ماري في فيلاديلفيا لإعطائها بعض النقود. عندما دخلت مطبخها، كانت ابنتي الكبرى، بيغي، هناك تقوم بزيارتها. كانت بيغي في السادسة والعشرين من عمرها. كان ذلك قبل ثمانية وعشرين عامًا.

لطالما كنت أنا وبيغي قريبين جدًا من بعضنا. عندما كانت طفلة صغيرة كانت تحب الذهاب لتناول العشاء معي في النادي. ثم في وقت لاحق كانت تحب الخروج لتناول العشاء مع راسل وكاري وأنا. ذات مرة التقط مصور إحدى الصحف صورة لراسل

وهو يدخل مع بيغي إلى مطعم في مدينة بريستول، بنسلفانيا، لكن كان عليهم إزالة بيغي من الصورة لأنها كانت صغيرة. كانت بيغي تقرأني مثل كتاب مفتوح. كانت ماري وبيغي تشاهدان جميع أخبار اختفاء هوبا على التلفزيون. نظرت بيغي نحوي عندما دخلت وكأنها رأت شيئاً لا تحبه. ربما كنت أبدو جاداً بدلاً من أن يظهر عليّ القلق. ربما كانت تعتقد أن عليّ البقاء في ديترويت للعمل على إيجاد جيمي. طلبت مني بيغي مغادرة المنزل وقالت لي: «أنا لا أريد حتى أن أعرف شخصاً مثلك». كان ذلك قبل ثمانية وعشرين عاماً وهي ما زالت حتى الآن لا تريد أن تشاركني فعل أي شيء. لم أرَ بيغي أو أتحدث معها منذ ذلك اليوم، 3 أغسطس 1975. وهي لديها الآن وظيفة جيدة وتعيش خارج فيلاديلفيا. اختفت ابنتي بيغي من حياتي منذ ذلك اليوم.

## الفصل الثلاثون

### لن يفلت المسؤولون عن هذا العمل من العقاب

كلف مكتب التحقيقات الفدرالي 200 موظف للتحقيق في قضية اختفاء هوفبا، وأنفق عليها ملايين الدولارات، أنفق أموالاً لا تعد ولا تحصى. في النهاية، جُمع سبعون مجلداً من الملفات تحتوي على أكثر من 16000 صفحة أصبحت تُعرف باسم ملف هوفيكس.

في وقت مبكر من بدء تحقيقاته، ركز مكتب التحقيقات الفدرالي على مجموعة صغيرة من الأشخاص. تذكر الصفحة الثالثة من إحدى مذكرات ملف هوفيكس الرجال السبعة التالية أسماءهم: أنتوني بروفينزانو الملقب بتوني البدين، البالغ من العمر ثمانين وخمسين سنة. ستيفن أندريتا، اثنتان وأربعون سنة. توماس أندريتا، ثمان وثلاثون سنة. سالفاتوري بريغوليو «سالي»، خمس وأربعون سنة. غابرييل بريغوليو «غابي»، ست وثلاثون سنة. فرانسيس جوزيف «فرانك» شيران، ثلاث وأربعون سنة. راسل بوفالينو.

وبإضافة توني جياكالوني وتشوكي أوبراين إلى القائمة، يكون لدى مكتب التحقيقات الفدرالي بشكل إجمالي تسعة أشخاص مشتبه فيهم.

وكما لو كان لدى محقق مكتب التحقيقات الفدرالي معلومات داخلية مؤكدة، كانوا يصرون بلا هوادة على أنهم متأكدون من أن هذه المجموعة من المشتبه فيهم المذكورين في الصفحة الثالثة

من مذكرة ملف هوفيكس قد اختطفوا وقتلوا جيمي هوبا . ونقل  
عن واين ديفيس، الرئيس السابق لمكتب التحقيقات الفدرالي  
في ديترويت قوله: «نعتقد أننا نعرف من المسؤول وماذا حدث».  
كما قال كينيث والتون، وهو رئيس سابق آخر لمكتب التحقيقات  
الفدرالي في ديترويت: «أنا مطمئن لصحة معلوماتي عمّن فعل  
ذلك».

اجتمعت هيئة محلفين فدرالية كبرى في ديترويت بعد ستة  
أسابيع من اختفاء جيمي هوبا . ظهر جميع هؤلاء الرجال التسعة،  
وكان بيل بوفالينو يمثلهم جميعاً . ولجأ جميعهم إلى التعديل  
الخامس. لجأ فرانك شيران إلى التعديل الخامس في كل سؤال  
كان يوجه إليه، بما في ذلك ما إذا كان القلم الأصفر للمدعي  
العام أصفر اللون. أما ستيفن أندريتا فقد مُنح بعد لجوئه إلى  
التعديل الخامس، حصانة محدودة وأجبر على الشهادة. رفض  
الإجابة عن الأسئلة وقضى ثلاثة وستين يوماً في السجن بتهمة  
ازدراء المحكمة قبل الموافقة في النهاية على الإجابة عن أسئلة  
المدعي العام. سجل ستيفن أندريتا رقمًا قياسيًا في محكمة  
ديترويت لخروجه من غرفة هيئة المحلفين الكبرى أكثر من ألف  
مرة للتشاور مع محاميه بيل بوفالينو. تم استدعاء تشاكي أوبراين  
ولجأ هو الآخر إلى التعديل الخامس، ومثله أيضًا بيل بوفالينو.  
وعندما سُئل بيل بوفالينو كيف يمكنه تمثيل هؤلاء الرجال غير  
المتعاونين الذين يشتبه في قتلهم موكله السابق، رد قائلاً إن  
جيمي هوبا «كان يريد للأمور أن تجري بهذه الطريقة».

واليوم، فإن مكتب التحقيقات الفدرالي راضٍ تمامًا عن معاقبة الأشخاص المذنبين. وقد قال المساعد السابق لمدير التحقيقات الجنائية في مكتب التحقيقات الفدرالي، أوليفر ريندل: «حتى وإن لم يتم حل المسألة مطلقاً، يمكنني أن أؤكد لكم أن المسؤولين لن يفلتوا من العقاب». فيما قال الرئيس الحالي لمكتب التحقيقات الفدرالي في ديترويت، العميل الخاص جون بيل، بخصوص المشتبه فيهم في قضية اختفاء هوبا: «لنتذكر أن الحكومة لم تدن آل كابوني بتهمة التهريب، بل أدانتهم بالتهرب من دفع الضرائب».

● في عام 1976، بعد عام من اختفاء جيمي هوبا، اتهم توني بروفينزانو وسال بريغوليو بقتل أمين خزانة الفرع المحلي 560، أنتوني كاستيليتو الملقب بـ «ذو الأصابع الثلاثة»، وهو رجل نشأ مع توني بروفينزانو في الجانب الشرقي من نيويورك. كان بروفينزانو قد أمر بالقتل ونفذه سال بريغوليو، وشاب يدعى سالفاتور سينو، وملاكهم سابق يدعى ك. أو. كونيفسبيرج في اليوم التالي لحادثة القتل، كان توني بروفينزانو في الكنيسة في فلوريدا يحضر مراسم زواجه من زوجته الثانية.

● لم تفت أهمية قضية هوبا بالنسبة إلى مكتب التحقيقات الفدرالي على نزلاء السجون الأمريكية. أي شخص يعرف أي شيء عن أي شخص في القائمة القصيرة للتسعة المشتبه فيهم والذين كانت تظهر أسماؤهم في الصحف بشكل منتظم كان يعلم أن الحكومة ستعقد صفقات سخية لتخفيف

الأحكام الصادرة بحقه مقابل الحصول على المعلومات. وكنتيجة مباشرة للتحقيقات في قضية اختفاء هوبا، تقدم سالفاتوري سينو للاعتراف بدوره في جريمة قتل حدثت منذ خمسة عشر عامًا وأبلغ عن شركائه فيها. قال سينو أن سال بريغوليو تمت مكافأته بوظيفة في فرع النقابة الذي كان يرأسه كاستيليتو وأن كونفسبيرج قد تم منحه 15000 دولار. أدين توني بروفينزانو بقتل كاستيليتو في عام 1978 وأرسل إلى سجن أتيكا. نقلت صحيفة نيويورك تايمز عن مصدر بمكتب التحقيقات الفدرالية قوله: «هذه كلها نتائج مباشرة من تحقيقاتنا بخصوص قضية هوبا». ثم نقلت الصحيفة عن فرانكلين لوي رئيس مكتب التحقيقات الفدرالي في ديترويت قوله: «أنا لا أهتم بالوقت الذي ستستغرقه التحقيقات. سنواصل القيام بها. إذا دأب عدد كافٍ من الأشخاص على فضح بعضهم بعضًا، سيقول شخص ما شيئاً. إنها لا تزال مجرد مسألة الحصول على الفرصة المناسبة التي نحتاج إليها». على الرغم من أن فعلته قادتته إلى السجن مدى الحياة، لم يقل توني بروفينزانو شيئاً وتوفي في أتيكا بعد عشر سنوات من إدانته وهو في سن الثانية والسبعين.

- في عام 1976 أدين توني جياكالوني بتهمة الاحتيال في ضريبة الدخل وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات. بعد شهرين من هذه الإدانة، أفرجت الحكومة لوسائل الإعلام عن أشرطة تسجيل مثيرة مأخوذة من عمليات تنصت جرت في الفترة من 1964-1961 كشفت أنه بينما كان جيمي هوبا يساعد

توني جياكالون في رشوة قاض بمبلغ 10000 دولار كان توني جاك يخطط مع شقيقه فيتو جياكالون «بيلي جاك» وسالي باريس والدة تشاكي أوبراين، لجعل جوزفين هوفنا تشرب إلى أن تشمل بينما كان زوجها خارج المدينة، ثم يسرقون صندوق هوفنا المحكم المليء بالنقود من مسكنه في فلوريدا. أُحبطت المؤامرة عندما عاد هوفنا إلى منزله بشكل غير متوقع ووجد المخططين في منزله مع زوجته وهي فاقدة الوعي. زعموا جميعهم أنهم كانوا يعتنون بها. في عام 1996، اتُهم توني جياكالون بتهمة الابتزاز في أثناء العمل، لكن صحته السيئة أدت إلى تأجيل المحاكمة عدة مرات. توفي جياكالون في عام 2001 عن عمر يناهز 82 عامًا، ولا تزال محاكمته بتهمة الابتزاز معلقة. عنونت وكالة رويترز خبر وفاة جياكالون على النحو التالي: «رجل العصابات الأمريكي الشهير يأخذ سر هوفنا معه إلى القبر».

- في عام 1977 أدين راسل بوفالينو بالابتزاز. حصل رجل محتال يدعى جاك نابولي على مجوهرات بقيمة خمسة وعشرين ألف دولار من صائغ مجوهرات في نيويورك منتسب إلى عائلة راسل بوفالينو. وللحصول على المجوهرات زعم نابولي أنه صديق لبوفالينو، على الرغم من أن بوفالينو لم يسمع به قط. عقد بوفالينو اجتماعًا مع نابولي في مطعم فيزوفيو. في ذلك الاجتماع، هدد بوفالينو البالغ من العمر ثلاثة وسبعين عامًا بخنق نابولي بيديه العاريتين إذا لم يف نابولي بتعهداته له بخصوص مبلغ الخمسة والعشرين ألف

- دولار الذي سرقه. كنتيجة مباشرة للتحقيقات في قضية هوفّا، تم الكشف عن أن نابولي يحمل جهاز تسجيل.
- دخل بوفالينو السجن لمدة أربع سنوات. عندما خرج عام 1981، التقى رجلين وتآمر الثلاثة لقتل نابولي. قبل وقوع الجريمة، عقد أحد هؤلاء الرجال، وهو جيمي فراتيانو الملقب «ابن عرس»، صفقة مع مكتب التحقيقات الفدرالي وانقلب على بوفالينو. شهد فراتيانو أنه في اجتماع دار حول نابولي في كاليفورنيا، قال بوفالينو: «يجب أن نتخلص منه». حُكم على راسل بوفالينو، البالغ من العمر تسعة وسبعين عامًا، بالسجن لمدة خمسة عشر عامًا. وفي أثناء وجوده في السجن، أصيب بجلطة دماغية شديدة ونُقل إلى مستشفى سجن سبرينغفيلد حيث تحول إلى شخص متدين. توفي عن عمر يناهز التسعين في دار رعاية للمسنين وكان يخضع لرقابة شديدة من مكتب التحقيقات الفدرالي.
  - أكثر ما استطاع مكتب التحقيقات الفدرالي أن يجده عند تشاكي أوبراين هو أنه تلقى سيارة من شركة نقل بالشاحنات كان قد تعاقد معها فرعها المحلي، وتزوير طلب قرض مصرفي. أمضى عقوبة عشرة أشهر في عام 1978.
  - قضى كلٌّ من توماس أندريتا وستيفن أندريتا أحكامًا بالسجن لمدة عشرين عامًا لإدانتهما بالابتزاز في عام 1979. فقد كانوا يجبرون إحدى أكبر شركات النقل بالشاحنات في البلاد لسنوات عديدة لتعطيهم أموالاً مقابل حفاظهم على الهدوء في أوساط العمال. أدين توني بروفينزانو معهم لكنه كان

يقضي بالفعل أحكامًا تكفي عشرة رجال في عمره. أشارت إحدى المذكرات الجانبية المثيرة للاهتمام إلى أن فريق الدفاع استدعى ستيفن بريل، مؤلف كتاب «نقابة سائقي الشاحنات»، في محاولة لمعرفة ما قاله لبريل شاهد ارتد عنهم، لكن بريل لم يسبق له أن قابل ذلك الشاهد بالذات.

● قضى غابرييل بريغوليو سبع سنوات في السجن بتهمة الابتزاز والاحتيال.

● بناء على قضيتين رفعتهما وزارة العمل ومكتب التحقيقات الفدرالي، تلقى فرانك شيران في عام 1982 أحكامًا بالسجن مجموعها اثنتان وثلاثون سنة.

في مرحلة ما من هذه الجهود المبذولة في التحقيقات، نُقل عن جيمس بي هوفما قوله: «يبدو أنه الآن فقط بدأت تظهر بعض الثمار من التحقيقات وهناك بعض العزاء من بعض الملاحظات القضائية. إنها تظهر أن مكتب التحقيقات الفدرالي يحاول. لكنني أأمل أن يجدد مكتب التحقيقات الفدرالي جهوده لحل القضية التي تتعلق باختفاء والدي ولا أعتقد أن العدالة ستتحقق من خلال وضع بعض المشتبه فيهم في السجن في قضايا أخرى».

\*\*\*

ما الذي جعل مكتب التحقيقات الفدرالي على يقين بشأن هذه القائمة التي تضم تسعة «أشخاص مشتبه فيهم» لدرجة أنهم كانوا يوضعون في «السجن بسبب قضايا أخرى»؟ مع كل موارد وقدرتهم على التحقيق في أي مكان في الأرض، لماذا

ركز جميع عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي ومصادر وزارة العدل بشكل مقيد جدًا ولفترة طويلة على هذه المجموعة الصغيرة من «المشتبه فيهم»؟ لماذا كان الجهد الحكومي بأكمله، والذي تضمن محققين ومحاسبين من وزارة العمل، يحوم حول هذه المجموعة الصغيرة؟ بصفتي مدعيًا عامًا سابقًا، يمكنني فقط أن أسأل السؤال الواضح: من كان يتحدث إلى مكتب التحقيقات الفدرالي؟ كان رجال المافيا يراقبون الدوائر الحكومية. إذا رأوك تذهب إلى مبنى حكومي ولم تبلغ بذلك شخصًا معينًا، فأنت تواجه مشكلة. في بعض الأحيان أعتقد أنه كان لديهم أشخاص داخل المؤسسات الحكومية، مثل الوزارات، لكن لم يتم إخباري قط كيف كانوا يعملون بالضبط. كل ما قاله راسل لي هو أنه إذا ذهبت إلى دائرة حكومية، حتى للرد على أمر استدعاء، فمن الأفضل أن أخبر شخصًا في العائلة في أقرب وقت ممكن. فأنت لن تذهب هناك لتناول الشاي.

بطريقة أو بأخرى سمعوا أن سالي باغز كان يذهب إلى مبنى حكومي وكان على اتصال مع مكتب التحقيقات الفدرالي ولم يكن يخبر أحدًا. وحينها، كان يعرف الكثير. واجهوه بالأمر، واعترف بالدخول إلى المبنى لرؤية موظفي مكتب التحقيقات الفدرالي، لكنه أنكر أنه أخبرهم بأي شيء. كانت مواجهته بهذه الطريقة من شأنها أن تتسبب في انسحاب مكتب التحقيقات الفدرالي قليلًا. إذا كان لديه جهاز تسجيل فقد سحبه منه. وإذا كانوا يتعقبونه فسوف يتوقفون عن ذلك.

سمعت أن سالي باغز ربما كان متوترًا قليلًا بشأن وضع لائحة الاتهام بقتل كاستيليتو على رأس التحقيقات في قضية هوبا. كان سالي يعاني من مشكلة في الكبد، وربما جعلته يبدو أصفر الوجه قليلًا. وسمعت أنه كان يخشى أن يكون مصابًا بالسرطان، الأمر الذي سيجعل بعض الأشخاص قلقين بشأن تركيزه الذهني. ربما كان توني برو في حالة مزاجية سيئة لأنه كان يحاكم بسبب تلقيه رشوة عن منحه أحد القروض.

كان بروفينزانو يحاكم لأنه أخذ رشوة بمبلغ ثلاثمئة ألف دولار على قرض بمبلغ 2.3 مليون دولار منحه إلى فندق وودستوك في حي المسارح في نيويورك. وكان مصدر القرض هو الاحتياطي النقدي لفرعه المحلي. كتب موراي كيمبتون مراسل صحيفة نيويورك بوست عن ذلك قائلاً: «إن الفرع المحلي 560 هو ماكينة نقود». عندما سُلمت لائحة اتهام بروفينزانو كتب فيكتور ريزل -الصحفي الشجاع المختص بقضايا العمال، الذي كان جوني ديوغواردي قد أصابه بالعمى حين رش على وجهه محلولاً حامضياً قبل عشرين عامًا- في عموده الخاص بالنقابات أن ذلك كان جزءاً من خطة بروفينزانو للترشح لرئاسة النقابة الوطنية في عام 1981 عندما يتقاعد فيتزسيمونز، وللقيام بذلك كان بحاجة إلى أن يزيع عن طريقه جيمي هوبا الذي كان يتمتع بشعبية. للخروج من الطريق. كان الاستيلاء على المنصب والحفاظ عليه هو نفس السبب الذي جعله بحاجة إلى أن يزيع عن طريقه في عام 1961 أنتوني كاستيليتو «ذو الأصابع الثلاث» الذي كان يتمتع بشعبية أيضاً. وفي كلتا الحالتين استخدم سال بريغوليو.

لم يخبروني بالكثير. لم يقولوا لي أنا وجون فرانسيس سوى أين نكون فقط. بالنسبة إلى مسألة إحداث الضجيج، كان لدينا كلانا مسدسان عيار 38. كانا مخبئين في أحزمتنا الممتدة حول ظهورنا. في ذلك الوقت، كنت أثق بذي الشعر الأحمر وأصطحبه للعمل معي في أي مكان وفي أي وقت. في 21 مارس 1978، كان سالي باغز يسير خارجاً من نادي أندريا دوريا الاجتماعي، الذي كان على بعد مبنى واحد من مطعم أمبرتو كالم هاوس في حي ليتل إيتالي. كان وحده. كيف عرفوا أنه سيخرج بمفرده من ذلك المكان في ذلك الوقت لم أعرف ذلك قط، لكن كانت لديهم طرقهم. كان سالي باغز يرتدي نظارات سمكة، وهكذا حصل على اسم «سالي باغز»، لأنه يبدو واسع العينين في النظارات مثل عيون الحشرات. لم أكن أعرفه جيداً، ولكن لا يمكن أن تخطئ الرجل بسبب تلك النظارات الكبيرة التي يرتديها رجل يبلغ طوله نحو 173 سنتيمتراً. توجهت إليه وقلت: «مرحباً يا سال». قال: «مرحباً أيها الأيرلندي». نظر سالي باغز إلى جون لأنه لم يكن يعرف ذا الشعر الأحمر. وبينما كان ينظر إلى جون ليتعرف عليه، تم إطلاق النار مرتين على رأس سالي باغز وتوفي، أطلق جون فرانسيس نحو ثلاث رصاصات أخرى عليه لخلق تأثير من خلال الصوت العالي وإعطاء انطباع عن حدوث تبادل لإطلاق النار لتخويف أي شخص قد يخطر على باله النظر من نافذته بعد سماعه إطلاق الرصاصتين في البداية.

في عملية متقنة التخطيط مثل هذه، كان عليهم أن يأخذوا في الاعتبار أنه قد يكون هناك عملاء لمكتب التحقيقات الفدرالي

في المنطقة المجاورة، فكان لديهم أشخاص يجلسون في سيارة معينة مهمتهم نقلك بعيداً عن المكان والتخلص من الأسلحة. كان الوقت هو العامل الحاسم، عليك أن تبتعد من هناك قبل أن يقع الرجل عملياً على الأرض. كان لديهم الكثير من رجال الإسناد في موقع الحادث. كان وجودهم مهم جداً. أنت بحاجة إلى أشخاص يجلسون في سيارات معدة للتصادم، تتطلق من جانب الرصيف وتصطدم بأي من سيارات مكتب التحقيقات الفدرالي.

ذكرت الصحف أن رجلين يرتديان قلنسوتين أوقعا سالي باغز على الأرض أولاً ثم أطلقا عليه النار. لم تذكر الصحف كيف استطاع رجلان مقنعان أن يقتريا لمسافة كافية من سالي باغز وإطلاق النار عليه. لم يكن سالي باغز أعمى. كان يمكن أن يرى جيداً بتلك النظارات. ولم تذكر الصحف لماذا يضيّع رجلان مقنعان وقتها ويوقعانه على الأرض أولاً. هل كان يأملان أن يسحب سالي باغز مسدسه الخاص ويطلق النار عليهما وهو في طريقه إلى الأرض؟ من المحتمل جداً أن يعتقد الشاهد أن سالي باغز سقط أولاً لأنه عندما تفعل ذلك بشكل صحيح فإنه يقع بسرعة كبيرة دون أية معاناة. من المؤكد أن شاهد العيان كان يعرف ما يكفي ليذكر أن المسلحين كانا مقنعين، لذلك لن يشك أحد في ذلك. إلى جانب ذلك، ثبت بموجب اللوائح القانونية أن أقوال الشاهد كانت غير منتظمة.

كانت حادثة باغز دليلاً آخر على أن الشكوك حين تساورك، فلا بد أنك على حق.

وربما تصور توني برو حينها أنني أسديت له معروفاً وقمنا بتسوية المشكلة التي كانت بيننا. لا أعرف.

من خلال خبرتي مع كلا طرفي هذه القضية، أعلم أنه عندما يطلب المشتبه فيه عقد صفقة، يطلب منه الادعاء عرض دليل أو مخطط لما يجب أن يقدمه المشتبه فيه. يجب أن تكون الأشياء التي سيكون المشتبه فيها قادرًا على إخبار السلطات بها على الطاولة قبل أن تتمكن السلطات من معرفة ما إذا كانت المعلومات تستحق عرض صفقة للحصول عليها. منذ بداية التحقيق في قضية هوبا، بدا أن لدى سالفاتوري بريغوليو شيئاً يريد أن يكشفه.

في عام 1976 كان أحد محققي شرطة ولاية ميشيغان، ويدعى كينيغ، في أثناء فترة الانتظار واقفًا بجانب لجنة المحلفين الكبرى في ديترويت، يراقب الإخوة أندريتا والأخوة بريغوليو. لفت انتباهه سال بريغوليو. حيث قال كينيغ: «كان يمكنك أن ترى أنه كان في حالة اضطراب ذهني وكان يواجه صعوبة في التعامل معه. اتفقنا جميعاً على أنه سيكون الشخص الذي يجب التركيز عليه».

في عام 1977، تولدت حاجة لدى سال بريغوليو إلى التحدث والنقاش مع ستيفن بريل، مؤلف كتاب «نقابة سائقي الشاحنات». كتب بريل في حاشية في كتابه: «تحدثنا أنا وسالفاتوري بريغوليو في عام 1977 مع الالتزام بالقواعد الأساسية بأنني لن أكتشف مناقشاتنا. في 21 مارس 1978 تم قتله. كانت محادثاتنا، التي أجريت على انفراد، غير مترابطة ولم تتطرق إلى عمليات القتل إلا من حين لآخر. كان حتى ذلك الحين، يؤكد بشكل سلبي فقط بإيماءة من رأسه بعض الجوانب البسيطة نسبياً من الجريمة

التي عرضتها عليه. لم يقدم أي تفاصيل ولم يكشف قط ما فيه الكفاية لتوريط أي شخص باستثناء نفسه ربما.

في عام 1978، قبل أيام قليلة فقط من مقتل سال بريغوليو، قادته حاجته إلى التحدث إلى أن يسجل مقابلة مع دان مولديا، مؤلف كتاب «حروب هوبا». وقد وصفه مولديا بأنه بدا «متعباً ومرهقاً، وكشف مدى الإجهاد الذي يعانيه بسبب الضغط الهائل الذي كان يتعرض له على يد محققى مكتب التحقيقات الفدرالي». ونقل مولديا عن بريغوليو قوله: «لم أشعر بأي ندم، باستثناء التورط في هذه الفوضى مع الحكومة. إذا كانوا يريدونك، فأنت تصبح واحداً منهم. ليس لديّ طموحات بعد الآن. لقد ذهبت إلى أبعد ما أستطيع في هذه النقابة. لم يتبقَ هناك شيء».

هل أخبر سال بريغوليو مكتب التحقيقات الفدرالي بقدر كبير من المعلومات عن المؤامرة بقدر ما كان منصبه يسمح له بأن يعرف؟ هل ترك مكتب التحقيقات الفدرالي بعد ذلك سال بريغوليو حراً طليقاً للحصول على اعتراف مسجل من القاتل المشتبه فيه؟ لماذا قامت مصادر في دوائر إنفاذ القانون على الفور بتوجيه انتباه مراسلي الصحف بعيداً عن بروفينزانو كمشتبه فيه وكان له دافع للخيانة؟ على سبيل المثال، أفاد كارل جي. بيليك من صحيفة نيويورك بوست في اليوم التالي: «يقول المحققون أن رجال المافيا ربما أمروا بالقتل للسيطرة على الفرع المحلي 560 الذي كان يرأسه بروفينزانو -الذي كان واحداً من أكبر الفروع في البلاد- وصناديقه التقاعدية والمعاشية المربحة، والتي سيستثمرونها بعد ذلك في أعمال المقامرة الشرعية في مدينة

أتلانتيك سيتي». لماذا قدمت سلطات إنفاذ القانون مشتبهًا فيه آخر كان في السجن؟ كتب بيليك عن ذلك: «كما أنهم لم يستبعدوا احتمال أن تكون لرئيس المافيا كارمين غالانتي يد في مؤامرة قتل بريغوليو».

لماذا لا ينشر مكتب التحقيقات الفدرالي ملفه للجمهور الذي يخدمه، والجمهور الذي يدفع فواتيره؟ هل مكتب التحقيقات الفدرالي محرج؟

في عام 2002، بعد ضغوط شديدة من وسائل الإعلام وأبناء هوبا، الذين رفعوا دعوى قضائية من دون جدوى للوصول إلى ملف مكتب التحقيقات الفدرالي الخاص بقضية هوبا الذي أخذ طريقه إلى المحكمة العليا الأمريكية، أصدر مكتب التحقيقات الفدرالي ملخصًا من 349 صفحة لقضية هوبا. في 27 سبتمبر 2002، كتبت صحيفة ديترويت فري برس: «حصلت صحيفة فري برس على معلومات جديدة عن قضية هوبا نتيجة معركة قانونية استمرت لعقد من الزمن. إنه أول كشف علني عن ملخص مكتب التحقيقات الفدرالي للقضية. ومع ذلك، تعرض التقرير لرقابة مشددة. تمت إزالة الأسماء. وتم حجب أجزاء من المقابلات مع شهود محتملين. وكانت هناك صفحات مفقودة من التقرير».

في مارس 2002، كشف مكتب التحقيقات الفدرالي -مع إبقاء ملفه المكون من ستة عشر ألف صفحة سرًا- أربعمئة صفحة منه وإرساله إلى صحيفة فري برس. في الجملة الأخيرة في مقالها المتعلق بهذه الصفحات، أوضحت الصحيفة أن «الوثائق

تشير إلى أن أهم أدلة مكتب التحقيقات الفدرالي قد أصبحت  
غير فاعلة في عام 1978». كانت تلك هي السنة التي تم فيها إسكات صوت سال  
بريغوليو.

## الفصل الحادي والثلاثون

### تعهد بإبقاء الأمرطي الكتمان

لا أستطيع أن ألقى باللوم على تناولي المشروبات الكحولية فيما يخص قضية اختفاء هوفّا، لم أكن بحاجة إلى عذر للعودة إلى الشراب في ذلك الوقت، لكنني كنت أشرب كثيرًا، وكنت أعلم ذلك.

نشرت صحيفة فيلادلفيا بوليتون المحلية لمحة تعريفية عن فرانك شيران في 18 فبراير 1979، قبل سبعة أشهر من توجيه محكمة فيلادلفيا الاتهام له استنادًا إلى قانون المنظمات التي تقوم بعمليات فساد وابتزاز، قانون ريكو<sup>(34)</sup>. كان العنوان الرئيسُ يقول: «بلطجي في ورطة شديدة». كانت هناك صورة لشيران إلى جانب عبارة «تاريخ من العنف». وذكرت المقالة إن شيران «رجل مشهور باستخدام يديه بشكل جيد لدرجة أنه لم يكن بحاجة إلى حمل مسدس... إنه رجل ضخّم الجثة إلى حد أن رجال الشرطة استحال عليهم ذات مرة تقييد يديه خلف ظهره». كانت الصورة الأخرى الوحيدة في المقال هي صورة جيمي هوفّا وقد كتب تحتها: «كانت له صلوات وثيقة مع شيران». وأكد المقال أن «مكتب التحقيقات الفدرالي يعتبر شيران مشتبهًا فيه في قضية اختفاء هوفّا عام 1975». نقل الصحفيون عن محام مجهول الهوية من فيلادلفيا أنه لاحظ أن شيران لم يهتم قط بكمية النبيذ التي

---

(34) هو قانون أمريكي شهير ينص على عقوبات جنائية للمنظمات المتورطة بعمليات فساد وابتزاز. (المترجم).

اعتاد أن يتناولها: «كان كل ما يعنيه أن يكون أصله من العنب. لم أرَ قط مثل هذا الرجل الضخم الذي يمتلك قدرة عجيبة على أن يعبّ في جوفه بسهولة زجاجة من النبيذ. كان يشرب باستمرار». في 27 أكتوبر 1979، بعد شهر من إدانته وقبل عدة أشهر من محاكمته وفق قانون ريكو، قامت صحيفة نيويورك تايمز أيضًا بنشر ملف للتعريف بشيران وتضمّن صورة له وهو يجلس في إحدى الحانات وأمامه زجاجة ويسكي. نقل المقال عن شيران قوله: «كل ما حصلت عليه أدين له به. لولا هوبا، لما أصبحت على ما عليه اليوم».

ينقل تقرير مكتب التحقيقات الفدرالي رقم 302 عن تشارلي ألين وصفه لتلك السنوات التي تلت اختفاء جيمي هوبا مباشرة: «كان شيران يشرب بإفراط كبير جدًا، كان يشرب في كل يوم من أيام الأسبوع تقريبًا».

يحتوي التقرير أيضًا على رأي تشارلي ألين في نوع الشخص الذي كان بإمكانه قتل جيمي هوبا: لا بد أن يكون شخصًا يعرفه ويستطيع أن يؤثر فيه، كما تعلم، يجب أن يكون شخصًا يعرفه جيدًا ليجعله يصعد إلى السيارة. كان جيمي رجلًا قويًا ولا يمكنك إقناعه واقتياده على هذا النحو، كما تعلم، يجب أن يكون شخصًا يعرفه حقًا يستطيع إحضاره إلى السيارة والقيام بكل ما فعله».

في عام 1977 أخذوني لأقف أمام هيئة محلفين كبرى أخرى. كان هذا في مدينة سيراكيوز. قدم لي مكتب التحقيقات الفدرالي نصيحة بأن الوقت قد حان لي أن أكون مخبرًا. أعطاني القاضي الفدرالي حصانة محدودة، لذا كان عليّ الإجابة عن الأسئلة أمام

هيئة المحلفين الكبرى. كانوا قد استدعوا أخوة أندريتا إلى هناك أيضًا، وسألوني إذا كنت أعرفهم. قلت إنني التقيتهم في جلسات هيئات المحلفين الكبرى. سألني المدعي العام إذا كان روس قد طلب مني إطلاق النار على أي شخص. في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، سألوا روس عما إذا كان فرانك شيران له علاقة بإطلاق النار على أي شخص، فقال راسل: «لا، على حد علمي، بل إن الذي أعرفه، أن الأيرلندي شخص رقيق جدًا».

وجهوا لي أسئلة حول كراسة جيمي الصغيرة التي عثروا عليها في منزله عند بحيرة أوريون وقد كُتب عليها «روس وفرانك». سألوني أسئلة عن باد، وهو ناد خاص في مدينة إينديكوت، في نيويورك، تابع لعائلة روس. أخبرتهم بأنني ذهبت إليه لأمارس لعبة الأصابع الإيطالية «أمورا»<sup>(35)</sup>. لأرى من الذي سيصبح رئيسًا ومساعدًا للرئيس ثم يتقرر من سيشرب النبيذ. سألوني عن أمور قمت بها مع رجل يدعى لو كوردي. كانت لديهم تفاصيل عن الموضوع. بعد الوقوف أمام هيئة المحلفين الكبرى، أخبرني روس أن لو كوردي أراد الموت بسلام وقام باعتراف فراش الموت. كما هو الحال مع جون فرانسيس، لم يلم أحد لو كوردي على الحديث في أثناء احتضاره كونه كان تحت تأثير الدواء، ليموت بسلام.

---

(35) لعبة يعود أصلها إلى العصور الرومانية واليونانية القديمة. يكشف كل لاعب عن يده في نفس الوقت، ويمد أي عدد من الأصابع، ويذكر رقمًا. أي لاعب يخمن بنجاح العدد الإجمالي للأصابع التي كشفها جميع اللاعبين مجتمعين يحصل على نقطة واحدة. (المترجم).

احتجزوني في سيراكيوز لمدة تسع ساعات. عند الإدلاء بشهادتي سمعوا الكثير من الدروس التي تعلمتها من جيمي، وكنت أقول لهم: «إذا استطعت تجديد ذكرياتي بشأن هذه المسألة، فقد أتمكن من تذكر ما تريدون مني أن أتذكره، ولكن في هذا الوقت بالذات لا أتذكر تفاصيل تلك المسألة بالذات».

بعد ذلك بعام كنت أقف في فندق شيري هيل أن في جيرسي، وأستعد للمغادرة بعد تناول بعض المشروبات، عندما انحنى سائقي تشارلي ألين وسألني: «هل قتلت جيمي هوفاف؟» فقلت: «أنت مخبر، يا بن الزنا». وظهر رجال مكتب التحقيقات الفدرالي فجأة ليحيطوا بالين لحمايته. كان المطعم مليئاً بعملاء المكتب الذين كانوا يستمعون لما يدور بيننا من خلال جهاز التنصت الذي يحمله ألين. ظنوا أنني سأضربه على الفور.

كلما كان أحدهم يقول «هل أنت من قام...؟» يكون الوقت قد حان ليحصل على ما يستحقه من ضرب وشتم ومن ثم تركه. كان السبب الوحيد الذي جعل تشارلي ألين يسأل هذا السؤال المحدد في ذلك الوقت بالذات هو أن محققي المكتب الفدرالي قد قرروا أن الوقت قد حان لطرده.

كان بحوزتي مسدس من عيار 38، لذلك عندما كانوا يحيطون بالين ركضت إلى سيارتي اللينكولن وقدها عبر طريق فرعي نحو الطريق السريع 72، وسرت في الاتجاه المخالف لحركة السيارات. وصلت إلى مطعم براندنغ إيرون وأعطيت سلاحاً إلى صديقة أعرفها. والتي وضعت في حقيبتها. حين دخل رجال المكتب سارت من أمامهم مباشرة وخرجت من الباب.

طلبوا مني الخروج والذهاب معهم إلى سيارتهم. فعلت ذلك وقال أحد عملاء المكتب إنهم حكموا عليّ بالسجن مدى الحياة و120 سنة أخرى. فقلت: «كم أحتاج من الوقت لأصبح حسن السلوك؟»

قال العميل إنني إذا ركبت جهاز تنصت وسجلت ما يقوله روس وأنجيلو، فسأضمن أن يطلق سراحي خلال عشر سنوات. قلت له: «حينها لا بد أن تكون لديكم قضية أخرى وهي اعتقالني بالخطأ، لأنني لست بذلك الشخص الذي يقوم بتلك الأشياء». قال العميل إنهم تمكنوا من إثبات قيامي بعمليتي قتل، وأربع محاولات قتل، وقائمة طويلة من الجنايات الأخرى، وإذا لم أتعاون معهم والسماح لهم بحمايتي، فسوف ينتهي بي الأمر إلى أن ألقى مصرعي على يد رجال العصابات أو سأموت في السجن. قلت: «لن يحدث إلا ما هو مكتوب لنا».

كانت الطريقة التي استطاعوا النيل مني بها في المقام الأول هي أنهم أمسكوا بتشارلي ألين وهو يدير مختبراً للميثامفيتامين في نيو جيرسي. بطبيعة الحال، لم يرغب ألين في أن يعرف أنجيلو أو راسل أنه كان يتاجر بالميثامفيتامين. بطبيعة الحال، لم يرغب ألين في الذهاب إلى السجن مدى الحياة بسبب مختبر أمفيتامين، وبطبيعة الحال، كان ألين يعلم أن العملاء الفدراليين سيفعلون أي شيء للنيل مني بسبب قضية هوبا. انتهى الأمر بهم بالحكم على ألين بالسجن لمدة عامين. ولكن بعد ذلك حكمت عليه محكمة في ولاية لويزيانا بالسجن مدى الحياة بسبب اغتصابه لابنة زوجته.

وجهت لي لائحة اتهام بناء على قانون «ريكو» ضمت أسماء نحو عشرين من المتآمرين غير المدانين، بما فيهم راسل وأنجيلو. تم قتل أنجيلو بالفعل في الوقت الذي ذهبت فيه القضية إلى المحاكمة، ولكن كان هناك الكثير من الأشخاص المهمين الآخرين الذين لم يرغبوا في رؤية الحكومة تدينني بارتكاب جرائم زُعم أنني ارتكبتها معهم، وإلا فسوف يلحقون بي. في اليوم الأول من المحاكمة الفدرالية في فبراير 1980، ذهب عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي إلى المحامي الخاص بي. إف. إيميت فيتزباتريك لتحذيره من أنهم حصلوا على معلومات من أحد مصادرهم بأن شركائي في المؤامرة غير المدانين قلقين من أنني عندما تصدر بحقي الإدانة سأنقلب عليهم، لذلك فإنهم سيقومون بقتلي. قلت لإيميت أن يسألهم من سيقتلني، حتى يمكنني عندما أرى القاتل قادمًا نحوي، أن أخلص منه أولاً. كان أحد القتلة الذين ذكروهم لي هو فريد جورونسكي الذي سبق لتومي باركر أن قتله دفاعاً عن النفس. ادعى تشارلي ألين أنني أمرته بذلك لأن جورونسكي سكب النبيذ عليّ. دخل إيميت في نقاشات حادة مع تشارلي ألين ووجه له أسئلة عديدة أرهقته جداً في أثناء الاستجواب.

خلال فترة الاستراحة في المحاكمة، رأيت عميلاً يُدعى كوين جون تام يتحدث إلى ابنتي المراهقة كوني. سألت المدعي العام: «مهلاً، كورتي، كم عدد جرائم القتل التي تتهمني بها؟» قال: «اثنان. لماذا؟» فقلت: «إذا تحدث تام مع إحدى بناتي مرة أخرى، فستكون ثلاثاً». في وقت لاحق، قفز شخص من وراء

شجيرة وألقى بطانية فوق رأس تام. إلقاء البطانية هي رسالة لإعلامه بمدى ضعفه. جفل تام وعندما استطاع أن ينزع البطانية من فوق رأسه كان الرجل الذي ألقى بها عليه قد غادر المكان منذ فترة طويلة. حين جاء تام إلى المحكمة وصفني «باللعين». ولم أفعل شيئاً سوى أني ابتسمت.

بعد أن اتصل إيميت بشاهده الأخير للدفاع، قلت له: «لديك شاهد آخر».

«من هو؟» قال إيميت.

قلت: «فرانسييس».

«ومن هو فرانسييس هذا؟» قال إيميت.

قلت: «فرانسييس هو أنا».

كنت أومن دائماً بأهمية تبادل النظرات مع هيئة المحلفين في أثناء الإدلاء بشهادتي، خاصة إذا كانت الحكومة قد رسمت لك صورة على أنك تقتل رجلاً ما بمجرد أن أسقط ما في كأس النبيذ عليك. هل يمكنك تخيل ما يجب أن يفكروا فيه عندما تنظر إلى أعينهم؟

كان العنوان الرئيس في صحيفة فيلادلفيا بولتين «هيئة المحلفين تبرئ شيران من جميع التهم».

كانت مشكلتي الكبيرة مع عدة جرائم أصغر. كان لديهم شريط تسجيل بصوتي سجّله تشارلي أليين بواسطة الجهاز الذي كان يحمله عندما كان مدرجاً في قائمة رواتب الفرع المحلي 326.

كانت لدي مشكلة مع شركة للرافعات. قام المدير بطرد اثنين من مندوبي نقابتي ولم يقبل بالتفاوض معي. كانت جلسة

الاستماع للتظلم على وشك أن تبدأ ولم أكن أرغب في أن يحضر مدير الشركة هذا في جلسة الاستماع. يزعمون أنني أخبرت تشارلي ألين بأن يعتدي على الرجل. كان لدى ألين شريط تسجيل بصوتي أقول فيه: «أكسر ساقه. أريده أن يكون طريح الفراش. أريده أن يذهب إلى المستشفى». بعد ذلك التسجيل السري وضع عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي جبيرة وهمية على ساق الرجل، وجعلوه يظهر في جلسة الاستماع وهو يمشي مستعيناً بعكازين. وبسبب هذه القضية استطاع العملاء الفدراليون أن يجعلوني أحضر جلسة محاكمة ولاية في إحدى محاكم ولاية ديلاوير.

كما أن مكتب التحقيقات الفدرالي رتب لي قضية في تلك الولاية حين اتهمني بنقل الديناميت إلى شركة ميدكو اندستريز، وهي شركة مصنعة للذخيرة تقع في بنسلفانيا لديها عقود كبيرة مع الحكومة. كان راسل شريكاً صامتاً في تلك الشركة. كانت الغاية من نقل الديناميت هو لتفجير مكتب الشركة الذي كان يعمل فيه الرجل ذو الساق المكسورة المزيفة. وحصلت أحكام بالسجن بما مجموعه أربع عشرة سنة.

كانت المشكلة الكبيرة الأخرى التي واجهتها هي أن مكتب التحقيقات الفدرالي سجل رقم لوحة سيارتي اللينكولن السوداء التي كانت بحوزتي في ديترويت عندما اختفى جيمي. اكتشف المحققون الفدراليون أنني اشتريت السيارة من يوجين بوف، الذي كان يدير الشركة التي تستأجر سائقي الشاحنات لشركات الشحن وتدفع لهم أجوراً دون المستوى. دفعت له مبلغاً أقل من القيمة السوقية للسيارة، ولم تكن لدي جميع إيصالات الدفع الشهري

الذي قمت به نقدًا. زعموا أنني حصلت على سيارة اللينكولن السوداء كرشوة للسماح لبوفا بدفع أجور أقل من المعدل السائد وطرده بعض العاملين. زعموا أنني حصلت على سيارة لينكولن بيضاء بعد ذلك بعام وأنني كنت أحصل على مئتي دولار أسبوعيًا من بوفا. كان لديهم شريط تسجيل قام تشارلي أليين بتسجيله أقول فيه أنني أقتاسم مبلغ المئتي دولار مع راسل و«ليذهب إلى الجحيم منتسبو نقابتي». بحلول ذلك الوقت الذي رحل فيه جيمي، كان كل شيء مختلفًا.

بعد هذه الإدانة، أخبرت صحيفة فيلادلفيا إنكوايرر في 15 نوفمبر 1981، أن «الرجل الوحيد الذي كان كاملاً قد علّق على الصليب».

ضحك العميل كوين جون تام ضحكة الانتصار، وأخبر الصحفي أنني «بسبع أرواح مثل القطط».

كان عمري اثنين وستين عامًا، وحصلت على حكم بالسجن لمدة ثمانية عشر عامًا إضافة إلى الحكم السابق بأربعة عشر عامًا ليصبح المجموع اثنين وثلاثين عامًا. أصبت بالتهاب المفاصل الحاد وبدأ أنني سأموت في السجن.

قضيت حكمي الفدرالي أولاً. وقضيت سنوات حكم الرئيس ريفان في ضيافة الرئيس. أرسلوني إلى السجن الاتحادي الأمريكي في مدينة ساندستون، في ولاية مينيسوتا. وهي بالقرب من الحدود الكندية، وكانت تهب فيها الرياح العاصفة على الدوام. كانت درجة الحرارة في الشتاء تصل إلى سبعين تحت الصفر. في كثير من الأحيان كان يصل أحد محققي مكتب التحقيقات

الفدرالي ويتصل بي في منتصف الليل. هذا هو الوقت الذي كان يُستدعى فيه الوشاة عندما يعتقدون أن الجميع نائمون. يكون محقق مكتب التحقيقات الفدرالي في انتظارك في مبنى منفصل بعيداً عن مبنى السجناء. للوصول من المبنى الخاص بك إلى حيث ينتظرك محقق مكتب التحقيقات الفدرالي عليك أن تمشي في الخارج مسافة ربع ميل. كان لديهم حبل أصفر لئلا تتمسك به لمنع الرياح من حملك بعيداً. تخترق الرياح الباردة عظام الأشخاص العاديين. فما بالك إذا كنت مصاباً بالتهاب المفاصل وتمشي ببطء، ستكون تلك تجربة عسيرة.

يقسم زميلي القديم في الجيش ديفسي مايرز أنه أصيب بالتهاب المفاصل لأنه عندما كان نائماً في الخندق في أثناء معركة مونتي كاسينو، قمت أنا بسرقة بطانيته. كانت تلك الخنادق تمتلئ بمياه الأمطار التي كانت تتجمد وكنت تضطر إلى إزالة الطبقة العليا من الجليد لكي تصل إلى قاع الخنادق لتجنب الشظايا. أعتقد أن هذه هي الطريقة التي بدأت بها إصابتي كلينا بالتهاب المفاصل. بدأ انحناء ظهري يزداد في السجن أكثر فأكثر عندما بدأ التهاب المفاصل يلتهم أسفل ظهري ويضغط على الحبل الشوكي. دخلت السجن وطولي 195 سنتيمتراً وخرجت منه وطولي 182 سنتيمتراً. لم يكن عليك التحدث إلى محققي مكتب التحقيقات الفدرالي عندما يأتون، ولكن كان عليك الذهاب إليهم. قالوا لي إنهم سيجعلوني قريباً من بناتي إذا تعاونت معهم، لذا لن يكون من الصعب عليهن زيارتي. كنت أرثدي خاتماً في يدي اليمنى يحتوي على حجر الحظ لكل واحدة من بناتي

الأربع. كانوا يخبرونني بأنني سأملك مفاتيح السجن في جيبي إذا تعاونت معهم، وأستدير وأبتعد عن ذلك الخط الأصفر<sup>(36)</sup>. في اليوم التالي، اتصلت بمحامى الخاص هاتفيًا ليسجل عنده أنه كانت عندي زيارة من محققي المكتب الفدرالي حتى لا يشك أحد في أي شيء.

قابلت بعض الأشخاص الطيبين في سجن ساندستون. كان هناك سجين قديم من بوسطن وكان مسجونًا لمشاركته في عملية سرقة بنك برينكز نحو عام 1950. يومها كانت تلك هي أكبر عملية سرقة على الإطلاق. فقد تمت سرقة ملايين الدولارات. استغرق حل لغز تلك القضية نحو سبع سنوات، لكنهم تمكنوا منها أخيرًا. نظموا قائمة بأسماء المشتبه فيهم على الفور، كما فعلوا معنا. وظلوا لمدة سبع سنوات يخضعونهم للاستجواب، ثم قبضوا عليهم حتى انهار أحدهم أخيرًا وأوقع بهم جميعًا.

كان شقيق سالي باغز، ويدعى غابي، مسجونًا في سجن ساندستون. كان طوله نحو 158 سنتيمترًا. لم تكن لغابي علاقة بما حدث لجيمي.. حتى إنه لم يكن موجودًا هناك، لكن محققي مكتب التحقيقات الفدرالي احتفظوا باسمه في القائمة لأنهم حين حققوا مع سالي باغز تصوروا أنه كان يريد أن يبعد اسم شقيقه، لذلك احتفظوا به.

عندما ساءت حالتي الصحية كثيرًا بسبب تفاقم مرض التهاب المفاصل، أرسلني مدير سجن ساندستون إلى مستشفى السجن

---

(36) يوجد عند مدخل السجن خط أصفر يشير إلى المكان الذي يجب أن يتوقف فيه السجناء وقت الزيارة، والمعنى الإفراج عن السجين. (المترجم).

في مدينة سبرينغفيلد في ميسوري. كان ينزل فيه توني ساليرو البدين وهو يحتضر بسبب السرطان. لم يكن يستطيع التحكم في بوله. وكان راسل هناك يجلس على كرسي متحرك بسبب إصابته بسكتة دماغية. مع وجود راسل هناك، عدت إلى أستاذي، وكان لديّ أفضل مدرس. كان هذا الرجل العجوز يلعب «البوتشي»<sup>(37)</sup> من كرسيه المتحرك. لقد كان أكبر مني حينها وكان لا يزال لا يعترف بعمره. كان يوجه لي ضربة خفيفة من حين لآخر عندما أفوز عليه في الورق. أحب ماكغي الآيس كريم الذي كان يتناوله، وكنت أحرص على حصوله على القليل منه كل يوم، لأنك لا تحصل إلا على امتيازات البيع بالتجزئة مرة واحدة في الأسبوع. كنت أدفع لمن كان يأتيه مندوب مبيعات في ذلك اليوم ليحصل على بعض الآيس كريم لروس. عندما كنت في سبرينغفيلد أنجبت ابنتي كوني طفلها الأول وعندما جاء راسل ذات مرة إلى ميدان لعبة البوتشي أخبرني بذلك الخبر السعيد. سمع روس ذلك من زوجته كاري. تحدثنا عدة مرات عن جيمي عندما كنا بمفردنا. علمت المزيد عن العملية أيضاً، وبعض التفاصيل. لم يرغب أي منا في رؤية الأشياء تذهب إلى أبعد الحدود. شعرنا كلينا بأن جيمي لا يستحق ذلك. كان جيمي رجلاً لطيفاً وكانت لديه عائلة لطيفة. ذات يوم كنت في طريقي إلى ميدان لعب البوتشي ورأيت أحد الحاضرين يأخذ راسل إلى كنيسة صغيرة ليصليّ فيها. سألته: «إلى أين أنت ذاهب يا ماكغي؟»

(37) لعبة تلعب بكرات من الحديد أو البلاستيك. (المترجم).

فقال راسل: «إلى الكنيسة».

فتساءلت مدهوشاً: «إلى الكنيسة؟» وضحكت حينها.

«لا تضحك يا صديقي. عندما تصبح في عمري ستدرك أن هناك شيئاً أكبر من هذا».

بقيت تلك الكلمات ترافقني طوال هذه السنوات.

وبحلول عام 1991، أصبحت بحاجة إلى إجراء عملية جراحية وإلا سأصاب بالشلل، لذلك سمحوا لي بالخروج المبكر عن مدة الإفراج المشروط لأسباب صحية. كان عمري واحداً وسبعين عاماً. كنت لا أزال في حالة الإفراج المشروط واستمر مكتب التحقيقات الفدرالي في محاولاته لانتهاك حالتي هذه. كلفوا رجلاً كان يتعامل في التذاكر الرياضية للتصت عليّ. وكان هذا الرجل قد تركته زوجته وأخذت كل أمواله معها. كانت تريد الطلاق منه، لكنه أراد أن يقتلها قبل أن يصبح حكم الطلاق نهائياً حتى يؤول إليه كل شيء. عرض عليّ مبلغ 25000 دولار كمقدمة، و25000 دولار بعد أن أقتلها، ووعد بأنه سيكافئني جيداً بعد تسوية أمور ممتلكاتها العقارية. قلت له: «أقترح عليك الحصول على استشارة من طبيب نفسي مختص بأمور الزواج».

لقد نالوا مني أخيراً بتهمة انتهاك الإفراج المشروط وأنا أتناول مشروب السامبوكا مع جون ستانفا زعيم عائلة فيلاديلفيا. كان يقدم هذا المشروب بإلقاء ثلاث حبات قهوة في كأس السامبوكا، واحدة للأمس والثانية لليوم والثالثة للغد. لم أكن أنتظر الكثير من يوم غد، لكن مكتب التحقيقات الفدرالي كان لا يزال ينتظره. في جلسة الاستماع، شغلوا الشريط الذي سجله لي ذلك الرجل،

قائلين إنه كان عليّ الإبلاغ عنه لرغبته في قتل زوجته. كنت في الخامسة والسبعين من عمري وأمروني بالعودة إلى السجن لمدة عشرة أشهر. في اليوم الذي اتهمت فيه بانتهاك الإفراج المشروط، عقدت مؤتمرًا صحفيًا لكي أجعل العالم بأسره وبعض الناس في وسط المدينة وفي الشمال يعرفون أنني لم أكن واثيًا. ولم أكن لأنهار وأصبح مخبرًا فقط لأنهم كانوا يرسلوني إلى السجن في عمري ذاك وفي ظروفي تلك. أردت من جميع الأشخاص الذين فعلت أي شيء لهم على مر السنين أن يعرفوا أنني لم أكن لأضعف في شيخوختي، كما فعل جون فرانسيس ولو كوردي قبل وفاتها. وأردت أن يتوقف محققو مكتب التحقيقات الفدرالي عن مضايقتي في السجن. وألا يكون هناك مزيد من الزيارات في وقت متأخر من الليل. أخبرت الصحفيين أنني سأؤلف كتابًا لإثبات أن ريتشارد إم. نيكسون فعل ذلك لجيمي. بينما كنت في السجن، تلقيت رسالة من ابنة جيمي، باربرا، تطلب مني أن أخبرها بما حدث لجيمي «بموجب تعهد بإبقاء الأمر طي الكتمان».

خرجت من السجن في 10 أكتوبر 1995، وتوفيت زوجتي إيرين بسرطان الرئة في 17 ديسمبر. بدأت حالتي تسوء أكثر فأكثر فأصبحت أعرج في مشيتي وكانت قدمي اليمنى مرتخية، وسرعان ما أصبحت لا أستطيع أن أبتعد كثيرًا عن عكازاتي. كان عليّ استخدام كرسي متحرك لأصل إلى أي مكان. شعرت بناتي الثلاث اللاتي لم تكن لهن علاقة بي بالقلق من أنني إذا توفيت فلن أدفن في مقبرة كاثوليكية. تخيلت راسل وهو يذهب

إلى الكنيسة في سبرينغفيلد ويخبرني بأنه «كان هناك شيء أكثر من هذا». رتبت لي بناتي مقابلة خاصة مع المونسنيور هيلدسور في كنيسة سانت دوروثي في سبرينغفيلد، في بنسلفانيا. التقيته وتحديثًا عن حياتي وغفر لي خطاياي. اشترت تابوتًا أخضر واشترت لي الفتيات سردابًا في مقبرة كاثوليكية. كانت الفتاة الأكبر سنًا سعيدة أن والدتهن، ماري، ستُدفن في نفس السرداب معي عندما ترحل بعد أن أصيبت بمرض الزهايمر.

لدي غرفة صغيرة في دار رعاية المسنين. وأنا أبقى بابي مفتوحًا على الدوام.. لأنني لا يمكن أن أتحمّل رؤية باب مغلقًا.

مكتبة

t.me/soramnqraa

سمعت ذات مرة إيميت فيتزباتريك المحامي الخاص بفرانك، وهو يقول له في إحدى حفلات عيد ميلاده: «أنت رجل محظوظ جدًا لأنك تحمل هاتفًا في يدك، فرانك. ماذا يهمك إذا أرسلوك إلى السجن. ما داموا قد أعطوك هاتفًا في زنزانتك، فستكون سعيدًا. لن تعرف أنك في السجن».

خلال السنوات التي قضيتها في تأليف هذا الكتاب، كان فرانك شيران يتصل بي عدة مرات في اليوم، وفي الحقيقة كان يتصل بي يوميًا، للتحدث عن كل شيء. وكان يصف أغلب من يتحدث عنهم بالرجل «الصالح». وكان ينهي كل محادثة تلفونية معي تقريبًا بالقول: «كل شيء على ما يرام». كان بإمكانني دائمًا معرفة متى تكون لديه أفكار ثانية حول اعترافه بشيء ما، كلما أطال الحديث في مكالماته الودية وزاد من عددها واتسع حماسه وتوتره خلالها. وكان يحاول من حين لآخر استعادة ما قاله. لكن أعصابه تستقر في نهاية المطاف ويصبح مرتاحًا، وحتى سعيدًا، بعد أن يعترف، ويخبر أحدًا بما به.

أصبح فرانك متوترًا بشكل خاص مع اقتراب يوم رحلتنا المخطط لها إلى ديترويت للعثور على المنزل الذي قتل فيه جيمي هوف.

في فبراير 2002، أخذت فرانك بسيارتي إلى ديترويت. في ذلك الوقت كان يعيش بمفرده في شقة في إحدى ضواحي فيلادلفيا. أخبرني بأنه بدأت تراوده الكثير من الكوابيس، تمزج

الحوادث في الحرب مع الحوادث والأشخاص الذين قابلهم خلال عمله مع رجال المافيا. بدأ «يرى» هؤلاء الناس عندما يكون مستيقظًا، وأطلق عليهم لقب «الأشخاص الكيميائيين»، لأنه يعتقد أن السبب في ذلك هو اختلال كيميائي يمكن إصلاحه عندما تُفحص أدويته. قال لي حينها: «هناك شخصان كيميائيان يجلسان في المقعد الخلفي. أعلم أنهما ليسا حقيقيين، ولكن ماذا يفعلان في السيارة؟»

كانت الرحلة التي أخذتنا غربًا عبر بنسلفانيا وأوهايو إلى ميشيغان بمثابة كابوس بالنسبة إلي عندما كان مستيقظًا. فإذا لم يكن يتحدث عن «أولئك الناس» كان ينتقد قيادتي للسيارة. قلت له في إحدى المرات: «فرانك، الشيء الجيد الوحيد بشأن وجودك هنا في السيارة هو أنك لا تتصل بي على الهاتف». لحسن الحظ، بدأ يضحك.

استغرقت رحلتنا يومين في السيارة. في الليلة الأولى جعلني أبقى الباب مفتوحًا بين غرفنا. منذ أيام السجن لم يعد يريد أن يكون وحيدًا خلف باب مغلق. في اليوم التالي وحين كنا في السيارة، نام كثيرًا وتحسن حاله كثيرًا. بدأت أفكر أن كل ما يحتاج إليه هو نوم مريح جيد، وكان نادرًا ما يحصل عليه وهو وحده في شقته.

عندما لاحظت لي ديترويت في الأفق نكزته ليستيقظ. ألقى نظرة واحدة على الأفق وصاح في وجهي: «هل لديك قطعة؟» «ماذا؟» قلت له.

أجابني قائلًا: «قطعة».

«ماذا تقصد بقطعة؟»

«قد... ط... ع... ة... قطعة». رسم بيده شكل مسدس وجعلها تبدو كما لو أنه يطلق النار على أرضية السيارة.  
«المحامون عادة يحملون معهم سلاحًا. مسموح لك بالحصول على تصريح».

صرخت مرة أخرى: «أنا لا أملك مسدسًا. أنا آخر شخص تعرفه يمكن أن تكون لديه قطعة سلاح. ماذا أفعل بها؟»  
«كان لجيمي أصدقاء هنا. إنهم يعرفون أنني كنت مشاركًا في هذه العملية».

«فرانك، ما الذي تحاول القيام به؟ تريد أن تخيفني؟ لا أحد يعرف أنك هنا».

تمتم بشيء ما، وبدأت أنا بحساب الأعمار التقريبية لحلفاء جيمي السابقين في ديترويت. وعندما انتهيت، كانت أمامي صورة «أصدقاء» جيمي، فإذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة، فسوف يلاحقوننا وهم على كراسيهم المتحركة.

عندما وصلنا إلى الموتيل الذي سنقيم فيه، شعرت بالارتياح لرؤية ومقابلة جون زيتس زميل فرانك السابق في السجن والرجل الذي كان قد قرر أن يؤلف كتابًا في عام 1995 يلقي فيه باللوم فيما يخص قضية هوبا على نيكسون. كان قد قاد السيارة من منزله في نبراسكا لزيارة فرانك بدافع الاحترام، وسيقضي الليلة الآن في غرفة فرانك. وكان يغير الضمادة لفرانك بسبب ما يعانيه من قرحة الفراش. خلال تناولنا العشاء في تلك الليلة في مطعم ستيك هاوس، نظر فرانك إليّ وغمزني. ثم قال: «هل حصلت

على قطعة؟» وضحك الاثنان. أخبرني فرانك بأن جون كان من أسرى الحرب في فيتنام. انبهرت في تلك الليلة بقصة هروب جون من القوات الفيتنامية. كان يحمل ندبات طويلة في جميع أنحاء جذعه. كان الفيتناميون يستمتعون بعمل تشققات في جلد الأسير لأنه كان هناك نوع من الذباب يضع بيضه في الجروح المفتوحة. وبعد عدة سنوات سيكتشف جون أن يرقات الذباب الصغيرة تنزّ من جسده.

في تلك الليلة كنت وحدي في غرفتي في الموتيل، تساءلت عما إذا كنت قد انتظرت طويلاً للقيام بهذه الرحلة إلى ديترويت. كنت أعرف أنه من الخطأ الاعتماد على مساعدة شيران في العثور على المنزل. في صباح اليوم التالي طلبت من جون مساعدتنا، لكنه لم يكن يعلم بوجود المنزل. لم يكن هناك ذكر له في الرواية المتخيلة للأحداث والتي عمل عليها مع فرانك في كتابه في عام 1995. كنت أحتفظ بملاحظات معي ووجدت فيها الوصف العام للوصول إلى المنزل الذي قدمه فرانك خلال اللقاء الخاص بتحرير الكتاب الذي جمعنا مع إريك شون الذي يعمل في قناة فوكس نيوز. المدهش، أنه كانت في عام 2002 نفس الوصف تقريباً كما كان في عام 1975. الشيء الوحيد المفقود من ملاحظاتي كان الانعطاف يساراً في النهاية إلى الشارع المقابل لجسر المشاة المذكور. اتضح أن جسر المشاة كان في ملعب للغولف على اليمين. استغرق الأمر المرور بعدد من الطرق الفرعية قبل أن أرى الجسر أخيراً، وقد لاحظته أخيراً من طريق موازٍ يقع على الجانب الآخر من المسار الذي كنا فيه، كان

الطريق على أرض أعلى ارتفاعاً ويشرف على تقاطعات الطرق. قدت سيارتي مرة أخرى إلى الطريق الأصلي وأدركت المشكلة في الحال. رددت مع نفسي بعض الصلوات للسيدة العذراء.

مع مرور السنين بُني سياج من الأسلاك، وجعل هذا السياج الجسر ملحوظاً بشكل أقل مما كان عليه وفق الاتجاهات التي أعطاه لي شيران سابقاً. حين توقفنا بالقرب من جسر المشاة هذا عند تقاطع على شكل حرف T خرجت من السيارة، ونظرت في الشارع إلى يساري، ورأيت الجزء الخلفي من المنزل في نهاية المربع السكني على اليمين، والذي كان فيه ذلك الفناء الخلفي الذي وصفه شيران. ظننت بالطبع أنه عندما يكون جسر المشاة في ملعب للغولف، لم تعد هناك أي أهمية للاتجاهات إلا أنه عند الجسر كان يجب إجراء انعطاف إلى اليسار. استدرت وتوجهت إلى واجهة ذلك المنزل. أخبرتني النظرة الحادة والمتوترة على وجه شيران في الحال بأن هذا هو المنزل. تفحصه وأكد أن ذلك هو المنزل بإيماءة من رأسه وشجرة من فمه تعني «نعم». كان شارعاً هادئاً جداً، كان منزلاً مثاليًا في شارع مثالي. الشيء الوحيد الذي أزعجني في المنزل هو أنه كان من الطوب في حين أن شيران وصفه بمنزل ذي ألواح خشبية. لم يتأكد من ذلك إلا عندما عدنا إلى الموتيل وقمت بتحريض الصور التي التقطتها حتى أدركت أن النصف العلوي من المنزل كان مبني بأكمله من الألواح الخشبية البنية من الخلف ومن الجوانب التي يمكن أن تراها عندما تقترب منه من جهة جسر المشاة.

في رحلة العودة شرقاً من ديترويت كان من الواضح أن شيران

قد استقر نفسيًا. لم يعد هناك «أشخاص كيميائيون» ولا شكاوى من طريقة قيادتي للسيارة. وجدنا المطار في بورت كلينتون، التقطنا بعض الصور، وتوجهنا بالسيارة إلى المنزل في يوم واحد. بعد هذه الرحلة بفترة وجيزة، ساعدت بناته في إدخاله إلى دار للرعاية الدائمة خاص بالمعاقين. رافقت فرانك وابنته دولوريس لزيارة أحد الأطباء الذي وصف له دواء للسيطرة على «الأشخاص الكيميائيين»، ولم أسمع عنهم مرة أخرى. لم أره مرة أخرى قط في حالة ذهول وعصبية كما كان في طريقه إلى ديترويت حين كان من دون (ق-ط-ع-ة... قطعة).

كانت الرحلة التالية التي قمنا بها معًا هي للعثور على مكان الشركة في بالتيمور، حيث نقل شيران حمولة معدات عسكرية خاصة بعملية غزو خليج الخنازير، وحيث سلّم البنادق قبل فترة وجيزة من عملية اغتيال كينيدي. قبل أن نصل إلى بالتيمور، أخبرني أن اسم المكان كان كامبل بريكيارد Campbell Brickyard وكانت لديه فكرة عامة عن مكان الشركة، ولكننا لم نتمكن من العثور عليه. أخيرًا، قادت سيارتي إلى مصنع أسمنت بونسال لأسأل عما إذا كان أي شخص يعرف المكان الذي يسمى بريكيارد. عندما دخلنا كان هناك شيء مألوف لشيران في المصنع. داخل المكتب، علمت من إحدى الموظفات أنه عندما كان والدها يعمل هناك، كانت شركة بونسال تسمى شركة كامبل للأسمنت، لكنها لم تسمع بشيء اسمه كامبل بريكيارد. تجولنا حول المكان. كانت قد أقيمت بعض المباني الجديدة. أشار شيران إلى بناء غاية في القدم وقال: «هذا هو المكان الذي خرج منه الجنود لتحميل الشاحنة». التقطت صورة له وعدنا إلى فيلادلفيا.

لم تسر بعض الأشياء بسلاسة مثل الرحلة إلى بالييمور.

لقد كانت تجربتي أنه عندما يريد شخص بالغ تعلم منذ طفولته أن يشعر بتأنيب الضمير أن يزيح عن صدره شيئاً ما، فإن الطريق إلى الاعتراف به عادة ما يكون غير مباشر، فيه العديد من الأشياء المتقطعة وغير المنتظمة، مع الكثير من التوقفات والتفاصيل المضللة والتلميحات ونتف من الحقيقة. غالباً ما يلقي الشخص بتلميح ما ويريد من السائل أن يكتشفه. وخير مثال على هذا الاستجواب هو القضية المشهورة لامرأة تدعى سوزان سميث، التي أغرقت ولديها في سيارتها في بحيرة وألقت باللوم على «لص سيارات أسود». طوال تسعة أيام من التحقيق، أظهر هوارد ويلز رئيس الشرطة في المنطقة أنه يمتلك صبر ومهارة محقق رائع يعرف كيف يتجنب المزالق، ويحافظ على علاقة متينة مع من استجوبهم، ويتابع التلميحات حتى يحين الوقت لمواجهة الحقيقة.

كانت هناك بعض الأشياء التي عبر لي عنها فرانك شيران علمت أنها ستتعارض مع رغبته في تقية ضميره. لم يكن يريد أن تكون صورته لدى بناته الثلاث أسوأ مما هي عليه في الحقيقة. وقد أكدت زوجته المتوفاة لإيرين ابنته الصغرى أن فرانك لم يكن لديه الوقت لقتل هوبا، لأن إيرين كانت مقتنعة أنه كان «معها» في ذلك الوقت. لم يكن فرانك يريد أن تعتقد باربرا كرانسر أنه كان وحشاً لأنه اتصل بوالدتها بعد يومين من اختفاء والدها للتعبير عن قلقه. لم يكن فرانك يريد الإساءة إلى أرملة راسل بوفالينو أو كاري أو أي شخص آخر قد يكون على قيد الحياة. لم يكن يريد

أن يكون الأشخاص الذين ارتبط بهم على مر السنين يعتقدون أنه قد أصبح ضعيفاً في أواخر عمره مثل جون فرانسيس ولو كوردي. قال لي ذات مرة: «لقد عشت حياتي بطريقة معينة. لا أريد أن يعتقد الناس أنني ذهبت في الاتجاه الآخر». ثم قال لي في مرة أخرى: «على الرغم من أنه ميت، إذا كان لي أن أقول ذلك عن روس، بقدر ما كنا قريبين من بعض، فهناك أشخاص آخرون في الخارج يعلمون أنني أعرف أشياء عنهم». لكنني في المقابلة، ظللت أركز على قضية هوبا.

بعد نحو عامين من المقابلات المتتالية، وبعد أن اعترف لي شيران بأنه هو من أطلق النار في حادثة هوبا، وقبل نحو عام من الذهاب إلى ديترويت للعثور على المنزل، حدّد وكيلى موعداً مقابلة لي في مكتب المحامي إيميت فيتزباتريك مع إريك شون، أحد كبار مراسلي قناة فوكس نيوز الذي كان على دراية بعدة قضايا، ومنتج أعماله كيندال هيفين. كنا ننوي أن نجعل فرانك يشعر بارتياح مع مراسل تلفزيوني ويمكن أن يثق به. في أثناء تلك المقابلة، ومع التأكيد على حماية حقوقه، نطق شيران لأول مرة إلى شخص آخر غيري بهذه الكلمات: «لقد أطلقت النار على جيمي هوبا».

قبل ليلتين من المقابلة، وصلت إلى شقة شيران لقضاء الليلة في غرفة الضيوف. أعطاني شيران من دون تعليق، رسالة مطبوعة زعم أنها موقّعة من جيمي هوبا في عام 1974 بعد ليلة حفل تكريم فرانك شيران. كان أكثر من نصف الرسالة يحتوي على أشياء قالها لي شيران طوال رحلتي معه، والتي ابتدأت منذ

مقابلات عام 1991 التي لم تكتمل. احتوى الباقي على أشياء يمكن اعتبارها داعمة للرواية المتخيلة للأحداث التي روج لها مع صديقه جون زيتس. وأكدت لفرانك أنني سأتحقق من صحة هذا الخطاب في وقت آخر.

سارت المقابلة بشكل جيد. عندما سأله المراسل شون عما إذا كان يعتقد أنه يمكنه العثور على المنزل، أعطانا شيران وصفًا للموقع وذكر «جسر المشاة». كانت هذه هي المرة الأولى التي يكشف فيها لي عن الوصف. كان صوته العميق وسلوكه القاسي مخيفًا عندما صرح علنًا لأول مرة على الإطلاق لشخص آخر غيري أنه أطلق النار على جيمي هوبا مرتين في مؤخرة الرأس. وقد بدا لكل من كان في الغرفة أن تلك كانت هي الحقيقة. أجرت قناة فوكس نيوز بعض البحوث المستقلة الأولية وأكدت القيمة التاريخية لرواية فرانك شيران عن الرحلة الأخيرة لجيمي هوبا. بعد ذلك بوقت قصير، اتصلت بمختبر الأدلة الجنائية الشهير الذي يديره الدكتور هنري لي. وأكدوا لي أنه يمكنهم تحديد صحة توقيع هوبا ويمكنهم أيضًا رفع بصمات هوبا عن الرسالة. ومع ذلك، كان عليّ الاتصال بمكتب التحقيقات الفدرالية والحصول على بصمات هوبا ونماذج من كتابته اليدوية لهم. في ذلك الوقت لم يكن لدينا ناشر ولم يكتب الكتاب بعد. لم أكن أرغب في تنبيه مكتب التحقيقات الفدرالي وتسريب القصة قبل أن يُعرض الكتاب في المكتبات. قررت تأجيل الأمر. في وقت لاحق عندما حصلنا على ناشر، شرحت له كل هذا وأخبرني الناشر -من قبيل الصدفة- بأنهم نشروا كتابًا للدكتور هنري لي.

أعطيتهم مراسلاتي عبر البريد الإلكتروني مع مختبر لي، وتمنيت بسبب علاقة الناشر معهم أن يقدم المختبر الطلبات الضرورية لمكتب التحقيقات الفدرالي بنفسه. اتصل الناشر بالمختبر وأرسل إليهم الرسالة. لم تكن هناك حاجة إلى نماذج أو بصمات، عندما عرّضت الرسالة إلى ضوء خاص اتضح أنها كانت مزورة بشكل مضحك. لقد صُنعت الورقة التي كُتبت عليها الرسالة عام 1994، وليس عام 1974. وتم رسم التوقيع بمحاكاة باهتة للتوقيع الأصلي. على الرغم من أن الرسالة لم تكن فقرة مركزية على الإطلاق في الكتاب ويمكن إزالتها بسهولة، وعلى الرغم من أن المحرر المكلف بالكتاب لم يكن لديه شك في أن شيران قتل هوفاً، قرر الناشر إلغاء طبع الكتاب. لقد كنت مستاءً من فرانك إلى أن نصحتني محرري السابق أن أنسى الأمر، بالنظر إلى ما فعله شيران لبعض الأصدقاء الآخرين في حياته. فإنه قال لي: «إذا كنت لا تثق برجل قتل أحد أفضل أصدقائه، فبمن يمكنك أن تثق؟» طلب مني أن أتأكد من أنني لم أعط شيران رقم هاتفه. عندما انجلى الغبار وواجهته، اعترف شيران بأنه احتفظ بتلك الرسالة لتعطيه ضماناً ومخرجاً إذا احتاج إليه في وقت ما. كانت تمثل بالنسبة إليه معلومات زائدة يمكنه كشفها في أي وقت تكون فيه الضغوط عليه أكثر من اللازم. إذا عُقدت هيئة محلفين كبرى، فيمكنه فضح أمر الرسالة، وسيؤدي ذلك إلى إلغاء صحة كل شيء آخر موجود في الكتاب.

اتصل فرانك وايمان وكيل أعمالي بشيران هاتفياً ليخبره بأنه إذا أراد الحصول على ناشر آخر، فعليه أن يقول الحقيقة وأن

يدعم الكتاب. أرسل وايمان إلى شيران نسخة مطبوعة من رسالته بالبريد الإلكتروني إلى الناشر السابق، قال فيها، من بين أمور أخرى: «أنا على استعداد للتضحية بسمعتي من أجل هذا الكتاب لأسباب عديدة، ليس أقلها أن عبارة «سمعت أنك تطلي المنازل» ذات أهمية تاريخية. ومعناها أن فرانك شيران قتل جيمي هوف». في أعقاب إلغاء نشر الكتاب، توفيت -للأسف- صديقة فرانك السخية والمبهجة ورفيقته الدائمة، إلسي، بعد إجراء عملية جراحية. كانت غرفتها تقع عبر القاعة التي تجاور غرفة فرانك في دار رعاية المسنين حيث التقيا. كنت أصطحبهما في بعض الأحيان لتناول العشاء، وكان الأمر دائمًا ممتعًا. كان فرانك يمازحها بشأن حبها للطعام، وادعى أن لديه آثار شوكة طعام على يده منذ أن ارتكب خطأ ذات مرة وحاول تذوق طبقها. على الرغم من أنني وابنته لم نخبر فرانك عن وفاة إلسي، عرف بالأمر بطريقة أو بأخرى. في ذلك الوقت تقريبًا، اتخذت صحته منعطفًا دراماتيكيًا نحو الأسوأ، ونُقل إلى المستشفى مرارًا وتكرارًا. كان يعاني من ألم شديد وأصبح طريح الفراش.

كان يشعر في المستشفى بأنه يموت، وأخبرني بأنه لا يريد أن يعيش بنفس الطريقة التي كان يعيش بها. في أثناء حديثنا حول صنع شريط فيديو للترويج للكتاب ودعم ما منشور فيه، كما اقترح وايمان، قال بالحرف الواحد: «كل ما أريده الآن يا [تشارلز]، هو إبقاء الألم عند الحد الأدنى، وأن أبقى واعيًا لما يدور حولي، ودع الخالق يفعل ما يشاء. لا يمكنني العيش هكذا».

بعد التحدث عبر الهاتف مع محاميه إيميت فيتزباتريك، قرر فرانك شيران أن يشرع في تسجيل شريط الفيديو لدعم المواد المنشورة في الكتاب، بما في ذلك ما حدث لجيمي هوف في 30 يوليو 1975.

على الرغم من أنني وافقت على تسهيل الأمر عليه قدر الإمكان، كان عليه الآن أن يؤيد علناً صحة تلك المواد. قلت له: «كل ما عليك فعله هو أن تؤيد ما هو منشور في الكتاب. هذا كل شيء». هل ستكون على استعداد للقيام بذلك، هل تعتقد أن بإمكانك فعل ذلك؟ فأجاب: «سأقوم بذلك على الرغم من كل شيء». عندما تركته في تلك الليلة، قال لي في إشارة إلى أنه تلقى الأسرار المقدسة من الكاهن: «أنا أعيش في سلام الآن». فقلت له: «بارك الله فيك. ستعيش في سلام وأنت تدعم ما جاء في الكتاب».

في اليوم التالي قال بالحرف الواحد: إن محققي مكتب التحقيقات الفدرالي «سيجعلوني أواجه صعوبة في الاستجواب لأنهم لا يسمحون لي بالسفر إلى أي مكان». وبسبب حالته الصحية وحاجته إلى الرعاية الطبية، لم يكن يتوقع أن يزوجه أي مدع عام ويقوم بتوجيه الاتهام إليه.

عندما شغلت جهاز تسجيل الفيديو أصبح متردداً وانسحب. قلت له: «أنت متردد، أليس كذلك؟ لا أريد القيام بذلك إذا كنت متردداً». فقال: «لا، أنا غير متردد». فقلت: «إذا لم تكن ترغب، فانس الأمر». أجاب: «إنه شيء عليك فعله لكي ينجح مشروعك. سأقوم بذلك». سأل عن مرآته للتحقق من مظهره.

ناقشنا كيف أنه قدم اعترافه وتناول القربان المقدس في اليوم السابق. فقال: «وقد حصلت عليه الأسبوع الماضي أيضاً». قلت له أنه يواجه الآن «لحظة الحقيقة». أعطيته نسخة تجريبية من الكتاب ليعرضها أمام الكاميرا. ثم ناولته له، ومن دون ذكر أي من كلمات التحذيرية العادية، وقلت: «سأبدأ الآن، واضح. والآن، عليك أن تقرأ هذا الكتاب. إن الأشياء الموجودة فيه عن جيمي وما حدث له هي الأشياء التي أخبرتني بها، أليس هذا صحيحاً؟» قال فرانك شيران: «هذا صحيح». قلت: «وأنت مسؤول عنها؟» قال: «وأنا مسؤول عن كل ما هو مكتوب».

سألته من فوري سؤالاً عن كيف كان يبدو جيمي هوفاً؛ ما جعله يقول إن جيمي «... لم... ماذا يمكنني أن أقول... لم... عليك أن تطرح الأسئلة، وسوف يقودنا كل سؤال إلى سؤال آخر... دع الكتاب يتحدث عن نفسه». كنت أعلم أنه لا يرغب في الخوض في التفاصيل، خاصة حول جيمي هوفاً، ولكن كان من الصعب عدم التحدث ببعض التفاصيل.

لسوء الحظ، نفدت بطارية الكاميرا، وقد مرت فترة من الوقت قبل أن أكتشف الأمر وأشحن الكاميرا. إضافة إلى ذلك، ولجعل شيران يشعر بالراحة كنت أوقف تشغيل الشريط من وقت لآخر بناءً على طلبه وأشغل مسجل الشريط الصوتي. ومع ذلك، سجلت مادة وفيرة. عند مراجعة التسجيلات الصوتية والمرئية، اكتشفت أن هناك عدداً من المقاطع التي تكشف عن الرجل نفسه، وبعض أفعاله، وكيف جرت المقابلات.

في إحدى المرات طلب مني أن أتأكد من أن أذكر في الكتاب أنه لم يدخل في علاقة حميمية مع امرأة أخرى غير زوجته إلا عندما كان أعزب. ولتوضيح ذلك قال: «لن يخدم ذكره أي غرض أدبي... هذا الكتاب لن يفوز بأي جائزة بوليتزر... تأكد من ملاحظة أنني كنت أعزب».

قال وهو ينظر إلى غلاف الكتاب: «أعتقد أن العنوان سيئ». فقلت: «لكنها أولى الكلمات التي قالها لك جيمي، أليس كذلك؟» «نعم» أتعرف بذلك ولم يعلق على هذا الموضوع.

بينما كان ينظر إلى صورة سال بريغوليو، ذكرت أننا يجب أن نتابع خطتنا في حث مكتب التحقيقات الفدرالي على الإفراج عن ملفه حتى يكون كل ما أخبره بهم سالي باغز تأكيداً لما جاء في الكتاب. قلت: «إن الصورة قد التُقطت قبل أن تتولى أمره. أتعرف ما أقصده؟»

قال: «نعم».

سألته: «هل أثارت صورة سالي باغز أي شيء في داخلك؟» قال: «لا، ليس هناك شيء محدد. إنه أمر مضى عليه زمن طويل».

أخبرته بأنه إذا حصل على ما يكفي من الراحة، فإن إريك شون يريد أن يأخذنا لتناول الغداء في مطعم مونتي في بروكلين والذي استلمت فيه «الحقبة».

قال: «نعم، الحقبة، نعم... من أجل عملية دالاس». عدنا لاحقاً إلى موضوع الغداء في مونتي، وقلت إنه عندما نذهب: «سنرى من أين أخذت تلك البنادق».

فقال: «أنت على حق، وتناولت القليل من السباغيتي بالزيت والثوم». أخبرته بأنني أود أن أراه يغمس خبزهِ الإيطالي في النبيذ الأحمر. فقال: «لديك صورة لي وأنا أقوم بذلك».

تذكرت المكان الذي سلمت فيه النقود «لذلك المسؤول الحكومي». سألته: «ما اسم ذلك المكان؟»

فأجاب بسرعة: «ذا ماركت إن» وقال: «كما ترى، فذاكرتي ممتازة يا تشارلز».

جاءت اللحظة الأكثر أهمية بالنسبة إلي عندما كشف شيئاً جديداً تماماً. بدأ الأمر عندما كنا ننظر إلى صورة للمنزل في ديترويت، حين قال: «من المفترض أنهم الأشخاص الأصليون في العملية. لقد كانوا هناك أصلاً... لكنهم لم يشهدوا قط» تابع وهو يتمتم: «لم يكونوا متورطين». كلما كان حذراً جداً في كلماته وجعل البعض منها غير مسموع كنت أعلم أنه يتحدث عن موضوع من المرجح أنني سأعود إليه. عندما سألت إن المنزل كان مستعاراً مثل السيارة، تجاهل السؤال مرتين ثم قال: «حسناً، لا داعي لأن أقلق بشأن توجيه الاتهام لي». بناءً على تجربتي معه، بدا لي أن رده قد يكون مؤشراً على أنه كان يفكر ملياً فيما إذا كان سيخبرني بشيء جديد.

بعد ذلك بقليل أشرت إلى صورة المنزل في ديترويت قائلاً: «حيث مات جيمي، ونالوا منه». لقد تطوع بإبداء تعليق بدا وكأنه كان هناك «رجل» متورط في المنزل لم أكن أعرف عنه شيئاً. لقد كان يتمتم وبيع ريقه، وبدا أنه توقف في منتصف الجملة. في وقت لاحق حللت الشريط بواسطة خبير صوتي.. بدا له أنه

قال شيئاً مثل «...هذا هو المنزل الذي نفذ فيه الرجل فعلته». تفاقمت مشكلة الصوت بسبب حقيقة أن طقم الأسنان الكامل الذي وضعه شيران حينما كان عمره خمسين عاماً لم يعد مناسباً لأنه فقد الكثير من وزنه. بعد الإدلاء بذلك التعليق مباشرة، قال شيران: «سأتناول فقط ما أشرت إليه في الكتاب، هكذا» كان قد أدلى بتعليقات رفض مثل هذه من قبل عندما يكون هناك شيء إضافي لم يكن متأكداً من أنه يريد إخباري به. ما لم يكن يعلم أن «الرجل» قد مات فلن يرغب في كشف هويته.

في ذلك الوقت بدا لي أن ذلك «الرجل» هو من «أعارهم» ذلك المنزل، ولكنني اليوم لا أستطيع أن أسمع حرف «هـ» على القرص المضغوط الذي صنعه خبير الصوت لي.

على أي حال، بعد بعض الدردشة حول صديقه جون الذي كان قد اتصل به هاتفياً لمعرفة أحواله ومكالمة هاتفية قصيرة من ابن زوجتي، تابعت الموضوع.

«فقلت له حسناً. لكن ذلك المنزل كان معاراً، أليس كذلك؟»

«بلى. كان الناس الذين يمتلكونه...» ثم توقف.

فقلت: «لم يعرفوا شيئاً عن ذلك»، وهو أمر أخبرني به قبل سنوات وهو موجود بالفعل في الكتاب.

قال: «نعم». «الناس الذين امتلكوه، نعم. كان هناك سمسار عقارات» هذا الكشف الجديد عن وجود سمسار أو مكتب عقاري أعقبه وقفة طويلة لم أقل خلالها أي شيء. ثم قال: «كان يعيش هناك في ذلك الوقت».

قلت: «آه، هكذا إذا».

«ولكن لم يُستجوب قط. لم يُستجوب قط».

فقلت له: «لكنهم لم يعرفوا شيئاً عن ذلك، أليس كذلك؟»

«لا، بالطبع لا»، قال بتركيز مبالغ فيه جعلني أعتقد أن «سمسار العقارات» يعرف شيئاً ما. ولكن لم يكن هذا هو الوقت المناسب لي للضغط عليه واستجوابه. كان لدينا اتفاق، وكان عليه أن يلتزم به.

قلت: «حسناً».

حينها قال: «أنا، قلت، فقط ما حدث... إن ما ذكرته في الكتاب كان هو قصة ما حدث». وبهذا التعليق الذي صدر منه، علمت أن هناك المزيد، وأنه سيكون من الصعب بالنسبة إلي أن أتركه يتوقف عن الكلام تماماً.

قلت: «أنا أفهم. لن أسألك. لقد غلبني الفضول. عندما قلت سمسار عقارات...»

قال باهتمام: «آه، آه».

«سمسار عقارات. أنت لم تخبرني بذلك». ضحكتُ حينها. «حسناً. ليس هناك أي مشكلة».

«نعم...» وخلع نظارته.

قلت: «حسناً».

حين استدار شيان ونظر إلى الكاميرا نظرة فاحصة، وراح يمسد على شعره. كنت أعلم أن هذه هي إشارة لي لإيقاف تشغيلها، وقد فعلت ذلك. ما جاء بعد ذلك كان عن طريق تسجيل صوتي. بعد فترة وجيزة كان الفضول أقوى مني. على الرغم من أنني لم أكن راغباً فيه بالكامل فإنني لم أستطع المقاومة. كان علي أن

أقوم بمحاولة أخيرة محترمة لمعرفة «سمسار العقارات». قلت: «والآن، لقد أثرت اهتمامي بسمسار العقارات هذا الذي ذكرته».

حينها قال: «ماذا؟»

«سمسار العقارات الذي ذكرته بخصوص المنزل في ديترويت. لم تذكر لي هذا من قبل». «من كان هذا؟»

شعرت بأنه يواجه مشكلة في استخدام كلمة «سمسار عقارات». كان يجب أن أكون أقرب إلى مصطلحاته. كنت أعرف ما يريد. فقلت: «رجل العقارات في المنزل في ديترويت. قلت أنه كان هناك رجل عقارات متورط. لا تريد التحدث عن ذلك، أليس كذلك؟»

تمتم وابتلع بضع كلمات بذلت جهدي لسماعها، لكنني لم أفصح. ثم اتخذ قراره وقال بوضوح: «لا. حسناً، لديك ما يكفي يا تشارلز».

قلت: «نعم لديّ ما يكفي».

«كن راضياً، يا تشارلز».

«أنا راضٍ».

«لديك ما يكفي. لا تكن طماعاً».

في الواقع، ما كان عندي كان أكثر من كافٍ. ولكن لا يوجد شيء مثل معرفة الحقيقة كاملة. لو كنت قد عرفت بطريقة ما أنه في غضون أيام قليلة، ستأخذ الحالة الصحية لفرانك شيران مثل هذا المنعطف الدرامي وتصبح في غاية السوء ربما تابعت

ذلك. لكنني عرفت بينما كنت أدقق في الأمر أنه أخبر صهره مايك. ليست هناك معلومات عن هذا الأمر، ما لم يكن مكتب التحقيقات الفدرالي يمتلك وثيقة عنه، وينشر ملفه.

يبدو لي على الأرجح أن المنزل كان معروضًا للإيجار في عام 1975، بسبب تقدم مالكته في السن، وهي امرأة وحيدة اشترت المنزل في عام 1925. ربما عمل سمسار العقارات كوكيل إيجار وكان لديه المفتاح. وربما كان السمسار ببساطة هو صديق المرأة المسنة وكان لديه المفتاح. وربما وُضعت أمام المنزل لافتة تحمل كلمة «للبيع». على أي حال، يمكن أن يفسر وجود سمسار عقارات الأمر أكثر من وجود المفتاح. ويمكن أن يفسر سبب شعور المخططين للعملية بالاطمئنان إلى حد سماحهم للأشخاص بركن سياراتهم في الممر. إذا كان معروضًا للإيجار أو للبيع، فسيكون من الطبيعي أن يركن الغرباء سياراتهم في الممر ويدخلوا إلى المنزل.

توفي فرانك شيران بعد ستة أسابيع من تلك المقابلة. خلال تلك الفترة، كنت أذهب أنا وزوجتي بسيارتنا في رحلة تستغرق ثلاث ساعات من منزلنا لزيارته مرة واحدة على الأقل في الأسبوع، وزرته بمفردي عدة مرات في الأسبوع. كان رأسه منحنيًا في أثناء المقابلات وكان بالكاد يستطيع النظر إلى الأعلى، لكنه كان يبتسم ابتسامة عريضة عندما يسمع أصواتنا. كان يسمح لي بأن أقدم له قليلًا من الشراب المثلج الإيطالي وكان يحتسيه بواسطة قسبة كانت تجلبها زوجتي من أجله، لكنه في الأساس كان عاجزًا تمامًا. كان يرفض أن يأكل. لقد رأيته آخر مرة في

6 ديسمبر 2003. زرتة أنا وابن زوجتي، تريب. وأخبرته بأنني سأذهب إلى أيداهو وسوف أراه بعد حلول العام الجديد. كانت آخر كلماته التي تتم بها لي هي: «لن أذهب إلى أي مكان».

تلقيت مكالمة من ابنته دولوريس في ليلة وفاته، 14 ديسمبر 2003. كان ذلك هو اليوم الذي أسرف فيه الجنود الأمريكيون صدام حسين. عندما سمعت عن القبض على صدام كان أول ما خطر على بالي أنني تساءلت ما رأي فرانك في ذلك. كان دائماً يتابع آخر الأخبار. عندما حدثت قصة كولومباين<sup>(38)</sup> وكانت الشرطة تنتظر خارج المدرسة بينما استمر القتل في إطلاق النار في الداخل، قال لي فرانك: «ماذا ينتظر رجال الشرطة هؤلاء؟ ليطلبوا من ستة منا أن نأخذ دبابة وسوف يرون كيف سنقتحمها». كان يتحدث بروح الجندي. عندما حُكم على توم كابانو المحامي من ولاية ديلاوير بالإعدام لقتله صديقه وإلقاء جسدها في البحر عندما حاولت قطع علاقتهما الرومانسية، قال شيران: «لا يجب أن تقتل شخصاً بسبب شيء من هذا القبيل. إنها لا تريدك بعد الآن، وما عليك سوى أن تتركها». كان هذا حديث خبير في هذا الموضوع. عندما تعرضت سفاراتنا في إفريقيا لعدد من التفجيرات في أواخر التسعينيات وكان هناك رجل يُدعى أسامة بن لادن يشتبه في أنه كان وراءها، وقلت له: «عليهم إيجاد ذلك الرجل. أنا متأكد من أنه فعل ذلك». حينها

---

(38) مذبحة ثانوية كولومباين وقعت يوم الثلاثاء 20 أبريل 1999، في مدرسة كولومبين العليا. قام الطالبان إريك هاريس وديلان كليبولد، بقتل مدرس واحد و12 طالباً. (المترجم).

تحدث أسطورة رجال العصابات قائلاً: «إذا لم يفعل ذلك، فقد فكر في القيام بذلك». وكان ذلك جيداً بما فيه الكفاية. أشار خبر نعيه الذي نشر في صحيفتي فيلادلفيا إنكوايرر وفيلادلفيا ديلي إلى حقيقة أن فرانك شيران كان مشتبهاً فيه منذ فترة طويلة في قضية اختفاء هوفبا.

طرت عائداً من أجل حضور الجنازة، وشاهدت رجلاً ينحني فوق النعش ليقبل جبين فرانك. قال إنه يعلم أنني أكتب كتاباً عن فرانك. كانت ابنته مدبرة منزل فرانك، وكانت ترانا نعمل معاً جالسين تحت الشمس في فناء منزل فرانك. قال إنه كان زميلاً لفرانك في زنزانته في سجن ساندستون «هل يمكنك أن تتخيل أنني كنت أملك مساحة صغيرة في زنزانية صغيرة مع هذا الرجل الصالح؟»

قلت له: «لقد كان يعاني كثيراً في سجن ساندستون»، وكنت أعني تأثير البرد على مرض التهاب المفاصل الذي كان يعاني منه.

هو من جلب ذلك لنفسه. لم يكن يسمح لأحد أن يعامله بشكل سيئ أو يعتدي عليه. لم يستطع قط أن يبقى فمه مغلقاً. ذات مرة أخبرني بأن شخصاً يعمل في مفسلة السجن لم يعامله جيداً. طلب مني أن أجعل الرجل يقترب من الجدار، حينها ترك عكازتيه وبدأ يوازن نفسه باتجاه الجدار وبدأ يلکم الرجل ويضربه. قلت له: «يكفي، دعني ألكمه نيابة عنك». انتهى بي الأمر إلى أن أقضي خمسة أشهر في الحبس الانفرادي. بسبب تلك الضربة. لم يكن عليّ أن أكون في السجن أصلاً. حتى فرانك قال ذلك.

لقد أرادوا أن يوقعوا بمساعد أنجيلو، مساعده في نيو جيرسي، وكان عليهم أن يحيكوا مؤامرة ليرموا بي هنا. ليس الأمر أنني لم أفعل شيئاً. لقد قيدت الرجل وضربته عدة مرات، لكنه كان يستحق ذلك. ومع ذلك لا يجب أن يحكم عليك بالسجن خمسة عشر عاماً».

فقلت: «لقد ضايقوا فرانك بشكل كبير أيضاً، لأنهم كانوا يحاولون الضغط عليه في قضية هوبا».

«صحيح. كان قد صدر كتاب بعنوان «نقابة سائقي الشاحنات». كنت أصعد إلى السرير العلوي لقراءته، ويكون فرانك في الأسفل. كنت أناقشه في أشياء مثل «لماذا نقلت الجثة إلى نيو جيرسي، ألم يمكنك التخلص منها في ديترويت؟» فكان يرد عليّ: «ما هذا الذي تقوله؟» وهكذا كانت تقبع في السجن شخصية تصلب عودها وأصبحت أكثر فتكاً تعود لفرانك شيران، ذلك التلميذ المتمرد الذي وضع قطعة جبن ليمبرغر في جهاز التدفئة في المدرسة وكسر فك المدير بلكمة بالضربة القاضية. وكما قال مراراً وتكراراً في شريط الفيديو الأخير: «منحني الخالق ثلاثة وثمانين عاماً من العذاب وهزمت فيها بعض الأشخاص. هذا كل ما فعلته».

في شريط الفيديو الأخير هذا، ذكرته بتلك الحادثة التي جرت، في حضوري، حينما رد على مراسل إعلامي سألته عما إذا كان يشعر بأن حياته كانت مثيرة فقال أنها لم تكن مثيرة، لكنها كانت «صارمة». «وقد أعرب عن ندمه تجاه أجزاء من حياته، وأخبر الرجل أنه كان بعد أن يفعل شيئاً، يتساءل مع نفسه عما

إذا كان «فعل الشيء الصحيح أم لا». على الرغم من أنه لا يظهر في الفيديو، فقد أنهى حديثه مع الرجل بقوله، «إذا فعلت كل الأشياء التي يزعمون أنني فعلتها وكان عليّ القيام بها مرة أخرى، فلن أفعلها».

بعد تذكيره بتلك المحادثة قلت له: «أنت تعيش في سلام الآن يا فرانك، وهذا هو الأمر المهم».

كان ينظر وهو في سريريه إلى صورة تجمعته مع جيمي هوفما التقطت في حفل تكريمه.

ثم قال: «سنظل نسترجع الماضي ما دمنا على قيد الحياة، أليس كذلك؟»

قلت: «بلى، إنه كذلك».

«من يستطيع... من يستطيع... من يمكنه... من كان يمكنه أن يتخيل أنه سيرانا نتحدث أنا وأنت هنا اليوم؟»

## الخاتمة

نشرت في طبعة الغلاف الورقي الأولى عام 2005.

«سمسار مكتب عقاري» جعلتني هذه الكلمات الثلاث الصغيرة أشعر بقشعريرة عندما صوّرت شريط فيديو لذلك الرجل الأيرلندي المهم للمرة الأخيرة. كان تسجيل ذلك الشريط أمراً شكلياً، ووسيلة للتأكيد، ويشبه وضع توقيع على الاعتراف الذي كان موجوداً بالفعل على شريط صوتي. لم أتوقع أن يدلي بالمزيد من الاعترافات خلال تلك الجلسة. ولكن، وكما قالت فيما بعد سارة إحدى شخصيات روايتي «الحق في البقاء صامتاً»، المستندة إلى التحقيقات التي أجريتها وأدت إلى حلّ ألغاز عدد من الجرائم الكبيرة: «الاعتراف هو إحدى ضروريات الحياة، مثل الطعام والمأوى. يساعد على تخليص الدماغ من فضلات الروح». عندما حاولت الحصول على مزيد من التفاصيل حول ذلك «السمسار العقاري» من شيران رفض ذلك الأمر، ولم يسمح بالتحقيق فيه. كانت عدم رغبة شيران في إدلاء المزيد من المعلومات نابعة من معتقداته الإيمانية الراسخة. لقد اعترف من أجل تخفيف ذنبه وإنقاذ روحه، لكنه لم يرغب قطّ في أن يقول عليه أحد إنه واثق. كان شيران يقول كلمة «واش» بازدراء كبير في سياق المحادثات العادية التي قمت أنا وشريكي بارت دالتون بتكييفها لاستخدامها في أعمالنا القانونية.

بينما كان شيران يكره الوشاة ولا يريد أن يكون واحداً منهم، لم يكن يحمل أي ضغينة تجاه جون فرانسيس (ذو الشعر الأحمر)

الذي مات بسبب السرطان ولم يكن يرغب في الموت داخل السجن، وورط نفسه وشيران في قتل سالفاتور بريغوليو (سالي باغز) وجوزيف غالو (جوي المجنون). لأن فرانسييس قد ورط نفسه بالفعل، فما كان على شيران سوى أن يؤكد تورط فرانسييس. لكن الأمر يتطلب الكثير من المهارة والعمل الجاد لجعل شيران يشير ضمناً إلى اشتراك ذلك الرجل الميت في أي شيء لم يكن الرجل مشتبهاً في القيام به من قبل. غالباً ما تحدث شيران عن أن عائلته، وكذلك بناته، بحاجة إلى حمايته من الدعاية السيئة. قال لي شيران: «لديك ما يكفي يا تشارلز.... كن قنوعاً يا تشارلز. لديك ما يكفي. لا تكن طماعاً».

في اليوم التالي صلينا معاً، ثم توقف عن الأكل. كان الرجل الذي «كان يطلي المنازل» وأنهى حياة أكثر من عشرين رجلاً آخرين -دون احتساب أولئك الذين قتلهم في الحرب- قد حسم أمره. وبالتالي فإن عبارة «سمسار عقاري» لن تكون أكثر من زلة لسان مثيرة للاهتمام.

إلى أن جاء أحد الأيام في خريف عام 2004، عندما تحدثت عبر الهاتف إلى جو كوفي المحقق المتقاعد في قسم شرطة مدينة نيويورك، الرجل الذي حلّ لغز الجرائم التي كان يقوم بها القاتل ابن سام<sup>(39)</sup> والجرائم التي وقعت في ساحة القديس بطرس في الفاتيكان، إلى جانب عدد لا يحصى من القضايا الأخرى البارزة، وشارك في تأليف كتاب ملفات كوفي. جمعنا

---

(39) في منتصف السبعينيات ارتكب ديفيد بيركويتز المعروف باسم ابن سام سلسلة جرائم عنيفة. (المترجم).

صديق مشترك، هو إد دي. كاتب روايات الغموض ومحقق شرطة نيويورك المتقاعد. وعلى الرغم من أن كوفي كان لديه اطلاع على رجال العصابات، لم يسمع قط بجون فرانسيس. وقال إنه سوف يتحقق من شخصيته مع أحد رجال المافيا الذين يثق بهم، والذي كان لا يزال فردًا في العائلة التي كان يرأسها بوفالينو سابقًا. لم أتحدث كثيرًا لكوفي عن جون فرانسيس لأنه كان موجودًا بالفعل في كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل» لذا أرسلت له نسخة.

اتصلت بجو في فبراير 2005. لم يكن قد قرأ الكتاب بعد. قال جو: «لكن، لقد بحثت عن هذا السمسار العقاري. وجدت، وكما أخبرتني، إنه كان قريبًا جدًا من راسل بوفالينو». «أي سمسار عقاري؟»

«ما اسمه؟ السائق. لم يكن مجرد سائق. كان شخصًا مهمًا في مجال عمله. كانت لديه رخصة لتجارة العقارات. وحصل منها على ثروة كبيرة. كان قريبًا جدًا من بوفالينو وشيران. ربما كان قد قاد سيارة بوفالينو ليوصله، لكنه لم يكن يعمل سائقًا بحد ذاته».

«جون فرانسيس؟ ذو الشعر الأحمر؟» «جون فرانسيس. نعم، إنه هو. إنه سمسار عقارات وأعماله مزدهرة في هذا المجال وثري جدًا». أصابتنى قشعريرة. تلك القشعريرة التي أصابتنى وأنا مدعٍ عام شاب جاءت عندما كانت حقيقة معينة تؤدي إلى المزيد من الحقائق، ندفة تلج تتساقط فوق ندفة تلج أخرى حتى يحدث انهيار جليدي.

في عام 1972، بناء على أوامر من بوفالينو، كان فرانسيس

هو من قاد السيارة عندما قام شيران بقتل غالو. في عام 1978، ومرة أخرى بناء على أوامر من بوفالينو، أطلق فرانسيس النار أيضاً إلى جانب شيران عندما أطلق النار على بريغوليو. هل هناك أي احتمال أن هذا العضو في هذه المجموعة المؤلفة من ثلاثة أشخاص مقربين جداً من بعضهم وهم بوفالينو وشيران وفرانسيس يتم استبعاده ولا يقوم بدور ولو صغير في حادثة هوبا في عام 1975؟ يمكن أن أفترض أن هناك إمكانية لحدوث ذلك. ولكن، هناك شيء واحد نعرفه الآن هو أن جون فرانسيس كان «سمساراً عقارياً»، ولم يكن مغموراً، بل كان «سمساراً عقارياً» ثرياً، وهو من نوع الرجال الذين كان يجب أن تكون لديه اتصالات متعددة وواسعة.

بعد صدور الطبعة الأولى من كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل» في عام 2004، تعقب مراسل صحيفة ديترويت ابن مالك المنزل الذي أطلق فيه شيران النار على هوبا. كانت تملك هذا المنزل امرأة متوفاة الآن.. اشترته عام 1925 وباعته عام 1978، بعد ثلاث سنوات من اختفاء هوبا. قال ابنها للمراسل إن والدته تركته قبل عدة أشهر من حادثة القتل وتركت فيه رجلاً أعزب، وصفه الجيران بأنه «غامض»، استأجر غرفة في المنزل. هل هناك علاقة تربط «السمسار العقاري» جون فرانسيس بالسمسار العقاري غير المشكوك فيه في ميشيغان، وبهذا المستأجر الغامض؟

فكرت أنه سيكون من المفيد قراءة ملف مكتب التحقيقات الفدرالي لمعرفة ما مذكور فيه، هذا إذا كان فيه أي شيء، حول دور

جون فرانسيس المحتمل في اختفاء هوبا . في عام 2005 ، قدمت طلباً وفق قانون حرية المعلومات للاطلاع على ملف فرانسيس والآخرين، بما في ذلك شيران، وإخوة أندريتا، وبريغوليو، وتشاكي أوبراين. وإذا كان ذلك ممكناً، فقد أردت أيضاً تأكيد دور بريغوليو كمخبر سري لمكتب التحقيقات الفدرالي. لكنني كنت أتوقع أن أحرز نجاحاً ضئيلاً في طلبي الذي قدمته كما هو حال الطلب الذي قدمته عائلة هوبا وصحيفة ديترويت. وعلى الرغم من أن العملاء الفرديين هم من الدرجة الأولى، فإن مكتب التحقيقات الفدرالي وباعتباره مؤسسة حكومية يتصرف في بعض الأحيان مثل وكالة علاقات عامة مسلحة أكثر من وكالة خدمة عامة. أدركت أن مكتب التحقيقات الفدرالي سوف يكون محرّجاً جداً من الكشف عن أن بريغوليو كان مخبراً لديه وأنه لم يحمه. وكما قال كينيث والتون، الذي رأس مكتب التحقيقات الفدرالي في ديترويت من 1985 إلى 1988، عن هوبا: « أنا مطمئن لصحة معلوماتي عن من فعل ذلك، لكن لن تتم مقاضاته أبداً بسبب... إن ذلك يجعلنا نكشف المخبرين والمصادر السرية».

إذا انتهى بي الأمر بالحصول على أي من تلك الملفات، الأمر الذي قد يستغرق عدة سنوات، فمن المحتمل أن يغطي الحبر الأسود للرقيب على فشل مكتب التحقيقات الفدرالي في حماية مخبره، ولن يستحق الملف التعب.

ومع ذلك، إذا كان مكتب التحقيقات الفدرالي سيعطي أجزاء ذات صلة من ملفه لمحامي مقاطعة أوكلاند، ديفيد غورسيكا، فلن يمنع عنه شيء. فهو شقيق ضابط إنفاذ القانون الذي سلموا

إليه قضية هوفّا في 29 مارس 2002، وفشلوا فيها، وستكون إهانة إذا قام مكتب التحقيقات الفدرالي بمنعه من الاطلاع على الملف.

لسوء الحظ، على الرغم من تقديم غورسيكا ثلاثة طلبات على الأقل بدءًا من يونيو 2004 للحصول على الأجزاء ذات الصلة من الملف، والتي تتناول شيران وبريغوليو وإخوة أندريتا، لم يكن أي من الأجزاء المطلوبة من ملف مكتب التحقيقات الفدرالي المكون من سبعين مجلدًا وستة آلاف صفحة قد تم تسليمها إلى المدعي العام للمقاطعة. كتب لي غورسيكا يقول: «من الواضح على المستوى المحلي أن هناك شيئًا وراء إحجامهم عن التعاون». تحدث عن «الصور النمطية القديمة عن مكتب التحقيقات الفدرالي»، وقال إنه «يشعر بالغضب». ولكن كل ما يمكنه فعله هو تقديم طلب لهم. نظرًا لعدم وجود هيئة محلفين كبرى قائمة في مقاطعة أوكلاند، طلب غورسيكا أيضًا من المحققين الفدراليين تشكيل هيئة محلفين كبرى لاستدعاء آخر المشاركين الذين حددهم شيران واعتبارهم شهود عيان. وهم تومي أندريتا وتشاكي أوبراين. وقد رُفض هذا الطلب.

قبل صدور الطبعة الأولى من كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل»، تتبعت قناة فوكس نيوز القرائن التي وردت في نسخة أولية من الكتاب. حصلت القناة على إذن من الملاك الحاليين للمنزل الذي اعترف شيران أنه أطلق النار فيه على هوفّا. للسماح لمتخصصي الأدلة الجنائية برش مسحوق اللومينول، وهو مركب كيميائي يكشف وجود أثر الدم وأكسيد الحديد في

الأواح الأرضية في المنزل. كانت الاختبارات إيجابية، وكشفت وجود ثماني قطرات صغيرة للدم في الممر تطابق تمامًا اعتراف شيران. ويمتد خيط الدم المتخلف من الدهليز نحو المدخل المؤدي إلى المطبخ.

لا تخلف طلقتان على مؤخرة الرأس إلا القليل من الدم نسبيًا. على الرغم من أنني كنت أعلم أن متخصصي الأدلة الجنائية الذين استأجرتهم قناة فوكس نيوز شعروا بأن قطرات الدم تلك لا تكفي لإجراء اختبار الحمض النووي. حيث أن ما يقرب من تسعة وعشرين عامًا قد انقضت على الحادث، وأن طبيب الطب الشرعي البارز، مايكل بادن، شعر بأن المكونات البيولوجية لدم هوفنا اللازمة لاختبار الحمض النووي قد تدهأت بسبب العوامل البيئية، وأنه كان هناك «عمال نظافة» للتأكد من عدم ترك أي دم خلفهم، وأنه قد تم رش مسحوق اللومينول على أرضية الدهليز للعثور على أي «طلاء» قد يكون متاثر، وأن الجثة قد حملت في كيس للجثث، إلا أنني تمسكت بالأمل وأحببت الإثارة في الموضوع. وكنت أرغب في إجراء اختبار الحمض النووي لإثبات أن الدم هو دم هوفنا. ربما يتمكن اللومينول من العثور على بضع قطرات من الدم سقطت على الأرض عندما أخرج المنظفون الجثة.

اطلعت إدارة قسم شرطة بلدة بلومفيلد على أجزاء من كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل»، ثم قامت بإزالة أجزاء من الأرضية وأرسلتها إلى مختبر مكتب التحقيقات الفدرالي لمعرفة ما إذا كان يمكن تحديد مصدر الدم بشكل صحيح. في 15 فبراير 2005، أعلن رئيس قسم الشرطة جيفري فيرنر أن مختبر مكتب

التحقيقات الفدرالي وجد دماً لشخص ذكر على الأرض، لكن الحمض النووي في الدم لا يتطابق مع دم هوبا. في ذلك المؤتمر الصحفي، أوضح المدعي العام غورسيكا أنه على الرغم من أن هذا الأمر لم يؤكد اعتراف شيران، إلا أنه لم يدحضه أيضاً.

علق الدكتور بادن، كبير الفاحصين الطبيين السابق في مدينة نيويورك على ذلك قائلاً: إن اعتراف شيران بأنه قتل هوبا بالطريقة الموصوفة في الكتاب مدعومة بالأدلة الجنائية، وهي ذات مصداقية كاملة، وتحل لغز هوبا. لا شيء في هذه الاكتشافات الأخيرة يناقض ذلك الاعتراف والأدلة ذات الأهمية البالغة.

بعد ما يقرب من تسعة وعشرين عاماً، قد يعني العثور على دم شخص آخر، يعود إلى صبي مصاب بنزيف الأنف، أن المنزل استخدمه رجال المافيا في جرائم قتل أخرى، كما كان الحال مع حادثة القتل في منزل عائلة غامبينو الموصوفة في كتاب «آلة القتل» الذي يتحدث عن تلك الأسرة والذي قامت بتأليفه جين ميستين مع جيرى كابسي.

قبل ثمانية أشهر، في منتصف يونيو 2004، تلقيت رسالة غير متوقعة من البروفيسور آرثر سلون، مؤلف كتاب «هوبا»، وهو سيرة ذاتية اعتمدت عليها للحصول على معلومات حول هوبا ونقابة سائقي الشاحنات. على الرغم من أن هذا العمل الذي يعود إلى عام 1991 يقدم نظرية مختلفة عن اختفاء هوبا، فإن سلون كتب بعد قراءة اعتراف شيران: «أنا مقتنع تماماً - الآن - أن شيران كان في الواقع هو الرجل الذي قام بذلك العمل. وأعجبني

أيضاً أسلوب الكتاب السهل ودقته الواقعية في جميع المجالات التي أعتقد أنني مؤهل لإصدار الحكم عليها». عندما اتصلت لأشكره قال لي: «لقد قمت بحل لغز هوف».

عندما عثرت أنا وشيران على المنزل في عام 2002، لم أكن لأنزعج من محاولة الدخول إليه. بصفتي محققاً ومدعياً متمرساً في جرائم القتل، لم أحلم قط بوجود أدلة جنائية بعد مرور ما يقرب من ثلاثة عقود من عملية القتل. وكخبير معترف به في الاستجواب، كنت على يقين من أنني وجدت المنزل -المنزل الذي احترق إلى الأبد في ذاكرة فرانك شيران- ولم أكن أريد أي شخص يتحدى الاعتراف الموجود في هذا الكتاب على أساس أننا رأينا ما حدث في الداخل وتأثرنا به. يقول أصدقائي إن لديّ موهبة خارقة للاستجواب، وكنت على استعداد لاختبار ذلك. دع الأمور تكشف نفسها وحدها.

دخلت المنزل لأول مرة بعد صدور كتابي «سمعت أنك تطلي المنازل» خلال زيارة نظمتهأ له قناة فوكس نيوز. كان مالك المنزل، ريك ويلسون، وزوجته، وأحد أبنائهم حاضرين. (خلال زيارتنا، عرفني ويلسون وابنه على أنني الرجل الذي كان خارج منزلهم في عام 2002 وكان يلتقط الصور التي تظهر في هذا الكتاب).

فتحت الباب الأمامي ودخلت الدهليز الصغير. بمجرد دخولي انتابتنى تلك القشعريرة القديمة التي أشعر بها كمحقق جرائم قتل عندما أرى مسرح جريمة قتل، ليزيد من فهمي لأبعاد الجريمة. كان شيران قد وصف وجود دهليز «صغير»، وكتبت أنا في

الكتاب كلمة «صغير». لكن هذا الدهليز كان صغيراً جداً، وكأنه بالفعل أخذود ضيق. أصبح من الواضح على الفور أن الشخص الوحيد الذي كان يمكن أن يقتل جيمي هوفاً هو الرجل الذي أحضره، وكان لا يمكن أن يدخل هوفاً هذا المنزل الغريب إلا مع صديقه، أحد رجال هوفاً المخلصين فرانك شيران. لم يكن هناك مهرب من هذا الدهليز لجيمي هوفاً.

مباشرة أمام الدهليز على اليسار رأيت الدرج الذي يؤدي إلى الطابق الثاني. كان الدرج قريباً جداً لدرجة أنه أعطى مظهراً أنه يزاحم الدهليز، وقد حجب منظر المطبخ ومعظم الرواق. وفيه اختفى المنظفون. وكان يحجب تماماً الباب الخلفي حتى لا يستخدمه أحد كخيار للهروب. وحيث لم يكن هناك وقت للتفكير، فإن السبيل الوحيد الذي حاول به جيمي هوفاً الخروج، كان لا بد أن يكون من نفس الطريق الذي دخل به.

على يمين الدرج كان هناك رواق طويل يؤدي إلى المطبخ. على الجانب الأيمن من الرواق كانت هناك غرفتان: غرفة المعيشة ثم غرفة الطعام. في نهاية الرواق كان هناك ذلك المطبخ الذي نُقلت جثة جيمي هوفاً من بابه الخلفي في كيس الجثث لكي توضع في صندوق السيارة وأخذها لتُحرق في ما وصفها شيران بـ «المحرقة».

كُشف الداخل الآن على وجه التحديد كما وصفه شيران لي وكما ذكرته في الكتاب. باستثناء تفصيل واحد مهم. لم يكن هناك باب خلفي خارج ذلك المطبخ. شعرت حينها بالإحباط. قلت لمراسل فوكس نيوز إريك شون: «لقد أخبرني شيران بأن جثة هوفاً قد أخرجت من باب خلفي».

قال: «انظر، يوجد باب جانبي على اليسار في أعلى الدرج يؤدي إلى القبو، وآخر أثر للدم ينتهي في الصالة قبل الدرج المؤدي إلى القبو مباشرة. لا بد أنه قصد هذا الباب».

«لا، لقد قال يوجد باب خلفي. في نهاية الردهة ومن خلال المطبخ ويؤدي إلى الفناء الخلفي. باب خلفي. هذا الباب يؤدي إلى الممر الذي بجانب المنزل. إنه باب جانبي».

ذهبت إلى غرفة المعيشة وسألت ريك ويلسون عمًا إذا كان هناك باب خلفي يؤدي إلى الفناء الخلفي من خلال المطبخ. قال: «قمت بسد ذلك الباب الخلفي عام 1989 عندما قمت بتجديد المنزل. احتفظت بذلك الباب الخلفي الذي لا يزال موجوداً في مرأبي». أصابتني القشعريرة مرة أخرى. وتساقطت ندفة ثلج أخرى فوق ندف الثلج السابقة.

تعتمد السلطات القضائية في بعض الولايات، على الاعتراف الموثوق به فحسب لكي تقرر الإدانة. في حالات أخرى، يجب أن يكون هناك دليل واحد من الحقائق المؤيدة للاعتراف. في هذه القضية سبق أن كان لدينا دليل حصلنا عليه في عام 1999، حين اعترف لي شيران أنه استدرج هوفاً ليصعد إلى سيارة الميركوري الحمراء الداكنة ويجلس في المقعد الخلفي، على الرغم من أن هوفاً كان يصبر دائماً على الجلوس في المقعد الأمامي. وقد نفى سائق السيارة، تشاكي أوبراين نجل هوفاً، أن هوفاً كان في تلك السيارة واجتاز اختبار كشف الكذب.

في 7 سبتمبر 2001، أعلن مكتب التحقيقات الفدرالي أنه أزال بعض الشعر من مسند الرأس في المقعد الخلفي للراكب الذي

كان يجلس في الخلف وحافظ عليه خلال كل هذه السنوات إلى أن أُخضع إلى اختبار الحمض النووي وكان بالفعل شعر هوفّا. كان اعتراف شيران وإثبات الطب الشرعي أكثر من كافيان لإدانة شيران. لقد حكمت بالإعدام على أربعة رجال مع أدلة أقل من تلك التي جمعتها ضد شيران إضافة إلى ما اعترف به هو بنفسه. ومن المثير للاهتمام، أن شهادة أوبراين لم يؤخذ بها بالكامل من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي. من وجهة نظري، فقد أكدت هذه الشهادة أيضاً اعتراف شيران. أخبرني شيران أن أوبراين كان مغفلاً وساذجاً وكان يعتقد حقاً أنه سيأخذ هوفّا إلى اجتماع لزعماء المافيا. ولهذا السبب على الأرجح لم يكن لدى أوبراين شهادة مخططة ومدرّسة جيداً.

حذر إف. إيميت فيتزباتريك محامي شيران، والمدعي العام السابق لفيلا دلفيا، شيران أمامي من أنه سيتم توجيه الاتهام إليه. وناقشّا كيف من المحتمل أن يؤخر الوضع الصحي لشيران الإجراءات ضده.

من بين الرسائل اللطيفة التي تلقيتها بعد صدور الطبعة الأولى من كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل» كانت واحدة من ستان هانترتون، وهو محام في لاس فيغاس. وقد قام بصفته مساعد محام أمريكي شاب في ديترويت في عام 1975، بصياغة مذكرة تفتيش سيارة الميركوري الحمراء الداكنة ونجح تماماً في أن يقيم الحجة ضد طلب محامي زعماء المافيا بإعادة الشعر وأي شيء آخر تم العثور عليه في السيارة إلى مالك السيارة. (فقلت لنفسني: عمل جيد يا ستان، يمكن الحفاظ على هذا الشعر حتى

تتمكن أدلة الحمض النووي من تبيان الحقيقة). قدم لي ستان في رسالته تلك التهنئة لحصولي على «أول اعتراف بشأن اغتيال» جيمي هوفّا.

في فبراير 2002، بعد خمسة أشهر من إعلان مكتب التحقيقات الفدرالي العثور على الحمض النووي لهوفّا في خصلة الشعر، بحثت أنا وشيران عن المنزل الذي جرت فيه حادثة القتل وعثرنا عليه. كان هذا الاكتشاف تأكيداً إضافياً على اعتراف شيران. كان موقع المنزل وملامحه الخارجية كما وصفها شيران. وحين كان الكتاب معروضاً في متاجر الكتب، تبين أن الجزء الداخلي للمنزل كان كما وصفه شيران أيضاً. أضف إلى ذلك، نعلم الآن أن مالكة المنزل كانت تعيش في وقت إطلاق النار في مكان آخر. كان وجوده في البيت بمفرده يجعل من الأسهل التخطيط فيما إذا كانت تسكنه عائلة مليئة بالأفراد الذين يأتون ويذهبون. كانت ندفات الثلج تتجمع الواحدة فوق الأخرى. كانت أمامنا المزيد من نوبات القشعريرة، ولم تصبني وحدي. كان الانهيار الثلجي على وشك أن يبدأ.

اعترف شيران أنه دخل في عام 1972، وبناء على أوامر من بوفالينو، إلى مطعم أمبرتو كالم هاوس في حي ليتل إيتالي في نيويورك بمفرده، وبإطلاق رصاصتين من مسدسه في المكان، قتل «الفتى اليافع» جوي غالو المجنون. لقد استجوبت شيران بشكل مكثف حول هذه «المسألة». كانت القصة السائدة، هي المستمدة من أقوال المخبر جو لوباريللي، حيث ذكر أن ثلاثة إيطاليين مرتبطون بعائلة الجريمة المنظمة التي يتزعمها كولومبو

والتي كان ينتمي إليها طاقم العاملين مع غالو المتمرد -وهم كارمين «سوني بينتو» ديباسي وشقيقان معروفان فقط باسم سيسكو وبينني- كانوا يقفون في الشارع عند المطعم الصيني. رأى لوباريلي غالو يصل إلى مطعم أمبرتو. ثم توجه لوباريلي إلى المطعم الصيني والتقى الرجال الإيطاليون الثلاثة. قال لهم إن غالو في مطعم أمبرتو. أعلن سوني بينتو بتهور أنه سيقتل غالو، حيث كان بينهما عقد «لم يلتزم» به غالو. أخبر بيني وسيسكو أن يحضرا أسلحتهما، وعندما عادا بها اقتحم الإيطاليون الثلاثة باب مطعم أمبرتو الجانبي الذي يطل على شارع مولبري، انطلقت النيران من الأسلحة كما لو كان مشهداً من حادث في عز الظهيرة في مبنى أو. كيه. كورال<sup>(40)</sup>. أصاب أفراد العصابات الإيطاليون الثلاثة حارس غالو الشخصي، بيت ديابولوس، في ردفه وقتلوا غالو في أثناء فراره.

بعد أن استنفدت كل مهاراتي في الاستجواب مع شيران، كنت مقتنعاً بأنه على الرغم من أن اعتراف شيران يناقض كل ما تحدثت عنه الكتب والأفلام وكل المصادر الموجودة على الإنترنت، فقد كان يخبرني بالحقيقة حول قتل جوي المجنون، وقد ذكرته أنا في الكتاب مثل كل شيء آخر اعترف لي به. بدا لي أن لوباريلي كان يقدم معلومات مضللة لمكتب التحقيقات الفدرالي وللجمهور. ربما كان لديه بعض الدوافع الشخصية أو

---

(40) حادث شهير لتبادل إطلاق النار استمر لمدة 30 ثانية بين رجال قانون وأعضاء مجموعة غير منظمة من الخارجيين عن القانون جرى في عام 1881 وكان أشهر تبادل لإطلاق النار في تاريخ الغرب الأمريكي. (المترجم).

مكاسب شخصية لأن يسوّق هذه القصة للسلطات، ربما كان يدين بالكثير من المال الذي لم يتمكن من دفعه وكان بحاجة إلى أن ينهي الأمر. على الأرجح فإن لوباريللي وبناء على أوامر صدرت إليه، كان يحوّل اللوم بعيداً عن رؤساء المافيا الذين أمروا بعملية القتل وأقرّوها في حال كان طاقم رجال غالو يفكر في الثأر من عائلة جينوفيزي أيضاً، وليس من عائلة كولومبو، التي سبق لطاقم رجال غالو أن دخل في نزاعات معها أصلاً.

كان شيران قد أخبرني منذ فترة طويلة أنه لا توجد عصابة مرتبطة بزعيم واحد تقوم بعملية قتل في منطقة رئيس آخر دون موافقة صريحة منه. على سبيل المثال، لم يكن من الممكن قتل هوفّا في إقليم ديترويت دون موافقة كل من رئيس عائلة ديترويت ورئيس عائلة شيكاغو، حيث كانت تتداخل أراضي شيكاغو مع ديترويت. في الجنوب، كان كارلوس مارسيلو يدير عصابة محلية ضيقة لدرجة أنه لم يكن يسمح لعصابة من عائلة أخرى بزيارة نيو أورليانز دون موافقته الصريحة، ناهيك بالسماح له بقتل أحد ما هناك.

كان مطعم أمبرتو كالم هاوس مملوكاً لشخص ذي منصب رفيع المستوى هو ماتي إيانيلو الملقب بـ«الحصان» وهو زعيم عائلة جينوفيزي، الذي كان في المطعم في وقت إطلاق النار. كان إيانيلو أحد المدعى عليهم مع شيران ضمن قائمة كبار الشخصيات الست والعشرين من رجال المافيا في دعوى ريكو المدنية الخاصة بقانون المنظمات التي تقوم بعمليات فساد وابتزاز التي رفعها رودي جوليانى بعد بضع سنوات. من الواضح

أن عائلة جينوفيزي، على الأقل، إن لم يكن إيانيلو شخصياً، كان عليها أن توافق على حادثة القتل في مطعم إيانيلو. ما لم يكن هناك بعض التصرفات الاندفاعية المجنونة وغير المأذون بها، فإن أعين طاقم رجال غالو، الذي أصبح يقوده حينها شقيقه ألبرت غالو الملقب بالصبي الغاضب، ستضيق الخناق على إيانيلو وعائلة جينوفيزي. كان من المعروف جيداً أن عائلة بوفالينو قامت بالكثير من العمل مع عائلة جينوفيزي، وهي العائلة التي كانت تضم توني برو. وهكذا أخبر لوباريللي السلطات وذكر في أحد الكتب أنه «شيء مفاجئ جداً».

على أي حال، لم يتم القبض على أي من الإيطاليين الثلاثة بتهمة قتل غالو بناءً على معلومات لوباريللي، لأن معلوماته لم يتم تأكيدها بتفصيل واحد. في الواقع، لم تُحدد هوية «بيني» و«سيسكو» فيما بعد.

بعد صدور كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل»، تمت الإشارة إلى أن إطلاق النار على جوي غالو المجنون قد نُفذ من قبل مسلح واحد، وليس من قبل ثلاثة مسلحين، في مقال نشر على موقع غانغ لاند Gang Land المختص بأخبار وقضايا عصابات الجريمة المنظمة كتبه المؤلف جيرى كاييتشي، الذي دقق الروايات الإخبارية الأصلية لحادثة غالو. وباعتباره كان مراسلاً شاباً لصحيفة نيويورك بوست، قال كاييتشي إنه «قضى بضع ساعات في مطعم أمبرتو كالم هاوس في شارع مولبري في حي مانهاتن السفلى خلال الساعات الأولى من صباح 7 أبريل 1972». وكتب كاييتشي يقول إن آل سيدان، رئيس المباحث الأسطوري

لشرطة نيويورك، خرج من المطعم وأعلن للصحفيين أن كل تلك المذبحة كانت من عمل شخص مسلح واحد.

كتب كاييتشي في الطبعة الثانية من كتابه «دليل الأغبياء الكامل إلى عصابات المافيا»، الذي نشر في عام 2005، إذا أجبرت على اختيار شخص للإجابة عن سؤال: من الذي قتل غالو؟ سأقول أن فرانك شيران قام بذلك العمل». أما بالنسبة إلى هوبا، فقد كتب: «إن رواية شيران تبدو أنها الحقيقة».

من حسن حظي أنني تلقيت اتصالاً هاتفياً من إيريك شون من شبكة فوكس نيوز. كان قد علم استناداً إلى معلومة جاءته من مراسل إخباري مخضرم في القناة، عن وجود شاهد عيان على حادثة إطلاق النار على غالو. كانت صحيفة محترمة في نيويورك تايمز أرادت أن تبقى مجهولة الهوية. اتصل بها، واعترفت له بأنها كانت هناك وشهدت إطلاق النار. قال: «ما فهمته أن هناك ثلاثة أشخاص إيطاليين دخلوا المطعم وبدؤوا بإطلاق النار». قالت: «لا، لقد كان مسلحاً واحداً». ولفت انتباهها إلى موقع الكاتب كاييتشي على الإنترنت وإلى صورة بحجم طابع البريد لشيران التقطت في أوائل السبعينيات، في نفس وقت حادثة غالو تقريباً، وهي نفس الصورة التي تظهر في هذا الكتاب. فقالت، «يا إلهي، لقد رأيت هذا الرجل من قبل. يجب أن أحصل على هذا الكتاب». توجه شون على الفور من مبنى قناة فوكس نيوز في الشارع السابع والأربعين إلى مبنى صحيفة نيويورك تايمز في الشارع الثالث والأربعين وسلمها نسخة.

رويت هذه القصة لتيد فيوري، وهو صديق لي وموظف متقاعد من قناة سي بي اس فقال لي: «أنا أعرفها. كانت أفضل طالبة دراسات عليا في جامعة كولومبيا. إنها فتاة رائعة وذكية جداً وصحفية رائعة ونزيهة. سأتصل بها».

تناولنا نحن الثلاثة العشاء في مطعم إلين في نيويورك. على الرغم من أن العديد من الأشخاص المقربين من هذه الشاهدة في مهنتها يعرفون عن تورطها في «الأمر»، فإنها أخبرتنا بأنها تصر على إخفاء هويتها. رسمت لنا شاهدة العيان رسماً تخطيطياً للمشهد، بما في ذلك مكان طاولتها في أثناء حادثة غالو، وقال: «كانت هناك الكثير من الطلقات في تلك الليلة، وسمعت تلك الطلقات لفترة طويلة بعد ذلك». وأكدت أن ذلك فعلاً كان عمل مسلح واحد، «ولم يكن إيطالياً، هذا أمر مؤكد». وصفته بأنه رجل أيرلندي يتناسب مع الوصف العام لفرانك شيران وخصائص وجهه وطوله وبنите وعمره التقريبي في ذلك الوقت. قلبت مجموعة من الصور التي كانت معي، بما في ذلك صور لأفراد العصابات الآخرين، وعندما شاهدت نسخة مكبرة من صورة بالأبيض والأسود لشيران التقطت في وقت إطلاق النار على غالو، قالت: «مثلما أخبرت إريك شون على الهاتف، لقد مر وقت طويل، لكنني أعرف ذلك جيداً. لقد رأيت هذا الرجل من قبل». ورداً على سؤالي قالت: «لا، ليس من صوره في الصحف. لقد رأيته بلحمه ودمه من قبل». عرضت عليها صور بالأبيض والأسود لشيران وهو أصغر سنًا، فقالت: «لا، إنه هنا صغير جداً». وهو أكبر سنًا، فقالت: «لا، إنه هنا عجوز جداً».

ثم نظرت مرة أخرى إلى صورة شيران التي التُقطت في وقت  
حادثة غالو تقريبًا، وقالت بخوف واضح: «هذه الصورة تجعلني  
أشعر بقشعريرة».

كان اللقاء في مطعم إلين وديا أكثر منه عشاء عمل. بدا تيد  
وشاهدة العيان شخصين مألوفين.

جلست إلين كوفمان عند طاولتنا وأخبرتنا بأن غالو اعتاد أن  
يزور مطعمها مرات عديدة مع الممثل جيري أورباخ، الذي لعب  
دور غالو في فيلم «العصابة التي لا يمكنها إطلاق الرصاص»،  
وزوجة أورباخ في ذلك الوقت، مارتا. تعاقدت مارتا مع إحدى دور  
النشر لكتابة سيرة حياة غالو. قالت إلين إن غالو كان دائمًا ما  
يوجه لها ما سمته «غمزة». وبينت كيف يقوم بذلك. قالت إنه كان  
يحدق مباشرة إلى عينيها كلما تحدث معها عن متاعب امتلاك  
مطعم، وكان من الصعب الابتعاد عنه أو عن نظراته.

مثل جميع المطاعم، فإن الإضاءة في مطعم أليين كانت  
خافتة. أردت إجراء مقابلة رسمية مع شاهدة العيان بمفردنا وأن  
أسجلها على شريط، وأريها الصور في إضاءة أفضل وأعرض لها  
مقطع فيديو لشيران بالألوان، «بلحمه ودمه». أردت أن أشير إلى  
الأشياء التي قرأتها والتي تتعارض مع اعتراف شيران. بسبب  
جداول أعمالنا المزدحمة مرت تسعة أشهر قبل أن ألتقيها في  
منزلها في منطقة نيويورك. أحضرت مجموعة الصور الخاصة  
بي ومقطع الفيديو الذي صورته لشيران في 13 سبتمبر 2000،  
عندما كان في التاسعة والسبعين. على الرغم من أنه كان في  
الشريط أكبر بسبعة وعشرين عامًا عن اليوم الذي جاء فيه إلى

مطعم أمبرتو كالم هاوس، إلا أنه كان ملوناً وكان يظهر فيه شيران «بلحمه ودمه».

بدأت شاهدة العيان تتحدث: «كنت في الثامنة عشرة من عمري في ذلك الوقت، طالبة جديدة في الكلية في شيكاغو. ربما صادفت آنذاك العطلة الربيعية. كنت برقفة صديقة مقربة لي. كنا نزور أحد أشقائنا وزوجته. كانا يعيشان بالقرب من قصر غرايسي<sup>(41)</sup>. ذهبنا إلى المسرح. أعتقد أننا حضرنا عرض مسرحية إيكوس، وربما تجولنا بعدها بالسيارة وشاهدنا بعض المعالم في المدينة. لم يكن أي منا يشرب. كنا قاصرتين، وشقيق صديقتي وزوجته لم يكونا ليشربا عندما يكونان في الخارج. انتهى بنا المطاف إلى أن نذهب إلى مطعم أمبرتو قبل عشرين دقيقة من إطلاق النار.

«من المستحيل أن يكون هناك سبعة أشخاص فقط موجودين إلى جانب الحاضرين لحفلة غالو، على الرغم من أن هذا ما كان يقوله بعض الكتاب. كان المطعم مزدحمًا جدًا في ذلك الوقت من الليل، كان هناك أشخاص يجلسون على أربع أو خمس طاوولات، وشخصان يجلسان في المشرب. ربما غادر بعض الناس بعد أن وصلنا إلى هناك وقبل أن يحدث ذلك، لا أعرف. دخلنا من الباب الأمامي، الذي يقع عند تقاطع شارعي هيوستن وتوتري. لم تكن هناك طاوولات إلى اليسار على جانب شارع هيوستن. كانوا جميعًا أمامك في أثناء دخولك بين المشرب على اليسار وجدار

---

(41) المقر الرسمي لعمدة مدينة نيويورك. (المترجم).

شارع مولبيري على اليمين. جلسنا في الخلف. كان شارع هيوستر قبالتي. جلست صديقتي المفضلة على يميني. وجلس شقيقها وزوجته قبالتنا.

كانا يواجهان الجدار الخلفي والباب الجانبي الذي يطل على شارع مولبيري. أتذكر أن المجموعة المرافقة لغالو كانت تجلس إلى يسارنا بسبب وجود طفلة صغيرة لفتت انتباهي، وبسبب أن والد الفتاة -بحسب ما أذكر- كانت جميلة جداً. إلى جانب الفتاة الصغيرة كانت هناك امرأتان أو ثلاث ورجلان أو ثلاثة رجال. لا أتذكر أنني رأيت وجوه الرجال.

كان طبق طعامنا المؤلف من المأكولات البحرية قد وصل للتو عندما لاحظت رجلاً طويلاً يدخل عبر الباب المطل على شارع مولبيري. كنت أستطيع رؤية الباب بسهولة. كان الباب ناحية ذراعي الأيسر. سار بشكل مائل نحو المشرب، ومشى بشكل مستقيم من أمامي، وكان طوال مسيره في خط رؤيتي المباشر. أتذكر أنني اصطدمت به عندما مرّ من أمامي. أتذكر أنني كنت أعتقد أنه كان مميزاً، طويلاً جداً ووسيماً. توقف عند المشرب ليس بعيداً كثيراً عن طاولتنا. كنت أنظر في طبق الطعام الذي أمامي عندما سمعت الطلقة الأولى. نظرت إلى الأعلى، كان هذا الرجل يقف هناك في مواجهة طاولة غالو وظهره إلى المشرب. لا أستطيع أن أقول أنني أتذكر أنه كان يحمل مسدساً في يده، لكنه بالتأكيد كان هو الشخص الذي أطلق النار. ليس هناك شك في ذلك. كان يقف بهدوء هناك بينما كان الجميع يفرون من المكان.

لم يدرك الأشخاص الذين كانوا مع غالو ما الذي حدث. كان ذلك الرجل هو شيران. وكان هو نفس الرجل الذي في هذه الصورة. حتى في الفيديو يبدو أشبه كثيراً بالملامح التي بدا بها في تلك الليلة، على الرغم من أنه أكبر سنًا في الفيديو. أوه، كان هو. أنا واثقة. في تلك الصور التي نشرتها الصحف (نحو عام 1980) التي أريتني إياها كان يبدو منتفخًا وبدينًا، ولكن لم يظهر كذلك في الفيديو. في هذه الصورة يبدو وكأنه مهرج». [صورة منشورة في مجلة «نيوزويك» عام 1979].

أخبرتها بأن شيران بدأ يشرب كثيرًا وأصبح منتفخًا بعد أن أجبر على قتل هوبا في عام 1975، فقالت: «هذا هو العام الذي جئت فيه إلى نيويورك للذهاب إلى كلية الدراسات العليا في الصحافة في جامعة كولومبيا».

ثم واصلت روايتها الأحداث:

«صاح شقيق صديقتي طالبًا منا أن نختبئ تحت الطاولة. كان هناك أشخاص آخرون يصرخون وقد اختبئوا تحت الطاولة أيضًا. إلى جانب طلقات الرصاص، كان الشيء الذي أتذكره أكثر عندما كنت جالسة على أرضية المطعم هو تحطم الزجاج. بقينا جالسين على الأرض حتى توقف إطلاق النار. عندما توقف إطلاق النار صاح شقيق صديقتي: «هيا نخرج من هنا»، ونهضنا وخرجنا من الباب المؤدي إلى شارع مولبيري. كان هناك الكثير ممن يصرخون ويقولون: «هيا نخرج من هنا» أيضًا، وفروا مثلما فعلنا. ركضنا في شارع مولبيري. لم يكن هناك أحد في شارع مولبيري يطلق النار على أي سيارة تهرب، على الرغم من أن هذا

ما ادعاه الحارس الشخصي لغالو. كانت سيارتنا متوقفة بالقرب من مركز الشرطة. في طريق العودة إلى المنزل، بدأنا نخمن حول ما إذا كنا قد شهدناه للتو هو عملية سرقة أو عملية قتل لحساب عصابات المافيا. لم يرغب أحد في وضع صورة نمطية لحي ليتل إيتالي، لكننا اعتقدنا أن العملية مرتبطة بعصابات المافيا. لا أتذكر إذا سمعنا عنها في نشرة الأخبار من الراديو في طريق عودتنا إلى المنزل، لكننا رأيناها في الصحف في اليوم التالي. لقد كان حدثًا مروّعًا جدًا أعتقد أنه لو كنت أنا وصديقتي هناك بمفردنا لربما عدنا في اليوم التالي، لكن شقيقها وزوجته كانا في غاية الحذر ولم يرغبوا في أن نتدخل في الموضوع بأي شكل من الأشكال».

تحدثت شاهدة عيان حادثة غالو معي بذاكرة الصحفية ومراقبتها للتفاصيل وأخبرتني بأنها لم تقرأ أيًا من الروايات التي وصفت الحادثة ونُشرت طوال تلك السنين. لم تحب التفكير في الأمر أو التحدث عنه. لم تسمع قط عن «الإيطاليين الثلاثة» حتى ذكرهم إريك شون. قالت عنه: «هذا شيء سخيّف. من المستحيل أن يقتحم ثلاثة إيطاليين ذلك الباب الجانبي من شارع مولبيري ويبدووا بإطلاق النار. لو حصل ذلك لكنت قد رأيتهم وهم يدخلون. إذا كان هناك ثلاثة رجال لكننا خائفين من النهوض والهروب. ولو كنا نهضنا لما هربنا من ذلك الباب الجانبي».

أنهيت الجلسة بسؤالها مرة أخرى عن مدى تأكدها من أن شيران هو الرجل الذي رآته في تلك الليلة. قالت: «أنا واثقة. إنه بالتأكيد الرجل الذي رأيته في تلك الليلة».

هذا التحديد المؤكد لشهادة العيان حسم الأمر، لو كنت المدعي العام في تلك القضية، لكنت سمعت على الفور صوت إغلاق باب الزنزانة. على الرغم من أن هوية القاتل قد حُددت بعد مرور سنوات عديدة على الواقعة، إلا أنها كانت صحفية ناشئة أتيحت لها الفرصة لرؤية القاتل وتشكيل صورة ذهنية له قبل أن يصبح تهديدًا لهم ويحمل مسدسًا في يده. والمعروف أن شهود العيان الذين يواجهون مسدسًا كثيرًا ما يتذكرون المسدس فقط.

نتيجة لقيامها بتحديد هوية القاتل، قررت شراء أكبر عدد ممكن من الكتب التي يمكنني العثور عليها والتي تتحدث عن غالو. لقد مر وقت طويل؛ وكان العديد منها مستعمل، ونفدت طبعات الكثير منها. غالبًا ما كانت الروايات المنشورة في تلك الكتب عن تلك الليلة في مطعم أمبرتو تتضمن الكثير من الأخطاء. ومع ذلك، كان الكتاب الذي ألفه بيت ديابولوس الملقب بالإغريقي، حارس غالو الشخصي، والذي صدر عام 1976 هو أكثرها وضوحًا.

ذكر ديابولوس في كتابه المعنون «الأسرة السادسة»، أن الاحتفال بعيد ميلاد غالو بدأ في تلك الليلة في كوباكابانا، النادي الليلي الشهير في نيويورك. كان الممثل دون ريكلز هو من أحيا تلك الليلة، وقدم احترامه لغالو. في ذلك النادي، كان لدى غالو لقاء مع «رجل مخضرم، هو روس بوفالينو، الذي كان مجرمًا معروفًا». لمح غالو في سترة بوفالينو زرًا يحمل شارة رابطة الحقوق المدنية الإيطالية الأمريكية. وتأكيّدًا لحب بوفالينو

للمجوهرات، كان هذا الزر يحتوي على ألماسة. كان جو كولومبو، صديق بوفالينو وزميله في العمل، والرجل الذي أمر غالو بقتله، يعيش في غيبوبة منذ عشرة أشهر. قال غالو لبوفالينو: «ما الذي تفعله بهذا؟ هل تؤمن حقًا بهذه الرابطة التافهة؟»

وهذا ما كتبه ديابولوس:

«لقد رأيت كيف تحرك ذقن بوفالينو، وانتصب ظهره تمامًا، واستدار بعيدًا عنا. أخذ فرانك (زميل بوفالينو) وكانت تبدو عليه نظرة قلقة جدًا، جوي من ذراعه. وقال له: «جوي، لا يوجد شيء نتحدث عنه هنا. دعنا نحتسي بعض المشروبات.»

«نعم، لنتناول بعض المشروبات.»

«جوي، إنه زعيم عائلة.»

«وإن يكن. أنا زعيم أيضًا. هل هذا يجعله أفضل مني؟ جميعنا متساوون. من المفترض أن نكون إخوة.»

خرجت كلمة «الإخوة» من فمه وكأنها لا تعني ما يقوله.

قال: «جوي، لنذهب إلى الطاولة. دعنا لا ندخل في شجار.»

حدد ديابولوس زميل بوفالينو، الشخص «ذي المظهر القلق جدًا» الذي أخذ غالو من ذراعه، بأنه رجل يدعى فرانك. وصف ديابولوس كيف بدأ «الخلافة»: «كان تقديم الشمبانيا مستمرًا. وقدم رجل حكيم يدعى فرانك بعضًا منها. كان مع الرجل المخضرم، روس بوفالينو، المجرم الماكر، ورئيس عائلة إيرلي، في بنسلفانيا.»

وكان فرانك شيران، زميل راسل بوفالينو المنتظم في رحلاتهم إلى نيويورك، يصف غالو دائمًا بأنه «فتى يافع». كان لدى فرانك

سبب للمعرفة. لأن هذا الحادث في نادي كوبا انعكس على بوفالينو، كان هذا هو جزء من التفاصيل التي حذفها شيران من اعترافه لي.

أخبرني جوزيف دي بيستون، وكان اسمه في الحقيقة دوني براسكو، أنه عندما كان يعمل بشكل سري لمكتب التحقيقات الفدرالي كان يقضي أوقاتاً طويلة في مطعم فيزوفيو. وكان يلتقي هناك بوفالينو وشيران. كانا يأتيان في كل يوم خميس. كان مطعم فيزوفيو يبعد مسيرة طويلة مشياً أو رحلة قصيرة بالسيارة من نادي كوبا. بدأ حفل عيد ميلاد غالو في نادي كوبا في الساعة 11 مساءً، ليلة الخميس. بحلول الساعة 5:20 من صباح يوم الجمعة مات جوي غالو.

كان راسل وفرانك في نادي كوبا في مدينة نيويورك في الليلة التي شعر بها جوي غالو المجنون «بالانتعاش» مع الأشخاص الخطأ وتم طلاء منزله. مثل منزل جيمي هوف، وجميع المنازل الأخرى التي اعترف فرانك شيران بطلائها، وهكذا تم حل لغز غالو.

\*\*\*

أخبرتني إحدى بنات فرانك شيران، وهي دولوريس، بعد صدور كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل»: «كان جيمي هوف أحد شخصين كان والدي يهتم بكل شيء يخصهما. أما الثاني فقد كان راسل بوفالينو. أدى قتل جيمي هوف إلى شعور والدي بالعذاب بقية حياته. كان هناك الكثير من الشعور بالندم والمعاناة التي عاشها والدي بعد حادث الاختفاء. لم يتوقف قط عن تناول

المشروبات الكحولية. في بعض الأحيان لم يكن يستطيع المشي. كنت دائماً خائفة من مواجهة حقيقة أنه قام بذلك. لم يعترف بذلك قط إلى أن جئت أنت. قضى مكتب التحقيقات الفدرالي ما يقرب من ثلاثين عاماً في تعذيب والدي والتدقيق في كل حركة من حركاته من أجل حمله على الاعتراف.

إن حقيقة أنه كان والدنا كانت تمثل لنا كابوساً. لم نكن نتمكن من الحديث إليه عن أي مشكلة تواجهنا بسبب خوفنا من الأشياء الرهيبة التي سيفعلها لكي يحلها لنا. كان يعتقد أنه كان يحمينا بالطريقة التي كان يتعامل بها مع الأشياء، لكن العكس هو الصحيح. لم نكن نطلب منه الحماية لأننا كنا خائفين جداً من اللجوء إليه ليوفر لنا الحماية. حاول أحد أبناء الحي الذي نسكن فيه أن يتحرش بي ولم أستطع أن أخبر والدي. لم تكن أختي الكبرى تذهب معنا قط عندما يأخذنا والدي في نزهة إلى الخارج، لأنها كانت تخشى ألا يعود بنا إلى المنزل. لقد كرهننا عناوين الصحف التي كانت تتحدث عنه بشكل متزايد. ما زلنا نحن بناته جميعاً نعاني منه حتى يومنا هذا. توسلت أنا وأخواتي إليه ألا يكتب هذا الكتاب، ولكن في النهاية استسلمنا. على الأقل أنا فعلت. كان يحتاج إلى أن يزيح تلك الأشياء عن صدره. كان لدينا ما يكفي من عناوين الصحف التي تتحدث عن جرائم القتل والعنف التي نفذهها، لكنني أخبرته أن يقول لك الحقيقة. لو لم يخبرك والدي بالحقيقة لما عرف أحد القصة الحقيقية.

أشعر أننا سنعيش تحت هذه السحابة السوداء إلى الأبد. أريد أن ينتهي هذا. أصبح والدي أخيراً يرقد بسلام الآن. أود أن

يحدث نفس الشيء بالنسبة إلى عائلة جيمي. قتل والدي صديقه  
وندم على ذلك حتى يوم وفاته. كان لدي دائماً في قلبي شكوكي  
ولم أكن أريد تأكيدها. الآن بعد أن أجبرت على معرفة الحياة  
التي عاشها والدي، كان علي أن أتصالح معها ومع كل المشاعر  
المتضاربة التي أثارها الحقيقة».

ولا توجد في هذا الكتاب سوى الحقيقة.

مارس 2005

## الخلاصة

### قصص لم تُرو من قبل

«Zip-a-Dee-Doo-Dah»

في يوم صيفي حالم، وحين كنت في بيتي في مدينة سان فالي، في ولاية أيداهو، رنّ هاتفي بنغمته التي تحمل موسيقى أغنية «Zip-a-Dee-Doo-Dah» وهي الأغنية الشهيرة لفيلم الرسوم المتحركة «أغنية الجنوب». لقد واكبت شهرتها حين عرضت في فيلم «بامبي» للرسوم المتحركة في أول موعد لي مع السيدة نانسي التي ستصبح زوجتي فيما بعد، وكان يرافقها ابنها تريب البالغ من العمر ست سنوات وابنتها ميمي البالغة من العمر أربع سنوات، أولاد زوجة المستقبل.

ظهر على الهاتف رمز المنطقة 212 ثم جاءني صوت شابة: «تشارلز برانيت؟»

فأجبت: «نعم».

مكتبة

t.me/soramnqraa

«من فضلك، معك بوب دي نيرو».

«إنه أمر سعيد بالفعل!»

قبل ثمانية أشهر من ذلك الحدث الذي جرى في عام 2008، نشرت مجلة فارايتي Variety على صدر صفحتها الأولى خبر الاتفاق الذي أبرمه المخرج مارتن سكورسيزي والممثل روبرت دي نيرو مع شركة بارامونت للإنتاج السينمائي لإنتاج فيلم مقتبس عن كتابي «سمعت أنك تطلي المنازل». ولكن بعد ذلك خيم الصمت على الموضوع. لم تصل أخبار عنه من هوليوود في الأشهر التي تلت ذلك إلى أن حدثت هذه المكالمات.

سألني روبرت دي نيرو بصفته منتجاً للفيلم الذي سيؤدي فيه دور فرانك شيران، عما إذا كنت أملك أي مواد لم أستخدمها في الكتاب.

فأكدت له: «هناك الكثير».

«هل تستطيع أن تعطيني مثلاً؟»

«نعم. إن اعتقال بعض الأشخاص ووفاة أشخاص آخرين يمكنني من الإفصاح عن أشياء معينة أخبرني بها فرانك». وسردت بعض الأمثلة.

وأدى ذلك بشركة باراماونت إلى أن ترتب لي رحلة بالطائرة إلى مانهاتن لعقد اجتماع مع سكورسيزي، ودي نيرو، وكاتب السيناريو ستيف زيليان، الحاصل على جائزة الأوسكار عن فيلم «قائمة شندلر».

جلست في مواجهتهم وظهري إلى النافذة الممتدة من الأرض إلى السقف في غرفة في الطابق السابع والثلاثين من فندق باركر ميريديان في شارع 57. يقع الفندق بالقرب من قاعة كارنيغي وفي الجانب الآخر من الشارع الواسع الذي يضم مقر شركة سيكيلا للإنتاج السينمائي التي يملكها سكورسيزي. لقد كنا إلى الشمال من شركة تريبيكا للإنتاج السينمائي التي يملكها الممثل روبرت دي نيرو ومن مدرستي الثانوية في المبنى السكني إيست فيفتين ستريت. كانت قاعة كارنيغي قد شهدت إقامة حفل تخرجي من مدرسة ستايفسانت الثانوية عام 1959، وكان الممثل جيمس كانيي وعازف البيانو ثيلونيوس مونك قد غادراها حينها. على الرغم من أنني ومارتن سكورسيزي وروبرت دي نيرو

ذهبنا إلى مدارس ثانوية مختلفة، كنت أشعر وكأنني في بيتي. لقد نشأنا جميعاً كإيطاليين في نيويورك في نفس الوقت، فجر بزوغ الروك أند رول، والعصر المعروف اليوم باسم زمن موسيقى الإيقاع والبلوز. وأغنية «أوه... أوه... أوه، فلورنسا...»

جلس سكورسيزي إلى يساري على أريكة متعامدة مع الأريكة التي كنت أجلس عليها، وكان زيليان إلى يساره يدوّن ملاحظات على مسودة نصه، والذي لم أكن قد رأيته. جلس دي نيرو على كرسي مجنح تفصله عني طاولة قهوة خشبية سمكية. كانت كتفه بجوار كتف زيليان، وكان ينقر في بعض الأحيان على كتف زيليان ويسأله: «هل فهمت ذلك؟» كانت الساعة تشير إلى الخامسة والنصف مساءً. كانت هناك فواكه طازجة وبسكويت. كانت الغرفة مملأة برائحة القهوة وكانت تشيع فيها أجواء كافيتيريا صغيرة في زاوية إحدى الشوارع. وقد قضينا وقتاً طويلاً هناك.

وقلت حينها: «المحقق يتجرع من نفس الكأس التي أذاقها للآخرين».

كانت شركة باراماونت قد حددت أن يستمر لقاءنا لمدة ساعة، لكن الأسئلة التي وجهها لي هؤلاء الفنانون الثلاثة كانت دقيقة جداً، وكانت عندي الكثير من المواد لدرجة أننا جلسنا من دون استراحة لمدة أربع ساعات حتى التاسعة والنصف مساءً ومن دون أن نتناول العشاء.

في مرحلة ما في أثناء توجيههم الأسئلة، أوضحت لهم أن هناك فيلماً مغموراً رأيته في عام 1961 في قاعة للسينما في مدينة ملاهي مدينة أتلانتيك سيتي جعلني في عام 1991 أسأل

فرانك سؤالاً كان يبدو بريئاً أدى إلى إجابة مخيفة ذات أهمية تاريخية.

«ما هذا الفيلم المغمور؟» سألني سكورسيزي.

«صدقني، لن تعرفه. لم يشاهد أحد هذا الفيلم إلا أنا، وكان ذلك منذ خمسين عاماً تقريباً».

«ما هذا الفيلم؟» كان مصرّاً أن يعرف.

«انفجار الصمت».

حينها ضحك: «طلب مني الفرنسيون مؤخراً أن أكتب شيئاً حوله. سأرسل لك قرص دي في دي للفيلم».

كانت بعض المواد التي قدمتها لهم جديدة، عن الأحداث التي جرت خلال السنوات التي تلت الخاتمة التي كتبتها في عام 2005. لكن معظمها كان قديماً، يعود تاريخها إلى عام 1991 وهي مواد كنت أحتفظ بها للوقت المناسب مثل سترة مضادة للرصاص. وهذا جوهر ما قلته لهم عن المواد القديمة والجديدة:

### اختبار المصادقية

في الوقت الذي شرعت أكتب فيه خاتمة الطبعة الورقية الأولى التي صدرت عام 2005، أخبرني جو كوفي المحقق المتقاعد في جرائم القتل التي كانت تنفذها عصابات الجريمة المنظمة، والذي كان يعمل في قسم شرطة نيويورك، أن جون فرانسيس «ذا الشعر الأحمر» كان سمساراً عقارياً ثرياً، واستخدمت هذه المعلومات في الخاتمة. بعد مرور شهر على هذا النشر، كتب كوفي رسالة إلى محرر مجلة بلاي بوي. أيدت رسالته ما جاء في مقالة كتبتها بناءً على اعتراف فرانك لي بأنه قام بإطلاق

النار على «الفتى اليافع» جوي غالو المجنون في مطعم أمبرتو كالم هاوس في حي ليتل إيتالي.

كان مقتل غالو القضية التي كان يعمل عليها كوفي، وبات يعتقد أنها حُلَّت عن طريق اعتراف فرانك. لكن حادثة واحدة كانت ما زالت تترك طعم المرارة في فمه بعد كل هذه السنوات. كتب كوفي إلى مجلة بلاي بوي أنه من بين أولئك الذين شاركوا غالو في الاحتفال بعيد ميلاده في مطعم أمبرتو كان الممثل جيرى أورباخ صاحب الدور الرئيس في مسلسل القانون والنظام، الذي رفض التعاون مع تحقيق كوفي في جريمة القتل.

ولغرض تقديم الشكر إلى جو كوفي على رسالته التي بعثها إلى مجلة بلاي بوي التي تؤيد اعتراف فرانك شيران بقتل غالو، اتصلت بمنزله في نيويورك من بيتي في مدينة سان فالي.

قال كوفي في إشارة إلى جيرى أورباخ: «ظهر ذلك المتملق بصحبة محام. لم يكن يسمح لي أن أطرح عليه سؤالاً واحداً». فقلت: «تقصد أورباخ؟ علمت بذلك عند توقيع الكتاب، حين ذهبت إلى المدرسة الثانوية في المنطقة التي عاش فيها بوفالينو. أي شخص عاش في شمال شرق بنسلفانيا يعرف ما يكفي لإبقاء فمه مغلقاً».

فهقه كوفي وقال: «حسنًا، لقد حُلَّت قضية غالو. ولكن كان من الممكن حلها في ذلك الوقت لو كان أورباخ قد تعاون معي». كشف كوفي أحد أسباب يقينه بأن شيران كان يقول الحقيقة حول قتل غالو. لم يكن الأمر مجرد تحديد هويته من قبل شاهدة عيان تعمل محررة في صحيفة نيويورك تايمز. أوضح كوفي أن

غرضه من السماح بنشر قصة المسلحين الإيطاليين الثلاثة هو فرض القانون. استخدم كوفي هذه القصة الوهمية كاختبار للمصداقية. فإن نشرها سيؤدي إلى فرز الروايات الزائفة. فيما أقام اتصالات مع مخبر كان يتطلع لبيع «معلومات» عن ثلاثة مسلحين إيطاليين لأن كوفي كان يعلم أن مطلق النار كان مسلحًا واحدًا ولم يكن إيطاليًا.

قال كوفي: «لقد كان شيران».

سألته: «هل قرأت كتابي؟»

تردد في الإجابة. تابعت: «لقد أرسلت لك نسخة منه بعد أن أخبرتني بأن ذا الشعر الأحمر كان سمسار عقارات».

«أوه، تقصد جوني فرانسيس».

«لقد ساعدني هذا كثيرًا حقًا. لقد اقتبست كلماتكم في طبعة الغلاف الورقي. هل قرأتها من قبل؟»

«لا، لم أفعل». وكان يضحك. «لكنني أرسلت الكتاب إلى مصدري في عائلة بوفالينو. هو فقط من قرأها. وقد قرأها جميع رجال بوفالينو هناك. أخبرني هذا الرجل المخضرم في عائلة بوفالينو القديم بأنه صُدم. لم يصدق أن شيران اعترف لك بكل تلك الأشياء. هذا كله صحيح. لقد صدموا جميعًا هناك».

فقلت: «كان شيران حزينًا جدًا. لقد رأيت ذلك مع مرور السنين».

«بالتأكيد».

لو كان فرانك على قيد الحياة عندما أنهيت مكالمتي مع المخبر كوفي، كنت سأتصل به لأطلعته على تلك الأخبار. ولأخبره

أن قضية غالو قد أغلقت. وأن عائلة بوفالينو شهدت لصالحه. ولكان جوابه: «هذا كله صحيح».

التقطت من ملفي صورة عفوية جمعتي مع فرانك ونحن جالسان على رأس طاولة في حفل تقاعد زميل له في نقابة سائقي الشاحنات. قام شخص ما بالتقاط صورة لنا في اللحظة التي اعترف فيها فرانك بقتل جوي المجنون.

«لماذا كان روس يثق بك كثيراً؟» كان سؤالي الأول.

أجابني مبتسماً مثل عفريت خبيث: «إذا قلت لك السبب، يجب أن أخبرك بشيء آخر».

«هيا يا فرانك. لا تجعلني أطيل الانتظار. الوقت مناسب جداً الآن لكشف كل شيء».

خفض صوته. وبالكاد تحركت شفاته: «سمعت عن جوي غالو؟» قلت: «بالتأكيد، جوي المجنون».

قال: «الفتى اليافع».

«أنا لا أفهم ذلك. لماذا كان روس يثق بك كثيراً؟»

«لقد أخذت هذه المسألة على عاتقي. كان ذو الشعر الأحمر هو سائقي في تلك العملية. أنزلني وقاد السيارة حول المبنى لمرة واحدة. وإذا عاد ولم يرني في الخارج، كان ليفلت بسيارته. وأكون بمفردي. هذه هي الطريقة التي كنا ننفذ بها العملية».

كنت أظهر في تلك الصورة العفوية، وأنا أحثه على الحديث، كنت أحمل جهاز التسجيل في يدي، لكي أستطيع سماع صوته الناعم وسط أصوات تصادم زجاجات البيرة في الحفلة. كانت تظهر على فرانك في تلك الصورة نظرة استذكار لتلك الذكريات

القديمة والتي كانت تظهر عليه في بعض الأحيان بعد الاعتراف بشيء جديد .

عندما قررت أن أدرج في الكتاب اعتراف فرانك أنه قتل «الفتى اليافع»، لم أتصور قط حتى في الحلم بأن إدراج قضية قتل غالو في الكتاب لن يجلب لي سوى الصداع. كنت أعلم أنه سيتعين علي أن أوافق على الرواية المقبولة على نطاق واسع أن ثلاثة مسلحين إيطاليين اقتحموا مطعم أمبرتو، وأطلقوا النار على الحارس الشخصي اليوناني لغالو في مؤخرته، وقتلوا غالو في أثناء هروبه إلى شارع هيوستون. لكنها كانت تزعزع مصداقية الأيرلندي، إنه مثل بطل فيلم «فورست غامب»، شارك في أشياء كثيرة على هذا المستوى العالي.

اتضح أن قراري بالإبقاء على الاعتراف بقتل غالو في الكتاب كان فرصة لي وفرانك لاجتياز اختبار المصداقية للمحقق كوفي. لكنني لم أكن أعرف ذلك حين كنت أمهد لإصدار الطبعة الأولى. كل ما كنت أعرفه أنها كانت هناك محررة في صحيفة نيويورك تايمز خرجت من تحت طاولة في مطعم أمبرتو وتقول إنها شاهدت ثلاثة مسلحين إيطاليين يرشقون غالو بالرصاص. ماذا لو تعرفت على صورة لبعض الإيطاليين؟ لن يكون الكتاب هو الشيء الوحيد الذي من شأنه أن يواجه الفشل في حل قضية هوفبا.

كانت سمعتي التي اكتسبتها بشق الأنفس على المحك. في أثناء ممارستي القانونية، كانت قدرتي على جذب القضايا من المحامين والقضاة والجمهور تعتمد كلياً على سمعتي. عرفني

الناس كرئيس سابق لنقابة المحامين في ولاية ديلاوير، والنائب الأول السابق للمدعي العام، وروائي، وكاتب لمقالات الرأي، ومحاضر، وكاتب أبحاث في فن الاستجواب والتحقيق. كنت أتمتع بسمعة جيدة إلى حد أنه على الرغم من أنني شخصية عامة غير سياسية، فإن رئيس الحزب الديمقراطي طلب مني الترشح لمنصب الحاكم بصفتي ديمقراطيًا، ثم رُشحت بعد عشرين عامًا من قبل رئيس الحزب الآخر بصفتي جمهوريًا. فإذا ظهرت كشخص مغفل، وأومن بسذاجة بما قاله لي شخص معروف بالكذب، فإن ذلك يمكن أن يدمر كل ما بنيته.

كان بإمكانني ترك غالو حيث كان ملقى على الأرض في شارع هيوستن. لكنني أمضيت ثلاثة عشر عامًا كعضو في لجنة المحكمة العليا التي تحقق في انتهاكات أخلاقيات مهنة المحاماة. لقد ساعدت في التحقيقات ووضعت للسنوات آنذاك جو بايدن أسباب الفشل في كشف حادثة انتحال أحدهم صفة المتخرج من كلية الحقوق عندما تقدم بطلب للانتساب إلى نقابة المحامين في ديلاوير. عندما كنت أراجع الكتاب لغرض نشره، ساعدني التزامي أخلاقيات مهنتي القانونية بشكل كبير وواضح على إدراك أن للرأي العام الحق -إذا اتضح أن فرانك كان يكذب عليّ بشأن غالو- في معرفة ذلك وعدم تصديق كل شيء آخر أخبرني به فرانك.

ومع ذلك، كنت أثق بفرانك. وكما توضح تلك الصورة العفوية، كنت على بعد بوصات منه عندما اعترف لي بذلك. رأيت عينيه. سمعت الطريقة التي تكلم بها. وفي النهاية، لم يتبق أمامي سوى

أن أجعله يقف على منصة الشهود بعد ظهر أحد الأيام. على مدى سنوات عديدة، تحدثت فرانك، قلت إنه كان يحفر في الصخر، فكل الكتب والأفلام، كانت تقول أن ثلاثة مسلحين إيطاليين قاموا بـ «ذلك العمل». لكن فرانك تمسك برأيه. لقد كنت أعرف مع من أتعامل.

لم أحلم قط بأن حادثة غالو ستكون هي من ستحسم أمر التحقق من صحة ما قاله فرانك من خلال أربعة أشياء. كان الشيء الأول بالطبع: ظهور شاهدة العيان المعجزة، تلك المحررة المحترمة في صحيفة نيويورك تايمز والتي حددت بشكل مؤكد أن فرانك كان هو المسلح الوحيد. لقد تكرمت هذه الصحفية المتميزة ووافقت على إجراء مقابلة تلفزيونية والظهور على شاشة المحطة التلفزيونية بوبليك برودكاستنغ سيرفيس PBS، على الرغم من أنها لم تكشف عن وجهها وأبقت هويتها مجهولة. وقالت إن صورة شيران التي أظفروها لها هي «بالتأكيد» للرجل الذي قتل غالو.

ثانيًا: إعلان المحقق كوفي كبير المحققين في القضية أن القضية أغلقت بعد قراءة مقالتني في مجلة بلاي بوي. ثالثًا: ذكر الكتاب الذي ألفه الحارس الشخصي اليوناني لغالو تفاصيل مشاجرة حدثت في وقت سابق من تلك الليلة في نادي كوبا بين راسل، وفرانك، وجوي المجنون، الذي كان يتصرف مثل «فتى يافع».

رابعًا: أصدرت عائلة بوفالينو حكمها: «كل ذلك كان صحيحًا».

مع مصداقية فرانك الراسخة في مسألة غالو في مقابل الروايات السائدة التي تتناقض بشدة مع رواية فرانك، توقعت كتابة تحديث قصير للكتاب، مضيفاً إليه إغلاق كوفي قضية غالو والتأييد الشامل لرواية فرانك من أفراد عائلة بوفالينو، وهم الرجال الأكثر مصداقية في جميع هذه الموضوعات. لكني كنت أود أن أسمع المزيد من عائلة بوفالينو وعنها، وسوف يمتد التحديث القصير إلى هذه الصفحات.

كان يجب أن يشكل كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل» صدمة لهؤلاء الرجال من عائلة بوفالينو، المخلصين للمافيا وقانون الكتمان الخاص بها والذي يعاقب عليه بالإعدام. «عندما يساورك الشك، فأنت دائماً على حق». كنت أعرف طوال الوقت أن فرانك كان يخبر زملاءه في عائلتي بوفالينو وفيلاديلفيا بأننا كنا نلتقي في النوادي الاجتماعية، مع صديقه عراب عائلة شيكاغو جوي لومباردو الملقب بالمهرج -الذي كان يتصل به كثيراً في حضوري- وأنه أنا وهو نعمل على تبييض مسودة الكتاب، الذي كان يسميه فرانك «روايتي للأحداث». وقادهم ذلك إلى الاعتقاد بأننا كنا نكتب دفاعاً عن جميع الكتب التي جعلت لفرانك يداً في جريمة قتل هوفبا. سمح راسل بوفالينو لفرانك بإخبار الجميع أن راسل أعطاه إذنًا لتأليف الكتاب معي. وكما قال فرانك: «ما دام لا يؤذي أحداً». لكنني أنا وفرانك كنا نعرف ما كنا نفعله حقاً. كنت أشعر أحياناً وأنا في صحبة هؤلاء الرجال المصطنعين ورؤسائهم بأنني كنت جاسوساً. حين كنت أنظر أنا وفرانك إلى صورة ذلك «الفتى اليافع»، كنت مرتاحاً لحقيقة أن رجل بوفالينو هذا لم يتهمني عبثاً بخداع

فرانك عند تبييض مسودة كتابنا، وتحطيم فرانك للحصول على اعترافه. واستغلال كبر سنه، وشعوره بتأنيب الضمير. بعد كل ذلك، واعتماداً على أسلوب الاستجواب الذي كنت أستخدمه في أي وقت، كان يناديني «السيد المدعي العام» أو «الحاكم المقدس» ليقول إنني «أصعب مدعٍ عام» تعامل معه على الإطلاق. كانت أخبار المحقق كوفي مفرحة على جميع المستويات. فقد بدأت تتساقط قطع ثلجية سميكة في شمال شرق ولاية بنسلفانيا؛ ما ينذر بهبوب عاصفة ثلجية.

### الخاتم الثالث

في 31 مايو 2006، بعد عامين بالضبط من إصدار الطبعة المجلّدة لكتابي، اتّهم محققو مكتب التحقيقات الفدرالي بيغ بيلي ديليا، مساعد زعيم عائلة بوفالينو والذي أصبح عرابها بعد وفاة راسل قبل اثني عشر عاماً، بقيامه بعملية غسل أموال متاجرة بالمخدرات. كان بيغ بيلي ابن أخت راسل، وكان يرافقه بشكل يومي. في عام 1972، كان راسل قد صنع ثلاثة خواتم ذهبية مرصعة بالألماس يحوي كل منها عملة ثلاثة دولارات مصنوعة من الذهب، كان الأول له والثاني لفرانك والأخير لشخص ثالث لم أشر إلى هويته في الكتاب. تشير هذه الخواتم إلى دائرة أصحاب مقربين مكونة من ثلاثة أشخاص.

كان الخاتم الثالث لبيغ بيلي ديليا.

تلقى بيلي تعليمًا جيدًا على يد خاله روس، وكان يعرف كيف يتعامل مع هذا الاتهام المزعج لمكتب التحقيقات الفدرالي. أمر

بيلي على الفور بقتل شاهدي مصرفي الاستثمار اللذين كان من المقرر أن يشهدا ضده. من حسن حظ هذين الشاهدين، كان الرجل الذي أصدر بيلي إليه الأمر يحمل جهاز تسجيل زوده به مكتب التحقيقات الفدرالي. قُبِضَ على بيلي بالطريقة نفسها التي تم القبض فيها على خاله روس، بعد أن أصدر أمراً لرجل يحمل جهاز تسجيل، قام الرجل بما سماه كل من بروتس في مسرحية يوليوس قيصر للكاتب شكسبير ورجال المافيا «طعنة في الظهر». بات بيلي يواجه الآن تهمتين شديديتي الخطورة كونهما تتعلقان بمؤامرة لقتل الشهود الفدراليين. ولكون بيلي كان في سن الخمسين، وبوجود شريط مسجل ضده لدى الحكومة، فإن ذلك يعني أنه سيموت في السجن.

في عام 1991، قبل خمسة عشر عاماً من توجيه هذه الاتهامات، قام فرانك بتعريفي على بيغ بيلي ديليا في اجتماع لرجال المافيا في مطعم الموناليزا في شارع 6 في جنوب فيلاديلفيا. كان فرانك خارجاً لتوه من السجن. وكان بيلي وريثاً واضحاً لراسل. كان بيلي رجلاً طويل القامة لطيف المعشر ودمثاً جداً. لم يكن عندي أي سبب يجعلني أكرهه، ولكن كان من الواضح على مدى السنوات التي تلت ذلك أنه لم يعجبني على الإطلاق.

على سبيل المثال، بعد غداء حفلة عيد ميلاد لفرانك في مطعم إيطالي بالقرب من مطار فيلادلفيا، اتصل بي فرانك في المنزل وقال: «أتعلم ما قاله لي بيلي بعد أن تركت الحفلة؟ قال لي: هل تثق بهذا الرجل؟ فقلت له: نعم أثق بذلك الرجل، فلولا ذلك الشخص، كنت سأظل في السجن لمدة تسع سنوات أخرى. فكيف لا أثق بهذا الرجل؟».

فقلت: «مهلاً يا فرانك، مهلاً. أعد ما قلت، من فضلك. ماذا قال عراب عائلة بوفالينو عني؟ هذا كل ما يهمني».

علمني فرانك كيف يفكر أصدقائه: «عندما يساورك الشك، فأنت على حق دائماً». وهنا كان بيلى يشك فيّ. كان جميع من يجلس إلى تلك الطاولة معي أنا وفرانك وبيلى من شخصيات بارزة من عائلة فيلاديلفيا وبوفالينو يعرف أنني أولف كتاباً عن فرانك. قال فرانك: «ياه، إنه كان يحاول فقط إغاضتي، ليس هناك ما يدعو للقلق. لم أكن أحب هذا الوغد قط، وهولم يحبني قط».

«أليس من المفترض أن يكون موثقاً به؟»

قال فرانك: «لا، لا، لا. لم أحب هذا الوغد قط، وهو لم يحبني قط».

خلال السنوات التي قضيتها مع فرانك، كان يحدث أن أكون في صحبة بيلى من وقت لآخر، لكنه نادراً ما تحدث معي، كما لو أنني كنت جاسوساً. عندما لم يتبق سوى بضعة أيام على صدور الطبعة المجلّدة الأولى من كتابي، تلقت زوجتي نانسي رسالة بريد إلكتروني أشار عنوانها إلى أنها تحتوي على معلومات من مساعدتي السابقة في مكتب المحاماة، ديان، التي كانت تلتقي صديقة بيلى. أعادت ديان إرسال نسخة من رسالة بريد إلكتروني إلى نانسي كانت قد أرسلتها لها صديقة بيلى لتوها. وكانت تنتهي بعبارة التحذير هذه: «ملاحظة: بيلى ليس سعيداً بتشارلي».

حاولت طمأنة نانسي: «لم يطلع بيلى على الكتاب بعد. إنه ليس في المكتبات. أنا متأكد من أن بيلى يتخيل أن الكتاب يجرّمه».

قالت نانسي: «كنت أشعر بالاطمئنان عندما كان فرانك على قيد الحياة».

عرفت نانسي أنني أتابع خطوات فرانك وكأنتني أشاركه الرقص في قاعة للرقص، وأحوم حول بعض القضايا الدقيقة. قال لي فرانك أكثر من مرة: «لا يمكنك كتابة ذلك عن راسل لأنه كان متورطاً مع رجال آخرين في هذا الأمر. سوف يتساءلون إن كنت أقول ذلك عن راسل، لكوننا قريبين من بعضنا، ماذا أقول عنهم. كما أنهم ليسوا لطفاء». في مناسبات أخرى كان يقول إنه لا يمكنني استخدام بعض المواد البسيطة نسبياً عن راسل ما دامت زوجته كاري ما زالت على قيد الحياة. وكانت كاري حينها قد وافقتها المنية.

أصر فرانك على أن لا يظهر اسم بيلى في الكتاب ووافقت أنا على ذلك. وإلى الآن لم أكتشف لقب بيلى في المافيا. ولم أكن قد كشفت في الكتاب حتى أن بيلى كان مصدر المعلومات التي اعترف بها جون فرانسيس ذو الشعر الأحمر، في أثناء موته بسبب السرطان، للسلطات الحكومية بقيامه بطلاء العديد من المنازل مع فرانك. لم أذكر أن بيلى كان الرجل الثالث، إلى جانب فرانك وراسل، الذي كان يرتدي خاتم الذهب.

رأت نانسي مقدار ما كان فرانك حريصاً على حمايتي. بعد الجلسات التي كنا نعدها في شقته بالقرب من فيلاديلفيا، كان فرانك يقول دائماً: «اتصل بي عندما تصل إلى المنزل. أنا أريد أن أتأكد من أنك وصلت إلى المنزل بخير».

فقلت لنانسي: «بمجرد أن يقرأ بيلى الكتاب، سيكون بيلى، كما سمعت فرانك يصفه عدة مرات: في أحسن حال».

عرفت نانسي أنني لم أحذف مجرد أشياء حساسة معينة حول بعض الرجال. لقد حذفت أشياء تخصني أيضًا. لم أكن أرغب في أن ينظر إليّ الناس على أنني أبغي مديحهم لأي تقنيات استجواب استخدمتها.

لقد نشأت في عائلة ذات أغلبية إيطالية. على الرغم من أنني كنت أحب كإيطالي المغني بييري كومو، كانت تسحرني عناوين الصحف التي تتحدث عن الجرائم الحقيقية. لن أنسى أبدًا ذلك البائع الشاب، وكان اسمه أرنولد شوستر الذي تعرف على ويلي ساتون، وهو سارق بنك مطلوب للعدالة، في أحد شوارع بروكلين وركض ليخبر أحد رجال الشرطة وليحصل على المكافأة. كان زعيم المافيا ألبرت أناستاسيا الملقب بالمجنون الغاضب، والمشهور بمقتله وهو على كرسي الحلاقة في أحد الفنادق عام 1957، عرابًا لما سيطلق عليه اسم عائلة غامبينو. لم يكن لدى ويلي ساتون علاقة مع المافيا. لكن أناستاسيا «لم يكن راضيًا» عن تصرف أرنولد لأنه أراد أن يصبح مشهورًا في التلفزيون، أطلق النار على أرنولد ولقي مصرعه أمام منزله ليعطي درسًا لشباب نيويورك، بمن فيهم أنا.

قبل ثلاث سنوات من إصدار هذا الكتاب، تعلمت درسًا من أحد المشاركين في المؤامرة مع فرانك، وهو تشاكي أوبراين. لم يتردد تشاكي في القيام بما عليه فعله بعد 7 سبتمبر 2001، حين أعلن مكتب التحقيقات الفدرالي أن اختبار الحمض

النووي أكد أن الشعر الذي عُثر عليه في سيارة الميركوري الحمراء الداكنة في عام 1975 كان لهوفا. كانت هذه السيارة هي التي اعترف تشاكي منذ فترة طويلة بأنه الوحيد الذي استخدمها وكانت بحوزته بعد ظهر يوم اختفاء هوفا.

اتصل أوبراين من منزله في فلوريدا بفرانك بمجرد أن سمع أخبار الحمض النووي. طلب مقابلة فرانك في حانة في مطار فيلاديلفيا. لم يكن بمقدور أوبراين ألا يبالى بتحقيقات مكتب التحقيقات الفدرالية واختبار الحمض النووي. كان خوفه الوحيد هو أن يقرر بعض الأشخاص أنهم «غير راضين» عن تشاكي. أكد تشاكي لفرانك في حانة المطار بأن هذا الاستنتاج لن يخيفه. كان ثابتاً. شعر هوفا كان يمكن أن يصل إلى هناك بالعديد من الطرق.

أوضح لي فرانك بعد ذلك اللقاء في المطار أن الشعر، كان يمكن نقله من شخص لآخر. وفوق كل هذا، فإن سيارة الميركوري تعود إلى ابن جياكالوني. كان هؤلاء أصدقاء مقربين من جيمي. كانوا دائماً يعانق بعضهم بعضاً، وهكذا كان حال الجميع. يمكنك أن تحصل على مئات يشهدون أنهم رأوهم يعانق بعضهم بعضاً في الأماكن العامة. ليس لدى تشاكي ما يدعو للقلق».

طار أوبراين إلى المنزل راضياً بلا شك عن أنه لن يقع ضحية مبدأ «عندما يساورك الشك، فأنت دائماً على حق». بعد يومين جرت أحداث 11 سبتمبر ولم يعد أحد يهتم بشعر هوفا.

كانت أحد الأسباب المهمة وراء حذف بعض مقابلاتي مع فرانك لأنه كان عليّ أحياناً بصفتي راعياً لاعتراقاته أن أظهر

احترامًا أقل لفرانك مما يقدمه له أصدقائه. إن عدم الاحترام هو أكبر خطيئة في عرفهم، ويعاقب عليه بالموت الفوري. حتى الإلحاح على الشخص كان لا يمكن العفو عنه. لم أكن أُلح عليه في كثير من الأحيان. وعندما كنت أقوم بذلك، كنت أحاول في الغالب أن أجعل فرانك يتحدث عن تجاربه في الحرب.

لم يكن فرانك غاضبًا مني قط مثلما فعل عندما ضغطت عليه ليحدثني عن أيام قتاله التي كان عددها 411.

«إنني لم أتحدث عن ذلك حتى إلى هيئة المحلفين في محاكمتي وفق قانون ريكو لإنقاذ نفسي من السجن. على الرغم من أن المحامي إيميت أراد مني أن أفعل ذلك. وتريد أنت مني الآن أن أتحدث عنها حتى تتمكن من بيع الكتاب؟»

كانت وظيفتي هي الاستمرار في تذكيره بفوائد الحصول على كل المعلومات. وساعدني في ذلك أنني كاثوليكي. في نهاية المطاف، أصبح فرانك يسمح لي بأن أُلح عليه لأنه في كل مرة كان يكشف فيها شيئًا جديدًا، كان يشعر بتحسن وراحة نفسية. خلاصة القول، احتفظت بتفاصيل دوري خارج الكتاب لأنني لم أكن أرغب في أن يحصل أي شخص، وخاصة بيلى، على جرعة كبيرة من «عدم الرضا عن تشارلي».

كان شعار عائلتنا: عندما يساورك الشك، عليك أن تتجاهل الأمر.

بالإضافة إلى عدم إشارتي في الكتاب إلى صفتي وأساليبي كمحقق خلال الفترة من 1 مارس 1999 إلى 14 ديسمبر 2003، أي لما يقرب من خمس سنوات، تركت أيضاً الإشارة إلى تفاصيل المقابلات الأولى مع فرانك في عام 1991.

فلم أشر إلى ذلك العام سوى بهذه الجملة الأربع:

أجريت أول مقابلة في عام 1991 في شقة شيران، بعد فترة وجيزة من تمكني أنا وشريكي من تأمين الإفراج المبكر عن شيران من السجن لأسباب صحية. بعد جلسة عام 1991 مباشرة، كان لدى شيران أفكار ثانية حول الطبيعة الاستجوابية لعملية المقابلة وكيفية إنهاؤها. لقد اعترف بأشياء أكثر بكثير مما كان يرغب. قلت له أن يتصل بي مرة أخرى إذا غير رأيه وكان راغباً في الإجابة عن أسئلتني.

كل هذا صحيح، ولكنه مكتوب بشكل موجز وبحدز.

سارت الأمور مع فرانك شيران في عام 1991 بصعوبة منذ البداية. وقمنا أنا وشريكي بارت دالتون بزيارته في السجن لجعله يوقع على البيانات الطبية التي نحتاج إليها من أجل تقديم طلب الإفراج المشروط المبكر لأسباب صحية. قاد بارت السيارة مرتين وحده وكان يقطع مسافة خمسين ميلاً في كل مرة يذهب فيها إلى السجن. ورفض فرانك في كلتا المناسبتين التوقيع على أي شيء. طلب فرانك من بارت أن نقوم بدلاً من رفع دعوى للإفراج المشروط لأسباب صحية، برفع دعاوى حقوق مدنية ضد مكتب التحقيقات الفدرالي، والمدعين العامين الفدراليين

وفي الولايات، وقضاة المحاكم الفدرالية والولايات، ورئيس السجن، وقائمة من المسؤولين الآخرين المذنبين. بتهمة «العقوبة القاسية وغير العادية» في انتهاك للتعديل الثامن للدستور. كنا نعمل بشكل مكثف مع زبوننا المتمرد خلال زيارتنا له.

كانت هناك فائدة واحدة شعرت بأني حصلت عليها وهي الطريقة الصارمة التي تعاملت بها مع شيران قبل ذلك بعشرة أعوام، منذ عام 1981. بعد أن خسر فرانك محاكمته في فيلادلفيا الخاصة بقانون ريكو مباشرة، وكّلي لتمثيله في قضية ويلمنغتون المتعلقة بتهمة الابتزاز في المحكمة الفدرالية. وقفت معه في جلسة استدعائه. قدمنا إفادة بأنه غير مذنب. كان هناك نصف دزينة من المتهمين من رجال المافيا، بقيادة يوجين بوفا زعيم عصابة جينوفيزي والذراع اليمنى لتوني بروفينزانو، إضافة إلى بوبي ريسبو من عائلة فيلادلفيا. كان لكل منهم محام كبير بارع، رجال يرتدون قمصاناً بيضاء بأزرار أكمام من ألماس منقوشة عليها الحروف الأولى من أسمائهم.

حينما كنا في ممر المحكمة بعد جلسة الاستدعاء، أخذني فرانك جانباً وقال: «أحب الطريقة التي تسيطر فيها على نفسك، وعلى الجميع. ليس لدي مشكلة مع أتعابك. لـ... لا تفهم هذا خطأً، ولكن هذه الدفعة الأولى من الأتعاب لتغطي رسوم تقديم الطلب وأشياء من هذا القبيل. لست بحاجة لتشغل نفسك بجمع المستندات والوثائق الرسمية. هؤلاء المحامون الموجودون هناك، سيجمعون كل تلك الوثائق وما عليك سوى التوقيع، هذا كل شيء».

قلت له: «فرانك. عليك أن تبحث عن محام آخر. لقد أبلغتك في مكنتي بمقدار أتعابي ووافقت عليها. بمجرد ظهور مشكلة حولها، سانسحب من القضية. لن أمثلك أو أتفاوض معك. أنا متأكد من أنه يمكنك العثور على محام آخر للقيام بذلك بالطريقة التي تريدها. ولكن ما تقترحه لا ينسجم أبداً مع طريقة عملي نيابة عن موكلتي. عندما أقدم طلباً لزيون فأنا أعرف من أجل أي طرف أعمل. ليس لدي أي فكرة عن الطرف الذي يعمل لصالحه هؤلاء الناس».

قبل أن يتمكن من الإجابة استدرت وغادرت المكان. وكأنما جاءت الأحداث لتثبت وجهة نظري، كشف محامي الحكومة الأمريكية بعد شهر أن رجل مافيا فيلاديلفيا، بوبي ريسبو، كان قد تحول إلى مخبر حكومي قبل شهور. كان ريسبو يسجل طوال الوقت الذي اجتمعت فيه هذه المجموعة من المحامين مع جميع موكلهم لمناقشة استراتيجية الدفاع، وكانت الحكومة تستمع إلى تلك النقاشات. لقد بدت القضية غير دستورية بالنسبة إلي -فهي انتهاك لعلاقة المحامي مع الزبون- لكنها حصلت على تأييد بقرار معلن، في قضية طرفاها حكومة الولايات المتحدة ضد هوبا، وأطراف أخرى.

في نهاية المطاف أدين فرانك وحصل على حكم بثمانية عشرة سنة سجن من أصل اثنتين وثلاثين سنة تمثل مجموع أحكام هذه التهم. كنت على يقين من أن فرانك تذكر كل ذلك عندما قرر توكيلي لإخراجه من السجن عن طريق الإفراج المشروط لأسباب صحية.

تم فتح باب غرفة اجتماعات السجن وانبعثت رائحة المظهرات القوية، ولا شك في أن سببها كان سجيناً يمسح الرواق. فوجئت برؤية فرانك وهو يندفع إلى غرفة اجتماعات السجن على كرسي متحرك كان يدفعه الرئيس السابق لفرع ديلاوير لنادي باغان للدراجات النارية<sup>(42)</sup>.

قبل ذلك بسنوات، عندما كنت أمارس مهام الدفاع عن المدانين بجرائم القتل، قبل أن يصبح عملي مقتصرًا على الحالات التي تعاني من مشكلات صحية، مررت عبر نهر ديلاوير ومثلت رئيس نادي باغان هذا بنجاح في قضية قتل مزدوج للشهود في نيو جيرسي، فقد عُثر على جثتي أحد أعضاء النادي وأمه في منطقة باين بارينز التي تتميز بملوحة أراضيها في جنوب جيرسي، كانت كل جثة مصابة بطلقة في الرأس على يد عضو آخر في النادي، ولكن ليس من قبل موكلي. كان موكلي يمثل حالة محزنة لمصارع في المدرسة الثانوية كان يعاني من فقدان الوزن بسبب وباء المخدرات في الستينيات، وكان يقبع في السجن حينها بتهمة تتعلق بالمخدرات. كان سعيداً برؤيتي، وقد أحاطني بذراعيه الضخمتين المشدودتين. اعتقدت أن من المفيد أن يرى فرانك هذا المشهد، فهو دليل على رضا الزبون عني.

كما لو كنت لا أزال أدرّس اللغة الإنجليزية لطالب مدرسة ثانوية في حي كوينز في نيويورك، أوضحت بصبر لفرانك أن جلسة الإفراج المشروط الطبي كانت إجراءً داخلياً هادئاً يعقد

---

(42) نادٍ للدراجات النارية للخارجين عن القانون أنشأه لو دوبكين في عام 1959. (المترجم).

في غرفة للاجتماعات. لن يكون هناك محام للولاية، ولا صحافة، ولا ضجة. لن يُبلِّغ أي من وكلاء مكتب التحقيقات الفدرالي أو المدعين العامين أو القضاة أننا قدمنا طلبًا للإفراج عنه.

بينما كنت أتحدث، كان يبدو لي أسمن وجه في أكبر رأس رأيتَه على الإطلاق شاحبًا وملامحه قاسية، وكانت عيناه الزرقاوان الباردتان والجافتان تحدقان إلى وجهي. لم نر بعضنا منذ عشر سنوات. كان جلده السميك رماديًا مثل لون حجر الغرانيت الذي شيدت منه محكمة ديلاوير التي أدين فيها وبدأ يصبح رماديًا أكثر وأنا أتحدث. أنا متأكد من أنه كان يتنفس، ولكن لم تكن هناك طريقة لمعرفة ذلك.

قلت له: «فرانك، أنت على كرسي متحرك. أنا وبارت محاميان مختصان بقضايا الإفراج المشروط المتعلق بالأسباب الصحية لموكلينا. وهذا ما نعمل عليه الآن، ونحن نعرف كيف نقدم الأدلة الطبية. تحتاج إلى جراحة في العمود الفقري بسبب الضيق الحاد في الفقرات. لديك أفضل جراح أعصاب في فيلاديلفيا، وهو الدكتور فريد سيميون، مستعد لإجراء عملية جراحية لك في بنسلفانيا. بعد ذلك، ستحتاج إلى رعاية مكثفة وعلاج طبيعي وخدمات تمرّض. لا يريد مأمور هذا السجن أن يقدم لك الرعاية اللاحقة الخاصة التي ستحتاج إليها. سيكون من دواعي سرورنا أن يتم إخراجك من هنا على أساس الإفراج المشروط لأسباب صحية. ستكون لجنة الإفراج المشروط المدنية المؤلفة من ثلاثة أعضاء إلى جانبنا. في الواقع، لن يكون هناك أي جانب آخر سوى جانبنا. من ناحية أخرى، إذا قدمنا أيًا من هذه الدعاوى

التي تريد منا أن نرفعها، فإن جميع عناصر أجهزة تطبيق القانون -الذين يحبهم قلبك- سيتحدون معاً وراء الكواليس للتأكد من أنك ستقضي محكوميتك حتى آخر ثانية».

كما لو أنه لم يسمعي، بدأ يتحدث بنبرة متجمدة وباردة مثل الثلج ومثل ملامحه القاسية، وبصوت رتيب صادر من خلال أسنان مشدودة شرع يلقي حواراً كان واضحاً أن أحد محامي السجن قد كتبه له. كانت كل جملة يقولها يبدوها بكلمتي: «أريدك أن تقاضي...» ومثل شرطي يتم الاتصال به باللاسلكي لإبلاغه عن وجود رجلين يتقاتلان عند زاوية أحد الشوارع ويذهب على مهله إلى هناك ويكون حينها الرجلان قد هلكا من شدة الضرب الذي تبادلاه، تركته يتحدث بلا توقف ليذكر لي أسماء كل أولئك الذين أراد منا أن نقاضيهم.

عندما بدا أنه فعل، قلت: «فرانك، هل انتهيت؟»

قال: «نعم... نعم... لقد انتهيت».

«أتمنى أن تسمع نفسك تتحدث. ثم ستعرف أنك لم تكن منطقياً على الإطلاق».

ثم جعلته يركز على ما سأقوله.

«نحن نطالب بإفراج مشروط طبي»، واصلت ببطء وبطريقة محددة، «وهذا كل ما نقوم به. إذا فشلنا وإذا تمكنت من العثور على محام غبي بما يكفي لتقديم هذه الدعاوي القضائية التافهة، فاذهب وافعل. سيعود بارت في غضون أسبوع ليأخذ هذه الأوراق، وإذا كنت تريد منا أن نمثلك، فمن الأفضل توقيعها. أيها الحارس، نريد أن نخرج من هنا».

في الأسبوع التالي، قاد بارت دالتون ذو البنية الرياضية سيارته إلى السجن بمفرده. وعند عودته كان قلقًا جدًا بشأن سلامتي وقال لي: «كل ما تحدث عنه هو أنت. أنا قلق حقًا بشأنك. لم يتحدث إليه أحد من قبل بهذه الطريقة. وتركته وهو على هذه الحال. واستمر في قول ذلك مرارًا وتكرارًا. حاولت أن أخبره بأنك تفعل ذلك من أجل مصلحته الخاصة، لكنه لم يصغ إليّ. كان الأمر كما لو كنت أتوسط لحل مشكلة بين رجلين من المافيا. وليس القيام بأعمال المحاماة. أنا قلق حقًا. لم يتوقف قط عن الحديث عنك. تذكر، أنه قتل فريد جورونسكي لأنه جاء متأخرًا إلى أحد الاجتماعات وسكب النبيذ عليه».

قلت: «ناهيك بأنه المشتبه فيه الرئيس لدى مكتب التحقيقات الفدرالي في قضية هوفبا. حسنًا، هل وقع الأوراق؟»  
«نعم».

«عمل رائع. هذا هو المهم، أليس كذلك؟ دعنا نعمل على إطلاق سراحه».

«بالتأكيد سنفعل ذلك».

وتقديرًا لنا، اصطحبنا فرانك مع مساعدينا القانونيين لتناول الغداء مع بعض أعضاء نقابة سائقي الشاحنات الذين بدوا كما لو أنهم جاؤوا للتو من أحد الاعتصامات، كانوا ثمانية رجال يحملون اسم روكو. منذ أن غادر فرانك السجن البارد القاتم، تحسنت صحته وأصبح قادرًا على السير باستخدام العصا. كنا في الغرفة الخلفية للمكان الذي كان يتردد عليه في السابق، وهو مطعم فنسنت في حي ليتل إيتالي في ولمنغتون، والذي كان

يشير إليه أفراد العصابات في الشرائط المسجلة لدى مكتب التحقيقات الفدرالي باسم «متجر النبيذ». وهو المكان الذي قدم فيه أحد أفراد العصابة ذات مرة زجاجة من شراب الدوم لابنتي جيني روز في حفل عشاء عائلي في عيد ميلادها السادس عشر. أخبرنا فرانك في إحدى المرات أن ابنته لديها قطعة تحب القفز في حوضه في أثناء مشاهدته مباريات كرة القدم. لذا اشترى مسدس ماء. وبدأ يقلد لنا كيف كان يصيب القطة برذاذ الماء، وجعلني ذلك أصاب بقشعريرة. شعرت بالقشعريرة مرة أخرى في ديترويت في عام 2002 عندما قلّد كيفية إطلاق النار على لوح الأرضية الخاص بسيارتي الكاديلاك المستأجرة باستخدام «قد... ط... ع...ة...»

قام فرانك وأصدقائه وكأنا لم نكن حاضرين معهم، باستعادة الكثير من الذكريات، متعجبين من أنهم ما زالوا على قيد الحياة وينتقصون من رجولة عدد من القضاة وعملاء مكتب التحقيقات الفدرالي. كان أحد العملاء الذين انتقصوا منهم فعلاً، هو جون تام الذي كان يعيبونه لأنه كان متأنقاً جداً، كان هو الشخص الذي «غطاه» فرانك ببطانية في أثناء محاكمته وفق قانون ريكو، وكان يصفه بـرجل ذي شفاه سميقة يرتدي بدلة سوداء وقميصاً أسود وربطة عنق بلون أحمر فاتح، ومنديل جيب أحمر وقال لنا عنه: «أنا أعرف ما مشكلة تام. سأخبركم بمشكلة تام.. كان يتشاجر طوال حياته مع المثليين».

بدا واحد من أصحاب فرانك الآخرين، وهو رجل يدعى فراني كان قليل الكلام لا هم له سوى التسكع وكان هو من سلمني أتعاب

المحامية التي أرسلها فرانك، منهمك في التفكير. كنت أعرف أن فرانك وفراني كانا رفقاء منذ روضة الأطفال. فجأة، رفع فراني كأسه من النبيذ وقال بصوت يختنق بالعبرات: «فرانك، أتمنى أن يتركك محققو مكتب التحقيق الفدرالي وشأنك». جاء الرد من الحاضرين بالإجماع: «صدقت، صدقت». وردّدا أنا وبارت من بعدهم: «صدقت، صدقت».

بعد مأدبة الغداء أخذني فرانك بعيداً عن أنظار ضيوفه. وقال لي: «لقد تعبت من اتهامي بقضية جيمي. كل المقالات التي لديهم تتحدث عني. لقد أصبح لديهم ستة كتب جميعها تتهمني بتدبير ذلك الأمر. أليس كذلك؟»

وأضاف فرانك أنه في أثناء وجوده في السجن، قرأ روايتي البوليسية، «الحق في البقاء صامتاً»، التي أصدرتها دار نشر سانت مارتن في عام 1988 واختارتها شركة تري ستار بيكتشرز للإنتاج السينمائي لتحويلها إلى فيلم سينمائي، ولكن لم يتم إكمال المشروع قط. كان بطلها المحقق لو رازي أستاذاً في فن الاستجواب. لقد استندت في كتابتها إلى القضايا الكبرى التي ساعدت في حل ألغازها من خلال الاستجواب، مثل قضية فولمان المتهم بعملية سرقة وقتل. كانت الرواية تدعو إلى تحقيق العدالة الجنائية حيث إن شخصيتها المركزية تصف الاعتراف بأنه «أحد ضرورات الحياة، مثل الطعام والمأوى، فهو يساعد على تخلص الدماغ من فضلات الروح». بعد الإعلان عن صدورهما في صحف ولاية ديلاوير، والتي وصفتها بأنها رواية واقعية، تلقيت رسالة من الرئيس رونالد ريغان يثني فيها على الرواية بسبب «وقوفها

الصريح إلى جانب تحسين سبل حماية المواطنين الملتزمين بالقانون». وقد اطلع فرانك على مقالة تتحدث عن الرئيس الأمريكي -الأيرلندي الأصل- وهو يبدي إعجابه بكتابي.

قال فرانك الأيرلندي: «لقد أعجبني كتابك أيضًا. أريد أن أولف كتابًا، وأريدك أن تكتبه لي.. أريد أن أسرد لك تفاصيل هذه القضية من جانبي».

أخبرتني خبرتي وغريزتي في الحال أن لفرانك -على الأقل بشكل لا شعوري- رغبة كامنة في الاعتراف.

أخبرتني لقاءاتنا السابقة بذلك أيضًا. بعد أن كنت أتعامل معه بشدة وحزم قبل أن يُكشف أن بوبي ريسبو كان يؤيد مكتب التحقيقات الفدرالي في هذه القضية. وحتى بعد استخدامي أسلوبًا أكثر شدة معه حينما ناقشت معه في غرفة اجتماعات السجن قضية الإفراج المشروط عنه لأسباب صحية، والآن بعد أن تعرف على المحقق الماهر لو روزي، البطل الرئيس لروايتي التي تتحدث عن مكافحة الجريمة، لم يكن هناك أدنى شك في أنه بات يعرف أنني أفضل من أن يختارني لأسرد «أحداث القضية كما يراها هو». لقد قضى فرانك أيامًا في السجن مع بعض المجرمين الحقيقيين في هذا الكتاب، وهم الرجال الذين وضعتهم في السجن عندما كنت مدعيًا عامًا. كانت الرغبة الكامنة في الاعتراف لشخص في السلطة مفهومًا تعلمته مبكرًا جدًا في مهنتي السابقة كمسؤول عن تطبيق القانون من قبل محقق جرائم القتل المخضرم في قسم شرطة ويلمينغتون، الراحل تشارلي بيرك.

سألت بيرك ذات مرة: «كيف كنت تحصل على هذا العدد الكبير من الاعترافات؟»  
أجابني: «كانت لديهم الرغبة في ذلك ومن تلقاء أنفسهم، يا عزيزي».

اعتقدت أنه كان يمزح.

حدث ذلك بعد أن حصل على اعتراف بارتكاب جريمة قتل من اللص راندولف ديكرسون. استخدم راندولف مفك البراغي ليفتح به نافذة شقة لامرأة عجوز ويطعننها حتى الموت. كانت تلك المرأة تسكن بمفردها وتعتاش من بيع الأناجيل. دخلت بائعة الأناجيل شقتها وفوجئت بجارها في الطابق العلوي ديكرسون يسرق خزانتها.

«كان راندولف بحاجة إلى أن يزيح عن صدره أمر جريمة القتل تلك، يا عزيزي. كان ذلك الرجل بحاجة إلى أن يتخلص من ذلك العبء الذي يحمله في صدره». أحب بيرك أن يكرر ما يقول. «إنه الهيروين اللعين. صدقتني، إنه ليس بشخص سيئ. ولكن عليك بكل تأكيد أن تجعله يدرك أنك القائد. يجب أن يعترف بك قائداً، يا عزيزي». لم يعتمد بيرك كثيراً على أساليب الكتب والبحوث في علم التحقيقات، على الرغم من أن بعض الكتب في هذا المجال رائعة. كان لدى بيرك إيمان بهذا الأمر. أصبحت مؤمناً برغبة المجرم في الاعتراف إلى شخص ذي سلطة. وأصبحت فيما بعد ظاهرة اعتمدها وواجهتها مرات لا تحصى قبل هذا الاحتفال الذي جرى على الغداء في «متجر النبيذ» وطلب فرانك بعد الغداء أن أولف كتابه وأسرد «روايته للحادثة»، وكانت تلك

الحادثة هي اختفاء جيمي هوبا.

أدركت من خلال عملي على جانبي القانون الجنائي -كما فعل الكثيرون منذ آلاف السنين- أن هذا الإحساس بالضمير الحي، الذي تدعو إليه الأديان، وبرنامج الاثنتي عشرة خطوة<sup>(43)</sup>، والأطباء النفسيون، وكما صورته مسرحيات كتبتها أنا مثل كتاب مبدعين مثل شكسبير، هو جزء من الطبيعة البشرية. يمكن للكحول والمخدرات تخديره، لكنه موجود في لا وعيه، في انتظار أن يكشف عن نفسه بكل إتقان ويخرج إلى العلن.

ومع ذلك، حتى عندما يُظهر القاتل رغبة في الاعتراف، فإن من يرغب في ذلك هما القلب والروح. في هذه الأثناء، فإن كل خلية في الجسم تعارض ذلك. لأن الجسد سينتهي به المطاف في السجن أو محمولاً على نقالة. غالباً ما تتفاعل في الوقت نفسه هذه التأثيرات المتعارضة داخل عقل مليء بالشعور بالذنب.

بفضل ما كانت تمثله مآثر المقدم التلفزيوني مايك والاس في برنامج التلفزيوني الشهير 60 دقيقة، من إلهام لي حين كنت في سنتي الأخيرة في كلية بروكلين الخاصة للحقوق في نيويورك، أصبح الاستجواب والتحقيق مثير شغفي. وتدرجت في مسيرتي القانونية، فانتقلت من التحقيق مع اللصوص ومدمني المخدرات إلى استجواب الشهود من الخبراء في جراحة الأعصاب. ولكن فيما يتعلق بقدرتي على جعل فرانك يعترف أم لا، وما إذا كنت

---

(43) مجموعة من المبادئ التوجيهية التي تحدد مسار العمل للشفاء من الإدمان والسلوك القهري أو المشكلات السلوكية الأخرى. اقترحت في الأصل منظمة مدمني الكحول في أمريكا. (المترجم).

سأستكشف أعماق «سرده الأحداث»، فإنه يعتمد على مدى عمق الشعور بالذنب لدى هذا الشخص الذي يتبع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

## مطعم المونايزا

قمنا بالإعداد لاجتماع في شقة حديقة فرانك في سبرينغفيلد بالقرب من فيلادلفيا. كان ذلك في أكتوبر 1991، قبل إجراء العملية الجراحية لفرانك. اكتشفت أنني في أسوأ الأحوال سأحصل على مواد للمحقق في روايتي القادمة.

فتح فرانك الباب متكئاً على عصا لتسنده. كان يرتدي «الزي» الخاص به من بنطال رياضي قطني باللون الأزرق الداكن، وبلوزة متطابقة معه، وقبعة من نسيج صوفي خشن رمادية اللون مسطحة لتشير إلى أن مهنة سائق الشاحنة لا تزال لها مكانة في قلبه. تماشياً مع كون موضوع الجلسة هو سائق الشاحنة، كان هناك راديو في الشقة يقدم محطة إذاعية تبث موسيقى الريف. كان يقف خلف فرانك رجل قصير أحمر الوجه بدين بنفس عمر فرانك تقريباً يرتدي بدلة بنية مشدودة، وقميصاً أصفر ذا ياقة وربطة عنق حمراء وذهبية. شعرت حينها بخيبة أمل.

لأن القاعدة الأولى، أنك تريد الشخص الذي تكتب عنه وحده. دعاني فرانك للدخول إلى شقته ذات الترتيب الدقيق والمكونة من غرفتي نوم، وكانت تفوح منها رائحة معقمات طبية خفيفة، وقال: «هذا محامي الخاص، تشارلي براندت. وهذا هو محامي الخاص الآخر، جيمي لينش، الكاثوليكي».

مدّ جيمي لينش -الكاثوليكي- يده وقال لي: «أهلاً عزيزي كيف حالك».

شعرت بعودة الأمل إلى نفسي عند سماع لقبه. فقد كان الكاثوليك يمارسون سر الاعتراف والتوبة.

ذهبت إلى الحمام وعندها سمعت رنين الهاتف. عندما خرجت، رأيت فرانك شيران يتصرف بشكل محترم جداً وهو على الهاتف، ويومئ برأسه ويقول «نعم... نعم...» لشخص اتضح أنه بيغ بيليا ديليا، مساعد راسل بوفالينو.

عندما انتهت المكالمة، قال فرانك لجيمي: «لقد تغير الأمر، علينا أن نفعل ذلك الآن».

احتج جيمي قائلاً: «الآن؟»

«أنت تفعل ذلك عندما يريدونك أن تفعل ذلك، وليس عندما تريد أن تفعل ذلك. إنهم لا يعطونك أي إشعار أيضاً».

«وماذا عن تشولي؟»

قلت له: «يا أصحابي. لقد أحضرت أوراقى من المكتب. سأعمل هنا على طاولة غرفة الطعام حتى تعودوا».

قال فرانك: «لا، سنصحبه معنا. ستكون الأمور على ما يرام».

خلع فرانك قبعته وبلوزته ولبس قميصاً رسمياً أبيض ناصع البياض منقوشة عليه حروف FJS إشارة إلى اسمه الثلاثي Francis Joseph Sheeran على أزرار الأكمام. وارتدى فوقه سترة سوداء. وظل مرتدياً نفس بنطاله.

قاد الكاثوليكي السيارة. كان فرانك يحمل مسدساً، وجلست أنا في المقعد الخلفي. سوف أعلم لاحقاً أن جيمي هوفنا الوثائق

بأصحابه قد جلس أيضًا في المقعد الخلفي في رحلته الأخيرة. حجب عني رأس فرانك الضخم ذو الشعر الأبيض الرؤية. لم يتم نطق كلمة واحدة، ولم يكن لدي أي فكرة إلى أين نتجه. كنت أعلم أنه إذا كان فرانك يجهز لعملية قتل، فسأذهب أنا والكاثوليكي معه. أخيرًا وصلنا إلى شارع ساوث، وسرعان ما تعرفت على متجر المفضل في فيلاديلفيا، وهو متجر تاور ريكورد الواقع على ناصية الشارع السادس. اتخذنا منعطفًا إلى اليمين من المتجر وانتهى بنا الأمر أن أصبحنا قبالة مطعم الموناليزا. أفزعني صوت طرق على نافذة السيارة. كان رجلًا أمريكيًا إيطالي الأصل يشير لنا إلى مكان لا نحتاج فيه إلى تذكرة وقوف للسيارة.

سألني الناس في أثناء إحدى المحاضرات التي ألقيتها ما إذا كنت قد شعرت بالخوف حينما كنت أرافق فرانك. فقلت: «مرة واحدة، عندما دخلنا إلى مطعم الموناليزا وأغلق الباب خلفنا بصوت عالٍ». جعل قلبي ينخلع. في وقت لاحق، أفشى لي فرانك سرًا بأنه قد عانى من نفس تلك المفاجئة المخيفة عندما قفل باب المطعم خلفه عندما التقى أنجيلو برونو في مطعم فيلا دي روما ليقدم له تفسيرًا عن مؤامرة قيامه بحرق شركة الغسيل لصالح ويسبرز.

دعيت أنا والكاثوليكي للجلوس في المشرب. ما أن تتجاوز المشرب حتى تجد طاولة مستديرة كبيرة. كان جون ستانفا جالسًا بمفرده، عراب عائلة الجريمة في فيلاديلفيا المتوج حديثًا، سليل الملك تيسا الملقب بـ «رجل الدجاج» الذي خلع

من العرش بواسطة قنبلة الأظافر<sup>(44)</sup> التي زرعت تحت الدرجات  
الأمامية لمنزله. وأنجيلو برونو الذي لقي مصرعه بطلقة في  
الرأس في أثناء جلوسه في سيارة متوقفة أمام منزله. هرعت  
السيدة برونو وصرخت: «اتصلوا بسيميون»، الجراح الذي كان  
سيعالج فرانك، لكن الوقت كان متأخرًا جدًا. كان جون ستانفا  
سائق أنجيلو برونو في تلك الليلة قد تم إطلاق النار عليه في  
الكتف بواسطة مسدس لشلّ حركته بنفس الطريقة التي أصاب  
بها فرانك حارس غالو الشخصي في المؤخرة.

أخبرني فرانك لاحقًا بأنه كاد يُقتل عندما طُلّي منزل «آنجي».  
في تلك الليلة كان فرانك يتناول العشاء في مطعم أمبرتو في حي  
ليتل إيتالي. جاء أنجيلو إلى طاولة فرانك وطلب من فرانك أن  
يقله بالسيارة إلى المنزل إذا لم يظهر جون ستانفا قريبًا. لكن  
ستانفا وصل وبقي فرانك في مكانه.

فسأله: «لماذا تقول أنك كدت تُقتل؟»

«كانوا يعرفون أنهم لا يستطيعون إطلاق النار على كتفي.  
سيتعين عليهم قتلي بوسيلة أخرى».

وسط هذا الوضع المحرج، شقّ جون ستانفا طريقه وخلف  
لاحقًا سكارفو الملقب بنيكي الصغير كزعيم للعائلة. كان نيكي  
الصغير ينفذ حينها العديد من الأحكام بالسجن مدى الحياة  
بسبب جرائم قتل متعددة كان قد أمر بها. كان جون ستانفا  
-الذي وُلد ونشأ في صقلية- يمتلك مطعم الموناليزا. قبل سبعة

---

(44) قنبلة مضادة للأفراد مليئة بالمسامير لزيادة فعاليتها في إصابة الضحايا.  
(المترجم).

عشر عامًا في عام 1974، كان جميع رؤساء عائلة فيلاديلفيا المذكورين أعلاه من بين ثلاثة الآلاف ضيف في الكازينو اللاتيني الذين قدّموا احترامهم لفرانك شيران في ليلة تكريمه.

أشار ستانفا إلى فرانك حيث يجلس بينما ترك الآخرون مقاعدهم في المشرب وانضموا إلى الطاولة.

كنت أعرف بما يكفي أنه يجب ألا أسأل، لكنني تمكنت بسهولة من اكتشاف أننا كنا في محاكمة وأن جون ستانفا كان هو القاضي. كان لدى ستانفا سلوك متحفظ وخال من المشاعر. زعم فرانك، المدعي في تلك المحاكمة، أن رجلين من عائلة فيلاديلفيا جمعوا مبالغ قروض له وبفوائد فاحشة عندما كان في «السجن»، والآن «يرفضان أن يجلبا النقود». من جانبهما، ادعى الرجلان أنهما في أثناء جمعهما «الفائدة» كانوا يسلمون أموال فرانك، والتي كان مبلغها خمسمئة دولار في الأسبوع، إلى عراب عائلة فيلاديلفيا السابق، سكارفو الملقب بنيكي الصغير. شهد نيكي الصغير من السجن أن الاثنين لم يعطياه أيًا من أموال فرانك. كان من يمثل فرانك في تلك المحاكمة هو بيغ بيلي ديليا، والذي كان حينها يدير أغلب شؤون العائلة باعتباره مساعد العراب راسل بوفالينو.

كانت المشروبات مجانية، وكان هناك طعام موضوع لنا على طاولة منفصلة. أدهشني أنه كان مؤلفًا من الخبز واللحوم الباردة الإيطالية التي تصنع منها الساندويتشات، ولم يكن يحتوي على تلك المأدبة الشهية لأطباق المرق الأحمر الساخنة ذات الرائحة الفواحة التي كان جدائي المهاجران روزا ولويجي دي ماركو ينشرانها

في مزرعة العائلة في ستاتين آيلاند عندما كانا يطبخانه. ولكن، كان يجب أن أدرك مجدداً أنها كانت قاعة محكمة.

استغرقت الرحلة ذهاباً وإياباً إلى مطعم الموناليزا مع جلسة المحاكمة وتبادل الأحاديث الودية التي رافقتها مدة خمس ساعات. اعتقدت أنني رأيت ستانفا يرسم ابتسامة على وجهه الجاد في النهاية. عندما خرجنا بعد المحاكمة صافحت يد بيلي ديليا لأول مرة. بدا بيبغ بيلي في هيئته كرجل أعمال يرتدي بدلة فاخرة أمريكياً أكثر منه إيطالياً، وكان مرتاحاً جداً. لقد تساءلت منذ ذلك الحين ما إذا كنت أحضر عرضاً لفيلم «المراقبة».

ركبنا في سيارة الكاثوليكى. أعلن فرانك بفخر وكانت تفوح منه رائحة نبيذ الكيانتي: «لقد انتصرت. انظر إلى الاحترام الذي أحظى به. يفعلون ذلك فقط للإيطاليين. هذا هو الاحترام الذي أحظى به. ولهذا كانوا يتمسكون بي. سوف تحصل على بعض النقود من هذا الأمر، جيمي. على هذين الشخصين أن يدفعوا لي خمسمئة دولار في الأسبوع إلى أن أبلغهم بالتوقف».

وأنا في المقعد الخلفي، تعجبت من ذلك الشكل الفريد للعدالة، وتساءلت: ألا يجب أن أكون أنا الثالث؟

بعد توقف، استمر فرانك قائلاً: «لدى فراني مشكلات، على الرغم من ذلك يا جيمي. تكشف بعض الأشياء عن فراني، وبعض الأشياء التي كان يفعلها».

«ماذا تقصد يا فرانك؟ فراني إنسان طيب. لا أريد أن أرى أي شيء يحدث لفراني».

وأنا في المقعد الخلفي لم أكن أرغب في رؤية أي شيء يحدث لفراني أيضًا. كان هذا هو نفس فراني الذي أحضر لي أتعابي عندما كان فرانك في السجن، والذي رفع كأسه على الغداء بعد إطلاق سراح فرانك وكان صوته يختق بالعبرات من أجل صديقه من أيام روضة الأطفال.

في طريق العودة إلى شقة فرانك في ذلك المساء الخريفي البارد والسيارة تسير بنا وسط الظلام، استمر جيمي في الدفاع عن فراني. واستمر فرانك في التهرب من جيمي بتكرار أنه «لا يملك أي سيطرة على الأمر».

بعد ثماني سنوات عندما استأنفت أنا وفرانك اجتماعاتنا في الأول من مارس 1999، علمت أنه لم يحدث شيء لفراني. ألمح فرانك إلى أنه سيحامي فراني. وأوضح: «لدى فراني زوجة لطيفة وابنة لطيفة». اغتمت هذه المناسبة لتذكير فرانك بأن لديّ زوجة جميلة وابنتين جميلتين، وابتأ لطيفاً.

لم تمض على عودتنا إلى شقة فرانك خمس دقائق حتى أعلن الكاثوليكي

-وقد أثبت أنه يستحق هذا اللقب- أنه مستاء جداً بخصوص فراني وأنه لن يبقى وسيعود إلى المنزل للنوم. لقد رأيت ذلك كعلامة جيدة على أن فرانك كان لديه بين أصدقائه هذا الرجل الذي يمتلك ضميراً. مع ارتداء الكاثوليكي معطفه المصنوع من شعر الجمال مرة أخرى والتوجه إلى الباب، أصبحت وحدي مع فرانك شيران، المشتبه فيه في مكتب التحقيقات الفدرالي في جريمة قتل جيمي هوف.

كنا في أحسن حال لننطلق في مشروعنا. لقد أبرمنا بالفعل صفقة لمشاركة «أرباح» كتاب غير مريح جدًا يسرد فيه فرانك «الأحداث من جانبه»، وهو كتاب من شأنه أن يبرأه. لقد أكد لي فرانك أن راسل قد منحه الموافقة على تأليف الكتاب «ما دام لا يضر أحدًا».

اعتقدت منذ البداية أن مشروع الكتاب كان، في الواقع، عذرًا لفرانك للتحديث. وكنت منفتحة تمامًا على أن يكشف ما في داخله. قذفت بمسودة الكتاب من الباب خلف جيمي لينش وهو يغادر. كنت أنوي أن أسهل العملية على فرانك، وأحضره على البوح بأكبر قدر من الحقيقة التي أراد أن يزيحها عن صدره. كان هناك بالطبع خطر في ذلك، لكنني كنت على استعداد لتحمل المخاطر. في تلك الليلة الطويلة التي قضيتها وحدي مع فرانك حدثت بعض العراقل، ولكن في النهاية نطق فرانك بكلماته الأولى التي وصلت إلى حد الاعتراف بإقراره بالذنب في قضية جيمي هوبا: «يعتقد الناس أن مكتب التحقيقات الفدرالي لا يعرف ما الذي يفعلونه أولئك الأوغاد، ولكن الحقيقة أن مكتب التحقيقات الفدرالي يعرف ماذا يفعلون».

كانت تلك الجملة المركبة هي البوابة التي كانت تتأرجح على مصراعيها لتندفق منها التفاصيل. لقد صاغ فرانك القضية لنا. واضطر حينها إلى شرح لماذا «يعرف مكتب التحقيقات الفدرالي ما الذي يفعلونه».

من دون أن أعرف ذلك، كان شيران يشير إلى مذكرة مكتب التحقيقات الفدرالي التي عرفت باسم «هوفكس» ويؤيد ما جاء

فيها. كانت شيئاً لم أسمع به قط. وكنت قد قرأت عنها لاحقاً في كتابي ستيفن بريل ودان مولديا حول اختفاء هوبا. كانت شيئاً لم أتمكن من الاطلاع عليه إلا بعد نشر هذا الكتاب.

كتب بوب غاريتي، العميل الخاص بقضية هوبا في مكتب التحقيقات الفدرالي خلال ذروة التحقيقات، تلك المذكرة بعد أسابيع قليلة من اختفاء هوبا.

تشرفت بمقابلة بوب غاريتي في عام 2005، بعد أربعة عشر عاماً من محاكمة فرانك التي جرت في مطعم الموناليزا، عندما اشترى بوب كتابي الورقي وطلب الحصول على توقيعني عليه، طلب مني أن يكون الإهداء باسم «بوب غاريتي».

قلت: «ألا أعرف هذا الاسم؟» ونظرت إلى الأعلى.

«كنت العميل الخاص بقضية هوبا، لقد قرأت الكتاب مرتين».

جمع غاريتي في مذكرة هوفكس، التي شكلت الأساس للكتب الأخرى المكتوبة عن جريمة قتل هوبا، قائمة دقيقة من المشتبه فيهم، بما في ذلك شيران وبوفالينو.

قلت له: «أرجوك اجلس معي».

كان بوب يرتدي قميص نادي «بيتسبرغ ستيلرز» لكرة القدم باعتباره الممثل الأمني للدوري الوطني لكرة القدم الأمريكية. ما زالت الصورة التي التقطتها زوجتي لنا جالسين معاً معلقة على جداري.

قال بوب: «لطالما أحببنا شيران. كانت عائلة هوبا تعتقد أن فرانك شيران يعرف كل شيء». كان فرانك يعرف أيضاً أن عائلة هوبا قد وثقت به، وأن هذه المعرفة جعلت ضميره يؤنبه، وكان

يعاني كثيراً من التزامه الصمت.

لكن لم يكن لديه خيار حتى وصلت أنا في الوقت المناسب ومع المهارات المناسبة.

ضغط جميع المشتبه فيهم المدرجين في مذكرة هوفكس التي كتبها غاريتي ومن دون استثناء على ما أسميه زر كتم صوت تحذير ميراندا<sup>(45)</sup> في جهاز التحكم عن بعد. رفض جميعهم السماح لمكتب التحقيقات الفدرالي بطرح أية أسئلة. كان بوب غاريتي ومكتب التحقيقات الفدرالي يعرفون، بواسطة المخبرين من هو الفاعل، ولكن لم يكن لديهم طريقة لاخترق جدار الصمت الحجري ذاك لمعرفة من فعل ذلك. وهكذا تابع المكتب بلا رحمة ملاحقة أولئك المدرجين في القائمة عن أي شيء آخر قاموا به، مهما كان غير ذي صلة، لعله يمكنهم النيل منهم من خلاله.

بدأ العمل المستمر بلا هوادة الذي أنجزه بوب وآخرون بخصوص القضية يؤتي ثماره بالنسبة إلي في شقة فرانك في تلك الليلة. فالخوف من الوقوع في قبضة العدالة يساعد على زيادة الشعور بالذنب. كان ضغط مكتب التحقيقات الفدرالي الذي لم يتوقف يزيد من آلام فرانك وسط الجحيم الذي كان يعيشه بسبب تأنيب الضمير، وقد استفدت أنا من العمل الذي قام به محققو مكتب التحقيقات الفدرالي.

في تلك الليلة البالغة الأهمية في عام 1991، لم يهتم فرانك

---

(45) التحذير الذي توجهه الشرطة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى المشتبه فيهم جنائياً عند القبض عليهم وقبل أن يتم استجوابهم، للحفاظ على مقبولية بياناتهم قبل استخدامها ضدهم في الإجراءات الجنائية. (المترجم).

المتعجب بأن عليه أن يرتدي ما يجلب له الاحترام فاكتفى بارتداء سروال قصير ذي لون رمادي. استقر به المقام هناك بينما جلست بالقرب منه، لا يفصلنا شيء. نظرًا لأنني لم أرَ مذكرة بوب غاريتي ولم أقرأ أيًا من الكتب التي تناولت قضية هوبا، لم أكن أمتلك أي نظرية ترشدني في عملي، ولم يكن في بالي أي سيناريو لتطور الأحداث.

لقد ساعدني نبيذ الكيانتى الذي تناوله فرانك في مطعم الموناليزا. وكما يقول المثل اللاتيني «عند الخمر تظهر الحقيقة». من المحتمل أن يجعله نبيذ الكيانتى أكثر طلاقة في الحديث، وتجعله سعادته بانتصاره في محكمة المافيا أكثر انفتاحًا. كما ساعدت في الأمر التماسات الدفاع التي قدمها جيمي لينش الكاثوليكي نيابة عن فراني. وقد كانت تحمل نبرة أخلاقية. استغرقت جلستنا خمس ساعات كاملة بعد الخمس ساعات التي قضيناها في محكمة المافيا. عندما غادرت المنزل كان لديّ كم كبير من المعلومات عن ما حدث لجيمي هوبا. كان لديّ على الأقل فكرة عما فعله كل رجل في قائمة هوفكس التي كتبها بوب غاريتي.

بعد ثماني سنوات في عام 1999، أخبرني فرانك بأن شخصًا واحدًا فقط في قائمة هوفكس للتسعة المشتبه فيهم بريء. كان ذلك الشخص هو غابي، شقيق سال «سالي باغز» بريغوليو. أخبرني فرانك أنه كان في السجن مع غابي وأن غابي أكد له أن شقيقه سالي لم «يتحول إلى مخبر». وصف فرانك حادثة إطلاقه النار على سال بريغوليو: «كانت ضربة سيئة».

في تلك الليلة من عام 1991 كنت مع فرانك في غرفة معيشته، في جو حميمي لم يكن فيه جهاز تسجيل في يدي ودون تدوين ملاحظات؛ ما ساعده على البوح بما عنده لوصف جريمة قتل هوفاً وأنها حدثت في منزل «مستعار» في ديترويت. وأن يعترف باستخدام مسدس، وأن يعترف بأنه كان حاضراً في ذلك المنزل في ديترويت في أثناء القتل، وأنه ذهب إلى هناك بأوامر من راسل، وأنه قد طار هناك على متن طائرة خاصة، وأن الجثة قد أحرقت من قبل الإخوة أندريتا الذين كانوا بمنزلة «عمال نظافة». واعترف فرانك أنه كان هناك كعضو في مؤامرة القتل. هذا جعله مذنباً بالقتل كما لو كان قد سحب الزناد بنفسه. لكنه كان غامضاً ومراوفاً بشأن ما إذا كان قد سحب الزناد بالفعل، وسمحت له بأن يفلت من ذلك الأمر في ذلك الوقت.

كنت أعلم أنه شعر من شدة حذره بالندم الحقيقي. وقررت أن أسجل ما يقوله على شريط تسجيل في المرة القادمة. بالإضافة إلى ذلك، فإن تركي في ذلك الوقت لتلك الإجابات التي يصعب الحصول عليها والتي يجب صياغة أسئلتها على أنها مجرد رأي كان من أجل تركه ليحكي الحقائق التي أخفاها سابقاً، فقلت له: «لا، لا، لا أقول إنك فعلت ذلك. أنا أسأل فقط ما تعتقد أنه قد حدث. وبرأيك. إنه مجرد رأي. لكل شخص الحق في إبداء الرأي».

ظننت أنني سأنتهي من النهايات المفتوحة في جلستنا القادمة، ولم أحلم قط بأن ذلك سيحدث بعد عقد من الزمن.

في تلك الليلة الخريفية، لم ينكر فرانك قط أنه كان يعرف من ضغط على الزناد. في مرحلة ما، ادعى أنه ربما تم جلب اثنين من أيتام الحرب في صقلية من وندسور في كندا. ولكن أجبرته أسئلتي المتلاحقة على التراجع عن هذا الرأي. كذلك، تراجع تحت إلحاح استجوابي عن الادعاء بأنه كان هناك «لمراقبة العملية لصالح راسل».

صار واضحًا تدريجيًا أن سلاح القتل كان مسدسًا. اقترح فرانك في البداية أنه ربما يكون شماعة ملابس سلكية وسدد لي ضربة قوية عندما دفعني بقدمه السليمة في أسفل ظهري ليوضح لي كيف تُستخدم الشماعات من خلال لفها لقطع إمدادات الهواء عن الشخص.

عندما أقر أخيرًا بأنه مسدس، شعرت بقوة أنه أراد أن يخبرني أنه قد سحب زناد ذلك المسدس، وكنت واثقًا من أنه سيخبرني في النهاية. ولكن كان عليّ أن أكون حذرًا وأتقبل الأمر ببطء. لقد كان -بعد كل شيء- رجلًا خطيرًا، وكنا بالكاد نعرف بعضنا.

لقد أظهر سلوك فرانك، وخاصة عينيه الحزبتين، أنه كان نادمًا، مدفوعًا بالذنب، وكلما ذكر جيمي هوفًا أكثر كان ذلك الذنب يتعمق أكثر. كانت هذه العيون متناقضة بشكل حاد مع العيون الحادة التي رأيتها في السجن. بعد ثماني سنوات عندما استأنفنا جلساتنا، كان عليّ أن أعلم أن والد فرانك درس الكهنوت وكانت والدته تذهب إلى القداس كل صباح. فلم يفاجئني الأمر. أخبرتني ابنة فرانك الثالثة، دولوريس، التي عارضت مع شقيقاتها حتى المسودة، لكنها أصبحت صديقة مقربة بعد نشر

هذا الكتاب، أن أختها الكبرى بيغي أخبرتها في أثناء جنازة والدتهن بأنها في الواقع لم تفكر قط في أن والدها -الذي كان بعيداً عنهن- قد قتل جيمي هوفاً. كان الشعور بالذنب هو الذي عذبه في تلك الأيام الأربعة التي تلت عملية القتل عندما قالت له بيغي في مطبخ والدتها: «لا أريد حتى أن أعرف شخصاً مثلك». كان شعوره بالذنب الشديد هو الذي جعله يظن أن بيغي عرفت ما فعل. وكان يعتقد حتى يوم وفاته أنها رأت من خلال عينيه الحقيقة التي كانت تتبع من روحه.

## انفجار الصمت

للصمت المتعمد دوره في بعض جوانب الاستجواب. لقد نجحت ذات مرة في استخدام الصمت في رحلة طويلة بعد القبض على متهم شاب في جريمة قتل، وفي طريق العودة إلى مركز الشرطة وسط الظلام في سيارة مليئة بمحققين جرائم القتل كنت قد أخبرتهم سرّاً بعدم التصريح بكلمة واحدة، وأن يلتزموا الصمت تماماً في حضور الشاب وهو يجلس مكبل اليدين بجانبني، لجعله يعاني من الندم على فعلته في أثناء استخدامه ركبتيه لمسح دموعه. لقد استخدمت هذه المعاملة الصامتة للتخويف والحصول على اعتراف سهل من هذا الشريك الذي لم يكن يحمل سلاحاً حينها وكنا قد ألقينا القبض عليه للتو من شقة صديقه بعد أن تسبب في إصابة خطيرة لشرطي دورية في رأسه بمسدس من عيار 22 ملم. في عملية سرقة أحد فروع سلسلة مطاعم جاك إن ذا بوكس. عندما انتهت رحلتنا بالسيارة وكنا نقف في

الفناء الخلفي خارج مركز الشرطة، خرقت معاملتنا الصامتة له وقلت: «انتظر». نظرت إليه من أعلى إلى أسفل، وأبدى بعض التعاطف، وقلت للمحقق في جرائم القتل وهو يكبله: «آه، اللعنة. دعه يصف لنا الحدث جانبه». فخرجت من فمه تلك الكلمات: «لم يكن لدي حتى مسدس. كان بينكي هو من أطلق النار عليه». ومع ذلك، كنت أفضل في الغالبية العظمى من الوقت استمرار الحوار. وأدفعه كي يتحدث عن أي شيء. عليك ألا تعطيه الوقت للتفكير فيما يقول. حافظ على جعل فمه يتحرك، على أمل أن تجد الحقيقة طريقها للخروج.

في هذه الأثناء، وكما لو كنت تلعب البوكر، ستبدأ اللعب حين تكون قادراً على معرفة متى يبدأ من أمامك بالكذب عندما تلاحظ إلى أين تذهب عيناه في أثناء قول الحقيقة وتذكر شيء ما، وإلى أين تذهب عيناه عندما يفبرك شيئاً ما، من خلال صوته، ولغة جسده، ومن خلال حدسك. مثل مدرس الموسيقى الذي يمكنه معرفة أي طفل في الجوقة يكون مبتعداً قليلاً عن الإيقاع، يجب أن تكون مستمعاً رائعاً. وكما تعودت أن أقول في المحاضرات التي كنت ألقها على رجال الشرطة: كل كلمة يقولها ذلك الوغد لها أهمية. يجب أن تستمع إليها.

فكرة إبقائه يتحدث تكون صحيحة بشكل خاص عندما يكون من تحقق معه متعباً كما كان حال فرانك في ذلك اليوم الطويل في مطعم الموناليزا.

عندما نظرت إليه في ذلك المساء من عام 1991، قررت أن توجيه سؤال آخر له سيكون مناسباً لإبقائه في حالة تأهب.

استناداً إلى المشهد الأخير للفيلم الغامض الذي رأيته في مدينة الملاهي ستييل بيير في أتلانتيك سيتي قبل عقود من الزمن، والذي كان عنوانه «انفجار الصمت»، وما قاد إلى الشعور الواهم بالأمان، حاولت أن أفجر الصمت حرفياً، فقط لإبقائه يتحدث مع اقتراب المساء من نهايته. سألت فرانك «ببراءة» شديدة لماذا شارك الكثير من الناس بنشاط في العملية: «... توني بروفينزانو، وأنت، وراسل، وتومي أندريتا، وستيف أندريتا، وسال بريغوليو، وتشاكي أوبراين، وتوني جياكالوني».

قال فرانك: «بهذه الطريقة، إذا ساءت الأمور معك، فلا أحد غيرك يعرف ما فعلت. لا يمكنك الوشاية بالآخرين، من هم قبلك ومن هم بعدك».

قلت: «هذه نقطة رائعة».

قال فرانك: «الاحتياط واجب في كل شيء».

قلت: «أنا أيضاً، أعتقد، أنك إذا تعاملت مع حادثة مهمة مثل هذه وحدك، فستتاح لك فرصة جيدة للتملص منها في النهاية».

«آه أجل. يجب أن تكون قد فقدت عقلك لتفعل شيئاً مثل هذا بمفردك».

«إنه مثل فيلم رأيته ذات مرة في أتلانتيك سيتي، حيث يقوم القاتل المأجور، الذي جلبوه من كليفلاند للقيام بعملية كبيرة في نيويورك بعد حصوله على أجره، بقتل نفسه».

«آه أجل، يجب أن تفقد عقلك لفعل شيء كهذا بمفردك. إنهم بالتأكيد لن يرتكبوا مذبحة، لكن إذا كان هناك منفذ وحيد للعملية سيكون من الممكن التخلص منه».

قلت ضاحكًا: «مثل المنفذ الوحيد لي هارفي أوزوالد».

كما لو أنني كبست على زر معين، فقد أمكنني رؤية فرانك شيران ينظر بعيدًا في الحال ويبدأ وجهه بالتحول إلى الغرانيت الرمادي، فيصبح متصلبًا كما كان في السجن عندما شرحت خطتنا للإفراج المشروط لأسباب صحية.

ما الذي قلته ليتسبب في كل هذا؟ اتكأت على حافة الكرسي. وتابعت القول دون أن أهتم للأمر: «لم أقرأ أي كتب عن اغتيال جون كينيدي». نظر نحوي بانتباه، لم تعد عيناه حزينة، لقد اتسعت حينها. «لكن بدا لي دائمًا منذ اللحظة التي رأيت فيها روبي يطلق النار على أوزوالد على شاشة التلفزيون أنها كانت مهمة جاك روبي...» لقد أصبحت ملامح وجهه أكثر قسوة وحدة وأنا أتحدث. «للتخلص من أوزوالد، عندما حدثت بلبلة في الشارع، كان على روبي إنهاء المهمة. وهذا أسوأ بكثير من مواجهة القاضي بتهمة القتل». انتفخت عضلات ساعده الضخمة على ذراعي الكرسي الرمادي الذي كان يجلس عليه. «لو لم يطلق روبي النار على أوزوالد» قلت ذلك بصوت مرتفع وعدواني «سيعرض للتعذيب حتى الموت، هو وعائلته أيضًا. تعذيب حتى الموت».

أصبح وجهه متيبسًا وجامدًا مثل شاهد القبر. ثم حاول بالكاد أن يحرك يده اليمنى، كما لو أنه يريد أن يضريني. كان ذلك الجزء الوحيد الذي تحرك منه.

واصلت الحديث بشكل أسرع وبثقة أكبر لمنعه من إسكاتي. «عندما كنت أعمل في إيست هارلم، اعتدت أن أرى رجال شرطة

يرتدون زيهم ولكن ربطات عنقهم غير معقودة، ويجلسون مع رجال مصطنعين لتناول قهوة الإسبريسو. روبي كان عنده رجال شرطة...»

مع هذه الكلمات، لوح لي بيده اليمنى وكأنه يقول دعك من هذا.

و قال بصوت متجمد بارد: «لم أذهب إلى أي مكان بالقرب من دالاس».

سأسمعه إلى الأبد يقول هذه الكلمات بهذه الطريقة. كان الخوف في صوته عميقًا. هذا البوح الذي ظهر فجأة ردًا على سؤال لا معنى له حول سبب استخدام ثمانية رجال في جريمة قتل هوفّا، بدلاً من قاتل واحد، كان سرياليًا. لم أكن أتوقع ذلك. لم أكن متأكدًا من أنني أردت ذلك. في تلك اللحظة، وبعد إمعاني النظر في تلك القسوة الشديدة التي غزت كيانه، قررت عدم متابعة الحديث عن حادثة دالاس.

قلت ببطء، وأنا أنظر في عينيه المرتبكتين: «هكذا إذن، بعبارة أخرى». وحينها أصيب بالفزع من هيجان مشاعره. «إن الأمر يشبه خط التجميع. كل واحد لديه وظيفة. بهذه الطريقة لا يمكن لأحد أن يشهد ضد أي شخص آخر. هل هذا صحيح يا فرانك؟ خط التجميع. هل هذا صحيح يا فرانك؟»

«نعم هذا صحيح».

«يبدو الأمر منطقيًا».

وهكذا أنهينا الموضوع. عند عودتي إلى ديلاوير في نهاية ذلك اليوم المذهل من شهر أكتوبر في فيلاديلفيا عام 1991،

شعرت كأنتي مستكشف يعود إلى الوطن بعد الإبحار في رحلة طويلة إلى أرض أجنبية غريبة. أخبرت نانسي وبارت بأننا بحاجة إلى الاستعانة بكلمة أقوى من «الندم» لوصف حالة ضمير فرانك شيران، كلمة تجمع بين الندم والعذاب. أخبرتهم بأن شيران أعطاني جزءًا كبيرًا من المعلومات عن الذي حدث لصديقه العزيز ومعلمه جيمي هوبا وأنه، صدق أو لا تصدق، كان يشعر بالذنب لمعرفة بعملية اغتيال جون كينيدي. أخبرتهم بما قاله لي عن دالاس، والفضح غير المؤذي الذي نصبته له وجعل هذه الكلمات تتدفق منه، وقلدت تلك الطريقة الغريبة التي قال لي بها هذه الكلمات المخيفة. شعرت نانسي وبارت بالقلق تجاهي، وحثاني على عدم التعمق في الأمر. لم أكن بحاجة إلى أن يقنعني أحد بذلك.

يمكن لأي شخص أن يعرف ما المقصود بكلماته، وسياقها الغريب، وحالته العاطفية حين قالها. كان لدى فرانك شيران شيء يعترف به حول حادثة دالاس.

بعد عقد من الزمان أو ما يقرب من ذلك، وبالطبع، مع موت جميع العرابين الكبار في تلك الحقبة أو دخولهم السجن، أردت أن أعرف ما كان يعرفه فرانك عن حادثة دالاس، واكتشفت ذلك وذكرته في الكتاب: كانت للمافيا يد في حادثة الاغتيال، ولعب فرانك دورًا غير مقصود فيها.

في عام 2012 قال روبرت كينيدي الابن في مقابلة مع مقدم البرنامج الحواري تشارلي روز، أن والده، روبرت كينيدي، يعتقد أن المافيا هي من قتلت شقيقه جون في دالاس وأنه نفسه يعتقد

ذلك أيضًا. وأضاف أن روبرت كينيدي اعتبر تقرير لجنة وارن «قطعة رديئة صنعها أشخاص ماهرون... لقد دعم علانية تقرير لجنة وارن، لكنه هاجمه سرًا». وأوضح روبرت كينيدي الابن: لقد كان أبي محامياً شديداً الدقة. اطلع على ملفات القضية بنفسه. كان خبيراً في دراسة القضايا والبحث عن الحقيقة.

سأله تشارلي روز عما إذا كان لدى روبرت كينيدي «شعور بالذنب لأنه يعتقد أنه ربما يكون هناك رابط بين جهوده العدوانية جداً ضد الجريمة المنظمة واغتيال جون كينيدي». رد روبرت كينيدي الابن: «أعتقد أن هذا صحيح. لقد تحدثت عن ذلك». واستمر روبرت كينيدي الابن في التوضيح وأشار إلى أن سجلات هاتف جاك روبي «كانت مثل قائمة جرد» لأرقام هواتف زعماء عصابات الجريمة المنظمة.

عندما قمت بعد ذلك ببعض الأبحاث، ظهر لي اسم واحد. هو إروين وينر. اتصل روبي هاتفياً بوينر في 26 أكتوبر 1963، قبل سبعة وعشرين يوماً من وقوع حادثة دالاس. كان من الممكن أن تكون مكالمة بريئة. كان روبي ووينر صديقين. كان وينر صديقاً لكل من فرانك شيران وجيمي هوف. كان فرانك يشير أحياناً إلى شخص يتمتع بمكانة كبيرة يعمل على الهامش مع عصابات المافيا ويصفه بأن لديه «صلات عالية المستوى». وكانت لدى وينر «صلات عالية المستوى» إلى حد بعيد. كان وينر يسير مع آلن دورفمان مدير صندوق المعاشات لنقابة سائقي الشاحنات الذي تبلغ تكلفته مليار دولار في ساحة لوقوف السيارات في شيكاغو عندما قتل رجلان بالرصاص دورفمان. أما وينر، وقد كان شاهد عيان، فقد نجا من الحادث.

عرف جاك روبي الكثير من أفراد العصابات شخصيًا إلى حد أنه في عام 1959 حاول مكتب التحقيقات الفدرالي دون جدوى تجنيد روبي كمخبر سري مدفوع الأجر. بمعرفة ما قاله لي فرانك عن حادثة دالاس والطريقة التي قالها بها وهو يجلس على كرسيه الرمادي قبل عقدين من الزمن، كان هذا الإعلان من قبل ممثل عائلة كينيدي مدعاة لسروري مثل أي من ندفات الثلج التي سقطت منذ نشر كتابي.

### «لن يجرؤوا»

في عام 1991 عندما قمت بكتابة خلاصة لما كشفه لي فرانك، تركت بحكمة التعليق على حادثة دالاس. لم يكن لدي أي فكرة مع من أتعامل أو من يكون. لم يسبق لي أن قرأت كتابًا عن حادثة الاغتيال. لقد كنت مدرسًا للغة الإنجليزية للصبيان عندما حدث ذلك، وكنت أعتمد فقط على الذاكرة، والحس السليم، وتجربة حياتي عندما أشرت بشكل غير رسمي إلى أوزوالد باعتباره «منفذ الحادثة الوحيد» الذي يمكن التخلص منه.

في الاجتماع التالي الذي عقدناه في شقة فرانك نحن الاثنان فقط، سلمت الملخص إلى فرانك. جلس على الكرسي. وبينما كان يقرأ، تصلب وجهه مرة أخرى، لقد صدم بصدق ما كان يقرؤه، كان كما لو أنه في حالة فقدان للوعي خلال ذلك المساء الذي قضيناه معًا.

من الواضح أنني استخدمت اشتراكنا معًا في تحرير مسودة الكتاب كوسيلة للوصول إلى الحقيقة من فرانك. ولكن تم ذلك

بمشاركة فرانك التطوعية في كل خطوة على الطريق. وإلا لما كان عاد لي ليخضع لمزيد من الاستجواب في عام 1999.

قال فرانك عندما أنهى القراءة: «لا يمكنك كتابة هذه الأشياء. هؤلاء الناس الموجودون هنا، ما زالوا على قيد الحياة. روس لا يزال على قيد الحياة. سوف أحتفظ بهذا الملخص».

وفي اللحظة التي أخذها مني، علمت أنني كنت من الحكمة بمكان أنني لم أتطرق إلى حادثة دالاس. لم أرغب في أن يعرف راسل على وجه الخصوص أن فرانك أخبرني بذلك.

بالطبع، ما زلت أحتفظ بنسخة من مذكرة عام 1991، تحت عنوان «لن يجروؤا». جاء العنوان من كلمات جيمي هوبا إلى فرانك ردًا على تحذير فرانك لجيمي حين قال له إن راسل طلب منه إخبار جيمي «ماذا بإمكانهم أن يفعلوا». كانت «لن يجروؤا» في هذا السياق الكلمات التي يعتقد فرانك أنها قتلت هوبا. ثم أصبحت عنوان الفصل الأول من الكتاب.

فقلت له: «أنت تعرف أين تجدني يا فرانك، إذا غيرت رأيك أو إذا مات هؤلاء الرجال».

بعد ثماني سنوات في الأول من مارس 1999، بعد أن نال فرانك «الغفران» من المونسنيور هيلدوسور، تلقيت المكالمات التي بدأت بها ما يقرب من خمس سنوات من الجلسات المسجلة التي كانت الأساس لكتابة سيرة حياة الأيرلندي العظيم، قصة مغامراته والمخاطر التي تعرض لها في حياته -التي كان يسميها «الحياة المرهقة»- ومحاولته تحقيق الخلاص الروحي والنجاة النهائية من الشعور بالذنب من خلال الاعتراف، وسرد «ما حدث

من جانبه»، الجانب الذي اختبر فيه وأعيد اختباره على مدى السنوات الخمس التالية من خلال أسئلتى وإجاباته. خلال السنوات الخمس التي قضيناها معاً، نجحت في استخدام كلمات هوف، «لن يجروا»، وكلمات وأفعال أخرى تفتقر إلى الحكمة صدرت عن هوف في عامه الأخير لإلقاء اللوم على هوف بشكل عرضي، فهو السبب في موته، وهو أسلوب يتبعه المحقق. كان هوف يعرف قواعد العمل في المافيا والآثار المترتبة على خرقها ولكنه لم يتوقف. قلت أكثر من مرة: «كنت سأقتله بنفسى».

لقد زرعت تلك الفكرة في ذهنه.

أتذكر بوضوح اللحظة التي أثمرت فيها هذه التقنية واعترف فرانك بأنه من قام بالضغط على الزناد. اتصل بهاتفي الخلوي في أثناء خروجي من مطعم كريستينا في مدينة كيتشوم، في ولاية أيداهو، بعد أن تناولت الغداء في أكتوبر 2000، بعد عامين تقريباً من بدء جولتنا الجديدة من المقابلات.

قال فرانك: «بالنسبة إلى المسألة التي كنا نتحدث عنها...»

«نعم بالتأكيد هات ما عندك».

«تلك المسألة، يمكنك أن تقول إنني فعلت ذلك».

«يمكنني أن أقول أي شيء، فرانك، ما دامت هي الحقيقة. هل

فعلتها؟ هل تقول لي أنك فعلت ذلك؟»

«نعم».

«هل تقول لي أنك أطلقت النار على هوف؟»

«نعم. نعم».

«خيرًا ما فعلت يا فرانك. كنت تعلم أنني أعرف ذلك، على أي حال، ولكن من الأفضل أن تقولها بلسانك. بارك الله فيك يا فرانك. خيرًا ما فعلت».

## بيت للإيجار

التقيت بوب غاريتي العميل المختص بقضية هوبا حين كنت في ديترويت في خريف عام 2005، بعد عام ونصف تقريباً من نشر كتابي، للبحث عن الساكن الذي عاش في المنزل المستخدم لقتل هوبا. بدأنا مع عائلة مارثا سيلرز، المرأة العزباء المتوفاة التي كانت تمتلك المنزل. على الرغم من أن هناك مقالة صحفية أشارت إلى وجود «ابن» لها، وكررت أنا ذلك في خاتمة طبعة عام 2005 من كتابي، لكن لم يكن لديها ابن. لقد كان ابن أخيها الكبير هو الذي تحدث إلى وسائل الإعلام. التقينا ابن أخيها الكبير، وأخته، ووالدته لتناول القهوة والكعك في أطباق الخزف الصيني الجميلة التي قُدمت في صينية فضية في المنزل الفسيح المشترك بينهما.

أوضحت العائلة أن منزل العمه مارثا يقع داخل حدود المدينة. وبصفتها معلمة مدرسة في ديترويت، كان على مارثا استخدامه كمقر إقامة رسمي لها في ديترويت، بينما كانت تعيش بالفعل في منزل ريفي خارج المدينة. أخبرتنا العائلة أن مارثا سيلرز كان لديها طالب في الفصل الدراسي هو جو لويس بطل الوزن الثقيل في الملاكمة والذي كان لا يضاهيه أحد، وهو نفس الشخص الذي كان يعرف شعبياً بلقب «براون بومبر» الذي أبدى استعداداً لمساعدة بوبي كينيدي على القفز بالمظلة من مبنى الكابيتول.

لم يقدم أفراد تلك العائلة أي معلومات عن وجود «سمسار عقارات»، ولكن في ذلك الوقت كنت واثقًا من أن جون فرانسيس، ذا الشعر الأحمر، كان «سمسار العقارات» الذي أمّن المنزل للعملية. علمت أنه بعد خمسة أيام من اختفاء هوفّا، رُصد ذو الشعر الأحمر من خلال المراقبين كأحد المتآمرين على هوفّا، الذين تمت مشاهدتهم وهم يقومون بإبلاغ رئيس عائلة جينوفيزي، الذي كان من عاداته تدخين السيجار، وعضو لجنة إدارة عصابات المافيا توني ساليرنو البدين في مطعم فيزوفيو.

هذه مقتطفات من «تقرير المراقبة» لأحد ضباط شرطة نيويورك:

وفي نحو الساعة 12:55، لاحظ الضابط أن فرانك شيران يدخل المبنى... كان يرتدي قميصًا أزرق فاتحًا وبنطالًا داكن اللون... ذهب فرانك للسؤال عما إذا كان «روس في الداخل»... رد [المدير] بأن «روس كان في غرفة الطعام»... كان فرانك شيران يرتدي خاتمًا يحوي عملة معدنية مصنوعة من الذهب، (كانت العملة محاطة بما بدا أنه ألماسات صغيرة) وكان يرتدي في يده اليسرى ساعة ذهبية. وجه الساعة كان مربّعًا ومُحاطًا بقطع صغيرة من الألماس... بعد دقائق قليلة من دخول جوني فرانسيس غرفة الطعام، عاد إلى المشرب وانضم إلى فرانك شيران... في مرحلة من تبادل الحديث بينهما، سُمع الاسم جيمي عندما ذكره فرانك. وذلك عندما كان يخبر السيد فرانسيس بأن مكتب التحقيقات الفدرالي قد دخل في التحقيق... تحدثا عدة مرات بصوت منخفض ولم يتمكن الضابط من التقاطه.

كانت تقارير ذي الشعر الأحمر إلى الرؤساء في غرفة الطعام تجعله ضالماً بشكل مباشر في العملية.

تذكرت عائلة مارثا سيلرز أحد الذين سكنوا البيت، وكان عجوزاً يتكئ على عصا، ظل يتردد إلى هناك من وقت لآخر، لكنهم لم يعرفوا اسمه ولم يعرفوا ما إذا كان لا يزال هناك حتى أواخر عام 1975.

أحالفنا هؤلاء الأشخاص الكرام إلى صديق للعائلة يعمل محامياً كان قد فكر في شراء المنزل في السبعينيات. تحدثت معه عبر الهاتف. وأشار المحامي إلى أن المنزل كان فيه متجر لبيع الأجهزة المنزلية وظلت لافتة «للإيجار» معلقة على إحدى نوافذه لسنوات، بما فيها سنة 1975. لذلك، كان في الواقع مؤجراً في عام 1975، ما سهل على الغريباء الدخول والخروج منه دون أن يلاحظهم الجيران. أكد المحامي أن ذلك حدث في عام 1975 لأن هذا هو العام الذي عاد فيه للعيش في ديترويت وفكر بجدية في شراء المنزل.

قال المحامي: «أتذكر الساكن العجوز ذا العصا. لقد كان شبحاً يختفي دائماً كلما أتى أي شخص إلى المنزل. لكن بحلول عام 1975 كان قد ذهب ذات مرة ولم يعد بعدها قط».

لفت ابن أخ مارثا سيلرز الكبير اهتمامنا عندما أخبرنا في أثناء تناولنا الكيك والقهوة بأن قبو المنزل يحتوي على محرقة مزودة بنفاثات غاز ذات هدير قوي جداً. كان فيها مدخل واسع بما يكفي لوضع جسد رجل فيها. عندما كان طفلاً، كانت ترسله عمته ليحرق القمامة فيها. وكانت لا تزال قيد الاستخدام في

عام 1975، ولكن بعد بضع سنوات حُظرت هذه المحارق المنزلية كونها مصدرًا لتلوث الهواء. فحصنا أنا وبوب القبو وعثرنا على مدخنة مغلقة تتصل بالمحرقة، ولكن كانت المحرقة قد أزيلت. لكي نكون دقيقين في عملنا، قادنا بوب إلى مكتب البريد المحلي لمعرفة ما إذا كان بإمكاننا العثور على موزعة البريد في تلك الأيام، لعلها تتذكر اسم أي من ساكنيه، ولكننا شعرنا بالأسف عندما علمنا أنها توفيت.

ثم أخذني بوب إلى الغداء في حانة نيمو وأراني مكان وقوف السيارات أمامه حيث ركنت سيارة اللينكولن التي يملكها ابن نجل فرانك فيتزسيمون، وفُجّرت قبل أسبوعين من اختفاء هوبا. وحين كنا نتناول البيرة أخبرني بوب بأن هوبا صفع وجه تشاكي في عشاء عيد الشكر قبل اختفاء هوبا. كان هوبا غاضبًا من تشاكي لأنه ترك زوجته من أجل صديقته.

أخبرني بوب بأنه شعر بخيبة أمل لأنني لم آتِ في وقت أقرب عندما كان فرانك لا يزال على قيد الحياة. كل ما يمكنني قوله هو أنني فهمت الموضوع. ولكن كان من المفترض أن يكون فرانك على قيد الحياة عندما صدر الكتاب. اختار فرانك الانتحار عن طريق التجويع الذاتي، ولم يكن ذلك أمرًا غير مألوف في دور رعاية المسنين.

## تصريح العبور

بعد ذلك تلقيت مكالمة مفاجئة من مدينة تايلور، في ولاية ميشيغان، كانت من شرطي اسمه جيف هانسن كان قد قرأ

كتابي. وصف لي هانسن محرقة للجثث تقع على بعد أقل من دقيقتين من المنزل. كانت في المقبرة التي دفنت فيها والدة هوبا بعد فترة وجيزة من اختفاء ابنها، في قبر غير مميز حتى لا يلفت نظر السياح.

لكن جيف أشار إلى وجود محرقة جثث أخرى على بعد عشرين دقيقة، لأنه من المرجح في رأيه أن تستخدمها المافيا للتخلص من الجثة. كان معروفًا أنها قريبة من دار الجنازات التي تعاملت مع الكثير من جنازات رجال المافيا، مثل آل باغناسكو. فقبل عدة سنوات، تم قتل باغناسكو بنفس طريقة المافيا أمام دار الجنازات تلك.

طرت إلى ديترويت والتقيت جيف وبعض الأشخاص المطلعين الذين تشاور معهم. تعلمت مدى السهولة المدهشة التي كان يتم فيها حرق الجثث بشكل قانوني في ميشيغان عام 1975 دون ترك أي أثر ورقي. كل ما هو مطلوب هو شيء يسمى «تصريح العبور»، ومن الناحية العملية لم يكن هناك حاجة إليه. كانت هذه التصاريح عبارة عن قصاصات من الورق بحجم ورقة الدولار. لم تكن هناك نسخ لها، فقط الورقة الأصلية يوفّرها متولي الجنازة للسائق، الذي يحتفظ عادة بحزمة منها في درج مكتبه. لم تكن تودع في أي مكان. ولا تُعطى إلى محرقة الجثث. كان متولي الجنازة المرخص يمنح -ببساطة- أي سائق يعمل لديه «تصريح عبور» لينقل الجثة معه. ذكّرتني هذه العبارة بـ «تصاريح العبور» في الفيلم الكلاسيكي «كازابلانكا» للمخرج مايكل كورتز.

كان السائق يتوقف عند المحرقة ويسلم الحارس خمسة وتسعين

دولارًا، تكون غالبًا نقدًا. سيكون الجثمان موضوعًا في كيس الجثث أو في تابوت رخيص للحرق مصنوع من خشب الصنوبر. لا يتم فتح الكيس أو التابوت أبدًا. يقوم السائق ومساعدته، أو حارس المقبرة إذا جاء السائق بمفرده، برفع الجثمان وإدخاله إلى الفرن. سيقوم أحدهم بتدوير ما يشبه مفتاح الضوء العادي. خلال ساعة واحدة، سيتحول كل شيء إلى رماد، بما في ذلك كيس الجثث أو التابوت المصنوع من الخشب الهش، ويتبقى الرماد على هيئة الجثمان. سيعود الحارس في غضون ساعة وباستخدام ممسحة نافذة، سيدفع الرماد إلى صندوق بلاستيكي حليبي اللون صغير ليستلمه السائق. لن يترك للرماد أي علامة أو غير ذلك من وسائل التعريف. في كثير من الأحيان يتم التخلي عن الرماد، ولا يتم سحبه أبدًا، وتُكدّس أكوام الرماد ببساطة في خزانة للتخلص منها في المستقبل. في المقابر التي دققنا فيها في هذه الرحلة إلى ديترويت، رأيت أكداًسًا من أكوام الرماد المهجورة على الرضوف. هذه هي الطريقة التي ستتم بها الأمور بسهولة إذا جئت بالتعاون مع باغناسكو الذي ينتزع تصاريح العبور بكل سهولة من الرزم المكدسة لديه ويقدمها لمن يريد.

إن التعاون مع صاحب محرقة الجثث سيجعل العملية أسهل وتتم في غضون ساعة. سيُرسل الحراس إلى جزء آخر من المقبرة الشاسعة للعمل بينما يذهب السائق ومساعدته إلى العمل. أدّرت مفتاح التشغيل في إحدى محارق جثث ديترويت التي بدت وكأنها متروكة دائمًا، وسمعت شعلة الفرن الصاخبة على الفور. أخبرني بوب غاريتي أن فريق مكتب التحقيقات الفدرالي

لديه يشتهه في أن باغناسكو تخلص من الجثة. في الواقع، كما هو موضح في مذكرة مكتب التحقيقات الفدرالي الطويلة التي حصلت عليها من مصادر أخرى، فإن مخبراً موثقاً به جداً قريباً من عائلة باغناسكو قد أشار إلى محرقة باغناسكو على أنه المكان الذي أحضروا فيه جثة جيمي هوفاً على الفور. فُتِّش المكان، ولكن لم يكن هناك أي طريقة للتحقق من ذلك. عُرف باغناسكو في هذه التجارة، بسبب صلاته الواضحة مع المافيا، بلقب «اثان مقابل واحد». في عام 2009، كتب جيف هانسن كتاباً عن النتائج التي توصل إليها بعنوان «التقيب عن الحقيقة»، أصدرته دار سبيكتر للنشر.

لم يكن فرانك مهتماً قط بالتقيب الأخير عن جثة هوفاً. كان يسخر منهم في كل مرة يبدأ فيها الحفر. قال فرانك أكثر من مرة: «إذا كان هناك جثة يمكن العثور عليها، لكانوا قد وجدوها منذ زمن طويل».

أكد فرانك أن المنظف الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة، تومي أندريتا، هو الشخص الوحيد الذي يعرف التفاصيل حقاً. تخلص هو وشقيقه المتوفى ستيف من الجثة. يعيش تومي أندريتا، الذي كان ضمن عصابة الزعيم الراحل توني بروفينزانو المحلية في نيو جيرسي، في لاس فيجاس. لكن أندريتا لا يسمح لأي شخص أن يسأله أي أسئلة. فهو على الدوام يعطي الآخرين أذنًا صمًا.

عندما ظهرت النسخة الورقية من كتاب «سمعت أنك تطلعي المنازل» لأول مرة في عام 2004، قام إد بارنز، منتج قناة فوكس

نيوز والمحقق السابق في الجريمة المنظمة لولاية نيويورك، وهو رجل احتفظ لأكثر من عشرين عامًا بملفين من أيام عمله في فصيل القوة الضاربة، سمى أحدهما «فرانك شيران» والآخر «راسل بوفالينو»، والذي أعطاني نسختي الأولى من مذكرة هوفيكس، بالسفر جواً إلى لاس فيغاس. انتظر إد بارنز طوال اليوم في شمس الصحراء أمام منزل تومي أندريتا الأبيض ذي السقف البرتقالي. عندما وصل أندريتا الذي كان يبلغ من الطول 201 سنتيمتراً إلى المنزل حاول بارنز تسليمه الكتاب وطرح بعض الأسئلة عليه، لكن أندريتا تجاهل بارنز، ونظر إلى الأمام مباشرة، وسار نحو باب منزله الأمامي. بينما كان بارنز لا يزال واقفاً عند الباب الأمامي، انفتح باب المرأب المجاور له. وقفت السيدة أندريتا هناك ومدت يدها. سلمها بارنز الكتاب، وبدأ بطرح أسئلته وهي تغلق باب المرأب.

### محامي بيغ بيلي الذي عينته المحكمة

بعد رحلتي الأخيرة إلى ديترويت بقليل في عام 2006، اتهم بيغ بيلي ديليا بالتآمر لقتل المصرفي الاستثماري الذي شهد ضده. بعد هذا الاتهام، وردت تقارير صحفية تفيد بأن بيلي استبدل به محامي الجنايات البارز الذي سبق أن وكله محامياً عينته المحكمة. وقد فهمت من ذلك أن بيلي، الذي يمكنه بالتأكيد تحمل تكاليف محام من الدرجة الأولى، بدأ باتخاذ خطوات للتعاون مع السلطات، فالمحامون البارزون -عادة- لا يكونون طرفاً في التعاون مع مكتب التحقيقات الفدرالي. فإن

ذلك سيجعلهم يبدون سيئين أمام زبائنهم الآخرين. ويمكن أن يؤدي إلى قتلهم.

في غضون أسابيع قليلة تأكدت من حدسي. نما إلى علمي أن بيلي كان يتعاون ودخل في اتفاق مع المدعي العام الأمريكي للحصول على عقوبة مخففة على أساس تعاونه. شعرت بارتياح لم أشعر به منذ أن لفت فرانك انتباهي بقيامه بمصادرة ملخصي في عام 1991 وكان يعرف ماذا به. مع وجود الكثير من المشاغل لدى بيلي التي لا تجعله حتى يفكر فيّ، شعرت أخيراً بحرية كشف المزيد عن دوري «في هذا الأمر».

### كتاب دوني براسكو: عمل غير مكتمل

في هذه الأثناء، وبفضل كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل»، حصلت على فرصة للمشاركة في تأليف تكملة لكتاب «دوني براسكو: حياتي السرية في المافيا» الذي صدر عن دار نشر داتون عام 1988 مع صديقي المقرب منذ فترة طويلة، دوني براسكو الحقيقي، العميل السري المتقاعد لمكتب التحقيقات الفدرالي جو بيستون. كان جو مؤلفاً مشاركاً لكتاب «دوني براسكو» مع ريتشارد وودلي. في عام 1997 قام المنتج مايك نيويل بتحويل الكتاب إلى فيلم، لعب جوني ديب دور جو وآل باتشينو لعب دور ليفتي غونز روجيرو، كبير الرجال المصطنعين الذي صادقه جو ثم أوقع به. لقد كانا قريبين جداً من بعض، إلى حد أن جو كان إشبين العريس في حفل زفاف ليفتي.

كان جو يواجه خطر التعرض لعيار ناري في الرأس في أي وقت خلال السنوات الست التي قضاها وهو يتظاهر أنه لص مجوهرات متخفٍ في عائلة بونانو للجريمة المنظمة. بعد أن ظهر أنه عميل، كان لديه عقد مع المافيا بنصف مليون دولار، الذي واصل اتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية نفسه. في المحاكمات التي أعقبت ذلك، كان جو هو معول التهديم الذي أوقع بعائلة بونانو في نهاية المطاف.

صدرت تكملة كتابنا في عام 2007 عن دار رانينغ للنشر تحت عنوان «دوني براسكو: عمل غير مكتمل» وكانت تحتوي على مادة لعمل بطولي لم يُسمح لجو باستخدامه في الكتاب الأول لأنها كانت تتعلق بقضايا كانت قيد التحقيق كان لا يزال يشهد فيها. ومن هنا جاء عنوان الكتاب: «عمل غير مكتمل».

وجو، الذي نشأ في ظروف قاسية في مدينة باترسون في ولاية نيوجيرسي، هو أشجع رجل سمعت عنه. أصبحنا إخوة مدى الحياة ونحن على اتصال دائم. يقوم جو بتعليم طرق التخفي لرجال الشرطة والعاملين الآخرين في جميع أنحاء العالم، وأحياناً في دول لم أسمع عنها من قبل. ومن جهة أخرى يقوم بإنتاج الأفلام والمسرحيات والبرامج التلفزيونية.

أخبرني جو بأنه بينما كان يتظاهر بأنه لص مجوهرات ومساعد لعائلة بونانو، فإنه كان يذهب عادة إلى مطعم فيزوفيو يوم الخميس. كان هذا هو اليوم الذي يصل فيه فرانك شيران وراسل بوفالينو، اللذان كانا يتعاملان مع لصوص المجوهرات، إلى المدينة. لم يسمع جو قط منهم أي معلومات مفيدة. جاء جو

إلى مشهد الأحداث في مطعم فيزوفيو في بدايات شعور شيران بالندم الشديد في عام 1975. قال لي جو: «في ليالي الخميس، كنت أجلس في الحانة لأحتسي مشروبي، بينما كان شيران لا يتوقف عن الشرب».

قدمني جو إلى صديقه المغني والممثل آل مارتينو، الذي أدى دور المغني جوني فونتين في جميع أجزاء فيلم «العرب» الثلاثة. لقد كنت بالفعل من محبي غناء آل منذ الطفولة، وأصبحت أنا وآل مارتينو وزوجته وجودي أصدقاء بسرعة. قبل وفاته المأساوية والمفاجئة جراء نوبة قلبية في أكتوبر 2009، أخبرني آل بأن شخصية جوني فونتين اقتُبست من حياته الخاصة، وليس -كما يعتقد الكثيرون- من حياة فرانك سيناترا.

قال آل إن المجرم ألبرت أناستاسيا حاول ابتزازه بمبلغ خمسة وسبعين ألف دولار بعد النجاح الذي حققته أغنيته الشهيرة «هنا في قلبي» في عام 1952. كان أناستازيا المخبول هو الذي أمر بقتل المحقق المبتدئ أرنولد شوستر بسبب تعاونه مع السلطات في إلقاء القبض على المجرم والسارق ويلي ساتون. لكن آل مارتينو كان شخصاً قوياً قاتلاً في الحرب العالمية الثانية وأصيب في معركة إيو جيما. لقد كان من بنائي الطوب في منطقة فيلاديلفيا قبل أن يتحول إلى الغناء. وبدلاً من الاستسلام لأناستازيا، الذي كان يدعوهُ آني، انتقل آل إلى إنجلترا. عندما قُتل أناستاسيا على كرسي الحلاقة في أحد الفنادق عام 1957، سعى آل إلى الحصول على إذن من رئيس عائلة فيلاديلفيا أنجيلو برونو للعودة إلى أمريكا. قام أنجيلو بإحالة آل إلى راسل بوفالينو، وأدرك آل

حالاً أن راسل كان القوة الحقيقية في المافيا الأمريكية. على حد تعبير آل: «لا تدع أي شخص يخبرك بشيء مختلف، كان راسل هو الرئيس الذي حاز على أكبر قدر من الاحترام لغاية الآن». أعطى راسل آل مارتينو الإذن بالبقاء في أمريكا وبدلاً من مطالبته بأي شيء ساعد آل في إعادة بناء حياته المهنية. أخبرني آل أن راسل كان مالِكاً صامتاً للنادي الليلي الأسطوري كوباكابانا في نيويورك الذي تصرف فيه جوي غالو المجنون مثل «فتى يافع».

ازدهر عمل آل وهو تحت حماية راسل وحقق نجاحات كبيرة بما في ذلك أغنيته الشهيرة «عيون إسبانية» المفضلة لدى روس وفرانك، التي غناها جيرى فيل المغني الأمريكي الشهير المولود في حي برونكس في نيويورك في ليلة تكريم فرانك شيران. أخبرني مارتن سكورسيزي أنه استخدم غناء الراحل جيرى فيل في تسعة من أفلامه.

أخبرني آل بأنه توقع الحصول على دور جوني فونتين في فيلم «العرب»، لكن عندما لم يحصل ذلك، قيل له إن المخرج فرانسيس فورد كوبولا يريد ممثلاً ذا خبرة بدلاً منه. بعد رفضه قام آل بالاتصال براسل. بعد ذلك بيوم أو نحو ذلك، استدعاه روبرت إيفانز، رئيس شركة باراماونت. عرض عليه إيفانز الدور الذي كان يريده، لكن المخرج كوبولا سيصوره بطريقة تخفي وجهه في أغلب لقطات الفيلم. قال له آل إنه لا يكثر لهذا الأمر، فقد كان يريد الدور. وهكذا كان وجهه مخفياً معظم الوقت. تعامل بعض الممثلين في أثناء التصوير مع آل بشيء من البرود

واللامبالاة. لكن مارلون براندو أخذ آل تحت جناحه ودربه، وكان ينقله إلى مواقع التصوير في طائرته الخاصة، كان يتصرف مثل العراب داخل الفيلم وخارجه.

ذكرت هذا عندما تحدثت في مؤتمر للكتاب عُقد في مدينة سان فالي عام 2011. كانت من بين الحضور واند رودي، زوجة ألبرت رودي، منتج «العراب». قدمت واند نفسها لي وقالت: «لقد أعطى راسل بوفالينو الموافقة النهائية على فيلم «العراب»».

يبدو أنه في كل مرة تحدثت فيها، كان لدى شخص ما قصة عن راسل بوفالينو، خاصة في قاعدته الرئيسية في شمال شرق ولاية بنسلفانيا.

كان بيرني فوغليا يدير مطعمًا إيطاليًا رائعًا للأكلات الإيطالية، وهو مطعم فيلا فوغليا في بلدة إكستر في ولاية بنسلفانيا. كنت أتحدث في المكتبة القريبة منه. بعد ذلك، ذهب اثنان منا إلى بيرني للحصول على طعام لذيذ وقصص ممتعة. أخبرني بيرني بأنه عندما كان أصغر سنًا كان يملك مطعمًا للبيتزا، كان من المقرر أن يخضع لعملية جراحية للقلب المفتوح. سمع راسل بذلك وتوقف عنده. أخبره راسل بأنه صغير جدًا. وحث بيرني على الحصول على رأي ثانٍ مع طبيبه المختص بأمراض القلب ورتب له موعدًا معه. أرسل راسل جو سونكن، أحد رجال المافيا والذي كان يوجد في مطعم المأكولات البحرية في فلوريدا، إلى بيرني ليأخذه لزيارة الطبيب. لم يكن بيرني قد التقى جو سونكن من قبل قط، لكنه سرعان ما اعتاد على أن يطلق عليه اسم بويني تحببًا.

في مكتب الاستقبال، سألت الممرضة الرجلين إذا كان أحدهما يتحدث الإيطالية. كانت تحاول تسجيل رجل إيطالي مسن كانت لغته الإنجليزية محدودة جدًا ولم تستطع التفاهم معه لأنها كانت بحاجة إلى رقم الضمان الاجتماعي الخاص به. أرادت أن يشرح شخص ما له سبب حاجتها إليه. عرض بيرني المساعدة. علم من الرجل أنه لا يستطيع تقديم رقم الضمان الاجتماعي لأنه لا يملك بطاقة ضمان اجتماعي. لقد بدأ عمله في أمريكا في تهريب الخمر وكان يصنع خمرًا لآل كابوني وتعلم تجنب جميع الضرائب طوال الوقت. إلى أن سقط آل كابوني.

فجأة، خلع جو سونكن -الذي بدأ العمل أيضًا مع آل كابوني- نظارته ونظر إلى الإيطالي العجوز وجهاً لوجه وقال: «ألا تتذكرني.. أنا جو سونكن؟»

ثم قال بيرني: «وتعرف بعدها ما حدث، تعانق هذان المهربان واستمرا في الحديث. بعد ذلك بفترة، كنت في أتلانتيك سيتي خارجًا من أحد المطاعم عندما رأيت جو سونكن جالسًا في ركن خاص في المطعم مع فتاة شقراء جميلة. لم أرغب في إزعاجه واستمررت في السير نحو الباب عندما نادتي الفتاة الشقراء بصوت عالٍ: بوني!». استدرت. كان جو سونكن يجلس مع الممثلة أوليفيا نيوتن جون. في الخارج كانت سيارة رولز رويس متوقفة تحمل لوحة ترخيص مكتوب عليها «أوليفيا».

«في إحدى المرات، حاولت أنا وصديقي الدخول إلى مطعم رينبو روم في نيويورك لتناول العشاء ومشاهدة العروض التي تقدم فيه، ولكن لم يسمح لنا بالدخول لأنه لم يكن لدينا حجز. بدأنا

بالمفادرة، وحينها خطرت لي فكرة. فقلت للواقفين على الباب: «لقد دعانا راسل بوفالينو أن نأتي إلى هنا». سرعان ما أفسحوا لنا الطريق وقدم لنا النادل أفضل طاولة. حتى يومنا هذا، لا أعرف ما إذا كان راسل مرتبطًا بطريقة ما بمطعم رينبو روم، ولكنه بالتأكيد كان معروفًا هناك».

عندما طرحت عليه عدة أسئلة، كان بويني حريصًا جدًا على عدم قول أي شيء عن بيلي ديليا. في وقت لاحق، كانت أخت بويني الجميلة حاضرة في أثناء حديثي معه في كازينو ميندلا باي في لاس فيغاس.

في حديث آخر في بلدة بوفالينو، جاء إليّ رجل وقال: «عندما كنت صغيرًا كنت طفلًا شقيًا. جاء راسل إلى متجر الأثاث الذي كان يديره والدي وقال: «الجميع يحب التسوق في متجر، لكن ابنك يتصرف بوحشية. إذا كنت لا تستطيع التحكم به، فلن يرغب أحد في التسوق هنا بعد الآن». بدأ والدي يراقبني طوال دراستي في المدرسة الثانوية. لم أكن أغيب عن بصره حتى نضجت، والآن لديّ عملي الخاص».

سألته: «ما هذا العمل؟»

أجاب: «أملك دارًا للجنازات».

مكتبة

t.me/soramnqraa

سننتصر حتمًا

بعد ذلك قدمني جو بيستون إلى لين ديفيكو وهو عميل خاص متقاعد في مراقبة الجريمة المنظمة، وهو بطل أمريكي آخر وأصبح صديق عمر، وكان كبير أساتذة برنامج تطوير المخبرين

التابع لمكتب التحقيقات الفدرالي، كان المخبرون المأجورون هم شريان الحياة بالنسبة إلى قسم الجريمة المنظمة. ألفنا معاً أنا ولين كتاباً عن العمل الذي قام به لين وزملاؤه لقطع رأس المافيا. لقد سميت لين وحلفائه «المحصنين الجدد» نسبة إلى «المحصنين» الأصليين، وهم العملاء الفدراليون الذين قاتلوا آل كابوني واكتسبوا اسمهم لكونهم صادقين وغير قابلين للفساد عندما حاول آل كابوني شراء ذممهم. في عام 1987 ظهر فيلم المخرج بريان دي بالما The Untouchables 1987 الذي قام ببطولته روبرت دي نيرو بدور آل كابوني وكيفن كوستنر في دور إيبوت نيس، القائد النزيه والمحصن. ينتهي الأمر بـ لين ديفيكو النزيه وغير الفاسد وأحد المحصنين الجدد إلى أن توجه إليه أربع تهم بارتكاب المدعي العام جرائم قتل بحق المافيا في بروكلين، الباحث عن المجد في قضية هندستها المافيا انتقاماً من الضرر الذي لا يمكن إصلاحه والذي تسبب به لهم لين. كان عنوان كتابنا «سننتصر حتماً»، وصدر عن دار نشر بيركلي، 2011. كان لين مشرفاً على قضية لجنة رؤساء المافيا الأسطورية ومحاكماتها التاريخية لعام 1986. وكان جو بيستون أبرز الشهود في قضية لجنة رؤساء المافيا، وممول الهدم الخاص بها. كان المخبر السري المأجور للين، هو المدعو غريغ سكرابا الملقب بـ قابض الأرواح زعيم عائلة كولومبو، وكان هو السبب المحتمل الذي جعل المحققين يحتاجون إلى الحصول على إذن للسماح لهم بالقيام بعمليات التنصت والتسجيل. كانت تلك القضية الضخمة هزيمة كبرى لعصابات المافيا. وقد أوقعت من خلال عملها

الدؤوب بأعضاء لجنة رؤساء المافيا، أي ما يسمى بالهيئة. وقد أدين أعضاء اللجنة استناداً إلى ما قالوه بأصواتهم المسجلة على الأشرطة بجميع التهم الـ 151 وحكم عليهم بمئة عام سجن لكل منهم.

وكان توني ساليرنو البدين رئيس عائلة جينوفيزي، الذي ترأس الاجتماع الذي عقد في مطعم فيزوفيو بعد خمسة أيام من مقتل هوبا، أحد أعضاء اللجنة الذين شملهم ذلك الحكم.

هناك معلومة لم أستطع ذكرها في كتابي لأن كاري بوفالينو كانت لا تزال على قيد الحياة، حيث أخبرني فرانك بأنه بينما كان راسل قد خطط لأن تستغرق عملية هوبا نحو ساعة بدءاً من نقله بالسيارة إلى حرقه، كان توني ساليرنو البدين هو الذي ترأس عملية القتل. وعلى الرغم من أن ساليرنو تحدث بشكل محايد ولم ينحز لا إلى هوبا ولا إلى توني بروفينزانو، إلا أنه كان من مصلحة ساليرنو التخلص من هوبا. هيمنت عائلة جينوفيزي التي يتزعمها ساليرنو على تلك العملية، وقدمت أربعة رجال لتنفيذ المؤامرة: بروفينزانو وسال بريغوليو، والأخوين أندريتا.

أخبرني لين بأن إحدى القضايا الخاصة بلجنة المافيا بحسب قانون ريكو وكانت ضد توني ساليرنو البدين جاءت من جهاز تنصت تم وضعه في نادي بالما بوائز الاجتماعي الذي يملكه توني ساليرنو البدين في شرق هارلم حيث كان أحد المخبرين قد كلف أحد العملاء بزرع جهاز تنصت في القبو. كان نادي بالما بوائز يقع على بعد مسافة قصيرة سيراً على الأقدام من كل من مركز الرعاية الاجتماعية الذي عملت فيه محققاً في الستينيات ومطعم

جوي، وهو حانة في حي إيست هارلم تحولت إلى مقر فريق السوفت بول الذي كنت ألعب فيه. كان حي إيست هارلم منطقة نفوذ جوي فالانشي خائن عائلة جينوفيزي. قررت أن أكون على علاقة ودية مع ثلاثة أعضاء من نادي سان أنطونيو الاجتماعي القريب، رئيس الشارع جو، وشقيقه الأصغر سوني، وصهرهم مو، الذي كان متزوجاً من أختهم المرحلة فلو التي كانت تدير متجر حلوى سوني. قال لي مو ذات مرة: «لقد قضيت وقتاً في السجن أكثر من عمرك». ذات مرة تحدث معي عن الامتيازات التي يحصل عليها من المحققين، أولئك الأشخاص الأربعمئة، والتي لا نحصل عليها. «إذا أراد شرطي استجوابك، يجلسك على الأرض ويشوي مؤخرتك. ولأضرب لك مثلاً قامت السيدة وودورد من مدينة وودورد ستابلز بإطلاق النار على زوجها. كانت تدعي أنها ظنت أنه لص. ولكن هل سيشوي مؤخرتها؟ بالطبع لا. لأنها جزء من الأربعمئة». لم أكن أعرف ما المقصود بالأربعمئة وقلت له ذلك. فأوضحها لي: «إنهم المستوطنون الأصليون، الذين جاؤوا من مقاطعة بليموث». لم أكن أظن أن هذه الأيام التي سأقضيها في مدينة سوني ستكون بروفة للوقت الذي سأقضيه مع فرانك. في الثمانينيات من القرن الماضي، أخذت طفلينا المراهقين تريب وميمي بالسيارة إلى بلدتي القديمة. أردت أن يرى شبابنا طريقة أخرى للحياة. كان مو قد رحل عن الدنيا، ولكن فلو كانت لا تزال تدير متجر الحلوى. تذكرتي باعتزاز. بينما كنا نخرج دخل رجل أسود مسن بدا شبيهاً بالرجل المسكين الملحن والمغني ديوك إلينغتون حاملاً كلبته. التقط صحيفة نيويورك

ديلي نيوز ورمى عشرين سنتاً على المنضدة وصاح: «أنا مدين لك بخمسة سنتات يا فلو». فقالت: «حسناً يا عزيزي».

طبقاً لما سُجِّل بواسطة جهاز التنصت في نادي بالما بويز الاجتماعي، فإن توني البدين قد أملى على أعضاء نقابة سائقي الشاحنات اسم الرجل الذي اختاره لهم ليكون رئيسهم المقبل. وكان يقصد روي لي ويليامز من مدينة كانساس، الذي ذهب إلى السجن لاحقاً. ما كان يخشاه هوفاً هو هيمنة المافيا بشكل كلي على نقابته إذا لم يستعد الرئاسة شخصياً في انتخابات 1976. وهذا هو السبب الذي جعل عائلة جينوفيزي لا تسمح لهوفاً باستعادة المنصب. لقد جاؤوا لامتلاك نقابة سائقي الشاحنات تحت رئاسة فرانك فيتزسيمونز وكانوا يخططون للاحتفاظ بها لفترة طويلة. أفاد فيكتور ريزل، الصحفي الشجاع الذي فقد بصره على يد جوني ديو لأنه تكلم بالسوء عن هوفاً، أن توني بروفينزانو زعيم عائلة جينوفيزي كان يخطط لتولي الرئاسة في عام 1981. ولقد فشلت هذه الخطة بسبب إدانة توني برو بالقتل في عام 1978، والمقصود عملية قتل توني كاستيلو رئيس الفرع المحلي لنقابة سائقي الشاحنات الذي كان يحظى بشعبية على يد سال بريغوليو وكايو كونفسبرغ، تم حل لغز جريمة القتل تلك نتيجة للتحقيقات في قضية هوفاً.

قام مكتب التحقيقات الفدرالي تحت إشراف لين ديفيكيو بجمع الأدلة عن لجنة رؤساء المافيا وصدرت عليهم أحكام بمئة عام أدت إلى القضاء على اللجنة إلى الأبد. وحينها بعد أن ثبت أن العرايين مسؤولون أمام القانون، لم يرغب أي رجل من أي

مستوى في أن يكون هدفًا لتحقيقات مكتب التحقيقات الفدرالي كونه رئيسًا لإحدى العائلات، ناهيك بكونه رئيسًا لتلك اللجنة. وكانت أولى نتائج ذلك العمل صعود الشخصيات التافهة مثل جون غوتي إلى القمة، وسرعان ما أصبحت المافيا بلا قمة. ومع عدم وجود حكومة تقوم بأعمال القتل السرية لفرض قوانينها، بدأت المافيا في الانزلاق نحو الفوضى والتفكك.

قبل أن أقابل لين ديفيكو أو جو بيستون حتى، كنت في أثناء السفر مع فرانك والتواصل معه، قد أصبحت شاهدًا على الضرر الذي ألحقته قضية لجنة الرؤساء بعصابات المافيا.

كثيرًا ما كنت أزور أنا وفرانك أحد كبار مسؤولي عائلة فيلاديلفيا، وهو رجل مصطنع كنت أناديه كارمين، في ناديه الاجتماعي الخاص، وكان لا يسمح بدخوله إلا للأعضاء فقط أو بمذكرة تفتيش. كان النشاط الوحيد غير القانوني الواضح الذي يجري في النادي هو القمار. فتجد ثلاث أو أربع لعبات بوكر تجري في وقت واحد، حيث يقوم مدير النادي بتزويد الموزع بورق اللعب ويحصل على نصيبه من النقود في كل لعبه، وكان رجال كارمين يراقبون اللاعبين للتأكد من حصول مالك النادي على حصته.

في المرة الأولى التي جلسنا فيها أنا وفرانك في مشرب النادي الاجتماعي، وكان يحوي صندوق تبريد سميكاً توضع فيه المشروبات يعود لمساعد كارمن، وهو رجل بدا أنه يبلغ من العمر أربعين عامًا تقريبًا، جاء إلينا ووقف على يساري ليجري محادثة صغيرة مع فرانك الذي كان يجلس على أحد كراسي المشرب

إلى يميني. كان المساعد وفرانك يتبادلان الحديث وهما واقفان بجانبني طوال الوقت، وحين كان المساعد يتحدث إلى فرانك لم يكن ينظر إليه قط. بدلاً من ذلك، كان يقف هناك على بعد ستة أقدام يحدّق إليّ بصرامة كما لو كنت قدر بوكرو الذي تُوضع فيه أموال اللعب وعليه أن يراقبه، كان ينظر إليّ من رأسي إلى أخمص قدمي، ليجعني أدرك أنه لن ينساني أبداً. ابتسمت بلطف، كما لو كنت الموناليزا الحقيقية. كان كارمين من بين العديد الذين قيل لهم إنني أحرر مسودة الكتاب الخاص بفرانك. لم يكن بإمكان المساعد القيام بذلك من دون أن يُطلب منه ذلك. بعد بضع سنوات، اقترح فرانك أن نزور «صديقنا» لأن رالف ناتالي، العراب السابق لعائلة فيلاديلفيا، تم اعتقاله وكان يتعاون مع مكتب التحقيقات الفدرالي، مثل هذا التعاون من قبل رئيس عائلة هو دليل مثير على تفكك المافيا نتيجة لنشاط المحصنين الجدد. أخبرني فرانك أن كبار مسؤولي عائلة فيلاديلفيا طلبوا من كارمين أن يصبح عراباً جديداً لعائلة فيلاديلفيا، وهذا يعني أن يكون الرئيس الكبير لعائلة فيلاديلفيا بأكملها التي كان أنجي يديرها ذات يوم. طلب كارمين نصيحة فرانك، لكن فرانك لم يخبرني بالنصيحة التي قدمها. جلست في مقعدي المعتاد، وفرانك إلى يميني. جاء كارمين، وهو رجل وسيم أسمر ذو مظهر رياضي في الخمسينيات من عمره، وكما يفعل مرات عديدة، وضع يده الكبيرة على ظهر الكرسي الذي كنت أجلس عليه.

«كيف حال صديقنا؟» سأل كارمين، في إشارة إلى عراب عائلة فيلاديلفيا السابق جون ستانفا. كان هذا هو العراب الذي

قابلته قبل ذلك بعشر سنوات عندما كان القاضي الرئيسي في المحاكمة التي جرت في مطعم الموناليزا وكان يقضي في تلك الأثناء خمس أحكام بالسجن المؤبد في سجن ليفنورث بتهمة القتل.

ولكن كيف كان حال صديقنا فعلاً؟ تعرض جيوفاني ستانفا لضربات عديدة من المحصنين الجدد وأدين في نوفمبر 1995، بعد أربع سنوات من توليه منصب الرئيس في عام 1991، وقبل وقت قصير من مقابلي له. خلال معظم وقته كرئيس كان في حرب مع سكينى جوي ميرلينو للسيطرة على عائلة فيلاديلفيا، وهي حرب لم يكن يسمح بها لو كانت هناك لجنة لرؤساء المافيا في نيويورك. كان من بين الضحايا جوي نجل ستانفا، الذي نجا من رصاصة في الخد عندما فتح رجال ميرلينو النار على سيارة الكاديلاك التي كان يقودها جون ستانفا. انتقم رجال ستانفا من ذلك العمل؛ ما أدى إلى إصابة ميرلين في المؤخرة ومقتل «ميكي تشانج»، الذي كان والده جو سيانكاغليني «تشيكى» هو حليف شيران الذي أصيب في بطنه في أثناء تبادل لإطلاق النار مع المتمردين أمام الفرع المحلي للنقابة في عام 1967. تم اختيار ابن تشكى الآخر «جوي تشانغ» لبقى مخلصاً لستانفا. كان قتالاً بين الإخوة. كان فرانك فخوراً جداً بأن تشيكى نصح ابنه جوي من السجن بأن فرانك هو الوحيد الذي يجب أن يثق به ويذهب إليه للحصول على المشورة. فتح رجال ميرلينو النار على جوي تشانغ أمام مطعمه؛ ما أدى إلى إصابته بشلل جزئي. كان تشيكى الأب يقضي عقوبة بالسجن لمدة خمسة وأربعين عاماً

عندما سأل كارمين فرانك عن ستانفا: «كيف حال صديقنا؟» أخبرني فرانك بأنه خلال حرب ميرلينو - ستانفا دخل ثلاثة من رجال ميرلينو بسيارتهم إلى حديقة شقته بينما كان يجلس في الخارج. طلبوا منه أن يبقى محايداً في الحرب.

فسألته: «هل خرج ثلاثتهم من السيارة وصعدوا إليك؟»  
«لو فكر واحد منهم في النزول من السيارة لكننا أكملنا حديثنا في السجن. فلم تكن عندي مشكلة في استخدام المسدس. ترك ثلاثتهم المكان وولّوا هاربين».

حدث هذا في عام 1993 عندما كان فرانك في الثالثة والسبعين من عمره وكان يستخدم في سيره عصا كبديل عن قدمه العليقة. ومع ذلك، كان ميرلينو لا يزال يخشى مشاركة فرانك النشطة في القتال إلى جانب ستانفا.

في نفس الوقت الذي جرت فيه زيارة ميرلينو تقريباً، تلقيت لمحة عن مكانة فرانك حيث كان يدير أعمالاً معينة وهو جالس على طاولة في مطعم لا فيراندا على نهر ديلاوير في فيلاديلفيا. كنت جالساً خلفه بمسافة، ولم يكن يعرف قط أنني كنت هناك. كان هذا خلال فترة ثماني السنوات التي لم أكن أراه فيها. كان هناك رجال ذوو مظهر قوي ينتظرون واحداً تلو الآخر دورهم للجلوس باحترام على طاولته والحصول على التعليمات. وحيث إن الطاولة كان بها جهاز للتمصت فإن واحداً من هذه اللقاءات على الأقل كان انتهاكاً للإفراج المشروط،. كان طابور الرجال لا يزال موجوداً عندما غادرت دون أن يراني.

أُعلن في لائحة اتهام ستانفا بالقتل لعام 1995، عن أن فرانك

وممثله السابق هنري سيانفراني، الذي قضى وقتًا في السجن بتهمة الابتزاز، غير متهمين بالتآمر على ستانفا. تم القبض على فرانك وسيانفراني اعتمادًا على جهاز التنصت بتهمة التآمر في مطعم الموناليزا على ستانفا، لكن لم يتم اتهامهم قط. بينما كان فرانك قد خرج للتو من السجن بعدما أنهى فيه عامًا بسبب انتهاكه الإفراج المشروط عنه في عام 1995 لمغادرته فيلاديلفيا دون إذن، كان ستانفا قد دخله إلى الأبد. أخبرني فرانك بأن مغادرته فيلاديلفيا دون إذن من ضابط المراقبة الخاص به، كان لمجرد الذهاب إلى أتلانتيك سيتي للتأكد من حصوله على «حصته الحقيقية» من المبالغ النقدية المستقطعة من شاحنات القمامة.

في الشريط الذي سجل في مطعم الموناليزا، تم سماع جون ستانفا وهو يقول: «أنت تعرف ما سأفعله. سأحصل على سكين... سأقطع لسانه وأرسله إلى زوجته. هذا كل شيء... نضعه في مظروف. ونضع طابعًا عليه... أقسم بالله».

رد فرانك على كارمين: «جون يفعل ما فيه الخير. ما زال لديهم في سجن ليفنورث. وصلتني بطاقة عيد الميلاد منه. صديقنا يقوم بعمل جيد».

«بلغه تحياتي». رفع كارمين رأسه للنظر إلى السقف وقال بحذر شديد كما لو كان يفكر بصوت عالٍ: «كما تعلم، يجب أن أعترف أنني لم أكن قريبًا جدًا من أطفالي عندما كنت مشغولًا بعملتي ومناوراتي. ولكن يجب أن أقول، أنا قريب جدًا حقًا من أحفادي، قريب حقًا منهم، ولا أريد أبدًا أن أفعل أي شيء سيئ

لدرجة أنني لن أراهم مرة أخرى لبقية حياتي».

أدهشني أنه استخدم كلمة «سيئ» لوصف الأشياء التي فعلوها. ألقى نظرة خاطفة على فرانك. كان هناك وميض ابتسامة على وجهه. أي شخص رأى فرانك يتحدث مع حفيده الصغير جيك أو سمع فرانك يتحدث بفخر عن حفيده اليافع كريس كاهيل وهو يلعب الركبي في روسيا لصالح فريق الولايات المتحدة، سيخمن أن فرانك سمع نصيحة «صديقنا» التي ستقوده إلى هذا القرار. عندما كنت أستمع من الكرسي الذي كنت أجلس عليه في الحانة، فكرت مع نفسي، حسنًا، عليك أن تعمل كقاضٍ عليك أن تأمر بالضرب للحفاظ على الانضباط. هذا هو عملك. وهذا ما تمت إدانتكم به في هذه الأيام طبقًا لقانون ريكو، كما حدث مع ستانفا. كنت أعلم أنني كنت أستمع إلى الفصل الختامي في تاريخ مافيا فيلاديلفيا. كانت وظيفة الرئيس هي أعلى ما يصل إليه الشخص في المافيا. يقتل الرجال فيها أبناء بعضهم بعضًا أو إصابتهم بالشلل الواحد تلو الآخر. وحينها لم يكن بإمكانهم التخلي عن هذه الممارسات.

بفضل تمرير قانون ريكو والتشريعات الأخرى المناهضة للمافيا والعمل الذي قام بها المحصنون الجدد مستعنيين بهذه القوانين، لن يكون هناك المزيد من ليالي التكريم لأي شخص مرة أخرى.

بالطبع، لم يتولَّ كارمين المهمة. وما زلت أحتفظ كتذكّار ببطاقة عيد الميلاد التي بعثها جون ستانفا مع ختمها البريدي الذي يشير إلى أنها مرسلة من سجن ليفنورث.

لم تسمح لي زوجتي الحكيمة، نانسي، بإدراج حكاية كارمين في خاتمة طبعة الكتاب الورقية التي صدرت عام 2005 حتى لا أثير غضب أحد، لكن ما جرى في النادي الاجتماعي هو ما دفعني إلى كتابة القصة التي تروي ما حدث فيه منذ ذلك الوقت إلى يوم إغلاقه حين علق سمسار عقارات لافتة «للبيع» عليه. يجب أن يلعب المرء مع أحفاده.

بفضل لين ديفيكو، تعرفت على أسطورة مكتب التحقيقات الفدرالي جيم كوسلر، مهندس استراتيجيات التحقيق مع عوائل المافيا بأكملها باستخدام قانون ريكو والقوانين الجديدة الأخرى التي قدمها الكونغرس. أخبرني جيم بأنه في وقت مبكر من التحقيق في قضية هوفنا توقف عن الاشتباه في سيارة تومي أندريتا لمحاولة استجوابه. وانهار «أندريتا» الذي يبلغ طوله 201 سنتيمتر، وقد اهتاجت مشاعره في تلك اللحظة، وبكى مثل الطفل، حتى في أثناء رفضه التعاون.

في مقابلة مع لين، علمت أن جون نابولي، الذي كان يحمل جهاز تنصت لتسجيل تهديد راسل بوفالينو بقتل نابولي «بيديه العاريتين» في نزاع على جواهر ألماسية، كان أحد مخبريه المأجورين. أدين راسل بتهمة الابتزاز، والذي أدى بدوره إلى القيام بسلسلة من الأعمال التي قضت على بوفالينو عندما أمر، عند إطلاق سراحه، رجلاً مصطنعاً هو جيمي فراتيانو الملقب بابن عرس، بقتل نابولي انتقاماً له. لم يكن بوفالينو على علم بأن فراتيانو كان يحمل جهاز تنصت وبدأ بالفعل في التعاون مع مكتب التحقيقات الفدرالي.

استمرت هذه الهدايا غير المتوقعة في جعلي أشعر بالامتنان. وهكذا، بعد تأليفي كتاباً مع جو بيستون الذي كان يتسكع في مطعم فيزوفيو في حين كان دوني براسكو يراقب كلاً من روس وفرانك، بدأت أكتب الآن كتاباً مع لين ديفيكو، الرجل الذي أوقع براسل بوفالينو. هكذا استمرت رقاقت الثلج المنعشة في السقوط من العدم.

كان لدى لين أيضاً جهاز تنصت في جناح راسل في فندق كونسليت في نيويورك، وكان يستمع إلى ما يدور بين روس وفرانك. لكن روس وفرانك كانا سجينين قديمين ولم يتحدثا قط عن العمل هناك. كان جهاز التنصت هذا واحداً من القلائل من الأجهزة التي لم تسجل أي شيء.

ومع ذلك، فإن ما كشفه جهاز التنصت هو مدى قرب الرجلين، وكأنما تجمع بينهما رابطة الدم. سرد لي فرانك قضيتين تصفان علاقتهما وأنا الآن قادر على الحديث عنها. تتعلق الأولى ببيغ بوبي مارينو المحتال الذي يبلغ وزنه 300 رطل، والذي برأه فرانك من تهمة القتل في محاكمته وفق قانون ريكو عام 1980. كان راسل قد أمر فرانك بالقيام بهذه العملية دون أن يدرك أن مارينو كان يقوم ببعض عمليات الربا على قروض منحها صالح أنجيلو برونو. بعد العملية، كُشف أنه كان لدى مارينو ثمانون ألف دولار من أموال أنجيلو يستثمرها في قروض عالية الفوائد. كانت المشكلة أنه لم يكن أحد غير مارينو يعرف لمن أقرض تلك الأموال. ضاعَت الثمانون ألف دولار هباء، ويبدو أن ذلك كان خطأ فرانك. استُدعي فرانك من قبل أنجي ليشرح الأمر بنفسه.

ألقى فرانك المسؤولية على نفسه ولم يذكر مرة واحدة أن راسل أمره بها.

قال لي فرانك: «لم أكن أرغب في إحراج راسل، كنت معتاداً على الماضي قدما في العملية دون التحقق من الأشخاص. حاول روس إلغاء الأمر، لكن فات الأوان. كنت بالفعل في طريقي لتنفيذه».

كانت الحكاية الأخرى تتحدث عن رجل مصطنع كان هو وفرانك لا يطبق أحدهما الآخر، كان يدعى رايموند مارتورانو ولقبه «جون الطويل». سمع فرانك أن جون الطويل هذا قد استأجر شخصاً ليقوم بقتله. أوقف فرانك سيارته أمام منزل جون نحو الساعة الثالثة من صباح يوم أحد وأطلق بوق سيارته. عندما نظر جون الطويل من نافذته، صنع فرانك بيده شكل مسدس كما لو كان يطلق النار عليه. في اليوم التالي رتب راسل لقاء بين فرانك وجون وجعل جون يلغي عملياته ضد فرانك وجعل فرانك يوافق على ترك جون وشأنه.

بعد عقود من الزمن عندما كنت مسافراً مع فرانك، أطلق سراح جون بعد قضائه عقوبة طويلة. كان في الثمانين من العمر تقريباً، كما كان حال فرانك. بعد انقضاء أسبوع خرج في سيارته، وحين انعطف بها في أحد شوارع جنوب فيلاديلفيا قفز مسلح من بين سيارتين متوقفتين وبدأ يطلق النار. في اليوم التالي ذهبت مع فرانك إلى نادي ميسينا الاجتماعي لتناول الفلفل والسجق. استقبل توت -وهو شخص إيطالي قصير جداً، فقد كان طوله 164 سنتيمترا بالنسبة إلى فرانك الذي كان طوله 195

سنتيمترا حين كانا في ريعان شبابهما وكان عمره نحو ثمانين سنة أيضاً- فرانك معانقاً إياه على الرغم من عدم تكافؤ طولهما، كان مبتسماً، وقال: «أنا سعيد لرؤيتك خارجاً من السجن. اعتقدت أنهم استدعوك بخصوص جون».

قال فرانك: «سأستخدمك حجة لغيابي إذا تم اتهامي».

قال توت: «لقد سمعت أنه ما زال على قيد الحياة».

«حسناً، هذا دليل براءتي. لو كنت أنا من قمت بالعملية، لكان

جون قد مات منذ زمن طويل».

عندما مات إيميت فيتزباتريك في عام 2014، ربط نعيه في الصحف بين العدوين: أصبح فيتزباتريك محامي دفاع معروف يمثل أفراد عصابات مرموقين، كان من ضمنهم ريمون مارتورانو «جون الطويل»... ورئيس فرع نقابة سائقي الشاحنات فرانك شيران».

في حفل توقيع كتابي بالقرب من بالتيمور، أخبرني رجل مطلع على المنطقة بأنني وفرانك لن نجد مهبطاً للطائرات في منطقة قريبة حيث يوجد الآن مركز تسوق لمجموعة محلات غاب الأمريكية للملابس والإكسسوارات ومعرض لبيع السيارات. كان هذا هو مهبط الطائرات الذي سلم فيه فرانك حقيبة من القماش الخشن مملوءة ببنادق عالية الدقة لرجل من عائلة جينوفيزي قبل حادثة دالاس بوقت قصير. كان من الرائع التأكد من أننا كنا في البقعة الصحيحة بعد مرور أربعين عاماً تقريباً منذ تسليم فرانك البنادق عام 1963.

كما أخبرني جيم كوسلر: «تعمل عائلات المافيا معًا لتقاسم أنشطتها الإجرامية. قد يتحكم أفراد عائلة غامبينو في اتحاد أرباب العمل، بينما قد تتحكم عائلة جينوفيزي في اتحاد العاملين لدى أرباب العمل».

كشف لي فرانك أن عائلة جينوفيزي كانت لها صلة مهمة لكن غير معروفة مع حادثة دالاس. قادني فرانك بسيارته إلى مكان ملتقى عائلة جينوفيزي، وهو مطعم مونتي، حيث التقى أحد مسؤولي العائلة توني بروفينزانو، الذي سلمه حقيبة من القماش الخشن تحوي بندق عالية الدقة، وتلقى تعليمات من بروفينزانو: «اذهب إلى معمل سمنت كامبل في بالتيمور حيث ذهبت في تلك المرة مع الشاحنة. سيكون هناك طيار صديقنا. إنه ينتظر الحقيبة». قام فرانك بتسليم البندق في مهبط الطائرات في بالتيمور، ليس إلى «صديقنا» ديف فيري طيار كارلوس مارسيلو، ولكن إلى رجل مصطنع آخر من عائلة جينوفيزي، «رجل آخر أعرفه من مطعم مونتي»، وقد توفي الآن، رفض فرانك كشف هويته بدافع الاحترام لـ «العائلة اللطيفة» لرجل عائلة جينوفيزي. كما وصفه فرانك في الكتاب، أخذ هذا الرجل بصمت مفتاح صندوق السيارة، وحصل على البندق وودّعه «وذهبت بعيداً». لم يخرج فرانك من سيارته اللينكولن قط.

بعد 12 عامًا في فندق وارزيك، أخبر جيمي هوف فرانك بأن طيار كارلوس مارسيلو أخذ البندق إلى دالاس، دون أن يقول كيف أو إذا استُخدمت بالفعل. افترض فرانك أن جيمي كان يقول الحقيقة بشأن كارلوس مارسيلو وديف فيري ودالاس والبندق.

لكن فرانك كان شاهد عيان حقيقي على دور عائلة جينوفيزي في استلام البنادق من أحد مسؤولي العائلة، وهو توني برو، في مكان ملتقى عائلة جينوفيزي، في مطعم مونتني. وتسليم البنادق لرجل مصطنع من عائلة جينوفيزي.

وهكذا توافرت لدينا معلومات مهمة عن مؤامرة لقتل الرئيس تم التعامل معها على أعلى مستوى من عائلة جينوفيزي، لها تمثيل في لجنة رؤساء المافيا ويقودها توني ساليرنو البدين. لم يكن من الممكن أن تحدث مشاركة عائلة جينوفيزي النشطة في شيء ضخم مثل حادثة دالاس من دون مساهمة وموافقة لجنة رؤساء المافيا التي لم تعد موجودة بعد عقدين بفضل تعامل المحصنين الجدد مع أعضاء اللجنة.

### «أنا لن أذهب إلى أي مكان بالقرب من دالاس»

بعد ظهور روبرت كينيدي الابن في مقابلة مع تشارلي روز، شاهدت فيلمًا وثائقيًا بعنوان: هل قتلت المافيا جون كينيدي؟ كان ضيفه المميز هو ج. روبرت بلاكي الأستاذ في كلية الحقوق في جامعة نوتردام في ولاية إنديانا، وهو رجل لم يسبق لي أن التقيته، ولكن كانت له مكانة بارزة في كتبي التي شاركت في تأليفها مع جو بيستون ولين ديفيكو. كان البروفيسور بلاكي هو من قاتل المافيا أيام الرئيس جون كينيدي وواصل القتال بعد اغتياله.

كان بلاكي هو الذي صاغ للكونغرس مجموعة القوانين التي أجهزت على عصابات المافيا والتي أرسلها الكونغرس إلى

الرئيسين جونسون ونيكسون للمصادقة عليها قوانين والتي أشرت إليها فيما سبق، وهي القوانين التي مكنت عملاء مثل جو بيستون ولين ديفيكو وجيم كوسلر وحلفائهم داخل وخارج مكتب التحقيقات الفدرالي من مقاضاة وسجن رؤساء عائلات المافيا الأقوياء والمتغطرسين مثل توني ساليرنو البدين ورؤساء مناطق واسعة إلى حد ما.

صاغ بلاكي ثلاثة قوانين وأقرها الكونغرس كانت بمثابة ثلاثة صواريخ من أسلحة الدمار الشامل تم إطلاقها على قواعد المافيا في جميع أنحاء البلاد: 1- إذن التنصت على المكالمات الهاتفية وزرع أجهزة التنصت والتي يمكن استخدام تسجيلاتها كدليل. 2- توسيع برنامج حماية الشهود لإغراء الشهود المتعاونين. والأهم من ذلك: 3- قانون ريكو الذي خلق مفهومًا جديدًا للمنظمات المشروعة؛ ما جعل من غير القانوني الانتماء إلى المافيا.

عندما صدرت أحكام بحق العربيين في قضية لجنة لين للمافيا، وقررت أنهم مذنبون في جميع التهم الـ 151 الموجهة لهم، اتصل جيم كوسلر على الفور بالبروفيسور بلاكي لتهنئته والاحتفال معه.

برز بلاكي سابقًا كونه كبير المستشارين ومدير موظفي اللجنة المختارة التابعة لمجلس النواب للتحقيق في الاغتيالات التي جرت في الفترة من 1976 إلى 1978. أعادت هذه اللجنة تدقيق تقرير لجنة وارن لعام 1964، وفي عام 1978 ناقضت نتائج لجنة وارن وخلصت إلى أن أوزوالد لم يعمل بمفرده. خلصت اللجنة دون تحديد المتأمرين بأي شكل من الأشكال، باستثناء أوزوالد

بالطبع، إلا أن جون كينيدي على الأرجح لم يتم «اغتياله نتيجة لمؤامرة». ومع ذلك، فقد اعتمدت اللجنة المختارة من مجلس النواب على ادعاءات مشكوك فيها الآن للدليل الصوتي على انطلاق طلقة رابعة من موقع مختلف عن طلقات أوزوالد الثلاث، وهي منطقة تلة الأعشاب الأقرب إلى حيث قتل الرئيس.

وأشار البروفيسور بلاكي في الفيلم الوثائقي إلى أسباب أخرى تدعم وجود مؤامرة. قال إنه قبل أحد عشر شهرًا من حادثة دالاس، تم سماع أنجيلو برونو، رئيس عائلة فيلاديلفيا الذي نعرف أنه كان الأقرب إلى راسل بوفالينو، من خلال التتصت على المكالمات الهاتفية غير القانونية في ذلك الوقت وهو يقول «علينا قتل الكبير»، وهذا يعني في سياق الكلام أننا يجب أن نقتل جون كينيدي، و«يجب أن نقتل الصغير»، وهذا يعني روبرت كينيدي. كان السرد الذي قام به بلاكي بمثابة تعليق صوتي لصورة الرجل الذي دعاه فرانك باسم أنجي: الرجل الذي أمر فرانك بقتل ويسبرز. الرجل الذي حمل فرانك مسؤولية قتل بيغ بوبي مارينو، والرجل الذي أشار إلى آل مارتينو أن يذهب إلى راسل للحصول على إذن بالعودة إلى أمريكا.

اختتم بلاكي الفيلم الوثائقي بموقف اتخذته شخصيًا منذ انتهاء عمله ككبير مستشاري اللجنة قبل نحو أربعين عامًا: «في صميم رأيي أنه قتل نتيجة مؤامرة وشكل ولون التآمر هو جريمة منظمة... أعتقد أن رجال المافيا قتلوا كينيدي ونجوا بفعلتهم». خلص بلاكي في كتابه «الساعة القاتلة: اغتيال الرئيس كينيدي من قبل عصابات الجريمة المنظمة» الذي صدر عن دار نشر

بيركلي عام 1981 والذي شارك في تأليفه مع ريتشارد ن. بيلينغز، مدير تحرير اللجنة، مع ذلك، إلا أنه لم يجد دليلاً على مشاركة الهيئة الحاكمة للمافيا في حادثة دالاس.

بعد عقدين من الزمان، قدم فرانك شيران الدليل المفقود على مشاركة اللجنة في وضع بصمات عائلة جينوفيزي على جزء من المؤامرة.

قال لي فرانك عام 1991: «لن أذهب إلى أي مكان بالقرب من دالاس». وعندما استأنف الحديث معي في عام 1999، بعد ثماني سنوات من الصمت، كان عليّ استخدام كل مهارتي لجعله يذهب «إلى أي مكان بالقرب من دالاس».

بينما أخبرني فرانك بأنه كانت لديه شكوك في عام 1963 بسبب دور جاك روبي، لم يتم إخبار فرانك بمؤامرة المافيا لقتل جون كنيدي حتى تلك الليلة من عام 1974 في حانة برودواي إيدي. كان لدى فرانك مصدر لا تشوبه شائبة وهو راسل بوفالينو، الذي كان رجلاً جاداً يتحدث بجدية عن أخطر الأمور عندما حذر جيمي هوبا أمام فرانك: «هناك أشخاص أعلى مني يشعرون بأنكم لا تعبرون عن التقدير المناسب»، ثم قال بعد ذلك بنبرة خافتة «لما حدث في دالاس».

كان راسل بوفالينو جدياً على نحو مضاعف في وقت لاحق من تلك الليلة عندما أكد لفرانك أن جيمي لم يكن محصناً من طلاء منزله:

«أنت تحلم يا صديقي. لقد تخلصوا من رئيس البلاد، فهل سيكون صعباً عليهم التخلص من رئيس نقابة سائقي الشاحنات؟».

هل هناك أي عجب من أن فرانك كان يرتعب من فكرة الذهاب إلى «أي مكان بالقرب من دالاس» في تلك الليلة من عام 1991 حين كان جالسًا على كرسيه ولمست منه جرأة صريحة بذكر أوزوالد وروبي، خاصة وأن راسل كان لا يزال على قيد الحياة؟ من ناحية أخرى، ارتدى فرانك حتى يوم وفاته، الخاتم الذهبي الذي قدمه له راسل والساعة الذهبية التي أهداها له جيمي. ارتدى الاثنين كتذكير لولائه لهما. يرمز ارتداؤه تلك الهديتين من المجوهرات إلى المشكلات العاطفية والمعنوية التي كان يعاني منها، وتضمنت تلك الصراعات ما جرى في دالاس.

كان شيران يشبه إلى حد كبير بلاكي وروبرت كيندي، من حيث أنهما كانا يتمتعان بسنوات عديدة من الخبرة العملية مع العقل الإجرامي للمافيا في وقت كانت فيه لرجال المافيا حكومة سرية خاصة بهم مع قوانينها ونظامها القضائي الخاص بها، ولغتهم الخاصة وطرق تفكيرهم واقتصادهم المعفي من الضرائب.

كانت أدلة فرانك حول حادثة دالاس كما هو موضح في هذا الكتاب عرضة لاستجواب مكثف من قبلي. تحدث فرانك في شريط الفيديو الأخير، قبل تنفيذ خطته لمقابلة خالقه برفض تناول الطعام، عن استلام حقيبة البنادق الخاصة بحادثة دالاس من توني بروفينزانو في مطعم مونتي ملتقى أفراد عائلة جينوفيزيني الواقع في حي بروكلين.

بعد مشاهدة البروفيسور بلاكي على شاشة التلفزيون، قررت أن أقرأ كتابه الذي لا يزال نابضًا بالحياة مع أنه صدر منذ ثلاثة وثلاثين عامًا، والذي قادني إلى كتاب ديفيد كايزر الرائع «الطريق

إلى دالاس»، والذي صدر عن دار نشر جامعة هارفارد عام 2008، وكتب عنه بلاكي: «أخيرًا جاء المؤرخ الذي لا يحمل تصورات مسبقة، وتفحص الوثائق الكثيرة، التي كانت وثائق سرية، طبقًا لقانون سجلات اغتيال جون كنيدي لعام 1992».

قرأ كايزر كونه مؤرخًا حزمة وثائق سرية صدرت مؤخرًا. كانت من بينها تقارير مكتب التحقيقات الفدرالي من 1989 إلى 1990. كانت هذه التقارير الرسمية تروي حادثة سجن لمدة ثلاثة أيام في عام 1989 والتي تشير ضمناً إلى كارلوس مارسيلو رئيس عائلة لوزيانا بأنه يلعب دورًا في حادثة دالاس. كان الحادث الذي استمر ثلاثة أيام مهمًا بما يكفي لجعل مكتب التحقيقات الفدرالي يقرر في غضون أسبوع إعادة فتح التحقيق في اغتيال جون كنيدي ولما يقرب من عام والذي كان المكتب قد أغلقه منذ فترة طويلة.

سبق لمكتب التحقيقات الفدرالي أن احتفظ بالفعل شريط إدانة لمارسيلو يعود إلى عام 1981، وهو شريط ناجم عن التحقيق في تهمة الاحتيال في التأمين والذي كان سيضع مارسيلو في السجن في سنواته الأخيرة. في هذا الشريط المسجل من جهاز تنصت في مكتب مارسيلو، نسمع «شريك موثوق» يقول شيئًا لمارسيلو عن اغتيال جون كنيدي. وقد أوقفه مارسيلو عام 1981 عن الاسترسال في الحديث كما أوقفني فرانك عام 1991: قال مارسيلو: «يجب ألا نتحدث عنه هنا».

ثم أخذ «زميله الموثوق به» إلى الخارج لمواصلة حديثهما على انفراد.

يذكر أن كارلوس مارسيلو كان أحد رئيسي عائلات المافيا اللذين سلم إليهما محامي المافيا ومحامي هوفّا فرانك راغانو رسالة من جيمي هوفّا يقول فيها إنه «سيقتل الوغد جون كينيدي».

كان على أي شخص يكتب دعماً لاستنتاجات تقرير وارن أن يواجه فرانك راغانو، وهو شخص كان في وضع يسمح له بمعرفة ما يتحدث عنه، ويجب أن يجد طريقة للتشكيك في مصداقيته. قام فنسنت بوغليوسي، المدعي العام المحترم الذي تولى قضية عائلة مانسون، ومؤلف كتاب «هيلتر سكيلتر» الصادر عن دار نشر نورتون، 1971، بتأليف كتاب من 1612 صفحة حول حادثة دالاس يؤيد فيه تقرير لجنة وارن وجادل فيه بعدم وجود دليل على أن هناك أي مؤامرة من قبل المافيا أو غيرها وكان عنوانه «استعادة التاريخ»، وصدر عن دار نشر نورتون، 2007. تم نشره قبل عام من صدور كتاب كايزر. في الصفحة 1181 يشير بوغليوسي إلى أن تفاصيل قصة المحامي فرانك راغانو تمثل «صفعة للحقيقة». ولكنها تسببت بعد ذلك، بحسب قول بوغليوسي، في تدمير راغانو نفسه. جادل بوغليوسي بأن راغانو لم يستطع جعل قصته حول لقاءه مع هوفّا واضحة وسوية.

وفقاً لبوغليوسي، قال راغانو أولاً أن محادثته مع هوفّا جرت «في غرفة طعام المديرين في فندق ماربل بالاس في واشنطن العاصمة».

يواصل بوغليوسي انتقاد راغانو: «في نوفمبر من عام 1992، ذكر راغانو نفس القصة بشكل أساسي للجمهور في برنامج

فرونت لاين التلفزيوني الخاص، لكنه قال إن المحادثة لم تتم في فندق ماربل بالاس ولكن في مكتب هوبا في مقر نقابة سائقي الشاحنات في واشنطن العاصمة. هل كانت في فندق ماربل بالاس؟ أم في مكتب جيمي؟ من الأفضل أن تقرر، يا فرانكي». لو كان راغانو على قيد الحياة لكان قد أشار إلى أن بوغليوسي لو كان قد اتصل بالرقم 411 -من قبيل الصدفة يساوي هذا الرقم عدد أيام قتال فرانك في الحرب- فإن موظف الاتصالات سيجيبه قائلاً: «لا يوجد شيء باسم فندق ماربل بالاس في منطقة واشنطن العاصمة» سيضيف راغانو أن مبنى مقر نقابة سائقي الشاحنات يُدعى قصر الرخام.

لكن رواية شاهد العيان فرانك شيران عن معرفة هوبا وبوفالينو بالمذنب في حادثة دالاس في حانة برودواي إيدي وفندق وارويك تدعم ما قاله راغانو كما أنه يؤيد ما جاء فيها. من السهل التمعن في عقول زعماء المافيا ورؤية الدوافع، الواحد تلو الآخر، التي كانت لدى كارلوس مارسيلو لقتل جون كينيدي. وكان عدم الاحترام الذي أظهره روبرت كينيدي لزعماء المافيا في جلسات استماع لجنة ماكيلان في السنوات التي سبقت انتخاب جون كينيدي رئيساً على رأس سلسلة الدوافع تلك. عندما تولى روبرت كينيدي وزارة العدل في عام 1961، كانت هناك 35 إدانة لعصابات الجرائم المنظمة في العام السابق. في عام 1963 كان العدد 288 ليبدأ يرتفع سريعاً. من بين تلك الإدانات البالغ عددها 288 إدانة في عام 1963 كانت تخص إحداها «رئيس نقابة يحصل على أعلى أجر في أمريكا»، وهو

توني بروفينزانو أحد كبار مسؤولي عائلة جينوفيزي، الذي أطيح به بتهمة الابتزاز، وكان يعقد اتفاقيات مع أصحاب شركات النقل بالشاحنات. خسر بروفينزانو بذلك معاشه وأدى إلى إحداث فجوة قاتلة بينه وبين هوفّا. بفضل النشاط الذي قام به روبرت كينيدي استُهدف جميع الرؤساء من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي، ومصلحة الضرائب، ودائرة الهجرة، ووزارة العمل، وشرطة الولاية، والشرطة المحلية. فضح روبرت كينيدي عصابات المافيا في كتابه «العدو في الداخل»، الصادر عن دار نشر هاربر، 1960. واقتُرحت قوانين جديدة. وتم عرض جوي فالانتشي وهو جندي في عائلة جينوفيزي أمام كاميرات التلفزيون في عام 1963، قبل شهرين من حادثة دالاس، لغرض وحيد هو فضح أسرار المافيا. وطريقة تفكير الرؤساء، أصبحت عملية بقائهم على المحك. فلم يكن لديهم خيار سوى قتل جون كينيدي.

أضف إلى هذه الدوافع حقيقة أنه عندما جاء كارلوس مارسيلو إلى دائرة الهجرة لتسجيل وصوله الروتيني كما هو مطلوب بموجب القانون في 4 أبريل 1961، تم تقييد المواطن المحترم والكبير في السن البالغ من الطول 158 سنتيمتراً بالأصفاد وخطفه من قبل روبرت كينيدي ثم وضعه في طائرة دورية حدودية في غواتيمالا دون أن تعطى له أية أمتعة سوى مصروف للجيب فقط. وهكذا كان عليه أن يدافع عن نفسه ويتسلل إلى أمريكا. برر روبرت كينيدي خدعته القذرة تلك بأنها جاءت لتجنب ترحيله إلى إيطاليا، حصل كارلوس مارسيلو على شهادة ميلاد غواتيمالية مزورة من الحكومة الغواتيمالية. استفاد روبرت كينيدي من ذلك الأمر بالتخلص من مارسيلو وذلك بإبعاده إلى غواتيمالا.

ولإضافة الإهانة إلى عملية الاختطاف، عندما عاد مارسيلو من غواتيمالا، قام روبرت كينيدي بتوجيه تهمة خداع الولايات المتحدة له لكونه استخدم شهادة ميلاد غواتيمالية مزيفة لإعاقة عملية ترحيله إلى إيطاليا. بعد ظهر اليوم الذي قتل فيه أوزوالد جون كينيدي، أعادت هيئة محلفين في نيو أورليانز على الفور إصدار حكم ببراءته. ولكن قبل أن يدخل أعضاء الهيئة إلى غرفة المحلفين للتداول، أخبرهم القاضي أن الرئيس قد اغتيل.

كشف المؤرخ كايزر عام 2008 من خلال اطلاعه على الوثائق المحفوظة لدى مكتب التحقيقات الفدرالي التي تم الإفراج عنها حديثاً أنه بحلول عام 1989 كان كارلوس مارسيلو الكهل يقضي عقوبة طويلة في سجن تيكساركانا بتهمة الاحتيال في وثائق التأمين وتقديم الرشوة للموظفين العموميين. في فبراير 1989، داهمت مارسيلو مشكلة صحية عابرة جعلته يتوهم أشياء غير موجودة لمدة ثلاثة أيام، تماماً كما حدث مع فرانك شيران خلال رحلتها في عام 2002 إلى ديترويت للعثور على المنزل. استمر فرانك في الخلط ما بين تجاربه في المافيا مع تجاربه في أثناء الحرب بسبب التفاعلات الكيميائية الناجمة عن استيعاب جسمه البطيء للأدوية التي كان يتناولها؛ ما أدى إلى توهمه أشياء غير موجودة. كان فرانك يتحدث إلى «الأشخاص الكيميائيين» عن الأحداث الماضية في أثناء قيادتي السيارة.

وقد وصف كايزر تلك الحالة في الصفحة 411 من كتابه، ومن المفيد الإشارة من جديد إلى أن رقم الصفحة يساوي عدد أيام القتال التي خاضها فرانك: «في عام 1989، أدت حادثة مدهشة

في سجن تيكساركانا حيث كان يقضي مارسيلو عقوبته إلى أن يقرر مكتب التحقيقات الفدرالي إعادة فتح التحقيق في اغتيال جون كينيدي. في 27 فبراير، أُدخل مارسيلو إلى المركز الصحي التابع للسجن بسبب شعوره بدوار وعدم انتظام ضربات القلب وغثيان. خلال الأيام الثلاثة التالية، بدأ يعاني من الوهم بأنه عاد إلى منزله في نيو أورلينز، وبدأ بالتحدث إلى الحاضرين باعتبارهم أشخاصًا يمكن الوثوق بهم. وناقش اجتماعًا عقده للتو مع بروفينزانو في نيويورك، واقترح أن يقوم رجاله بزيارة نادٍ ليلي، وتحدث عن إقامة احتفال وشيك. وفي ثلاث مناسبات خلال فترة يومين، قال مارسيلو: «أما بشأن كينيدي، ذلك الوغد المبتسم، فسوف نتدبر أمره في دالاس... سوف ننال من كينيدي في دالاس».

### أرأيت، إنهم يريدون حقًا إخبارك، يا عزيزي شول.

كان مارسيلو بكامل وعيه حين قابله محققو مكتب التحقيقات الفدرالي، ونفى كل شيء. ولكن خلال ذلك العارض الصحي الذي استمر يعاني منه ثلاثة أيام، تحدث بشكل خاص عن «نادٍ ليلي» و«احتفال» وحدد أماكن مثل دالاس ونيويورك، وذكر اسمي «بروفينزانو» و«كينيدي». ولم يكن يقصد أي «بروفينزانو» قديم بل واحدًا قابله في نيويورك، في مسقط رأس مونتي في بروكلين. ومن نعرف شخصًا غيره يملك «ناديًا ليليًا» في منطقة مارسيلو، وهي منطقة تضم دالاس، وتكساس؟ في حين أن آخرين مثل سام جيانكانا، الذي ارتبط به جاك روبي، كان لديهم اهتمامات في

دالاس، كانت المنطقة تابعة لمارسيلو. امتلك جاك روبي ناديين ليليين في دالاس. ولا يمكن لأحد أن يمتلك ناديًا ليليًا في دالاس دون إشراف جوزيف سيفيلو رئيس عائلة دالاس، الذي أبلغ عرابه كارلوس مارسيلو.

كان رئيسا المافيا قريبين جدًا لدرجة أنه في نوفمبر 1957 أرسل العراب كارلوس مارسيلو رئيس عائلة دالاس جوزيف سيفيلو لتمثيل مارسيلو في مؤتمر أبالاتشين الذي نظمه راسل بوفالينو. كان، بالطبع، مؤتمرًا يضم نحو ستين عرابًا من جميع أنحاء البلاد، عُقد في مبنى خاص في بلدة صغيرة في شمال نيويورك. داهمت شرطة ولاية نيويورك ذلك التجمع، شكلت تلك الاعتقالات والأخبار التي نشرتها الصحف عنه بعد ذلك أول ظهور علني لعصابات المافيا المنظمة على صعيد البلاد.

نُشرت تلك الفقرة «المدهشة» الوحيدة التي كتبها كايزر إلى جانب ما كشفته تقارير مكتب التحقيقات الفدرالي التي مضى عليها تسعة عشر عامًا في عام 2008، بعد أربع سنوات من الكشف علنًا عما قاله فرانك شيران في عام 2004 من أن توني بروفينزانو مسؤول عائلة جينوفيزي، كان يعمل خارج مقر التقاء أفراد عائلة جينوفيزي في نيويورك، في مطعم مونتي في بروكلين، مع رجل مصطنع آخر لم يذكر اسمه من عائلة جينوفيزي واشتركا في التآمر لتنفيذ عملية دالاس.

على الرغم من أن كايزر لم يشر إلى شيران أو إلى هذا الكتاب، إلا أنه وضح وثائق مكتب التحقيقات الفدرالي التي كشفها حديثًا نقلًا عن مارسيلو، حتى حين كان يعاني من حالة التوهم، حول

«اجتماع عقده للتو مع بروفينزانو في نيويورك» في سياق ما وصفه مارسيلو بأنه مؤامرتنا «نحن» - «سنتدبر أمره في دالاس... سوف ننال من كينيدي في دالاس» - وهكذا تحصل رواية فرانك شيران التي سبق أن أُكِّدت من أعلى المستويات على مصداقيتها من تقارير مكتب التحقيقات الفدرالي المخفية هذه. حين يلتقي بروفينزانو فرانك شيران، كان الأخير أول من أشار علناً إلى وجود علاقة مباشرة بين لجنة رؤساء المافيا وحادثة دالاس من خلال المشاركة النشطة لعائلة جينوفيزي.

كذلك، فإن اعتراف فرانك شيران يؤكد صحة كلمات مارسيلو «المذهلة». مثل الذي قام به فرانك مع قائمة المشتبه فيهم في مذكرة هوفيكس، حيث أكد فرانك صحة تقارير مكتب التحقيقات الفدرالي هذه وقرر المكتب أخذ الأمر على محمل الجد.

كما علمت من فرانك شيران والعديد من الأشخاص الآخرين من رجال المافيا، سيكون من المستحيل على أفراد عائلة جينوفيزي كونه عضواً دائماً في لجنة رؤساء المافيا المشاركة في شيء كبير مثل حادثة دالاس دون الحصول على موافقة اللجنة. مثال على ذلك تصويت اللجنة بفارق بسيط في منتصف الثمانينيات. برفض القيام بعملية قتل مدعي عام الولايات المتحدة آنذاك رودي جوليانى.

وسيكون من المستحيل على أي عضو في المافيا أن يشارك في عملية قتل في دالاس، في ولاية تكساس، دون موافقة مارسيلو. وكما ذكر جو فالانتشي في شهادته، لا يمكن لأي رجل مصطنع أن يدخل أراضي مارسيلو لأي سبب دون موافقة مسبقة.

قد يحتج البعض على أن مارسيلو حين قال ذلك كان يعيش حالة من التوهم. حسنًا، إذا لماذا اختار ذلك المتوهم مارسيلو اسم «بروفينزانو»، من بين الآلاف من أفراد العصابات المافيا الذين عرفهم، وهو رجل مافيا من نقابة سائقي الشاحنات وقوي جدًا من مدينة جيرسي، وعضو فعال جدًا في عائلة جينوفيزي في نيويورك والذي توقف في مطعم مونتي في بروكلين، للتواصل بشأن التخطيط لعملية دالاس، مثلما فعل فرانك الذي كان يعرف مئات من رجال عصابات المافيا، حين ربط «بروفينزانو» بعملية دالاس. وذكر أن مارسيلو ذهب إلى «ناد ليلي» من أجل «الاحتفال» المتوقع. الأهم من ذلك، أن هذه الأمور لم يذكرها مرة واحدة فقط، بل كان يكررها كلما كان يتحدث إلى مساعديه في نيو أورليانز. قيلت كلمة «نحن» تأمرنا ثلاث مرات في غضون يومين. ما قيل كان كافيًا لمكتب التحقيقات الفدرالي عام 1989 لإعادة فتح التحقيق بقضية دالاس التي طال رقودها على الرفوف. إضافة إلى ذلك، كان لدى مكتب التحقيقات الفدرالي بالفعل شريط مسجل في عام 1981 يمنع فيه مارسيلو وهو في مكتبه أي مناقشة حول اغتيال جون كينيدي.

مع تأكيد مشاركة عائلة جينوفيزي النشطة في المؤامرة، كما سبق لفرانك شيران أن أشار إليها من قبل وبات يذكرها في ذلك الحين كارلوس مارسيلو، كان لا بد أن يكون واضحًا أن لجنة رؤساء المافيا شاركت في عملية دالاس. وعلى هذا الأساس أشار مارسيلو إلى اجتماعه مع «بروفينزانو» في نيويورك، مقر اللجنة. إن سفر مارسيلو إلى نيويورك لحضور اجتماع يعني أن أولئك

الذين التقاهم كانوا أعلى منه.

إن المشاركة العملية لعائلة جينوفيزي منطقية تمامًا أيضًا، فقد كانت لديها دوافع شخصية قوية. وكان هناك دليل عملي يؤكد هذا. وهو جوزيف فالاتشي الذي كان رجلًا مصطنعًا من عائلة جينوفيزي من حي إيست هارلم، والذي قام بأفزع خيانة لأسرار المافيا، ووجه إهانة شديدة لعائلة جينوفيزي في جلسات الاستماع التي كان ينقلها التلفزيون.

حينها صرح روبرت كينيدي قائلاً: «بفضل جوزيف فالاتشي... أصبحنا نعلم بأن... [المافيا] تديرها لجنة... وأن رؤساء العوائل في معظم المدن الكبرى مسؤولون أمام اللجنة... وبتنا نعرف اليوم من هم الأعضاء النشطون في تلك اللجنة».

«بفضل جوزيف فالاتشي...»

كانت تتساءل العائلات الأخرى، يا ترى أي التزام مخزٍ لقوانين المافيا كانت تمتلكه عائلة جينوفيزي جعل تلك الخيانة التي لا يمكن وصفها تحدث من قبل أحد جنودها. كان على عائلة جينوفيزي أن تصحح الأمر. ليس من قبيل المصادفة أن الانتقام vendetta كلمة إيطالية، وتستخدم في الإنجليزية أيضًا بمعنى الانتقام.

بالتأكيد كنت قد آمنت بذلك. حين سمعت كلمات فرانك الجافة والباردة: «أنا لن أذهب إلى أي مكان بالقرب من دالاس». آمنت على الفور وإلى الأبد، أن المافيا تأمرت لقتل جون كينيدي. كل من سمعه يقول هذه الكلمات بهذه الطريقة سيؤمن بذلك أيضًا. كما يفعل أي شخص آمن بكلامي معه.

## «انظر إلى الأعلى يا تشارلز»

اقتحمنا فجأة أكبر تساقط للثلوج شهدناه على الإطلاق، وكما تقول المغنية لنا هورن في إحدى الأغاني التي أدتها مع فرقة أوركسترا تيدي ويلسون، «...على حين غفلة».

كنت في إجازة بمنزلي في منتجع تزلج سان فالي، في ولاية أيداهو، أشاهد مباراة كرة قدم تجري في مدينة بويز عندما جاءتني مكالمة على هاتفي الأرضي آنذاك. عرّف المتصل الشاب عن نفسه بأنه فرانك بافليكو. بدا اسمه مألوفاً بشكل غامض. قال لي: «لقد اتهمت مع بيلي ديليا. في قضية غسل أموال. كما أعلم فأنت تعرف بيلي».

قلت: «نعم أعرفه».

«أنا مستثمر مصرفي. لم أفقد ترخيصي. كان ذلك جزءاً من صفقاتي».

بدا هذا الشاب الذي كان يتكلم بسرعة وكأنه سمسار بورصة محتال يحاول إقناع الزبائن بشراء الأسهم. قلت له: «استمر».

«لقد تعاونت ضد بيلي. أنا أحد أولئك الذين كان سيقتلهم بيلي. لكن بيلي يتعامل معي بشكل جيد الآن».

«هذا جيد».

«صدقني، أنا وبيلي قريبان حقاً. لقد كنا دائماً مثل العائلة. كان والدي وراسل أفضل الأصدقاء. اعتاد بيلي على تدليلي وأنا طفل. كبرت وأنا أسميه العم بيلي. ما زلت أسميه العم بيلي في بعض الأحيان».

«ما أريد الوصول إليه هو أن هناك مراسلين صحفيين، أحدهما من فيلاديلفيا والآخر من هنا في شمال شرق ولاية بنسلفانيا، يريدان كتابة كتاب عني لكنني أريدك أنت أن تكتبه. ليس لدى بيلى مانع إطلاقًا. لا يوجد شيء يدعو إلى القلق من بيلى. سيتعاون. سيساعد. لقد تحدثنا عن ذلك. سيساعدنا. ليس هناك ما يدعوك إلى القلق».

قلت لفرانك بافليكو على حين غفلة: «أود أن أقول لك أن الصحفيين هما مات بيركبيك من شمال شرق بنسلفانيا وجورج أناستاسيا من فيلاديلفيا. وكلاهما كاتب ممتاز. وليست لديَّ رغبة في ذلك».

حدثت وقفة طويلة. لقد استمتعت تمامًا بهذا الصمت المحرج من «ابن أخ» بيلى.

«كيف عرفتهما؟» سألني بخنوع.

«كلاهما كتب عن المافيا وكلاهما ممتاز في ذلك. لقد تركت هذا الموضوع. لديَّ مشاريع أخرى».

لقد جعلته يفقد توازنه إلى حد كبير عندما قمت بتسمية الكاتبين، قررت أن أستغل الفرصة في فضح ما يحاول الشاب فرانك بافليكو تسويقه لي. استنادًا إلى المخبر جو كوفي الذي أخبرني أن مصدره في عائلة بوفالينو قال أن فرانك أخبرني الحقيقة، وأن جميع رجال بوفالينو قد قرؤوا الكتاب، وعرفوا أن بيلى كان يتعاون مع مكتب التحقيقات الفدرالي، خفضت صوتي وكأنني أذيع سرًا: «إضافة إلى ذلك، أنا أعلم أن بيلى أكد بالفعل

اعتراف فرانك شيران. لست بحاجة إلى الحصول على ذلك منك».

في هذه المرة حدث صمت مميت، ووقفة أطول. عندما تعافى بافليكو قال بصوت خافت ناجم عن خيبة الأمل: «سيكون ذلك جيداً لك إذن، أليس كذلك؟»

قلت: «نعم، سيكون ذلك جيداً بالنسبة إلي».

وبعد أن فشلت خطته للمساومة على تأكيد بيلى لما جاء في الكتاب، تطوع بافليكو قائلاً: «كان هذا هو أول سؤال وجهه مكتب التحقيقات الفدرالي إلى بيلى عندما ذهبوا لرؤيته، ماذا حدث لهوفا. قال لهم أن يقرؤوا الكتاب».

فقلت: «أخبرني فرانك بالحقيقة. لم يقل لي ذلك في منصة الشهود بعد ظهر أحد الأيام. لقد قاله لي شخصياً حين كنت أقابله لما يقرب من خمس سنوات».

حينها قال: «عندما صدر كتابك، أعطاه بيلى لي وكتب: في بعض الأحيان يمكنك تصديق كل ما تقرأه».

كان جزءاً مني، وهو الكاثوليكي الإيطالي الذي في داخلي، يحب أن يعتقد أن بيلى تعاون مع مكتب التحقيقات الفدرالي متأثراً إلى حد ما بنفسية فرانك شيران في سنواته الأخيرة كما ورد وصفها في كتاب «سمعت أنك تطلي المنازل». بالطريقة نفسها التي تأثر فيها فرانك روحياً برؤية راسل على كرسي متحرك في كنيسة في سجن سبرينغفيلد، بنفس الطريقة التي جعلتني أضيء الشموع لفرانك في كاتدرائية القديس باتريك كلما زرت والدتي في مانهاتن.

كان بيلي عراب عائلة بوفالينو بأكملها. ودخل قراره بالانتقال إلى جانب لين ديفيكو في قضية لجنة المافيا لين ديفيكو حيز التنفيذ. بعد عام أو نحو ذلك في 13 ديسمبر 2012، انتحر فرانك بافليكو شنقًا، في أثناء انتظاره المحاكمة في ساوث كارولينا في قضية احتيال منفصلة.

في هذه الأثناء، كشف بيلي ديليا عن قصة قاضيين في محكمة الأحداث في إقليم بوفالينو كان لديهم تضارب كبير في المصالح. كانا يمتلكان «حصة» في سجن الأحداث المملوك لشركة من القطاع الخاص التي كانت تستحصل رسومًا عن كل سجين قابع تحت سقفه. لذلك كانا يقومان بإصدار أحكام بالسجن على الأحداث الجانحين لارتكابهم جرائم بسيطة مثل السرقة. وقد كشف بيلي عن ذلك في البرنامج التلفزيوني 60 دقيقة. ومن المرجح أن يموت هذان القاضيان في السجن.

تم الإفراج المشروط عن بيلي ديليا في عام 2013، بعد شهرين من انتحار بافليكو. لكنه لم يشهد قط ضد اثنين من المتآمرين المشاركين في قضية هوبا كانا لا يزالان على قيد الحياة لأن بيلي لم يشارك بنشاط في الأدوار التي لعبوها في العملية وهما: تشاكي أوبراين الذي أوصل هوبا بالسيارة إلى المنزل وتومي أندريتا الذي تخلص من الجثة. كما قال فرانك عام 1991: «إذا كُلفت بعملية قتل فأنت تعرف فقط ما فعلته. لا يمكنك أن تشي بالآخرين لا من جاء قبلك أو بعدك».

لم يخبرني فرانك قط بما إذا كان بيلي قد لعب دورًا من أي نوع في قضية هوبا أو في حادثة دالاس، لكن مكانة بيلي كمساعد جعلته مطلعًا على كل ما يعرفه راسل.

كان فرانك مقتنعاً دائماً بأن بيغ بيلي كان مخبراً سرياً، وكان يسميه بالمخبر الخفي. أما لين ديفيكو، الأستاذ في طرق تجنيد المخبرين، فكان يسميه المصدر.

كان فرانك قريباً جداً من زعيم منظمة سلاح فرسان شيكاغو جوي لومباردو صاحب لقب «المهرج». في الواقع، كان كلا الرجلين متهماً في الدعوى المدنية لقانون ريكو ضد لجنة المافيا والمتآمرين معها، وتم فصلهم عن قضية قانون ريكو الإجرامية التابعة للجنة لين بخصوص المافيا. كانت قائمة القضايا المدنية للمتهمين المتآمرين، إذا ما استعار المرء الوصف الذي أطلقه روبرت كينيدي الابن، تشبه «قائمة جرد» لأسماء زعماء عصابات الجريمة المنظمة. لأنها كانت تشبهها تماماً. وكما ذكرت سابقاً، كان فرانك واحداً من شخصين غير إيطاليين فقط في القائمة. غالباً ما كان فرانك وجوي المهرج يتحدثان في أوقات كنت موجوداً فيها لأستمع إلى فرانك يروي لي نهاية المحادثة. كانت مؤامرة من جميع الجوانب تحدث أمام عيني. كنت ذات يوم متوجهاً إلى مبنى دار نشر بارك أفينيو لحضور اجتماع عمل عندما تلقيت مكالمة من فرانك على هاتفه الخليوي.

حدثني فرانك قائلاً: «تلقيت مكالمة من صديقنا في شيكاغو. لقد أخبرني بأنه يلف جميع أنحاء شيكاغو بحثاً عن الرجل الذي كان يعيش في شمالها والذي وصفته لك بالمخبر الخفي. كن حذراً مما تقوله حول بيلي. إنه ليس رجلاً صالحاً».

قلت له: «دعك من هذا يا فرانك، أنا أكون في صحبته فقط عندما أكون معك. ماذا يمكنني أن أقول عن بيلي؟»

«بغض النظر، احترس مما تقوله عن بيلي. هذا كل شيء».

ما أثار سخريتي شخصياً هو توجه بيلي لاحقاً إلى مكتب التحقيقات الفدرالي ليصبح شاهداً متعاوناً بعد قيامه بالتآمر لقتل شهود متعاونين آخرين.

كان بيلي دائماً يرأس قائمة هؤلاء الأشخاص الذين اعتقدت أنهم قد يفكرون مثل المجنون الغاضب ويقررون بأنني كنت أخدع فرانك، وأنني استفدت من شعور فرانك بتأنيب الضمير لأجعل من الكتاب الذي سيعرض وجهة نظر شيран ويقدم دليل براءته بمثابة كرسى للاعتراف. من يستطيع أن يلومني على عدم ذكر بيغ بيلي حتى الآن؟

على أي حال، فإن هذا الكتاب هو عن فرانك وكل صفحة فيه تتحدث عن فرانك كانت تشير إلى رغبته في التوبة ورحلته نحو الخلاص. يحتاج من يقوم بالاعتراف إلى شخص يعترف له. وقد كنت محظوظاً لوجودي في المكان المناسب في الوقت المناسب وأن يبوح لي هذا الابن المتدين بكل ما في صدره.

بعد فترة قصيرة من محادثتي القصيرة ولكن السحرية مع مشروع القتل السابق فرانك بافليكو، تلقيت مكالمة استغاثة من دولوريس ابنة فرانك شيран. في تلك الليلة، قام عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي في ديترويت بزيارة منازل بنات فرانك الثلاث في بنسلفانيا واللاتي ظل فرانك على مقربة منهن. كان عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي يبحثون عن إفادة خطية أو خطاب أو ملاحظة أو شريط كاسيت أو شريط فيديو أو فيلم، أو أي شيء على الإطلاق مكتوب أو على شريط ربما تركه فرانك مع أي واحد منهن لحفظه.

أخبرت دولوريس بحدِيثي مع بافليكو. شرحت لها أن العملاء كانوا يبحثون عن أي شيء تركه والدهم وراءه كدليل على أنه يتراجع أو ينكر مصداقية ما اعترف به لي، وقد يكون شيئاً تركه في عهدة بناته في حالة اعتقاله.

قلت لها: «يجب أن تطمئني، لأن شيئاً مثل هذا غير موجود ويؤدي إلى التشكيك فيما قاله لهم شاهدهم الرئيسي بيلى». «لم يحاول أبي قط أن ينكر لنا أي شيء قاله لك». «أعلم ذلك، لكن يجب أن يكونوا دقيقين. فهذه هي العلامة المميزة لهم».

ضحكت دولوريس -التي أصبحت منذ ذلك الحين صديقة عمر لي- وقالت: «كما تعلم، نحن الثلاثة تعاملنا مع مكتب التحقيقات الفدرالي بالطريقة التي تملوها علينا أعمارنا المختلفة. نشأت ماريان عملياً قبل أن يكون لأبي أي علاقة مع راسل. كانت ماريان لا تفعل شيئاً سوى تقديم الكعك إلى محققي مكتب التحقيقات الفدرالي. لقد تذوقت ما مر به أبي مع مكتب التحقيقات الفدرالي وكنت متعاونة، لكنني كنت رسمية جداً. وُلدت كوني عندما كان أبي في وئام كامل مع راسل. لم تسمح لهم كوني بالدخول إلى منزلها وجعلتهم يتحدثون معها من الشرفة. صرخت في وجههم قائلة إنها لا تملك شيئاً يعود إلى والدي وأن عليهم أن يتصلوا بك ويتركوها وشأنها. وهي إلى الآن لم تقرأ الكتاب. كل ما قالته هو: فقط أخبروني بأن أبي لم يقتل فرانك سيندون. لطالما أحببته. قلت لها: لا يا كوني اطمئني، أبي لم يقتل فرانك سيندون».

كان فرانك سيندون الذي يحمل لقب «باراكودا» أحد أربعة رجال مصطنعين قررت لجنة المافيا قتلهم في عام 1980 انتقاماً لقيامهم بالعملية غير المرخصة، والتي استهدفت في ذلك العام أنجيلو برونو. ونظرًا لأن العملية التي استهدفت برونو كان يُنظر إليها على أنها فعلة ناجمة عن الطمع، فقد تُرك سيندون في أحد الأزقة ليتم العثور عليه وفمه محشو بالمال. ربما كان مقتل الرجال المصطنعين الأربعة الذين تآمروا لقتل أنجيلو برونو رئيس عائلة فيلاديلفيا هو آخر عمل من هذا القبيل تقوم به اللجنة لفرض القانون والنظام قبل أن يتنامى الشعور بالغضب من التحقيقات التي كان يقوم بها ديفيكو من خلال لجنة لين حول لجنة المافيا. من أجل أن تكون هناك هيئة حاكمة للمافيا، يجب أن تكون هناك لجنة تقوم بإجراء الاتصالات، وقد وضعت قضية لين حدًا لذلك.

في اليوم التالي لاتصال دولوريس بي تلقيت مكالمة من العميل الخاص آندي سلوس من مكتب التحقيقات الفدرالي في ديترويت. أراد مني الشرائط التي سجلتها لشيران. أثار الطلب استغرابي. حظينا بمحادثة جيدة. أخبرته بما قالته دولوريس عن أخواتها وزيارته وضحكنا. سألتني ما إذا كنت بحاجة إلى أمر استدعاء بخصوص أشرطتي. فقلت إنني لست بحاجة إليه، لكنني سأرغب في الاحتفاظ بنموذج منه كتذكاري. في غضون يوم أو نحو ذلك، تلقيت أمر الاستدعاء، وبعد ذلك عندما تم نسخ شرائطي وإعادتها إلي، وضعوا عليها ختم مكتب التحقيقات الفدرالي ورقم القضية.

وفي نفس الوقت كانت تجربة ممتعة وملهمة. وكما كانت والدتي، كارولينا دي ماركو براندت، تقول لي دائماً عندما أذكر لها بعض الأخبار السارة عن حياتي، «انظر إلى الأعلى يا تشارلز». وقد تعلمت أن أفعل ذلك منذ أن كنت صغيراً.

علمتني تجربتي في تطبيق القانون خلال حديثي مع العميل آندي سلوس أنه على عكس ما جرى مع المحقق جو كوفي في قضية غالو حيث مات جميع المشتبه فيهم، ولأن تومي أندريتا كان لا يزال على قيد الحياة ويعيش في لاس فيجاس وكان تشوكي أوبراين لا يزال على قيد الحياة ويعيش في فلوريدا، فإن هذه القضية كانت مفتوحة، لا يمكن لأي عميل التعليق عليها علناً، بنفس الطريقة التي لم يتمكن بها جو بيبستون من التعليق على بعض القضايا المفتوحة في كتابه الأول عن دوني براسكو، ولم يفعل ذلك حتى في كتاب «دوني براسكو: عمل غير مكتمل» الذي صدر بعد عشرين عاماً. كنت حريصاً جداً على البقاء في المكان الآمن. لم أذكر قط بيبغ بيلي ديليا أو فرانك بافليكو أو المحقق جو كوفي. ومع ذلك، قبل إنهاء المكالمة، لم أستطع المقاومة. قلت: «لن أسألك ما الذي ولد اهتمامك الأخير بأشطرتي. لكنني أريدك فقط أن تعرف أنني لم أحب قط ذلك اللعين ولم يحبني قط».

انفجرنا نضحك معاً، مثل رجلين كانا، بعد كل شيء، قد اتخذنا نفس «الموقف من هذه القضية».

بعد فترة وجيزة من تلك اللحظة المثالية، حدث الاجتماع في فندق لو باركر ميريديان مع مارتين سكورسيزي وروبرت دي

نيرو وستيف زاييليان، وهي لحظة مثالية أخرى حيث سألني سكورسيزي عن اسم الفيلم الغامض الذي أدى إلى إشارتي إلى «منفذ العملية الوحيد» لي هارفي أوزوالد. في أثناء رحلتي إلى سان فالي، أدركت الصلة التي تربط عنوان الفيلم بقيام جاك روبي باغتيال أوزوالد. أطلق مسدس روبي عيار 38 ملم انفجاراً من الصمت أسكت أوزوالد.

عندما وصلت إلى سان فالي من اللقاء الخاص بالفيلم المقتبس عن كتابي في مانهاتن، كان هناك طرد على عتبة بابي وصل في مساء ذلك اليوم من شركة فيديكس لتوصيل البريد. كان يحوي قرص دي في دي DVD لفيلم «انفجار الصمت» الذي أخرجه ألين بارون عام 1961 أرسله مارتن سكورسيزي. يا له من كنز. ويا له من فيلم نوار أسر، تدور أحداثه في مدينة نيويورك في شبابي.

تم حينها التحقق من صحة كل اعترافات فرانك شيران الرئيسة: فيما يخص غالو تم التحقق منها من قبل صحيفة نيويورك تايمز عن طريق الشاهد والمحقق جو كوفي، وقضية هوبا عن طريق فرانك بافليكو وبيلي ديليا ومذكرة استدعاء مكتب التحقيقات الفدرالي لشرائطي، وأخيراً قضية دالاس باعتبارها مؤامرة خططت لها لجنة المافيا عن طريق التحقيق مع كارلوس مارسيلو في سجن تيكساركانا، ومشاركة توني بروفينزانو نيابة عن عائلة جينوفيزي.

وأنا أتبع نصيحة والدتي بالنظر إلى الأعلى، اختار ذهني صورة لفرانك شيران مبتسماً وهو ينظر من الأعلى. وكما فعلت مرات

عديدة، قدمت له الشكر. دائماً ما تكون صورة ذلك الأيرلندي في ذهني حين كان شاباً ويرتدي الزي العسكري. إنها صورتي المفضلة، التي التقطت في جزيرة صقلية مع أليكس سيفل الذي قُتل في أثناء معركة ساليرنو.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

## نبذة عن حياة المؤلف

ولد تشارلز برينت ونشأ في مدينة نيويورك، وعمل سابقاً مدرساً للغة الإنجليزية في المدرسة الثانوية، ومحققاً في مركز للرعاية الاجتماعية في حي إيست هارلم، ومحققاً في جرائم القتل، ونائب المدعي العام لولاية ديلاوير. وحين بدأ يعمل لحسابه الخاص منذ عام 1976، أصبح برينت رئيساً لجمعية المحامين في ولاية ديلاوير وفرع ديلاوير للمجلس الأمريكي لمحامي المرافعات. وتمت تسميته من قبل زملائه لنيل لقب أفضل محام في أمريكا وفي ولاية ديلاوير. وهو يقوم بإلقاء المحاضرات بشكل مستمر حول تقنيات الاستجواب والتحقيق مع الشهود المترددين. ألّف برينت رواية تستند إلى القضايا الكبرى التي حُلّت من خلال الاستجواب، بعنوان «الحق في البقاء صامتاً». كما أنه مؤلف مشارك مع جوي بيستون في كتاب «دوني براسكو: عمل غير مكتمل» ومع لين ديفيكو في كتاب «سوف ننتصر حتماً: صدمة استخدام قاهر عصابات المافيا الأدلة الكاذبة».

لمزيد من المعلومات حول تشارلز برينت وأعماله، يرجى زيارة موقعه على الإنترنت:

[www.charlesbrandtauthor.com](http://www.charlesbrandtauthor.com)

مكتبة  
t.me/soramnqraa

يُمنحنا كتاب (سمعت أنك تطلي المنازل) معنى جديدًا لمصطلح «مذنب مسرور». وهو يعدنا بتوضيح لغز وفاة هوبا، ويبدو أنه يفعل ذلك. لا يعترف شيران فقط بأنه كان في صلب العملية، بل يذكر أنه هو من ضغط الزناد بالفعل - وليس على هوبا فقط وإنما على عشرات الضحايا الآخرين، بمن فيهم عديد من الأشخاص ممن يزعم أنه قتلهم بناءً على أوامر من هوبا. ومن المرجح أن يحفز هذا الزعم الأخير إعادة تقييم مهنة هوبا.

«يعدّ شيران من أتباع المدرسة القديمة، وقصته خالية بشكل مثير للإعجاب من الشفقة على الذات وتعظيمها، دون أن يفهم أوبرا كل شيء عن ذلك. اعترف بأنه كان أيضًا أبًا مدمنًا الكحول وردئًا، وكان عمله قتل الناس، وقد فعل ذلك بقليل من الفوضى أو الجلبة أو التأمل».

— بريان بورو، مؤلف كتاب أعداء الشعب،  
من مقال منشور في نيويورك تايمز بوك ريفيو

«الآن، بثّ مقتنعا تمامًا أن شيران كان في الحقيقة هو الرجل الذي ارتكب تلك الفعل. وأنا معجب أيضًا بأسلوب الكتاب ودقته الواقعية في جميع المجالات التي أنا مؤهل لإصدار الحكم فيها. لقد حلّ الكاتب تشارلز براندت لغز هوبا».

— البروفيسور آرثر سلون، مؤلف كتاب هوبا

«أن تروي الحادثة بمثل هذا الإيجاز والقوة المخيفة فإنك تجعل مسلسل آل سوبرانو يبدو فجأة مضطربًا ومصطنعًا».

— صحيفة نيويورك ديلي نيوز

«هل يمكن تصديق شيران؟ نعم وإلى حد بعيد.. و(سمعت أنك تطلي المنازل) كتاب ممتع جدًا».

— مجلة تريبل Trial